

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابُ كِتَابِ التَّذَكُّرِ لِلنَّبِيِّ وَالرَّسُولِ وَالرَّسُولِ وَالرَّسُولِ

١٠

الإمام
أبو عبد الله
القشيري

كِتَابُ التَّذَكُّرِ

بِأَحْوَالِ الْأَوْلِيَاءِ وَأَهْلِ الْآخِرَةِ

تصنيف

الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري

ابن زكريا الأندلسي ثم القشيري

الترقيفة سنة ٨٦٧١

تحقيق وتوثيق

الدكتور/ الصادق بن محمد بن إبراهيم

مكتبة دار المنهاج

إفشاء والتوزيع بالترقيفة

كِتَابُ التَّذَكُّرِ

مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض ١٠

كتاب التذكرة بأحوال الملوك والأمم والأحوال الأخيرة

تصنيف

الإمام أبي غنيمته محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري

الحنفلي الأندلسي ثم البصري

المتوفى سنة ٥٦٧١

تحقيق ودراسة

الدكتور / الصادق بن محمد بن إبراهيم

المجلد الأول

مكتبة دار المنهاج

للنشر والتوزيع بالرياض

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ح) دار المنهاج للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القرظبي، محمد بن أحمد

تذكرة في أحوال الموني وأمور الآخرة، / محمد بن أحمد

القرظبي - الرياض، ١٤٢٥هـ

٣مج

ردمك: ٢ - ١ - ٩٥٥٧ - ٩٩٦٠ (مجموعة)

١ - ٩٥٥٧ - ٩٩٦٠ (ج ١)

١ - المموت ٢ - الحبة الأخرى أ - العنوا

١٤٢٥/٣٨٠٠

ديوي ٢٤٣

جميع حقوق الطبع محفوظة للدار المنهاج بالرياض

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٢٥هـ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب
أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي
نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته
إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

مكتبة دار المنهاج
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية، الرياض

المركز الرئيسي: طريق الملك فهد / شمال المجمعات

هاتف: ٤٦٥٥٥٣ - فاكس: ٤٨٣٦٩٨ - ص.ب ١٩٢٩ الرياض ١١٥٥٣

الفروع: طريق خالد بن الوليد، انكاس سابقاً، ٤٣٤٤٠٩٥

طريق الأمير عبد الله، ٤٦٣١٦٢٢ - مكة المكرمة، الشامية

هاتف ٥٧٣٠٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدْرٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].
أما بعد:

فإن الإيمان باليوم الآخر من أجل مباحث الإيمان؛ لتعلقه بما يعتقد العباد في معادهم وما يصيرون إليه من نعيم مقيم، أو عذاب أليم. ولأهمية الإيمان باليوم الآخر نجده مرتبطاً في القرآن الكريم بالإيمان بالله جلّ وعلا في عدد من المواضع منها: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ إِلَهٌ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ فِئْتِ الشَّرِيقِ وَالْمَغْرِبِ وَالْكَرْبِ إِلَهٌ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧]. وقوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٩].

كما نجد ذلك الارتباط أيضاً في السنة النبوية، منه قوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤدي جاره..» الحديث^(١)، وقوله ﷺ: «من كان

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٩٨٧/٥، ح ٤٨٩٠.

يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا شهد أمراً فليتكلم بخير أو ليسكت.. « الحديث^(١) .

فإذا أيقن العبد بالحياة الآخرة التي يكون فيها الحساب على الكبيرة والصغيرة حتى الذرة: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۗ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨]، أثمر له ذلك اليقين تقوى الله تعالى، ومراقبته، وخشيته في السر والعلن.

فلما كان الإيمان باليوم الآخر بهذه الأهمية، والمنزلة العالية الرفيعة؛ أثرت أن يكون موضوعُ أُطْرُوخْتِي في هذه المرحلة: تحقيق كتاب من كتب أهل العلم يخدم ذلك الموضوع، فكان اختياري لكتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للعلامة أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، صاحب التفسير المشهور؛ وذلك للأسباب الآتية:

- لأن موضوع الكتاب يتعلق بركن من أركان الإيمان، وهو الإيمان باليوم الآخر.
- لأنه أجمع كتاب في الموضوع حسب علمي، فجلُّ من كتب بعده عالة عليه.
- اهتمام أهل العلم بكتاب التذكرة، وذلك بكثرة النقول عنه^(٢).
- انتشار الكتاب الواسع بين العامة والخاصة، فلا تكاد تخلو منه مكتبة.
- حاجة الكتاب لبيان ما اشتمل عليه من أحاديث واهية وبعض الحكايات الوعظية التي من اعتقد ما فيها حدث عنده انحراف في عقيدته وإيمانه باليوم الآخر.
- حاجة الكتاب لبيان ما اشتمل عليه من تأويلات لآيات وأحاديث الصفات، مما قد يجعل المتأثر بالكتاب في مباحث الإيمان باليوم الآخر، والموت، وعذاب القبر، يتأثر بمنهج التأويل ذلك، فوجب التنبيه على

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١٠٩١/٢، ح ١٤٦٨.

(٢) انظر: ص (٦٧ - ٦٨).

تلك التراجم وهذه التأويلات؛ صيانة للمعتقد الصحيح.

هذا وقد قسمت العمل في خدمة الكتاب إلى قسمين:

القسم الأول: في دراسة المؤلف والكتاب.

القسم الثاني: في تحقيق الكتاب.

القسم الأول وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في التعريف بعصر المؤلف:

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الحالة السياسية في عصر المؤلف وأثرها عليه.

المبحث الثاني: الحالة الدينية في عصر المؤلف وأثرها عليه.

المبحث الثالث: الحالة العلمية في عصر المؤلف وأثرها عليه.

المبحث الرابع: الحالة الاجتماعية في عصر المؤلف وأثرها عليه.

الفصل الثاني: في ترجمة المؤلف:

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حياة المؤلف الشخصية وفيه: اسمه ونسبه وكنيته،

ومولده ونشأته، وبعض صفاته، وهجرته إلى مصر ووفاته فيها.

المبحث الثاني: حياة المؤلف العلمية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مكانة المؤلف العلمية وثناء العلماء عليه.

المطلب الثاني: شيوخ المؤلف.

المطلب الثالث: مصنفات المؤلف.

المبحث الثالث: مذهب المؤلف العقدي والفقه.

الفصل الثالث: في التعريف بالكتاب، ووصف مخطوطات التحقيق،

ومنهج التحقيق:

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في التعريف بالكتاب، ويشتمل على اسم الكتاب وتوثيق نسبه إلى المؤلف، وعرض مجمل لموضوع الكتاب، وسبب تأليفه، ومنهج المؤلف في التأليف، وروايات المؤلف التي أسندها في هذا الكتاب، وموارده فيه، مع التنويه بأهم موارد المؤلف المتخصصة في موضوع كتابه، ذكر كتاب التذكرة ضمن موارد الكتب الأخرى، مختصراته، مزايا الكتاب، ونقده والمآخذ عليه، ثم ملحوظات إجمالية على طبعات الكتاب الحالية.

المبحث الثاني: في وصف مخطوطات التحقيق، وفيه بيان الاسم المثبت عليها، وناسخها، وتاريخ نسخها، وعدد الأوراق، والأسطر، ونوع الخط، مع وصف لمنهج النساخ في النسخ، ثم تصوير نماذج منها.

المبحث الثالث: منهجي في التحقيق.

وفيه ذكرت منهجي في ضبط النص وتقويمه، وتخريج النصوص والتعليق عليها^(١).

القسم الثاني: تحقيق الكتاب.

(١) انظر: ص (٩٣).

شكر وتقدير

الحمد لله على نعمة الإسلام، والحمد لله على نعمة طلب العلم في بلد نبيه ﷺ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فله الحمد ربنا على إيعاتيه وتوفيقه لي بخدمة هذا الكتاب خدمة لدين الإسلام، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، اللهم إني لا أحصي ثناء عليك كما أثبتت أنت به على نفسك.

ثم الشكر لهذه الدولة الكريمة: خادمة الإسلام والمسلمين، وخادمة العلم وأهله: المملكة العربية السعودية على أيديها البيضاء، وإحسانها لشعوب وأبناء العالم الإسلامي بإنشاء هذه المنارة الإسلامية المباركة: الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية التي هي من أكبر الحسنات وأعظم القربات، فالله أسأل أن يكتب الأجر والثواب الجزيل لمن كان سبباً في إنشائها واستمرارها. ثم الشكر موصولاً لجميع المشايخ والقائمين على أمر هذه الجامعة لما يبذلونه من جهدٍ مقدرٍ لتحقيق رسالتها.

وأخص بالشكر الجزيل شيخي الجليل فضيلة الدكتور محمد باكريم باعبد الله، المشرف على هذه الرسالة التي أولاهها عنايته الفائقة منذ النوهلة الأولى بالبحث معي في فهارس المكتبات عن أفضل النسخ الخطية، فكانت له بتوفيق من الله تعالى اليد الطولى في مساعدتي في خدمة هذا الكتاب بما تعلمته من فضيلته من خلق الصبر والمصابرة، ورحابة الصدر، وحسن الأدب، فقد فتح لي حفظه الله قلبه وبابه في جميع الأوقات حتى في أوقات راحته، ومنحني الكثير من وقته الثمين دون كلل أو ملل.

وقد نفعني الله تعالى بملاحظاته الدقيقة، وآرائه السديدة، فقد كان بحق مشرفاً ومربياً، فلا أحسب أنه ادخر جهداً في النصح والنصيحة، ولا أحسب

أني أستطيع له مكافأة غير أن أدعو له الكريم الوهاب أن يبارك في عُمره وعلمه وعقبه، وأن يجعل ما قدمه للعلم وطلابه في ميزان حسناته إنه قريب مجيب.

وأخص بالشكر الجزيل أيضاً الشيخين الكريمين فضيلة الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر على مشاركتي خدمة هذا الكتاب بتصويبه وتقويم اعوجاجه، فجزاهما الله عني وعن المسلمين خير الجزاء.

هذا فما أصبت فيه فهو من محض توفيق الله تعالى وإعانتة، وإن كانت الأخرى فراجع إلى ضعف البشر وقصورهم عن بلوغ الكمال.

الفصل الأول

في التعريف بعصر المؤلف

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: الحالة السياسية في عصر المؤلف وأثرها عليه.
- المبحث الثاني: الحالة الدينية في عصر المؤلف وأثرها عليه.
- المبحث الثالث: الحالة العلمية في عصر المؤلف وأثرها عليه.
- المبحث الرابع: الحالة الاجتماعية في عصر المؤلف وأثرها عليه.

المبحث الأول

الحالة السياسية في عصر المؤلف وأثرها عليه

وُلِدَ المؤلف رحمه الله تعالى وعاش بداية حياته في مدينة قُرْطُبَة^(١) في عصر دولة الموحدين؛ التي كانت تحكم بلاد المغرب والأندلس في المُدَّة ما بين سنة خمس عشرة وخمسمائة إلى سنة ثمان وستين وستمائة (٥١٥هـ إلى ٦٦٨هـ)، والتي أسسها: محمد بن عبد الله بن تومرت المغربي^(٢)، وكانت

(١) قُرْطُبَة بضم الأول وسكون الثاني وضم الظاء المهملة ثم الباء الموحدة، كلمة فيما يبدو أعجمية، ففي نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد المقرئ ٤٥٨/١: إن قرطبة بالظاء المعجمة، ومعناه: أحر ساكنها، ثم عُرِبَتْ بالظاء ١٠٠هـ، ولكلمة قرطبة حظ في العربية من المعاني، فالقُرْطُبي: السيف، وقُرْطُبَة: صرعه على قناه وطعنه، والقُرْطُبي: الغدو الشديد، انظر: لسان العرب لابن منظور ٥٥٩/١.

فقرطبة: مدينة عظيمة بالأندلس، تتوسط بلادها، وكانت سريراً لمملكها، وبها كانت ملوك بني أمية ومعدن الفضلاء، وتقع المدينة على سفح جبل يسمى جبل العروس من جبال «سيرامورنيا» أو الجبال السوداء، كما تحتل سهلاً فسيحاً بين هذه الجبال والوادي الكبير، وتمتد عمارتها على الضفة اليمنى للوادي. وطول قرطبة ثلاثة أميال في عرض ميل. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٣٢٤/٤ ونفع الطيب ١/١٥٤، ٤٤٥، ٤٥٨؛ وتاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص(٢٩٢) للدكتور السيد عبد العزيز سالم.

(٢) قال ابن كثير: «كان ابتداء أمر هذا الرجل أنه قدم في حياته سنة من بلاد المغرب، فسكن النظامية ببغداد، واشتغل بالعلم، فحصل منه جانباً جيداً: من الفروع والأصول على الغزالي وغيره، وكان يُظهِر التبعذ، والزهد والورع، وربما كان يتكر عن الغزالي حُسن ملابسه، ولا سيما لما ليس حُلِّعَ التدريس بالنظامية أظهر الإنكار عليه جداً وكذلك على غيره، ثم إنه حج وعاد إلى بلاده، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويقري الناس القرآن ويشغلهم في الفقه، فطار ذكره في الناس، وارتفع أمره وقويت شوكته، وتسمى بالمهدي، وكوّن جيشاً سماه جيش الموحدين، وألف كتاباً =

تحيط ببلاد الأندلس في حكم الموحدين أربع ممالك هي: قشتالة، وليون، وأراجون، ونافارا، وهذه الممالك تمثل في مجموعها ممالك الإشبان النصرانية، التي دخلت فيما بعد في صراعٍ مريرٍ مع دولة الموحدين صاحبة السيادة على الأندلس المسلمة^(١).

بدأت دولة الموحدين قوية بقوة دعواتها وحكامها الأوائل، ولكن لأسباب كثيرة ضعفت قوتها، ومن أهم أسباب هذا الضعف: الفتن والانقسامات والثورات الداخلية.

وقد نقل صاحب نفع الطيب قول أحد المؤرخين في وصف حال بلاد الأندلس بعد تفككها: «ولم تزل هذه الجزيرة منتظمة لمالكها في سلك الانقياد والوفاق إلى أن طما^(٢) بمترفيها سيل العناد والتناق، فامتاز كل رئيس منهم بضئع^(٣) كان مسقط رأسه، وجعله مَعْقِلًا^(٤) يعتصم فيه من المخاوف بأفراسيو^(٥)، فصار كل منهم يشن الغارة على جاره، ويحاربه في عُقْرِ دَارِهِ^(٦)،

= في التوحيد، وعقيدة تسمى المرشدة» البداية والنهاية ١٢/١٨٦؛ وقال عبد الواحد المراكشي: «وكان جل ما يدعو إليه: علم الاعتقاد على طريق الأشعرية، وكان أهل المغرب ينفرون هذه العلوم ويعادون من ظهرت عليه شديداً. وجعل يذكُر المهديّ وشوق إليه، وجمع الأحاديث التي جاءت فيه من المصنفات، فلما قرر في نفوسهم فضيلة المهدي ونسبه ونعته، ادعى ذلك لنفسه، وقال: أنا محمد بن عبد الله، ورفع نسبه إلى النبي ﷺ، وصرح بدعوى العصمة لنفسه، وأنه المهدي المعصوم، وروى في ذلك أحاديث كثيرة حتى استقر عندهم أنه المهدي، وبسط يده فبايعوه على ذلك. توفي ابن تومرت المذكور في شهر سنة ٥٢٤هـ، بعد أن أسس الأمور وأحكم التدبير ورسم لهم ما هم فاعلوه»، انظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص (١٨٤، ١٨٧، ١٩٤).

(١) انظر: دولة الإسلام في الأندلس القسم الثاني: عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى لمحمد عنان ص (٥٨٣).

(٢) من طما الماء إذا ارتفع، الصحاح للجوهري ٦/٢٤١٥.

(٣) الضئعُ بالضم: الناحية، الصحاح ٣/١٢٤٣.

(٤) المَعْقِلُ: المَلجأ، الصحاح ٥/١٧٦٩.

(٥) أَفْرَاسُ جمع فَرَس، الصحاح ٣/٩٥٧. ولعل المراد الفرسان الذين يحملونه.

(٦) عُقْرُ الدارِ بضم العين وفتحها: أصلها، وهو مَحَلَّةُ النِّقْمِ، الصحاح ٢/٧٥٥.

إلى أن ضعفوا عن لقاء عدو في الدين يعادي، ويُروَّحُ^(١) مَعَاقِنُهُ بِالْعَيْثِ^(٢) وَيُعَادِي^(٣)، حتى لم يبق في أيديهم منها إلا ما هو في ضمان هُدْنَةُ مُقَدَّرَةٌ وَإِتَاوَةٌ^(٤) في كل عام على الكبير والصغير مقررة^(٥)، قال صاحب نفع الطيب^(٦): هذا قاله قبل أن يستولي العدو على جميعها.

وفي المقابل استغل النصارى الإسبان هذا التفكك والضعف، فوحدوا كنمة الممالك الإسبانية النصرانية السابقة بقيادة ملك قشتالة، وبرعاية قوية من البابوية؛ للقضاء على الوجود الإسلامي في بلاد الأندلس، حيث كان البابا يتولى بنفسه التقارب بين ممالك الإسبان النصرانية، وتوحيد كلمتها ضد المسلمين^(٧)، فبدأ النصارى الإسبان يشنون الغارة تلو الغارة على بلاد الأندلس، وكان من بين تلك الغارات غارة شنها النصارى الإسبان على قرطبة سنة سبع وعشرين وستمئة (٦٢٧هـ)، وكان من نتائجها قتلُ والد القرطبي المؤلف رحمهما الله تعالى، حيث يخبرنا القرطبي عن تلك الغارة ضمن مسألة أوردها في تفسيره^(٨) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] قال: «العدو إذا صبح قوماً في منزلهم ولم يعلموا به، فقتل منهم، فهل يكون حكمه حكم قتل المعتك، أو حكم سائر الموتى؟ وهذه المسألة نزلت عندنا بقرطبة أعادها الله، أغار العدو قصمه الله صبيحة الثالث من رمضان المعظم سنة سبع وعشرين وستمئة والناس في أجزائهم^(٩) على غفلة فقتل وأسرا، وكان من جملة من قتل

- (١) الرَّوَّاحُ: نقيض الصباح، وهو اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل، الصحاح ١/٣٦٨.
- (٢) الْعَيْثُ: الإفساد، الصحاح ١/٢٨٧.
- (٣) الْعُدُوُّ: نقيض الرواح، وهو الوقت ما بين صلاة الفجر إلى طلوع الشمس، الصحاح ٦/٢٤٤٤.
- (٤) الْإِتَاوَةٌ: الخراج، الصحاح ٦/٢٢٦٢. (٥) ٤/٤٤٦.
- (٦) انظر: دولة الإسلام في بلاد الأندلس القسم الثاني ص(٥٩٠).
- (٧) النجاص لأحكام القرآن ٤/١٧٤ فقرة رقم ٢٧٢.
- (٨) في لسان العرب لابن منظور ١٣/٨٧: جَزَأٌ جُزِئَتْ أَي تَعَوَّدَ أَمْرًا. فلعل مراد المؤلف أن الناس كانوا فيما اعتادوا عليه من أعمالهم، والله أعلم.

والذي كَلَّمَهُ، فسألت شيخنا المقرئ الأستاذ أبا جعفر أحمد المعروف بأبي حُجَّة^(١) فقال: غَسَلَهُ وصلُّ عليه فإن أباك لم يقتل في المعترك بين الصفيين، ثم سألت شيخنا ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع بن أبي^(٢) فقال: إن حكمه حكم القتلى في المعترك، ثم سألت قاضي الجماعة أبا الحسن علي بن قطرال^(٣) وحوله جماعة من الفقهاء فقالوا: غَسَلَهُ وكفنه وصلُّ عليه ففعلت، ثم بعد ذلك وقفت على المسألة في التبصرة لأبي الحسن اللخمي^(٤) وغيرها، لو كان ذلك قبل ذلك ما غَسَلْتَهُ، وكنت دفنته بدمه في ثيابه.

ثم نوات هجمات النصارى على قرطبة حتى سقطت في أيديهم سنة ثلاث وثلثين وستمائة (٦٣٣هـ) بعد حصار يقرب من أربعة أشهر، وما كاد النصارى يدخلون قرطبة حتى رفعوا الصليب على مسجدها الجامع إيداناً بتحويله إلى كنيسة، ورفعوا علم مملكة قشتالة الإسبانية على القصر الخلفي، ويدخول النصارى إلى قرطبة هجرها العدد العظيم من أهلها مرغمين^(٥).

ولا تزال قرطبة وبلاد الأندلس عامة في أيدي النصارى الإسبان إلى يومنا هذا. وكان ممن هاجر من قرطبة أبو عبد الله القرطبي المؤلف كَلَّمَهُ، حيث رحل إلى المشرق قاصداً مصر.

(١) انظر: ترجمته ص(٣٥).

(٢) هكذا ورد الاسم في تفسير المؤلف، ولم تتجاوز مصادر الترجمة اسم (ربيع)، ومن المحتمل إذا ضُبط الاسم أن يكون: أبي، مثل: أبي بن كعب، والله أعلم، وانظر: ترجمته ص(٣٥).

(٣) علي بن عبد الله بن محمد الأنصاري، يعرف بابن قطرال، ويكنى أبا الحسن، القاضي، من أهل قرطبة، كان مشاركاً في العديد من الفنون مع تميزه بالبلاغة، توفي سنة ٦٥١هـ، انظر: التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار ٣/٢٤١ رقم الترجمة ٦٠٤.

(٤) علي بن محمد الربيعي، أبو الحسن، المعروف باللخمي، كان فقيهاً فاضلاً، له تعليق كبير على المدونة سماه «التبصرة» مفيداً حسن، لكنه ربما اختار فيه وخرج، فخرجت اختياراته عن المذهب، توفي سنة ٤٩٨هـ، انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي ١/٢٠٣.

(٥) انظر: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ١/١٥٣ - ١٥٤ للدكتور السيد عبد العزيز سالم.

وفي المشرق لم تكن الأوضاع الأمنية وحال الخلافة بأحسن من بلاد الأندلس، ففي سنة ست وخمسين وستمائة (٦٥٦هـ) - وهو الوقت الذي كان فيه القرطبي في مصر كما سيأتي^(١) - كانت الخلافة الإسلامية مهددة بخطر التتار، حيث وصل منهم في هذه السنة مائتا ألف جندي يتقدمهم هولاءكو، فهزموا جيش الخليفة، ودخلوا بغداد فقتلوا أكثر من ألف ألف نسمة، وجمّاً غفيراً من العلماء والفقهاء والأمراء، ولم يسلم إلا من اختفى في بئر أو قنّاة، وقتلوا الخليفة زُفياً بالأزجلي.

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وستمائة (٦٥٧هـ) والأمة الإسلامية بلا خليفة، وكان صاحب مصر إذ ذاك: المنصور علي بن المعز، وأتابكه^(٢) الأمير: سيف الدين قطز المعزي مملوكاً لأبيه، فجمع الأمير قطز الأمراء والأعيان فكان ممن حضر الشيخ عز الدين بن عبد السلام^(٣) الذي أوجب على المسلمين مقاتلة العدو والنفرة لتجهيز الجيش.

وفي شعبان من سنة ثمان وخمسين وستمائة (٦٥٨هـ) خرج المسلمون متوجهين إلى الشام لقتال التتار، فالتقوهم في موقعة عين جالوت الشهيرة التي انتصر فيها المسلمون، وانهمز فيها التتار شر هزيمة، وأقيمت الخلافة في مصر سنة (٦٥٩هـ) للمستنصر بالله أحمد بن الظاهر بأمر الله، الذي قُتل بعد ذلك بقليل، فبويع بعده في سنة ستين وستمائة (٦٦٠هـ) للحاكم بأمر الله أحمد بن الأمير علي القبي الذي في عهده توفي القرطبي المؤلف سنة إحدى وسبعين وستمائة (٦٧١هـ)^(٤).

(١) انظر: ص (٣١).

(٢) لعل المراد بهذا اللقب: أمير الجيوش، كما جاء لقبه بذلك في البداية والنهاية لابن كثير ١٧٣/١٢.

(٣) عز الدين بن عبد السلام بن القاسم، أبو محمد الدمشقي الشافعي، صاحب التصانيف منها: القواعد الكبرى والصغرى، وكتاب الصلاة والفتاوى الموصلة، توفي سنة ٦٦٠هـ، انظر: البداية والنهاية ٢٣٥/١٣.

(٤) انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (٤٧١ - ٤٨٤).

أثر الحالة السياسية على المؤلف رحمته:

كان للحالة السياسية في عصر المؤلف أثرٌ واضحٌ عليه، فكان لاستيلاء العدو على بلده قرطبة، وإرغام أهلها على الهجرة منها، وقتل والده على أيديهم الأثر الكبير في عدم استقراره، وأدى ذلك إلى قطعه لطلب العلم في قرطبة حيث خرج منها شاباً^(١).

وفي المشرق كان خطر التتار وعدم الاستقرار يلاحقانه رحمته، مما أدى إلى تنقله في عدد من مدن مصر، واستقراره أخيراً في صعيدها في الجنوب^(٢)، حيث قضى بقية أيام عمره فيه، فأضعف عدم استقرار المشرق تلقي المؤلف للمزيد من العلوم من علمائه، فلم تذكر مصادر الترجمة ذهابه إلى بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية وملتقى العلماء مع قريها من مصر.

كما أثر عدم استقراره على جهوده في التعليم والتدريس، فلا يكاد يُذكر للمصنف تلاميذ تلقوا عنه فناً معيناً مع تمكنه من فنون عدة.



(١) انظر: ص (٢٧).

(٢) انظر: ص (٣١ - ٣٢).

المبحث الثاني

الحالة الدينية في عصر المؤلف وأثرها عليه

كان الخلفاء والولاة في عصر دولة الموحدين في الأندلس يعملون على تطبيق الشريعة الإسلامية بين الرعية، وفي إداراتهم، وكان لعلماء الدين الإسلامي مكانتهم الخاصة في الدولة، وفي المجتمع الأندلسي عموماً: فمنهم الذين استعانوا بهم الدولة في القضاء، والخطابة، والإفتاء، وغير ذلك من المهام العظيمة، وقد استمد هؤلاء العلماء تلك المكانة من كونهم حملة الشريعة، وحماة الدين.

هذا بالإضافة إلى الإقبال الكبير من الناس في هذا العصر على تعلم الفقه، خاصة الفقه المالكي، الذي كان سائداً في مدن الأندلس عموماً بما فيها قرطبة مدينة المؤلف.

أما المعتقد الذي كان سائداً في ذلك العصر في باب الصفات خاصة: فهو معتقد الأشاعرة الذي تبناه مؤسس دولة الموحدين ابن تومرت^(١).

كما كان للفلسفة وجود كبير في ذلك العصر في الأندلس خاصة على يد أبي الوليد محمد بن أبي القاسم بن رشد، الحفيد، القرطبي المتوفى سنة خمس وتسعين وخمسائة، والذي كانت وفاته قبل مولد القرطبي المؤلف بقليل، فابن رشد يعتبر مؤسساً لدعائم الفلسفة في ذلك العصر بخادمته لكتب الأوائل ونشرها

(١) انظر: التاريخ الإسلامي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة سنة ٨٩٧هـ للذكتور عبد الرحمن الحجي ص(٤٩٩)؛ ودولة الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، عصر الطوائف الثاني ص(٢٧٢) للدكتورة عصمت دندش؛ ودولة الإسلام في الأندلس ٥٥١/٢ (الملاحق)، وانظر: ص(١٣).

في مجتمعه، والتي كان من أبرزها: كتاب جوامع كتب أرسطوطاليس، وكتاب تلخيص الإلهيات لنيقولاوس، ومقالة فيما يعتقد المشاؤون وما يعتقد المتكلمون في كيفية وجود العالم^(١).

كما ذاع في ذلك العصر معتدٌ خَلَطَ بين فلسفة الأوائل والتصوف على يد محيي الدين بن عربي: محمد بن علي الطائفي الأندلسي، المتوفى سنة ثمان وثلاثين وستمائة، الذي ألف كتاب الفتوحات المكية، وفصوص الحكيم، اللذين أَصَلَ فيهما عقيدة وحدة الوجود الكفرية، التي انتشرت فيما بعد في قطاع كبير من بقاع المسلمين داخل وخارج الأندلس^(٢).

أثر الحالة الدينية على المؤلف:

يظهر أثر الحالة الدينية على المؤلف في الآتي:

١ - سلوك المؤلف مسلك المتكلمين الأشاعرة في الاعتقاد^(٣) وهي العقيدة السائدة في ذلك العصر سواء في الأندلس أو في المشرق الذي رحل إليه المؤلف.

٢ - تفقيهه على المذهب المالكي الذي كان سائداً في ذلك العصر في بلاد الأندلس، بل يعتبر المؤلف من علماء ذلك المذهب، ويعتبر كتابه الجامع لأحكام القرآن من كتب الفقه المالكي المهمة.

٣ - عناية المؤلف بالرد على انحرافات الصوفية في عصره كلما سنحت له فرصة؛ وهذا من التفاعل الإيجابي مع مجتمعه والذي ظهر أثره في عنايته بتلك الردود^(٤).

(١) موسوعة تاريخ الأندلس للدكتور حسين مؤنس، ١٢٨/٢؛ والتكملة لكتاب الصلة لابن الأبار ١٧٤/٢؛ وسير أعلام النبلاء ٣٠٧/٢١.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ٤٨/٢٣، ونقح الطيب ٦٣٣/٢.

(٣) انظر: مزيداً من البيان في عقيدة المؤلف ص (٤٢).

(٤) انظر: ص (٥٠).

المبحث الثالث

الحالة العلمية في عصر المؤلف وأثرها عليه

اتسم عصر الموحدين الذي عاش المؤلف رحمه الله فيه بداية حياته العلمية في قرطبة بالاهتمام بالعلوم والآداب، والحض عليها من قبل مؤسس دولة الموحدين محمد بن تومرت^(١) الذي بدأ حياته بطلب العلم كما سبق ذكره^(٢)، فازدهرت الحركة العلمية في بلاد الأندلس عامة وفي قرطبة خاصة حتى قال أحد المؤرخين يصف الحركة العلمية في قرطبة: «حضرت قرطبة منذ افتتحت الجزيرة فكانت منتهى الغاية، ومركز الرأية، وقرارة أولي الفضل والتقى، ووطن أولي العلم والنهي، وقلب الإقليم، وينبوع متفجر العلوم، ودار صوب العقول، ويستان ثمر الخواطر، وبحر درر القرائح، ومن أقيها طلعت نجوم الأرض^(٣)، وأعلام العصر، وفرسان النظم والنثر. بها أنشئت التأليفات الرائعة، وصنفت التصنيفات الفائقة، والسبب في تيريز القوم حديثاً وقديماً على من سواهم أن أفقهم القرطبي لم يشتمل قط إلا على البحث والطلب لأنواع العلم والأدب^(٤)».

بل عظم أمر قرطبة جداً من الناحية العلمية حتى كان عمل أهلها حجة عند بعض أهل المغرب، حتى إنهم يقولون في الأحكام: هذا مما جرى به عمل أهل قرطبة، وإن كان في المسألة نزاع بين أهل العلم منهم فيها^(٥).

(١) انظر: دولة الإسلام في الأندلس القسم الثاني ص(٦٤٥).

(٢) انظر: ص(١٣).

(٣) هذا لا يعني أن غير أفق قرطبة لم يخرج منه نجوم، فالأفاق مليئة بالعلماء، والحمد لله.

(٤) انظر: فتح الطيب ٣٥١/٢.

(٥) فتح الطيب ٤٦١/١ باختصار.

كما أُعْزِمَ أهل قرطبة باقتناء الكتب حتى صارت من أروج تجاراتها، حتى قيل: إذا مات عالم بإشبيلية^(١) فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها؛ فكانت قرطبة بذلك أكثر بلاد الأندلس كتباً، وأهلها أشد الناس عناية بخزائن الكتب^(٢).

وقد تلقى القرطبي العلم على عدد من علماء عصره في قرطبة ومصر^(٣).

أثر الحالة العلمية في عصر المؤلف عليه:

يظهر أثر الحالة العلمية على المؤلف في كثرة مصادره خاصة في كتابيه: التذكرة والجامع لأحكام القرآن، فربما اطلع أو اقتنى من تلك الكتب التي كانت تروج تجارتها في قرطبة الشيء الكثير.

وأما في المشرق فاعتنى بالناحية الحديثة حيث نجد أن جلّ شيوخه فيها من المحدثين، وجلّ أسانيد المصنف خاصة التي أوردها في كتاب التذكرة عن محدثي مصر^(٤).



(١) إشبيلية: بالكسر ثم السكون وكسر الباء الموحدة وياء ساكنة ولام وياء خفيفة، مدينة

كبيرة عظيمة بالأندلس، انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ١/١٩٥.

(٢) انظر: نفع الطبيب ١/١٥٥، ٤٦٣، ٢/٢٥٥.

(٣) انظر: ص (٣٤).

(٤) انظر: ص (٣٦).

المبحث الرابع

الحالة الاجتماعية في عصر المؤلف وأثرها عليه

لم تكن الرعاية في عصر دولة الموحديين في الأندلس تقتصر على النواحي الحربية وإعداد الجيوش، والنواحي العلمية فحسب، بل كانت تتجاوز ذلك لتصل إلى النواحي العمرانية والجمالية في الأندلس، فكما أنشأت الدولة الإنشاءات العسكرية أنشأت كذلك القصور المزودة ببساتين مزينة بأنواع الفراس، وغير ذلك من مشاريع تجميل المدن، كما عملت على تهيئة المياه الجارية في المدن لسقاية الناس.

كما امتد اهتمام أهل الأندلس بالجماليات حتى في القرى، حكى صاحب نفع الطيب قول أحد الواصفين لقرى الأندلس: ومما اختلفت به أن قراها في نهاية من الجمال لتصنع أهلها في أوضاعها، وتبيضها لثلاثين العيون عنها.

وفي هذا يقول أحد الوزراء:

لاحت قراها بين خضرة أيكها كالأدر بين زبرجد مكنون^(١)

ومما يتميز به المجتمع الأندلسي عموماً التعاون الذي يمثل السمة السائدة بينهم، خاصة بين الفلاحين في زراعة الحقول، وجمع المحصول، كما كانوا يستعيرون الدواب من بعضهم البعض خاصة في حرثة الأرض، بل بلغ بهم التعاون أن يستعير أحدهم مكاناً في دور أهل البلد؛ ليحفر فيها مخزناً لحبوه داخل الأرض.

أما الغالب على لباس أهل الأندلس من الرجال: القميص والسراويلات،

(١) انظر: نفع الطيب ٢٠٥/١.

كما يغلب عليهم ترك العمائم^(١).

ولقوة علاقاتهم الاجتماعية نجد أن الأبناء في أغلب الأحيان يتزوجون ولا يفصلون عن أسرهم^(٢).

أثر الحالة الاجتماعية على المؤلف:

جاء عن المؤلف نص يفهم منه أن والده كان يعمل في أحد حقول قرطبة الزراعية، كما عمل المؤلف نفسه على الدواب في نقل التراب إلى من يقومون ببعض الحرف^(٣)، فربما كان الوضع الاجتماعي للفلاحين في قرطبة، وما يسوده من ترابط وتعاون هو الذي دفع المؤلف لقضاء باقي أيام عمره في منطقة بني خصيب في صعيد مصر، التي يشتهر أهلها بأنهم فلاحون إلى يومنا هذا^(٤). كذلك ذكر ابن فرحون المالكي^(٥) في صفة المؤلف: وكان قد اطرح التكلف: يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية.

فربما ترك القرطبي لبس الطاقية كما ذكر ابن فرحون طراحاً للتكلف، كما يحتمل أنه ترك لبسها تقليداً لمجتمعه الذي كان يغلب على أهله ترك لبس العمائم كما مرّ بنا^(٦).



- (١) انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ١/١٣٦.
 (٢) انظر: دولة الأندلس في نهاية المرابطين إلى مستهل الموحديين ص(٣٠٢ - ٣٠٥)،
 والتاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ص(٥٠٠).
 (٣) انظر: ص(٢٧).
 (٤) انظر: ص(٣١ - ٣٢).
 (٥) في الديباج المذعب ٢/٣١٧ - ٣١٨.
 (٦) انظر: ص(٢٣ - ٢٤).

الفصل الثاني

في ترجمة المؤلف

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حياة المؤلف الشخصية.

المبحث الثاني: شخصية المؤلف العلمية.

المبحث الثالث: مذهب المؤلف العقدي والفقهي.

المبحث الأول

حياة المؤلف الشخصية

اسمه ونسبه وكنيته :

هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج، الأنصاري الخزرجي الأندلسي ثم القرطبي، هكذا ذكر المؤلف اسمه ونسبه في مقدمة كتابه التذكرة، وزادت بعض نسخ الكتاب ومصادر الترجمة^(١) كنيته: أبو عبد الله.

فالنسبة إلى الخزرج التي ذكرها المصنف في نسبه أخص، لأن الخزرج من الأنصار، فقد انتقلت منهم جماعات إلى الأندلس أيام فتحها، قال صاحب نفع الطيب^(٢): «ففيها - أي قرطبة - تمخضت خلاصة القبائل المعدية واليمانية وإليها كانت الرحلة»، وكذلك النسبة إلى الأندلس وقرطبة؛ فقرطبة من مدن الأندلس وكانت بها نشأة المصنف وسكنه.

مولده :

لم تذكر المصادر التي اطلعت عليها، والتي ترجمت للمصنف سنة الولادة، وإنما ذكرت سنة الوفاة فقط، لكن ذكر المؤلف نصاً في تفسيره يمكن أن نستفيد منه في تقريب سنة ولادته، حيث أرخ لسنة مقتل والده بأيدي النصارى في الثالث من رمضان من سنة سبع وعشرين وستمائة (٦٢٧هـ) كما تقدم^(٣)، فمن خلال ذلك النص نجد أن المؤلف كَلَّفَهُ ذهب يستفتي مشايخه في

(١) انظر: الديباج المذهب لابن فرحون المالكي ٣١٧/٢، وتاريخ الإسلام للذهبي ٥٠/

٧٤ - ٧٥، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٧/ ٥٨٤ - ٥٨٥.

(٢) انظر: نفع الطيب ٤٦١/١. (٣) انظر: ص(١٥).

شأن والده الذي قتل في غير المعركة هل يدفنه بدمه ولا يغسله على اعتباره أنه من قتلى المعركة، أم يغسله على اعتباره أنه من سائر الموتى، فذهابه لأكثر من شيخ ليستفتيه في ذلك فيه دليل على أن المؤلف كان في ذلك الوقت في مرحلة طلب العلم أيام الشباب، فإذا علمنا أن تاريخ مقتل والده كان سنة (٦٢٧هـ)، فلو قدرنا أنه كان حين ذهابه يستفتي في أمر دفن والده في العام السابع عشر إلى الثالث والعشرين من عمره، فيكون تاريخ مولده التقريبي ما بين سنة أربع وستمئة وستة عشر وستمئة (٦٠٤ إلى ٦١٠هـ)، فإذا علمنا أن المؤلف توفي سنة (٦٧١هـ) فعلى التقدير الأول يكون المصنف قد عاش ٦٧ سنة، وعلى التقدير الثاني يكون قد عاش ٦١ سنة، ويُستأنس لهذا التقدير بقوله عليه السلام: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك»^(١) والله أعلم.

نشأته:

لم تذكر لنا المصادر شيئاً عن نشأة القرطبي أو عن أسرته؛ والسبب في ذلك والله أعلم أن العدو لما استولى على قرطبة وأرغم أهلها على الهجرة منها لا زال القرطبي في مرحلة طلب العلم، وعادة المؤرخين أن يؤرخوا لمشاهير العلماء، وقبل أن يشتهر القرطبي بالعلم في بلده سقطت قرطبة في أيدي العدو، كما أن المؤلف رحمته الله توفي بعيداً عنها. إلا أن القرطبي أخبرنا في كتابه التذكرة بنوع عمل كان يعمل في زمن الشباب حيث يقول: «ولقد كنت في زمن الشباب أنا وغيري ننقل التراب عنى الدواب من مقبرة عندنا تُسمى بمقبرة اليهود خارج قرطبة، وقد اختلط بعظام من هناك ولحومهم وشعورهم وأبشارهم

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه ٢/١٤١٥، ح ٤٢٦٣ واللفظ له؛ والترمذي في سننه ٥/٥٥٣، ح ٣٥٥٠ وأبو يعلى الموصلي في مسنده ١٠/٣٩٠، ح ٥٩٩٠؛ كنهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال الترمذي: هذا حسن غريب، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى، وفيه شيخ هشيم ولم يُسم، وبقية رجاله رجال الصحيح، انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد له ١٠/٢٠٦، وقال الألباني: حسن صحيح، انظر: صحيح سنن ابن ماجه له ٢/٤١٥، ح ٣٤١٤.

إلى الذين يصنعون القَرْمَد^(١) للِسْقَف»، فالذي يظهر أن القرطبي كان يتكسب من عمله هذا؛ لأن الذين يصنعون تلك الحجارة للِسْقَف ما يصنعونها في العادة إلا لبيعها.

كذلك لما ذكر المؤلف مقتل والده بين لنا أن الناس كانوا في حقولهم، وخص الأرض بالذكر، فقد يفهم من ذلك أن غالب أهل قرطبة كانوا يعملون في الزراعة، وقد يكون والد المؤلف من أولئك الفلاحين.

وعلى العموم، فالذي يظهر أن القرطبي نشأ في كنف أسرة فقيرة أو متوسطة الحال.

وأما عن الناحية العلمية لأسرة المؤلف: فلم أقف على نص يدل على أن المؤلف نشأ في أسرة علمية، أو تُعنى بالعلم.

بعض صفات المؤلف:

١ - زهده وتواضعه: قال ابن فرحون المالكي عن المؤلف: «كان من عباد الله الصالحين^(٢)»، والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعينهم من أمور الآخرة، أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف».

وقال عنه أيضاً: «وكان قد اطرح التكلف: يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية^(٣)».

وقد ألف القرطبي رِكَائِلَهُ كتاباً في الزهد سماه: (الزهد والقناعة ورد ذلك السؤال بالكسب والصناعة)، وقد كان زهد المصنف عن علم وبصيرة، وقد

(١) القَرْمَد: ضرب من الحجارة يوقد عليها، فإذا نضج ظلي به، الصحاح ٥٢٤/٢.

(٢) تُحمَلُ عبارة ابن فرحون على تقدير محذوف: (هكذا أحسبه، أو أظنه)؛ لأن الحكم بالصلاح القطعي لا يعلمه إلا الله تعالى: «مَرَّ أَفَلًا بِبَنِي آفَرَ»، فالله تعالى لا يشاركه أحدٌ من خلقه في علم ما بالقلوب أو تقواه حتى يحمل اسم التفضيل على يابه، وإنما لنا الحكم بما ظهر من حال الشخص.

(٣) انظر: الديباج المذهب ٣١٧/٢ - ٣١٨.

كان يشنع على الصوفية الذين لم يفهموا الزهد على المعنى الصحيح، فقد جاء عنه في تفسيره^(١) ما نصه: «فإنه لم ينقل عن النبي ﷺ أنه امتنع من طعام لأجل طيبه قط، بل كان يأكل الحلوى والعسل والبطيخ والرطب، وإنما يكره التكلف لما فيه من التشاغل بشهوات الدنيا عن مهمات الآخرة، والله تعالى أعلم.

قلت^(٢): وقد كره بعض الصوفية أكل الطيبات، واحتج بقول عمر رضي الله عنه: «إياكم واللحم فإن له ضراوة كضراوة الخمر»^(٣)، والجواب: أن هذا من عمر قول خُرج على من خشي منه إبطار التنعم في الدنيا والمداومة على الشهوات، وشفاء النفس من اللذات ونسيان الآخرة والإقبال على الدنيا؛ ولذلك كان يكتب عمر إلى عماله إياكم والتنعم وزى أهل العجم واخشوشنوا، ولم يُرد رضي الله عنه تحريم شيء أحلّه الله، ولا تحظير ما أباحه الله تبارك اسمه، وقول الله تعالى ﴿أولى ما امثل واعتمد عليه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وقد مضى في المائدة^(٤) الرد على من أثار أكل الخشن من الطعام وهذه الآية ترد عليه وغيرها والحمد لله».

٢ - شجاعته وثبات جنانه: جاء في كتاب الوافي بالوفيات للصفدي^(٥) ما يلي: «ترافق القرطبي المفسر، والشيخ شهاب الدين القرافي^(٦) في السفر إلى الفيوم^(٧)، وكل منهما شيخ فنه في عصره: القرطبي في التفسير والحديث،

(١) ١٢٧/٧ - ١٢٨ رقم الفقرة ١٩٩. (٢) ما زال القول للقرطبي.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ٢/٩٣٥، ح ١١٦٧٣؛ وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٥/١٤١، ح ٢٤٥٣١.

(٤) أي في تفسير سورة المائدة من تفسير المصنف الجامع لأحكام القرآن ٦/١٦٩ فقرة رقم ٢٦٢.

(٥) ١٢٢/٢ - ١٢٣.

(٦) أحمد بن إدريس، أبو العباس شهاب الدين القرافي المالكي، برع في الفقه، والأصول، والمقليات. له مصنفات منها: شرح محصول الرازي، وكتاب التنزيح في أصول الفقه، انظر: الديباج لابن فرحون ١/٦٢.

(٧) مدينة مصرية تقع إلى الجنوب الغربي من القاهرة، على الضفة الغربية لنهر النيل عند بحيرة قارون. موسوعة المدن العربية والإسلامية للدكتور يحيى الشامي ص (٢٠٤).

والقرافي في المعقولات، فلما دخلها ارتادا مكاناً ينزلان فيه، فذلاً على مكان، فلما أتياه قال لهما إنسان: يا مولانا بالله لا تدخلاه؛ فإنه معمر بالجان، فقال الشيخ شهاب الدين للغلمان: ادخلوا ودعونا من هذا الهذيان، ثم إنهما توجهتا إلى جامع البلد إلى أن يفرش الغلمان المكان، ثم عادا، فلما استقرا بالمكان سمعا صوت تيس من المعز يصيح داخل الخرستان^(١)، وكرر ذلك الصباح فامتقع لون القرافي وخارت قواه، ثم إن الباب فُتِحَ وخرج منه رأس تيس، جعل يصيح، فذاب القرافي خوفاً، وأما القرطبي فإنه قام إلى الرأس وأمسك بقرنيه وجعل يتعوذ ويسمّل ويقرأ: ﴿اللَّهُ أَذِيكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفَرُّوتُمْ﴾ [يونس: ٥٩] ولم يزل كذلك حتى دخل الغلام ومعه حبل وسكين، وقال: يا سيدي تنح عنه، وجاء إليه وأخرجه وأنكاه وذبحه، فقال له: ما هذا؟ فقال: لما توجهتما^(٢) رأيتني فاسترخصته واشتريته لتذبحه وتأكله وأودعته هذا الخرستان، فأفاق القرافي في حاله وقال: يا أخي لا جزاك الله خيراً ما كنت قلت لنا وإلا طارت عقولنا».

هجرة المؤلف إلى مصر، ووفاته فيها:

لما ضاق الحال بأهل قرطبة من جراء غزو النصارى الإسبان لبلدهم هجرها الكثير من أهلها حتى أهل العلم، وكان المؤلف رحمه الله من بين أولئك المهاجرين، فكانت هجرته إلى مصر.

لم تذكر لنا مصادر الترجمة متى هاجر المؤلف ولماذا اختار مصر. هذه أسئلة تدور في الخاطر، حاولت أن أجدها أجوبة من وقائع الأحداث التي وقفت عليها لشد بعض النقص في جوانب من حياة المؤلف.

- أما تاريخ هجرته من قرطبة فيحتمل أن يكون بعد سقوط قرطبة على أيدي النصارى الإسبان في سنة ٦٣٣ هـ مباشرة أو بعد ذلك بيسير، لكن من

(١) لم أقف على من ذكر معناه، لكن يبدو من السياق أنه ملحق من منحقات تلك الدار.

(٢) أي إلى جامع البلد.

المؤكد وصول المؤلف إلى مصر قبل يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب سنة سبع وأربعين وستمائة (٦٤٧هـ)؛ لأنه في هذا التاريخ نصّر على أنه روى عن شيخه الإمام الحافظ المسند أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عمرو البكري التيمي من ولد أبي بكر الصديق رضي الله عنه قراءة عليه بالمنصورة^(١) بالنديار المصرية. لكن من المرجح أن المؤلف وصل إلى مصر قبل هذا التاريخ بكثير للفارق الزمني الكبير بين تاريخ سقوط قرطبة وتاريخ روايته عن شيخه أبي الحسن البكري المتقدم.

- أما اختيار المؤلف لمصر مع وجود عاصمة الخلافة: بغداد، وكثرة العلماء فيها، فمن المحتمل أنه آثر الابتعاد عن العاصمة؛ لأنها مسرح للأحداث، ومحل للفتن وهجمات الأعداء، فإذا كان هذا هو السبب فيكون قد صدق ظنه؛ لأن في زمن وجود المؤلف في مصر هجم التتار على بغداد وقتلوا فيها ألف ألف نسمة وأكثر العلماء والفقهاء^(٢).

ومن المحتمل أيضاً أن اختياره لمصر كان لوجود بعض العلماء الذين كان يتطلع إلى التلقي منهم كشيخه أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، الذي كان مقيماً في الإسكندرية^(٣) حيث أكثر المؤلف من الرواية عنه والملازمة له.

- كما لم نذكر لنا مصادر ترجمة المؤلف أنه نزل في غير الإسكندرية، والقيوم، ومنية بني خصيب في صعيد مصر إلا ما ذكره عن نفسه أنه روى عن شيخه أبي الحسن البكري بالمنصورة من مدن مصر.

وأيضاً لم نذكر لنا مصادر الترجمة لماذا انتقل القرطبي إلى منية بني خصيب في الصعيد وفضلها على غيرها من مناطق مصر؛ لتكون آخر محط

(١) تقع مدينة المنصورة في دلتا النيل قريباً من الزقازيق وعلى فرع النيل الشرقي، موسوعة المدن العربية الإسلامية ص(٢٠٧).

(٢) انظر: ص(١٧).

(٣) ثاني أكبر مدن مصر تقع على البحر الأبيض المتوسط على الساحل الأفريقي على خط ٣١ درجة شمالاً، بين مدينتي رشيد شرقاً، ومرسي مطروح غرباً، موسوعة المدن العربية والإسلامية ص(٢٠٢).

رحله؛ فلعل السبب في ذلك والعلم عند الله تعالى: هو وجود شيخه أبي الحسن علي بن هبة الله الشافعي في منية بني خصيب الذي روى عنه المؤلف، وقد أورد القرطبي في كتابه التذكرة ثلاث روايات بسنده عن شيخه أبي الحسن هذا، فمن ذلك قوله: «وأبناؤه الشيخ الفقيه الإمام المفتي أبو الأحسن علي بن هبة الله الشافعي بمنية بني خصيب^(١) على ظهر النيل بها».

ولعل أيضاً من أسباب اختيار صعيد مصر: هو رغبة المؤلف في أن يقضي باقي أيام عمره بعيداً عن المدنية؛ ليتفرغ لعبادة ربه ﷻ، وتأليف كتبه وتنقيح المؤلف منها، فاختار منية بني خصيب بصعيد مصر، فأهل الصعيد في جملتهم فلاحون يعيشون حياة لا تكلف فيها، قد تكون أقرب إلى الحياة التي عاشها المؤلف أيام شبابه في قرطبة، وأقرب إلى حياة الزهد التي يحبها.

فبقي ﷺ في منية بني خصيب إلى أن توفي فيها في أوائل سنة (٦٧١هـ)^(٢)، وقيل في شوال من السنة نفسها^(٣).



(١) تسمى الآن بمحافظة المنيا، وتقع في وادي النيل بين أسبوط جنوباً وبني سويف شمالاً، وهي تحاذي الصحراء الغربية لجهة الشرق، موسوعة المدن العربية والإسلامية ص (٢٠٩).

(٢) انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي ٧٥/٥٠.

(٣) انظر: معجم المؤلفين لرضا كحالة ٢٣٩/٨.

المبحث الثاني

حياة المؤلف العلمية

فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مكانة المؤلف العلمية وثناء العلماء عليه.

المطلب الثاني: شيوخ المؤلف.

المطلب الثالث: مصنفات المؤلف.

المطلب الأول

مكانة المؤلف العلمية وثناء العلماء عليه

أعطى المؤلف رحمه الله تعالى الكثير من وقته وجهده للعلم والتحصيل والتصنيف، مما جعل له قدماً راسخاً بين أهل العلم، فأثنى عليه وعلى مصنفاته.

قال الحافظ الذهبي^(١) عنه: «الإمام العلامة، أبو عبد الله الخزرجي القرطبي، إمام متفنن، متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور فضله، وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان، وهو كامل في معناه، وله كتاب الأسنى في الأسماء الحسنى، وكتاب التذكرة، وأشياء تدل على إمامته وذكائه وكثرة اطلاعه»^(٢).

(١) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قائماز الإمام الحافظ، مؤرخ الإسلام، أبو عبد الله المعروف بالذهبي، له مؤلفات كثيرة منها: طبقات الحفاظ، سير أعلام النبلاء، توفي سنة ٧٤٨هـ، انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٥٥/٣.

(٢) انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي ٧٤/٥١ - ٧٥.

وقال عنه ابن فرحون المالكي^(١): «جمع في تفسير القرآن كتاباً كبيراً في اثني عشر مجلداً سماه: كتاب جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي القرآن، وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً، أسقط منه القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلة وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ، وله شرح أسماء الله الحسنى، وكتاب التذكار في أفضل الأذكار، وضعه على طريقة التبيان للنووي، لكن هذا أتم منه وأكثر علماً، وكتاب التذكرة بأمور الآخرة مجلدين، وكتاب شرح التفصي، وكتاب قمع الحرص بالزهد والفناعة ورد ذلك السؤال بالكتب والشفاعة^(٢) لم أقف على تأليف أحسن منه في بابها، وله أرجوزة جمع فيها أسماء النبي ﷺ، وله تأليف وتعليق مفيدة غير هذه»^(٣).

وقال عنه ابن العماد الحنبلي^(٤): «كان إماماً عالماً من الغواصين على معاني الحديث، حسن التصنيف، جيد النقل».

وتأكد مكانة المؤلف العلمية، ومكانة مصنفاته من خلال نقول أهل العلم من مصنفاته فعلى سبيل المثال: نقل الحافظ ابن حجر من كتاب التذكرة للقرطبي أربعة وعشرين نصاً في كتابه فتح الباري^(٥)، رحم الله الجميع.

المطلب الثاني

شيوخ المؤلف

يمكننا أن نقسم شيوخ المؤلف إلى قسمين: قسم روى عنهم في قرطبة، وقسم روى عنهم في مصر.

(١) أبو الوفا إبراهيم بن علي بن فرحون البغدادي، المالكي، تفقه وبرع وصنف وجمع، توفي في سنة ٧٩٩هـ، شذرات الذهب لابن العماد ٦٠٨/٨.

(٢) هكذا جاء اسم الكتاب في الديباج، وسيأتي في ص (٤١) التنبيه إلى التحريف في كلمتي (الكتب والشفاعة) والصواب: الكتب والصناعة.

(٣) في الديباج المذهب ٣١٧/٢. (٤) في شذرات الذهب ٥٨٤/٧ - ٥٨٥.

(٥) انظر: ص (٦٧).

شيوخ المصنف في قرطبة:

منهم:

١ - ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري، من أهل قرطبة، وقاضيا، يُكنى أبا سليمان، كان عدلاً في أحكامه، نبيه انقدر، خرج من وطنه لما استولى عليه الروم يوم الأحد الثالث والعشرين لشوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة (٦٣٣هـ)، وتوفي إثر ذلك وكان مولده سنة تسع وستين وخمسمائة (٥٦٩هـ)^(١)، ذكره المؤلف في تفسيره ونصّ على أنه شيخه^(٢).

٢ - وأحمد بن محمد بن محمد بن محمد القيسي القرطبي، أبو جعفر، يعرف بابن أبي حُجة، من كبار الأستاذين، مقرناً متقدماً، نحويّاً محققاً، محدثاً حافظاً، أقرأ القرآن والنحو، وأسمع الحديث بقرطبة، ثم خرج عند تغلب العدو عليها إلى إشبيلية، ثم ركب البحر إلى سَبْتَة^(٣) فأبصر هو وأهله، وحُجِلَ إلى مَنُورَة^(٤) ففداه أهلها، فمكث ثلاثة أيام ومات، وذلك في سنة ثلاث وأربعين وستمائة (٦٤٣هـ)، وله من المصنفات: كتاب تسديد اللسان في النحو، والجمع بين الصحيحين، وغير ذلك^(٥). ذكره المؤلف في تفسيره في ثلاثة مواضع^(٦)، ونصّ على أنه شيخه، فمن تلك المواضع قول المؤلف: «سمعت شيخنا الأستاذ المقرئ النحوي المحدث أحمد بن محمد بن محمد القيسي القرطبي المعروف بابن أبي حُجة»^(٧).

(١) انظر: التكملة لكتاب الصلة لابن الأثير ١/٢٦٠.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٤/١٧٤ فقرة ٢٧٢، وانظر: ص (١٦).

(٣) سَبْتَة: المشهور بفتح الأول، وقيل بكسره، وهي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر، وهي تقابل جزيرة الأندلس، انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٣/١٨٢.

(٤) مَنُورَة: بالفتح ثم الضم وسكون الواو وفتح الراء وقاف، جزيرة عامرة في شرقي الأندلس، معجم البلدان ٥/٢١٦.

(٥) انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ١/٣٨٣.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٤/١٧٤ فقرة ٢٧٢، ٥/٢٣٧ فقرة ٣٧٠.

(٧) الجامع لأحكام القرآن ٨/١٨٨ فقرة ٢٩٧.

شيوخ المؤلف في مصر:

منهم:

٣ - ابن رواج، المحدث رشيد الدين أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن علي بن فتوح الإسكندراني المالكي، ولد سنة أربع وخمسين وخمسمائة (٥٥٤هـ)، وسمع الكثير من السلفي، ونسخ الكثير، وخرّج الأربعين، وكان ذا دين، توفي في الثامن عشر من ذي القعدة لسنة ثمان وأربعين وستمائة (٦٤٨هـ) حدّث عنه المؤلف، وروى له بسنده في كتاب التذكرة في عدد من المواضع^(١) منها قوله: «أبأناه الشيخ المسن الحاج الراوية أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن علي بن فتوح بن أبي الحسن القرشي، عُرف بابن رواج بمسجده بشجر الإسكندرية حماها الله».

٤ - والعلامة بهاء الدين أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة بن المسلم بن علي اللخمي المصري، الشافعي، مسند الديار المصرية وخطيبها ومدرسها، ولد بمصر سنة تسع وخمسين وخمسمائة (٥٥٩هـ)، سمع من ابن عساكر ببغداد، وسمع من السلفي بالإسكندرية، ورحل إليه الطلبة، وروى عنه خلائق لا يحصون، من بينهم المؤلف، وقد نص على الرواية عنه في ثلاثة مواضع من كتابه التذكرة، بل قد لازمه المؤلف في بلده بني خصيب التي توفي فيها القرطي.

٥ - وأحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس الأنصاري، الأندلسي ثم القرطي، المالكي الفقيه، عُرف بابن المزين، يُلقب بضياء الدين، من أعيان فقهاء المالكية، نزل الإسكندرية واستوطنها، ودّرس بها، كان جامعاً لعلم الحديث والفقه واللغة، وغير ذلك، وله كتاب: المفهم شرح صحيح مسلم، واختصر صحيح البخاري ومسلم، كان مولده سنة ثمان وسبعين وخمسمائة (٥٧٨هـ)، وتوفي بالإسكندرية سنة ست وخمسين وستمائة (٦٥٦هـ)^(٢).

(١) انظر: ص (٣٤١، ٤٩٦، ٦٢٩).

(٢) انظر: الديباج المذهب لابن فرحون ١/٢٤٠ - ٢٤٢؛ وشذرات الذهب لابن العماد ٢٧٣/٥.

وأبو العباس أحمد بن عمر القرطبي هو شيخ المؤلف الأول بلا منازع من حيث كثرة الرواية عنه، والنقل لأقواله خاصة في كتاب التذكرة والتفسير، فقد روى المؤلف عن طريق شيخه أبي العباس في التذكرة خمس روايات منها قوله: «أبنا الشيخ الإمام الفقيه المحدث أبو العباس أحمد بن عمر الأنصاري القرطبي بشعر الإسكندرية»، وقال في موضع آخر: «وقال شيخنا أحمد بن عمر».

٦ - والبكري المحدث العالم المفيد الرّحال المصنف، صدر الدين أبو علي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد بن عمرو القرشي التيمي النيسابوري ثم الدمشقي، عمل ذيل تاريخ دمشق، وغير ذلك.

ولي حسبة دمشق وكان إماماً عالماً أحد الرّحالين، وحصل له فالح فتحول إلى مصر مات بها في الحادي عشر من ذي الحجة سنة ست وخمسين وستمائة (٦٥٦هـ)^(١).

نصّ المؤلف على الرواية عنه في كتابه التذكرة في موضع واحد، حيث جاء فيه: «قلت: أخبرنا عالماً الشيخ الإمام الحافظ المسند أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن محمد بن عمرو البكري التيمي من ولد أبي بكر الصديق رضي الله عنه قراءة عليه بالمنصورة بالديار المصرية في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب الفرد سنة سبع وأربعين وستمائة».

٧ - والمنذري عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد الحافظ الكبير، الإمام الثبت شيخ الإسلام زكي الدين أبو محمد المنذري الشامي ثم المصري، مولده في غرة شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة (٥٨١هـ)، سمع بالمدينة النبوية من الحافظ جعفر بن أمورسان، وبدمشق من عمر بن طبرزد، ومحمد بن الرّثف، والتاج الكندي وطبقتهم، وبحرّان والإسكندرية، والرّها، وبيت المقدس وعمل معجمه في مجلد، واختصر

(١) انظر: طبقات الحافظ للسيوطي ٥٠٦/٢؛ وشدرات الذهب ٥/٢٧٤.

- صحيح مسلم وسنن أبي داود، توفي في ربيع ذي القعدة سنة (٦٥٦هـ)^(١).
- وقد نص المؤلف على أن المنذري شيخه في تفسيره في موضعين منهما قوله^(٢): «قلت سمعت شيخنا الحافظ المنذري الشافعي أبا محمد عبد العظيم».
- ٨ - والشيخ الفقيه الإمام أبو القاسم عبد الله بن علي بن خلف الكوفي، ذكره في التذكرة.
- ٩ - والإمام أبو محمد عبد المعطي بن محمود بن عبد المعطي اللخمي الإسكندراني، ذكره في تفسيره في ثلاثة مواضع^(٣).

تلاميذ المؤلف:

لم أقف للمؤلف على تلاميذ إلا ما ذكره السيوطي في طبقات المفسرين^(٤) من رواية ابنه عنه، قال السيوطي: «أروى عنه بالإجازة ولده شهاب الدين أحمد».

المطلب الثالث

مصنفات المؤلف

يمكننا أن نقسم مصنفات المؤلف إلى قسمين: قسم أحال إليه أو أشار إليه المؤلف في كتبه، والقسم الثاني: مصنفات ذكرت في مصادر الترجمة أو في المصادر المصنفة في التعريف بالكتب.

القسم الأول: مصنفات ذكرها المؤلف في كتبه.

- كتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفات الله العلى: بهذه الصيغة ذكره المؤلف في كتابه التذكرة كما في ص (٦٩٣ - ٦٩٤)، وكذلك أوردته في تفسيره ١/١٨١ فقرة رقم ٢٦٢ بالصيغة السابقة نفسها. وقد أوردته

(١) انظر: تذكرة الحافظ الذهبي ١/١٤٣٦ - ١٤٣٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٨/٨ فقرة رقم ٩، والموضع الثاني في ٨/١١٤ رقم ١٨٠.

(٣) منها ٤/١٣٧ فقرة ٢١٤. (٤) ص (٧٩).

بصيغة مختصرة على النحو التالي: الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى في تفسيره، وذلك في سبعة وعشرين موضعاً منها ٤١/١ فقرة رقم ٥٦، ١٨/ ٣٢ فقرة رقم ٤٨. وأورده مختصراً جداً هكذا: الكتاب الأسنى، في تفسيره: ١٧/١٤ فقرة رقم ١٩. والكتاب مطبوع في مجلدين من طبعة دار الصحابة للنترات بطنطا، طبع للمرة الأولى سنة ١٤١٦هـ وخرج أحاديثه: طارق أحمد محمد، والكتاب المطبوع يحمل العنوان التالي: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى. ولم ترد فيه جملة (وصفات الله العلى) وما ذكره المؤلف في تذكرته وتفسيره في الصيغة الأولى أتم وأنسب لمضمون الكتاب؛ لأن الكتاب ينقسم إلى قسمين: قسم في ذكر أسماء الله تعالى وشرحها والأدلة عليها، والقسم الأخير في صفات الله تعالى.

- كتاب الإعلام في معرفة مولد المصطفى عليه الصلاة والسلام: ذكره المؤلف في تفسيره ١٥/٧٥ فقرة رقم ١١٣، وذكره أيضاً في تفسيره ١٥/١٤١ فقرة رقم ٢١٧ بصيغة: كتاب الإعلام بمولد النبي ﷺ، ولم أقف عليه، ولا على من أشار إليه.

- التذكار في أفضل الأذكار: ذكره المؤلف في كتاب التذكرة في موضع واحد في ص (١١٢٥)، وكذلك ذكره في تفسيره في ١٥/١٢٦ فقرة رقم ١٩٢. قال المؤلف في التذكرة عن كتاب التذكار: «وقد أشبعنا القول في قارئ القرآن وأحكامه في كتاب التذكار في أفضل الأذكار».

وقال ابن فرحون المالكي^(١) عن هذا الكتاب: «وكتاب التذكار في أفضل الأذكار، وضعه على طريقة التبيان للنووي، لكن هذا أتم منه وأكثر علماً» والكتاب طبعته دار الكتاب العربي ببيروت، ط. الأولى سنة (١٤٠٨هـ) في مجلد صغير، بتحقيق فواز أحمد زمرلي.

- كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: بهذه الصيغة سماه في

(١) في الديباج المذهب ٢/٣١٧.

مقدمة الكتاب نفسه، وهو هذا الكتاب موضوع الدراسة والتحقيق، وكتاب التذكرة أكثر كتب المؤلف وروداً وذكراً في تفسيره، فقد ذكره باسمه في أكثر من مائة موضع، سأذكر لك بعضها من أول التفسير، وأوسطه، وآخره، فمن تلك المواضع: ٩٦/١ فقرة رقم ١٣٧، ٥٥/٢ فقرة ٧٩، ٦٤/٤ فقرة ١٠٠؛ ٦٤/٩ فقرة ٩٦، ١٨/١٠ فقرة ٢٤، ٧٤/١١ فقرة ١٠٩؛ ١٧٤/١٨ فقرة ٢٦٩، ٤٦/١٩ فقرة ٧٠، ١١٣/٢٠ فقرة ١٦٦. وللكتاب عدة طبعات سيأتي الحديث عنها في موضعه^(١) من هذه الدراسة إن شاء الله تعالى.

- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان: بهذه الصيغة ورد اسم الكتاب في التذكرة في ثلاثة مواضع في ص (٢٥٨، ٤٧٦، ٧٠٥)، وذكره مختصراً في ستة مواضع.

قال الذهبي^(٢) عن كتاب الجامع: «وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان، وهو كامل في معناه».

وقال ابن فرحون^(٣): «جمع في تفسير القرآن كتاباً كبيراً في اثني عشر مجلداً سماه كتاب جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي القرآن، وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً، أسقط منه القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلة وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ». وهو مطبوع عدة طبعات منها: طبعة دار الكتب العلمية ببيروت الأولى لسنة (١٤٠٨هـ)، وهي الطبعة المحال إليها في هذا التحقيق.

- قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكسب والصناعة: بهذه الصيغة ذكره المؤلف في تذكرته في ص (١٠٧٨)، وبها ذكره أيضاً في تفسيره ١٣/١٣ فقرة رقم ١٦، وورد مختصراً هكذا: كتاب قمع الحرص بالزهد والقناعة، في التذكرة في موضعين في ص (٧٩٢، ١٠٧٩)، وكذلك ورد

(١) انظر: ص (٧٢).

(٢) انظر: ص (٣٣).

(٣) في الديباج له ٣١٧/٢.

مختصراً في تفسيره في موضعين ١٠٨/٥ فقرة ١٦٥، ١٧/٣٠ فقرة ٤٣. والكتاب طبعته دار الصحابة للتراث بطنطا سنة ١٤٠٩هـ، في غلاف متوسط الحجم، بتحقيق مجدي فتحي السيد، والكتاب يحمل العنوان التالي: (قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة)، والذي يظهر لي أن عنوان الكتاب المحقق قد حدث فيه تصحيف في كلمة (الكتب) وصوابها: (الكسب)، وكذلك تصحفت كلمة (الشفاعة) وصوابها: (الصناعة) كما سماه المؤلف في تفسيره وكتابه التذكرة.

- المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس: ذكره في تفسيره في ستة مواضع هي: ١٢٢/١ فقرة رقم ١٧٣، ٨/٣ فقرة رقم ٩، ٥٦/٣ فقرة ٨٤، ٦٧/١٢ فقرة ١٠٠، ٢١/١٤ فقرة ٣٠، ١٠١/١٨ فقرة ١٥٢، والكتاب لم يرد في التذكرة، ولم أقف على من أشار إليه.

النوع الثاني: مصنفات ذكرت في مصادر ترجمة المؤلف.

- أرجوزة في أسماء النبي ﷺ مع شرحها، نسبها إليه صاحب كشف الظنون^(١)، وابن فرحون المالكي^(٢).

- شرح التقصي، نسبة إليه ابن فرحون المالكي^(٣).

- التفريب لكتاب التمهيد (مخطوط)، قال الزركلي^(٤): يوجد في مجلدين

ضخمين في خزنة القرويين بفاس برقم ١١٧/٨٠.



(١) ٦٢/١، ٨٩.

(٢) في الديباج المذهب ٣١٧/٢.

(٣) في الديباج ٣١٧/٢.

(٤) في الأعلام له ٣٢٢/٥.

المبحث الثالث

مذهب المؤلف العقدي والفقي

وقع لي شيء من الحيرة في بداية جمعي لنصوص من كتب المؤلف يمكن من خلالها التعرف على معتقده، خاصة في باب الأسماء والصفات.

فكنت أقف على نصوص تدل على علم القرطبي التام بمذهب السلف في باب الأسماء والصفات، بل كنت أفهم من بعضها أنه منابذ لعقائد من خالفهم، وفي بعضها الآخر أنه على مذهب مؤولة نصوص الصفات.

فمن أمثلة النوع الأول: عقده باباً في كتابه الأسنى في شرح أسماء الله الحسنی^(١) على النحو التالي: «باب ما جاء من الآيات والأخبار في إثبات الصفات من الوجه والعين والجنب والقدم والساعد والأصابع واليدين»، ثم قال بعد ذلك: «قال أئمتنا رضوان الله عليهم: هذه صفات طريق إثباتها السمع، فثبتها لورود ما صحح من ذلك، ولا نكيفها، والكلام في هذه الصفات فرع عن الكلام في الذات.»

وقال في موضع آخر من كتابه الأسنى^(٢): «وروى مالك وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا: أمروها بلا كيف، وهكنا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا: هذا تشبيه، وقد ذكر الله تبارك وتعالى في غير موضع من كتابه: اليد والسمع والبصر، فتأولت الجهمية هذه الآيات وفسروها على غير ما فسر أهل العلم، وقالوا: إن الله تعالى لم يخلق آدم بيده، وقالوا: معنى أيدها هنا القدرة، وقال

إسحاق بن إبراهيم^(١): إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد أو مثل يد، أو سمع كسمع أو مثل سمع، وأما إذا قال: لله يد وسمع وبصر ولا يقول: كيد أو مثل سمع فهذا لا يكون تشبيهاً. هـ.

ويقول في تفسيره^(٢): «وقد كان السلف الأول ﷺ لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة، وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء؛ فإنه لا تعلم حقيقته، قال مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الاستواء معلوم، يعني في اللغة، والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة. وكذا قالت أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وهذا القدر كافي، ومن أراد زيادة عليه فليقف عليه في موضعه من كتب العلماء. هـ.

بل نجده يرد على المتكلمين صراحة في ما ذهبوا إليه في أول ما يجب على المكلف^(٣) حيث يقول: «وقد اختلف العلماء في أول الواجبات: هل هو النظر والاستدلال، أو الإيمان الذي هو التصديق الحاصل في القلب الذي ليس من شرط صحته المعرفة؟ فذهب القاضي^(٤) وغيره إلى أن أول الواجبات النظر والاستدلال؛ لأن الله تبارك وتعالى لا يعلم ضرورة وإنما يعلم بالنظر والاستدلال بالأدلة التي نصيها لمعرفة، وقد استدلل الباجي^(٥) على من قال: إن النظر والاستدلال أول الواجبات بإجماع المسلمين في جميع الأعصار على

(١) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه، الإمام الكبير، سيد الحفاظ، أبو يعقوب، حدث عنه البخاري ومسلم، وأصحاب السنن، وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وهما من أقرانه، توفي سنة ثلاث وستين ومائتين ٢٦٣ هـ، سير أعلام النبلاء للذهبي ١١/٣٥٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٧/١٤١ - ١٤١ فقرة رقم ٢١٩.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٧/٢١٠ - ٢١١ باختصار.

(٤) هو القاضي أبو بكر، محمد بن الطيب، ابن الباقلاني، البغدادي، الأصولي، توفي سنة ٤٠٣ هـ، سير أعلام النبلاء ١٧/١٩٠.

(٥) أبو الوئيد، سليمان بن خلف بن سعد، القرطبي، الباجي، صاحب التصانيف منها: «مختصر المختصر في مسائل المدونة» وكتاب «التسديد في معرفة التوحيد» وكتاب «الإشارة في أصول الفقه» وغير ذلك، توفي سنة ٤٧٤ هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/٥٣٥.

تسمية العامة والمقلد مؤمنين قال: فلو كان ما ذهبوا إليه صحيحاً لما صح أن يُسمى مؤمناً إلا من عنده علم بالنظر والاستدلال، قال: وأيضاً فلو كان الإيمان لا يصح إلا بعد النظر والاستدلال لجاز للكفار إذا غلب عليهم المسلمون أن يقولوا لهم: لا يحل لكم قتلنا لأن من دينكم أن الإيمان لا يصح إلا بعد النظر والاستدلال فأخرونا حتى ننظر ونستدل، قال وهذا يؤدي إلى تركهم على كفرهم وألا يُقتلوا حتى ينظروا ويستدلوا.

قلت^(١): هذا هو الصحيح في الباب، قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»^(٢)، وذهب بعض المتأخرين والمتقدمين من المتكلمين إلى أن من لم يعرف الله تعالى بالطرق التي طرقوها والأبحاث التي حرروها لم يصح إيمانه، وهو كافر، فيلزم على هذا تكفير أكثر المسلمين، وأول من يبدأ بتكفيره أباه وأسلافه وجيرانه، وقد أورد على بعضهم هذا فقال: لا تشنع علي بكثرة أهل النار، أو كما قال.

قلت^(٣): وهذا القول لا يصدر إلا من جاهل بكتاب الله وسنة نبيه؛ لأنه ضيق رحمة الله الواسعة على شرذمة يسيرة من المتكلمين اقتحموا في تكفير عامة المسلمين، أين هذا من قول الأعرابي الذي كشف عن فرجه لبيبول، وانتهره أصحاب النبي ﷺ: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً، فقال النبي ﷺ: «لقد حجرت واسعاً»، خرج البخاري^(٤) والترمذي^(٥) وغيرهما^(٦)، من الأئمة، أترى هذا الأعرابي عرف الله بالدليل والبرهان والحجة والبيان؟ وأن رحمته وسعت كل شيء، وكم من مثله محكوم له بالإيمان، بل اكتفى ﷺ

(١) أي القرطبي.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٧/١، ح ٢٥؛ ومسلم في صحيحه ٥٢/١، ح ٢١.

(٣) ما زال القول للقرطبي.

(٤) في صحيحه ٢٢٤٢/٥، ح ٥٦٧٩.

(٥) في جامعه ٢٧٥/١، ح ١٤٧.

(٦) مسلم في صحيحه ٢٣٦/١، ح ٢٨٤؛ وأبو داود في سننه ١٠٣/١، ح ٣٨٠؛ وابن ماجه

في سننه ١٧٦/١، ح ٥٢٩.

من كثير ممن أسلم بالنطق بالشهادتين، وحتى إنه اكتفى بالإشارة في ذلك، ألا تراه لما قال للسوداء: «أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: اعتقها فإنها مؤمنة»^(١)، ولم يكن هناك نظر ولا استدلال بل حكم بإيمانهم في أول وهلة وإن كان هناك عن النظر والمعرفة غفلة، والله أعلم.

فهذه تقول كما ترى موافقة لمذهب السلف في باب الصفات، لكن مع ذلك نجد القرطبي يؤول نصوص الصفات، بل وفي بعض المواضع يدعو إلى التأويل، ويرمي مثبت الصفات ببعض العبارات المنفرة، فمن الأمثلة على ذلك ما جاء في تفسيره^(٢): «قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] ابتداء وخير: أي بل نعمته مبسوطة، فاليد بمعنى النعمة»^(٣)، ويجوز أن تكون اليد في هذه الآية بمعنى القدرة أي قدرته شاملة فإن شاء وسع وإن شاء قتر.

ويقول في صفة الغضب: «ومعنى الغضب في صفة الله تعالى إرادة العقوبة»^(٤).

وقال في كتاب التذكرة^(٥): «وكل حديث اشتمل على ذكر الصوت أو النداء فهذا التأويل فيه، وأن ذلك من باب حذف المضاف، والدليل على ذلك ما ثبت من قدم كلام الله تعالى على ما هو مذكور في كتب الديانات.

فإن قال بعض الأغبياء: لا وجه لحمل الحديث على ما ذكرتموه، فإن فيه: «أنا الديان» وليس يصدر هذا القول حقاً وصدقاً إلا من رب العالمين.

قيل له: إن الملك إذا كان يقول عن الله تعالى وينبئ عنه فالحكم يرجع إلى رب العالمين كما بينت».

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٣٨١/١، ح ٥٣٧.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٥٥/٦ فقرة رقم ٢٣٩.

(٣) وقد مضى قريباً في ص (٤٢) تسمية القرطبي لمن أول اليد بالقدرة جهمياً.

(٤) جامع أحكام القرآن ١٥٥/١ فقرة رقم ١٥٠.

(٥) انظر: ص (٦٥٠).

هذا وفي نصوص أخرى نجده يحاول الذب عن السلف وأصحاب الحديث ومنهجهم، مع الإشادة والتأييد في الوقت نفسه بمنهج المخالفين لهم. جاء في تفسيره^(١) ما يلي: «قال ابن الحصار^(٢): وإنما ظهر التلغظ بها^(٣) زمن المأمون بعد المائتين، لما ترجمت كتب الأوائل، وظهر فيها اختلافهم في قدم العالم وحدوثه، واختلافهم في الجوهر وثبوته والعرض وماهيته، فسارع المبتدعون ومن في قلبه زيغ إلى حفظ تلك الاصطلاحات، وقصدوا بها الإغراب على أهل السنة، وإدخال الشبه على الضعفاء من أهل الملة، فلم يزل الأمر كذلك إلى أن ظهرت البدعة وصارت للمبتدعة شيعه، والتبس الأمر على السلطان حتى قال الأمير بخلق القرآن، وجبر الناس عليه، وضرب أحمد بن حنبل على ذلك، وكان مَنْ دَرَجَ^(٤) من المسلمين من هذه الأمة متمسكين بالكتاب والسنة، معرضين عن شُبُه الملحدين، لم ينظروا في الجوهر والعرض وعلى ذلك كان السلف.

قلت^(٥): «ومن نظر الآن في اصطلاح المتكلمين حتى يناضل بذلك عن الدين، فمزلته قريبة من النيين، فأما مَنْ يُهَجَّن^(٦) من غلاة المتكلمين طريق من أخذ بالأثر من المؤمنين، ويحضر على درس كتب الكلام، وأنه لا يُعرَفُ الحق إلا من جهتها بتلك الاصطلاحات، فصاروا مذمومين لتقصهم طريق المتقدمين من الأئمة الماضين، والله أعلم. وأما المخاصمة والجدال بالدليل والبرهان فذلك بين في القرآن».

وجاء أيضاً عن المؤلف قوله كما في كتاب التذكرة^(٧): «وقد كنت

(١) ١٤٣/٢ - ١٤٤ - فقرة رقم ٢١٣، باختصار.

(٢) أحمد بن مضاء بن عبد الجبار بن مضاء، من أهل قرطبة، انظر: التكملة لكتاب الصلة ١٥/١.

(٣) أي: الجواهر والأعراض، وغيرها من اصطلاحات أهل الكلام.

(٤) درج هنا: بمعنى انقضى، انظر: الصحاح ٣١٣/١.

(٥) أي القرطبي.

(٦) التهجين: التقيح، انظر: الصحاح ٢٢١٧/٦.

(٧) انظر: ص (٢٢٦).

تكلمت مع بعض أصحابنا القضاة ممن له علم وبصر، ومعنا جماعة من أهل النظر فيما ذكر أبو عمر بن عبد البر من قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٣) ﴿٥﴾ فذكرت له الحديث، فما كان إلا أن بادر إلى عدم صحته ولعن رواته، وبين أيدينا رطب نأكله، فقلت له: الحديث صحيح خرج ابن ماجه في السنن^(١)، ولا تُردُّ الأخبار بمثل هذا القول، بل تُتأول وتحمّل على ما يلي من التأويل^(٢)، والذين رووها هم الذين رووا لنا الصلوات الخمس، وأحكامها، فإن صدقوا هنا صدقوا هناك، وإن كذبوا هنا كذبوا هناك، ولا تحصل الثقة بأحد منهم فيما يرويه».

نتيجة:

فمن النقول السابقة ظهر لي ما يمكن أن أفسر به موقف المؤلف من معتقد السلف الصالح في باب الأسماء والصفات، وموقفه من مؤولة نصوص الصفات في آن واحد.

فكون القرطبي يورد نصوصاً للسلف في باب الأسماء والصفات في كتبه تدل على معرفته التامة بمذهبهم، بل نجده يدافع عن السلف ومنهجهم، ويذم غلاة المتكلمين، وفي نصوص أخرى يؤول نصوص الصفات، بل يعدّ مَنْ نظر في اصطلاحات المتكلمين واستعملها في الدفاع عن الدين منزلة قريبة من منزلة النبيين، فذلك يرجع في ظني والله أعلم لأسباب خارجية قامت في نفس المؤلف:

- فإيراده لأقوال السلف المتقدمين في باب الأسماء والصفات يرجع لما يُكنّه لهم من إجلالٍ وتقديرٍ؛ لكونهم خيار هذه الأمة، ورواة أحاديث الصلاة وأحكامها، وأن بقية فروع الشريعة جاءت عن طريقهم، كما صرح بذلك قريباً.
- وأما ما جاء عنه من تأويل وقبول لمنهج واصطلاحات المتكلمين فيرجع

(١) انظر: تخريج الحديث وقول ابن عبد البر المشار إليه، والرد على ما ذهب إليه المؤلف في موضعه ص(٢٢٦).

(٢) تم التعليق على مذهب التأويل الذي نصح به غيره في موضعه ص(٢٢٦ - ٢٢٧).

في ظني الراجح إلى البيئة التي حوله، فالمؤلف عاش في عصر دولة الموحدين التي تبنّى مؤسسها ابن تومرت العقيدة الأشعرية، كما درس المؤلف في قرطبة على يد مشايخ أشاعرة، وفي مصر كذلك، بل لازم شيخه أبا العباس أحمد بن عمر القرطبي وهو صاحب شخصية قوية، ومن المنافحين الأشداء عن العقيدة الأشعرية ومنهج التأويل، كذلك كان أصحابه وجلساؤه من أهل الكلام والنظر، كما صرح بذلك.

فالذي يظهر من ذلك كله أن القرطبي حاول أن يُعْجِلَ سياسة التوفيق بين ما يُكنه للسلف من إجلال وتقدير وبين ما تأثر به ممن حوله، وذلك بإيراد أقوال السلف والمتكلمين في المسألة من مسائل الصفات مع ترجيح أو اختيار لمنهج المتكلمين، مع إقراره أن الحق مع السلف، وإليك هذا النقل العجيب الذي يوضح ما ذكرته لك: فبعد أن أورد القرطبي أربعة عشر قولاً في كتاب الأسنى في أسماء الله الحسنى في مسألة الاستواء، قال في نهاية تلك الأقوال: «وأظهر هذه الأقوال وإن كنت لا أقول به ولا أختاره ما تظاهرت عليه الآي والأخبار أن الله سبحانه على عرشه كما أخبر في كتابه وعلى لسان نبيه بلا كيف، بائن من خلقه، هذا جملة مذهب السلف الصالح فيما نقل عنهم الثقات»^(١)، فالتأمل في عبارة القرطبي السابقة يلاحظ عليها استعجاله في البراءة من الحق الذي ظهر له، فربما كان المؤلف يخشى هجوماً قوياً من المخالفين لمنهج السلف إذا ما أظهر الحق أولاً ثم أحرّ البراءة منه في آخر القول، فبادر إلى عدم اختيار الحق الذي ظهر له قبل أن يكمل أن هذا الحق هو الذي تظاهرت عليه الآي والأخبار، وكان بإمكانه لولا شراسة من حوله أن يقول: وأظهر الأقوال هو قول السلف الصالح وهو الذي تظاهرت عليه الآي والأخبار. . . وإن كنت لا أقول به ولا أختاره، فيكون للبيئة سلطانها وتأثيرها ونقودها القوي في عدم تبني المؤلف للحق الذي ظهر له، وبالتالي الصدع به.

وقد حاولت جاهداً التعرف على آخر كُتُبِ القرطبي تأليفاً، وعلى وجه

(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ١٣٢/٢.

الخصوص من بين كتبه: الجامع لأحكام القرآن، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنی، وكتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، وذلك من خلال إحالات القرطبي إلى تلك الكتب، فالقرطبي قد أحال في تفسيره إلى التذكرة في أكثر من مائة إحالة، وأحال في التذكرة إلى ثمانية مواضع في تفسيره، وأحياناً يحيل في بداية التذكرة إلى مواضع في آخر التفسير، ويحيل في بداية التفسير إلى مواضع في أواخر التذكرة، ويحيل في التفسير والتذكرة إلى كتابه الأسنى في الأسماء الحسنی، فمن أمثلة تلك الإحالات إلى كتاب الأسنى، أن القرطبي ذكر في تفسيره أن في مسألة الاستواء أربعة عشر قولاً ثم أحال إلى كتاب الأسنى لمعرفة تفاصيل تلك الأقوال، حيث يقول^(١): «قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ هذه مسألة الاستواء وللعلماء فيها كلام وإجراء، وقد بينا أقوال العلماء فيها في الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنی وصفاته العلى، وذكرنا فيها هناك أربعة عشر قولاً». وكان من بين تلك الأقوال التي ذكرها في كتاب الأسنى قول السلف الصالح الذي رده المؤلف بعد أن ظهر له أنه الحق كما مرّ بنا قريباً، وإن كنت أرى أن كتاب الأسنى هو الذي عليه المعول في الحكم على عقيدة المؤلف وذلك لسببين:

الأول: أن القرطبي وضعه أساساً لبيان مسائل الأسماء والصفات.

الثاني: أنه المرجع الذي يحيل إليه لمن أراد استقصاء المزيد من الأقوال في مسائل الصفات كما في كتاب جامع أحكام القرآن والتذكرة. فالمؤلف في العقيدة كما في كتبه (الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة، والأسنى) من مؤولة الصفات.

وبما أن للمؤلف نقولاً تدل على معرفته التامة بمذهب أئمة السلف في باب الأسماء والصفات، وقد مرّ بنا قريباً تصريحه بأنه الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة، فربما قبل موته رجع إلى مذهب السلف.

(١) في تفسيره ١٤٠/٧ فقرة رقم ٢١٩.

فموضوع عقيدة القرطبي خاصة في باب الأسماء والصفات يحتاج إلى دراسة مستقلة أوسع من هذه، وربما يتمكن الباحث المتفرغ لدراسة عقيدة القرطبي من التوصل إلى نتيجة أعمق، وربما يصل إلى ما لم أصل إليه من كتب، وبالجملة فموضوع عقيدة أبي عبد الله القرطبي ما زال يحتاج إلى المزيد من البحث والتقصي والمقارنات، خاصة إذا علمنا أن للقرطبي جهوداً جيدة في الرد على الصوفية، وسيأتي نماذج منها في الفقرة التالية.

- وأما موقف المؤلف من الصوفية فهو يكثر من الرد على انحرافاتهم ويدعهم، وهذه بعض النصوص التي توضح ذلك:

«قوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]، دليل على جواز التعاليج بشرب الدواء، وغير ذلك خلافاً لمن كره ذلك من جملة العلماء، وهو يرد على الصوفية الذين يزعمون أن الولاية لا تتم إلا إذا رضي بجميع ما نزل به من البلاء، ولا يجوز له مداواة»^(١).

«قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا عَذَابَنَا﴾ [الكهف: ٦٢]، فيه مسألة واحدة: وهو اتخاذ الزاد في الأسفار، وهو رد على الصوفية الجهلة الأغمار، الذي يقتحمون القفار زعماً منهم أن ذلك هو التوكل على الله الواحد القهار، هذا موسى نبي الله وكليمه من أهل الأرض قد اتخذ الزاد مع معرفته بربه، وتوكله على رب العباد»^(٢).

«وسئل الإمام أبو بكر الطرطوشي^(٣) رحمته: ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية، وأُعْلِمَ - حرس الله مدته - أنه اجتمع جماعة من رجال فيكثرون من ذكر الله تعالى وذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ويقوم بعضهم بقرص، ويتواجد

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٠/٩٠ فقرة رقم ١٣٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١١/١١ فقرة ١٣.

(٣) هو: محمد بن الوليد بن خلف، أبو بكر الطرطوشي، الإمام القدوة، شيخ المالكية في زمانه، وهو القائل في كتاب إحياء علوم الدين للغزالي: وهو لعمر الله أشبه بإمارة علوم الدين، من كتبه «سراج الملوك»، وله كتاب في الخلاف، توفي سنة ٥٢٠هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/٤٩٠.

حتى يقع مغشياً عليه، ويحضرون شيئاً يأكلونه، هل الحضور معهم جائز أم لا أفتونا مأجورين؟.

الجواب: يرحمك الله مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة، ما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار، قاموا يرقصون حوائيه ويتواجدون، فهو دين الكفار وعباد العجل، لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم، ولا يعينهم على باطل، هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق^(١).

وقد مرّ بنا إنكار المؤلف على الصوفية في فهمهم الخاطيء للزهد والتقشف^(٢)، ومع ذلك فللقرطبي عاطفة زائدة بعض الشيء حملته على اعتقاد إحياء والدي النبي ﷺ وإيمانها به، كما سيأتي في موضعه في كتاب التذكرة^(٣) إن شاء الله تعالى.

- كما سلّمت عقيدة القرطبي رَحْمَةُ اللهِ مِنْ عَقَائِدِ الرَّافِضَةِ وَغَلْوِهِمْ فِي آلِ الْبَيْتِ، بل قد رد عليهم في مواضع من تفسيره منها قوله:

«كان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أول من أظهر إسلامه وقال لا نعبد الله سراً، وفي ذلك نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]، فدلّت الآية على رد قول من قال إن النبي ﷺ كتّم شيئاً من أمر الدين تقيّة وعلى بطلانه، وهم الرافضة، ودلت على أنه ﷺ لم يُسر إلى أحد شيئاً من أمر الدين؛ لأن المعنى بلغ جميع ما أنزل إليك ظاهراً ولولا هذا ما كان في قوله ﷺ: ﴿وَإِنْ لَرَأَوْهُ فَقَالُوا فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧] فائدة^(٤).

(١) المصدر السابق ١٥٨/١١ الفقرات ٢٣٧، ٢٣٨، باختصار.

(٢) انظر: ص (٢٩).

(٣) انظر: ص (١٣٨).

(٤) انجم لأحكام القرآن ١٥٧/٦ فقرة ٢٤٢، والنظر: المرجع السابق ١٣/٥ فقرة ١٧.

٢١/٦ فقرة ٢٩، ٢٢/١٨ - ٢٣ فقرة رقم ٣٣.

- كما سَلِمَ اعتقاد القرطبي من منهج الخوارج، في الخروج على الإمام الجائر، حيث يقول في تفسيره^(١): «والذي عليه الأكثر من العلماء: أن الصبر على طاعة الإمام الجائر أولى من الخروج عليه؛ لأنه في منازعته والخروج عليه استبدال الأمن بالخوف، وإراقة الدماء وانطلاق أيدي السفهاء، وشن الغارات على المسلمين، والفساد في الأرض، والأول^(٢) مذهب طائفة من المعتزلة وهو مذهب الخوارج فاعلمه».

مذهب المؤلف الفقهي:

يعتبر القرطبي من أعلام الفقه المالكي، فقد ذكره ابن فرحون المالكي في كتابه الديباج المذهب ضمن طبقات المالكية، وكذلك ذكره ابن مخلوف في شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، بل يعتبر كتاب الجامع لأحكام القرآن من أهم كتب الفقه المالكي التي تعنى بالدليل وتحريр المسائل وتفريغها.



(١) ٧٥/٢ فقرة رقم ١٠٩، وانظر: المرجع نفسه ٢٩/١ فقرة ٣٨، ٢٨٥/١ فقرة ٤١٩، ١١٧/٥ فقرة ١٧٩.

(٢) أي القول الأول الذي تقدم وهو الخروج على الإمام الجائر وعدم الصبر على جورهِ.

الفصل الثالث

في التعريف بالكتاب، ووصف المخطوطات، ومنهج التحقيق

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في التعريف بالكتاب.

المبحث الثاني: في وصف مخطوطات التحقيق.

المبحث الثالث: في منهج التحقيق.

المبحث الأول

في التعريف بالكتاب

اسم الكتاب ونسبته إلى المؤلف:

نص المؤلف رحمه الله تعالى على اسم كتاب التذكرة في مقدمته^(١) فقال: «وسمّيته: كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة»، كما ذكره في تفسيره بالتسمية السابقة نفسها في خمسة مواضع هي: ١٧٣/٤ فقرة ٢٧٠، ٢٧١/٦ فقرة ٤٢٢، ١٧١/١٥ فقرة ٢٦٢، ١٢٣/١٩ فقرة ١٨٩، ١١٨/٢٠ فقرة ١٧٣.

وأما نسبة الكتاب لمؤلفه فقد نسب المؤلف إلى نفسه في تفسيره في أكثر من مائة موضع عدا وروده في كتبه الأخرى^(٢)، وكذلك نسبته إليه جماعة من أهل العلم منهم: الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام^(٣)، وابن فرحون المالكي في الديقاح المذهب^(٤)، وحاجي خليفة في كشف الظنون^(٥).

سبب تأليف الكتاب:

نص القرطبي في مقدمة كتابه على السبب الذي حمله على تأليف هذا الكتاب، فقال: «فإني رأيت أن أكتب كتاباً وجيزاً؛ يكون تذكرةً لتفسي وعملاً صالحاً بعد موتي في ذكر الموت، وأحوال الموتى، وذكر الحشر، والنشر، والجنة، والنار، والفن، والأشرار».

(٢) انظر: ص (٣٩).

(٤) ٣١٧/٢.

(١) ص (١١٠).

(٣) ٧٥/٥٠.

(٥) ٣٩٠/١.

موضوع الكتاب:

يدور موضوع الكتاب على أحوال الموتى وما يتعلق بها من أمور الآخرة، ورتب المؤلف موضوعه ترتيباً راعى فيه تسلسل الموضوعات، حيث قسمه بالاستقراء إلى أربع وحدات موضوعية كبيرة:

الوحدة الأولى شملت: الموت ومقدماته، ثم القبر وعذابه ونعيمه وما ينجي منه إلى نفخ البعث.

الوحدة الثانية: تبدأ بالبعث والنشور والنفخ في الصور، والحشر والموقف وأهواله وما ينجي منه.

والوحدة الثالثة: في دخول أهل الجنة الجنة وما أعد الله لأهلها من النعيم المقيم، وفي دخول أهل النار النار وما أعد لأهلها من العذاب الأليم.

- **ثم الوحدة الرابعة والأخيرة:** في ذكر الفتن والملاحم وأشراط الساعة. وهذا القسم الأخير كان حقه أن يأتي في الترتيب أولاً؛ لأنه من علامات يوم القيامة وهو يسبق البعث والنشور، ولم يذكر المؤلف سبباً لتأخير أبواب الفتن والملاحم وأشراط الساعة لتكون آخر أبواب الكتاب، والذي ظهر لي والله أعلم أن المؤلف راعى في ذلك الترتيب الوعظي وهو: الموت ومقدماته، ثم يدخل الميت مباشرة بعد موته إلى القبر، ثم بعد القبر يأتي البعث والحساب ثم دخول الجنة أو النار؛ لذا لم يجد المؤلف بدءاً من جعلها في آخر الكتاب، ولا يمكنه الاستغناء عنها؛ لأنها من علامات اليوم الآخر.

منهج المؤلف في كتابه:

ذكر المؤلف منهجه في مقدمة كتابه فقال: «نقلته من كتب الأئمة، وثقات أعلام هذه الأمة حسب ما رأيته أو رويته، وسعرت ذلك منسوباً مبيّناً، إن شاء الله تعالى، وبويته باباً باباً، وجعلت عقب كل باب فضلاً أو فضولاً نذكر فيه ما يحتاج إليه من بيان غريب، أو فقه في حديث، أو إيضاح مشكل؛ لتكتمل فائدته، وتغظم منفعته».

روايات المؤلف التي رواها بسنده في كتاب التذكرة:

روى القرطبي عدة روايات حديثة في كتابه التذكرة بسنده سأشير إلى مواضعها من الكتاب لمن أراد الوقوف عليها، انظر ص (٣٤١، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٩٦، ٤٢٩، ٦٣١، ٧٨٣، ٧٨٧، ٧٩٦، ٨٢٥، ١٠١٠، ١٠٥٩، ١٠٨٤، ١١١٥).

موارد المؤلف في كتابه:

لقد أثرى المؤلف كتابه التذكرة بالموارد الكثيرة مما أضفى عليه قوة علمية بارزة خاصة كتب السنن، وفي مقدمة موارد التذكرة كتاب الله تعالى، ثم الصحيحان، والسنن الأربعة؛ ولكثرة نقل المؤلف عن تلك المصادر لم أفرد لها بالذكر مع موارد الكتاب الأخرى، وأما غيرها فأوردته على حسب كثرة نقل المؤلف عنها، وهي على النحو التالي:

- ١ - الزهد: لابن المبارك وزوائده، وقد جاء كتاب الزهد لابن المبارك في مقدمة المصادر الأخرى حيث نقل عنه المؤلف سبعة وثمانين نصاً، والكتاب مطبوع^(١).
- ٢ - حلية الأولياء: للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، وقد نقل عنه المؤلف ثمانية وستين نصاً، والكتاب مطبوع.
- ٣ - العاقبة في ذكر الموت والآخرة: لأبي محمد عبد الحق الأشبيلي، وقد نقل المؤلف منه ستة وأربعين نصاً، والكتاب مطبوع.
- ٤ - نوادر الأصول: لنحكيم الترمذي، وقد نقل عنه المؤلف خمسة وأربعين رواية ونصاً، والكتاب مطبوع.
- ٥ - مسند أبي داود الطيالسي: وقد نقل المؤلف عنه أربعاً وثلاثين رواية، والكتاب مطبوع.
- ٦ - التمهيد: لابن عبد البر القرطبي، وقد نقل عنه المؤلف واحداً وثلاثين نصاً ورواية، والكتاب مطبوع.

(١) كل هذه الكتب مطبوعة، فغيرها أنه عليه، ولمعرفة بيانات الكتب المطبوعة تراجع ثبت المصادر والمراجع.

- ٧ - الدررة الفاخرة في كشف علوم الآخرة: لأبي حامد الغزالي، وقد نقل عنه المؤلف ستة وعشرين نصاً، والكتاب مطبوع.
- ٨ - الأهوال: لابن وهب، وقد نقل عنه خمساً وعشرين رواية، وقد صرح به في موضوع واحد من كتابه، ولم أقف عليه.
- ٩ - موطأ الإمام مالك بن أنس: وقد نقل عنه عشرين رواية، والكتاب مطبوع.
- ١٠ - منهج الدين: للحليمي، وقد نقل عنه المؤلف عشرين نصاً، وقد طبع بعنوان: المنهاج في شعب الإيمان.
- ١١ - الزهد: لهناد بن السري، وقد نقل عنه المؤلف ستة عشر نصاً، والكتاب مطبوع.
- ١٢ - مسند البزار: وقد نقل عنه المؤلف ثلاث عشرة رواية، والكتاب مطبوع من تسعة مجلدات، وهو ناقص.
- ١٣ - تاريخ المدينة: لعمر بن شبة، ونقل عنه اثني عشر نصاً، والكتاب مطبوع.
- ١٤ - القبور: للخراطي، وقد نقل عنه المؤلف أحد عشر نصاً، ولم أعر على معلومات تفيد عن وجود الكتاب.
- ١٥ - الطاعة والمعصية: لعلي بن معبد، وقد نقل عنه المؤلف أحد عشر نصاً، ولم أعر على معلومات تفيد عن وجود الكتاب.
- ١٦ - مسند الإمام أحمد بن حنبل: وقد نقل عنه عشرة نصوص، والكتاب مطبوع.
- ١٧ - دلائل النبوة: للبيهقي، وقد نقل عنه المؤلف عشرة نصوص، والكتاب مطبوع.
- ١٨ - سراج المريدين وسبيل المتهتدين: لابن العربي، وقد نقل عنه المؤلف عشرة نصوص، والكتاب مخطوط، محفوظ بدار الكتب القومية بمصر، تحت رقم ٢٠٣٤٨ت، وبه نقص. وقد وفقت عليه عند بعض الفضلاء

- بمكة وهو يعمل على تحقيقه، ووثقت منه عدداً من النصوص التي نقلها المؤلف.
- ١٩ - الكشف والبيان في تفسير القرآن: للشعلبي، وقد نقل عنه عشرة نصوص، وتوجد بعض النسخ المخطوطة من الكتاب في قسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، بها نقص عدا واحدة سينة الخط، انظر الأفلام: ٦٤٢، ٩٣٣، ١٥٧٨.
- ٢٠ - المحرر الوجيز: لابن عطية، وقد نقل عنه المؤلف عشرة نصوص، والكتاب مطبوع.
- ٢١ - مصنف ابن أبي شيبة: وقد نقل عنه المؤلف تسعة نصوص، والكتاب مطبوع.
- ٢٢ - الصحاح: للجوهري، وقد نقل عنه المؤلف ثمانية نصوص، والكتاب مطبوع.
- ٢٣ - جامع البيان في تأويل القرآن: لابن جرير الطبري، وقد نقل عنه المؤلف سبعة نصوص، دون أن يذكر اسم الكتاب وإنما كان ينسب القول إلى مؤلفه، والكتاب مطبوع.
- ٢٤ - تفسير يحيى بن سلام: ونقل عنه القرطبي سبعة نصوص، والكتاب توجد منه أجزاء مخطوطة بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية برقم: ١٣٤٤، ١٣٤٣، فلم، ١٣٤٦ فلم.
- ٢٥ - كتاب الديباج: لأبي القاسم إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، وقد نقل عنه المؤلف سبعة نصوص، والكتاب مطبوع، طبعته دار البشائر بدمشق سنة ١٩٩٤م، تحقيق إبراهيم صالح، إلا أن الكتاب ناقص كما أشار المحقق إلى ذلك في مقدمة التحقيق، وقد تأكد لي ذلك النقص بعد اطلاعي على نصوص الكتاب لها، فلم أقف على أي نص من النصوص التي نقلها القرطبي في التذكرة عن كتاب الديباج للحنظلي لتوثيقها.
- كما توجد بعض الأوراق المخطوطة من كتاب الديباج للحنظلي في قسم

- المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية برقم ٧٠٦٠/٢٣.
- ٢٦ - المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم: لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، وقد نقل عنه المؤلف سبعة نصوص، والكتاب مطبوع.
- ٢٧ - كتاب المحتصرين: لابن أبي الدنيا، ونقل عنه المؤلف سبعة نصوص، والكتاب مطبوع.
- ٢٨ - حسن الظن بالله تعالى: لابن أبي الدنيا، وقد نقل عنه المؤلف ستة نصوص، والكتاب مطبوع.
- ٢٩ - غريب الحديث: لأبي عبيد القاسم بن سلام، وقد نقل عنه المؤلف ستة نصوص، والكتاب مطبوع.
- ٣٠ - الإرشاد: لابن بَرَّجان، وقد نقل عنه المؤلف خمسة نصوص، والكتاب توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية برقم ٧٢٩٢ فلم.
- ٣١ - لطائف الإشارات: لعبد الكريم القشيري، ونقل عنه خمسة نصوص، والكتاب مطبوع.
- ٣٢ - النكت والعيون «تفسير الماوردي»: ونقل عنه المؤلف خمسة نصوص، والكتاب مطبوع.
- ٣٣ - الاستذكار: لابن عبد البر، ونقل عنه المؤلف خمسة نصوص، والكتاب مطبوع.
- ٣٤ - الرعاية لحقوق الله، للحوارث المحاسبي: ونقل عنه المؤلف خمسة نصوص، والكتاب مطبوع.
- ٣٥ - إحياء علوم الدين: لأبي حامد الغزالي، ونقل عنه خمسة نصوص، والكتاب مطبوع.
- ٣٦ - شرح رسالة ابن أبي زيد: لأبي الحسن النقباسي، ونقل عنه المؤلف أربعة نصوص، لم أقف على من أشار إلى هذا الكتاب.

- ٣٧ - مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى، ونقل عنه أربعة نصوص، والكتاب مطبوع.
- ٣٨ - عيون الأخبار: لابن قتيبة، ونقل عنه المؤلف أربعة نصوص، والكتاب المطبوع حالياً لا توجد فيه تلك النصوص فربما به نقص.
- ٣٩ - سنن الإمام الدارمي: ونقل عنه المؤلف أربع روايات، والكتاب مطبوع.
- ٤٠ - معاني القرآن: لأبي جعفر النحاس، وقد نقل عنه المؤلف أربعة نصوص، والكتاب مطبوع.
- ٤١ - روضة المشتاق والطريق إلى الملك الخلاق: لابن الجوزي، نقل عنه المؤلف ثلاثة نصوص، وبالرجوع إلى مؤلفات ابن الجوزي لعبد الحميد العلوجي، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت، الطبعة الأولى لسنة ١٤١٢هـ، لم أجده من بين كتب ابن الجوزي، وقد جاء في مؤلفات ابن الجوزي للعلوجي بعض المؤلفات قريبة الشبه بعنوان الكتاب المراد، فربما حدث تصرف في عنوانه، وكلها مخطوطة، وهي على النحو التالي:
- ١ - روضة المجالس ونزهة المستأنس، ذكره إسماعيل البغدادي في هدية العارفين، وبروكلمان، منه نسخة مخطوطة في مكتبة برلين برقم ١٣٦١.
- ٢ - روضة المريدين، ذكره إسماعيل البغدادي في هدية العارفين، وتوجد منه نسخة في خزانة كتب فاتح استانبول برقم ٢٦٢٢.
- ٣ - روضة الناقل، هكذا ذكره إسماعيل البغدادي، والذهبي في تاريخ الإسلام.
- ٤ - الرياض وروضة العشاق، منه نسخة مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق.
- ٤٢ - النصيحة: للأجري، نقل عنه المؤلف ثلاثة نصوص، قال ابن التديم: وله كتاب النصيحة ويحتوي على عدة كتب في الفقه، انظر الفهرست

- ص (٣٠١)، دار المعرفة بيروت ط. ١٣٩٨هـ، وذكره د. الدميحي في قائمة كتب الأجرى المخطوطة، انظر تحقيقه لكتاب الشريعة ١/١٤٧، دار الوطن بالرياض، ط. الأولى لسنة ١٤١٨هـ.
- ٤٣ - التاريخ الكبير: للبخاري، نقل عنه ثلاثة نصوص، والكتاب مطبوع.
- ٤٤ - التحرير: للقشيري، ونقل عنه المؤلف ثلاثة نصوص، ذكره محققاً رسالة القشيري بعنوان: التحرير في التذكير، ص (١٥)، والكتاب مطبوع.
- ٤٥ - الغيلانيات: لأبي طالب محمد بن إبراهيم بن غيلان، ونقل عنه المؤلف ثلاثة نصوص، والكتاب مطبوع.
- ٤٦ - صحيح ابن حبان: ونقل عنه نصين، والكتاب مطبوع.
- ٤٧ - مسند عبد بن حميد: ونقل عنه نصين، والكتاب مطبوع.
- ٤٨ - مسند معمر بن راشد: ونقل عنه نصين، والكتاب مطبوع.
- ٤٩ - السابق واللاحق: لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب، ونقل عنه نصين، والكتاب مطبوع.
- ٥٠ - أحكام القرآن: لابن العربي، ونقل عنه نصين، والكتاب مطبوع.
- ٥١ - القيس: لابن العربي، ونقل عنه نصين، والكتاب مطبوع.
- ٥٢ - كتاب بيان العلم: لابن عبد البر، ونقل عنه نصين، والكتاب مطبوع.
- ٥٣ - الأسماء والصفات: للبيهقي، ونقل عنه نصين، والكتاب مطبوع.
- ٥٤ - سبل الخيرات: لابن نجاح، ونقل عنه نصين، ذكره صاحب كشف الظنون ٢/٩٧٨ وقال: سبل الخيرات، في المواعظ والرقائق لأبي الحسين يحيى بن نجاح بن الفلاس الأموي القرطبي، المتوفى سنة ٤٢٢هـ، ولم أفت عليه.
- ٥٥ - كتاب التوحيد: لابن منده، ونقل عنه نصين، والكتاب مطبوع.
- ٥٦ - معاني القرآن وإعراجه: للزجاج، نقل عنه نصين، والكتاب مطبوع.
- ٥٧ - الضعفاء: للعليني، نقل عنه نصين، والكتاب مطبوع.

- ٥٨ - المعجم الأوسط: للطبراني، نقل عنه نصين، والكتاب مطبوع.
- ٥٩ - تاريخ الطبري: نقل عنه نصين، والكتاب مطبوع.
- ٦٠ - كتاب النصائح: لابن ظفر، نقل عنه نصين، ولم أقف على الكتاب، وفي كشف الظنون لحاجي خليفة ٢/٢٠٥٢ ما يلي: كتاب ينبوع الحياة لابن ظفر في التفسير، في مجلدات. فتسمية هذا التفسير ينبوع الحياة تجعل من المحتمل أن يسميه بعض العلماء بالنصائح نظراً لما يغلب عليه، والله أعلم.
- ٦١ - ديوان أبي العتاهية: ونقل عنه نصين، والكتاب مطبوع.
- ٦٢ - المعجم: لابن فارس، ونقل عنه نصين، والكتاب مطبوع.
- ٦٣ - الإبانة: للوائل، ونقل عنه في موضعين، والكتاب مفقود.
- ٦٤ - مسند الشهاب: ونقل عنه نصين، والكتاب مطبوع.
- ٦٥ - كتاب الأربعين: للثقفى، القاسم بن الفضل الأصبهاني، اشتهر بالرئيس، ونقل عنه نصين، ونسبه إليه أيضاً صاحب كشف الظنون ٥٥/١.
- ٦٦ - غريب القرآن: لابن عزيز، ونقل عنه نصين، ذكره صاحب كشف الظنون ٢/١١٤٠ وقال: غرائب القرآن للشيخ الإمام أبي بكر محمد بن عزيز السجستاني المتوفى سنة ٣٣٠هـ.
- ٦٧ - الإفصاح: لشبيب بن إبراهيم، ونقل عنه نصين، ونسبه إليه أيضاً الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١١/٣٧٦، دار المعرفة بيروت، وقال: أبو الحسن بن حيدرة صاحب الإفصاح. وأبو الحسن: كنية شبيب بن إبراهيم، وحيدرة: جده، كما في ترجمته.
- ٦٨ - مصنف عبد الرزاق الصنعاني: ونقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.
- ٦٩ - الروض الأنف: لأبي القاسم السهيلي، ونقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.

- ٧٠ - التلخيص في معرفة أسماء الأشياء: لأبي الحسن العسكري، ونقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.
- ٧١ - الناسخ والمنسوخ في الحديث: لعمر بن شاهين، ونقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.
- ٧٢ - اللؤلؤيات: لأبي مطيع مكحول بن الفضل النسفي، ونقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مخطوط، وتوجد منه نسخة في مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية برقم ٥٠٧٩ فلم.
- ٧٣ - ديوان طرفة بن العبد: ونقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.
- ٧٤ - الأوسط: لابن المنذر، ونقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.
- ٧٥ - المراسيل: لأبي داود، ونقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.
- ٧٦ - المختلف والمؤتلف: لأبي سعيد الماليني، ونقل عنه نصاً واحداً، ولم أقف على معلومات عن الكتاب.
- ٧٧ - الكنى: لأبي أحمد الحاكم، ونقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع بعنوان: الأسامي والكنى، تحقيق يوسف محمد الدخيل، إصدار مكتبة الغرباء بالمدينة النبوية لسنة ١٤١٠هـ.
- ٧٨ - الاستيعاب: لابن عبد البر، ونقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.
- ٧٩ - شرح صحيح مسلم: للنووي، ونقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.
- ٨٠ - شرح الشهاب: للعامري، ونقل عنه نصاً واحداً، ولم أقف على معلومات عنه.
- ٨١ - تهذيب الآثار: للطبري، ونقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.
- ٨٢ - كتاب البعث: لابن أبي داود، ونقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.
- ٨٣ - الكشف: للزمخشري، ونقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.
- ٨٤ - فوائد أبي الحسن بن صخر: ونقل عنه نصاً واحداً، ذكر صاحب كشف الظنون ١٢٧٧/٢ أن لأبي الحسن بن صخر الأزدي كتاباً في فضائل القرآن، قال: وهو على طريقة المحدثين.

- ٨٥ - معاني القرآن: للفرء، ونقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.
- ٨٦ - ديوان أبي العلاء المعري: ونقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.
- ٨٧ - سنن الدارقطني: ونقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.
- ٨٨ - التوهم والأهوال: للحارث المحاسبي، ونقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.
- ٨٩ - ديوان عترة بن شداد: ونقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.
- ٩٠ - ديوان امرئ القيس: ونقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.
- ٩١ - معجم الطبراني الصغير: ونقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.
- ٩٢ - كتاب التبيين: لأبي عبد الله محمد بن مرة الحيلي القرطبي، ونقل عنه نصاً واحداً، ولم أقف عليه.
- ٩٣ - مسند الأوزاعي: ونقل عنه نصاً واحداً، ولم أقف عليه، يوجد كتاب بعنوان «سنن الأوزاعي أحاديث وآثار وفتاوى» تصنيف: الشيخ مروان محمد الشعار، جمع فيه مرويات الأوزاعي، ورتبها على كتب الفقه، وألحق بها فهارس مساعدة، وسماه سنن الأوزاعي، والكتاب من إصدارات دار النفائس ببيروت، ط. الأولى لسنة ١٤١٣هـ.
- ٩٤ - الشفاء: للنقاضي عياض، ونقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.
- ٩٥ - علوم الحديث: للحاكم، ونقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.
- ٩٦ - الاعتقاد: للبيهقي، ونقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.
- ٩٧ - آداب النفوس: للطبري، ونقل عنه نصاً واحداً، ذكره ابن حجر في الفتح ١٥٦/١٠.
- ٩٨ - الزيادات بعد الأربعين: لإسماعيل بن عبد الغافر، ونقل عنه نصاً واحداً، ولم أقف على الكتاب أو من أشار إليه.
- ٩٩ - كتاب العرائس: للثعلبي، ونقل عنه نصاً واحداً، وتوجد منه نسخة مخطوطة في قسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية برقم ٤١٠٤/فتم، ويحمل اسم: عرائس المجالس للثعلبي.

- ١٠٠ - الإبهاج من حديث المعراج: لأبي الخطاب بن دحية، ونقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مخطوط، وتوجد منه نسخة بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية برقم ١/١٩٧٨ فلم.
- ١٠١ - الجرح والتعديل: لابن أبي حاتم، ونقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.
- ١٠٢ - الشماثل: لثرمذي، ونقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.
- ١٠٣ - مكارم الأخلاق: للطبراني، ونقل عنه نصاً واحداً، مطبوع بتحقيق فاروق حمادة عن دار الرشاد الحديثية بالمغرب، وفي الكتاب نقص، ذكره مشهور حسن في كتابه معجم المصنفات الواردة في فتح الباري ص(٤٠٩)، ولم أقف عليه.
- ١٠٤ - بحر الفوائد: لأبي بكر محمد بن إبراهيم الكلاباذي، ونقل عنه نصاً واحداً، ولم أقف على معلومات عنه.
- ١٠٥ - شرح صحيح البخاري: للداودي، أبي جعفر أحمد بن نصر، نقل عنه نصاً واحداً، ونسبه إليه الحافظ ابن حجر في فتح الباري في مواضع عديدة منها ١/١٥، ٢٣٩.
- ١٠٦ - تاريخ الإمام أحمد: نقل عنه نصاً واحداً، طبع الكتاب بعنوان: الأسامي والكنى، بتحقيق عبد الله الجذيع، مكتبة الأقصى الكويت.
- ١٠٧ - تهذيب اللغة: للأزهري، نقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.
- ١٠٨ - شرح صحيح البخاري: لابن بطلان، نقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع، وهو ناقص.
- ١٠٩ - معالم السنن: للخطابي، نقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.
- ١١٠ - كتاب الملاحم: لأبي الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي، نقل عنه نصاً واحداً، لم أقف على معلومات عن الكتاب.
- ١١١ - القصد والأمم في أنساب العرب والمعجم: لابن عبد البر، نقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.

- ١١٢ - الفرق: للبيгдаدي، نقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.
- ١١٣ - الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: لأبي المعالي الجويني، نقل عنه نصاً واحداً، مطبوع.
- ١١٤ - تفسير أبي الليث السمرقندي: نقل عنه نصاً واحداً، والكتاب مطبوع.
- ١١٥ - تفسير الجوني أبي الحسن: نقل عنه نصاً واحداً، ولم أقف على معلومات عنه.

مصادر المصنف المتخصصة في موضوع كتابه:

- كتاب العاقبة في ذكر الموت والآخرة: لأبي محمد عبد الحق الأشبيلي، هذا الكتاب هو كالعمدة للقرطبي في تأليف كتابه: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، بداية بعنوان الكتاب، فعنوان كتاب التذكرة ما هو إلا تغيير يسير لعنوان كتاب أبي محمد عبد الحق، فبالمقارنة بين العنوانين نجد أن كلمة (التذكرة) عند القرطبي تقابل (ذكر) عند أبي محمد، وكلمة (بأحوال الموتى) عند القرطبي تقابل (الموت) عند أبي محمد، وذكر الموت يدخل فيه بالضرورة الحديث عن أحوال الموتى، وكلمة (أمور الآخرة) عند القرطبي تقابل (الآخرة) عند أبي محمد عبد الحق. كما أن القرطبي تابع أبا محمد في كثير من عناوين أبواب كتابه بما يُدكر الموت، وأشعار وحكايات الوعظ والرفائق، هذا قسم، والقسم الآخر في بعض أمور الآخرة، وقد نقل القرطبي عن كتاب العاقبة أكثر من ستة وأربعين نصاً في كتاب التذكرة.

- كتاب الدررة الفاخرة في كشف علوم الآخرة: لأبي حامد الغزالي، جاء اسم هذا الكتاب مختصراً في التذكرة بصيغة (كشف علم الآخرة)، وهو كتاب صغير الحجم، مطبوع، اعتمد فيه مؤلفه على روايات تتعلق بأمور الآخرة لا أصل لها، ومن المؤسف أن القرطبي ينقل عنه دون تمحيص أو تعليق على ما ينقل.

قال الحافظ ابن حجر رحمته عن كتاب كشف علوم الآخرة للغزالي: وقد

أكثر في هذا الكتاب من إيراد أحاديث لا أصول لها، فلا يغتر بشيء منها^(١).
بل كاد القرطبي أن يضمن كتاب: كشف علوم الآخرة برمته في كتابه
التذكرة.

- كتاب المحتضرين: لابن أبي الدنيا، فعنوان الكتاب يدل على دخوله
في القسم الأول فقط من كتاب المؤلف، وذلك في أحوال المحتضرين وسوء
الخاتمة.

- كتاب القبور: للخرائطي، هذا الكتاب أيضاً يدخل في القسم الأول من
الكتاب، وهذا الكتاب قد ورد في جميع النسخ بصورة مصحفة، فمرة (الثبور)
ومرة (النشور)، ومرة تقرب من (القبور) والكتاب في عداد المفقودات، ولم
أعثر عليه ضمن المطبوعات أو فهارس المخطوطات التي وقفت عليها، ولم
تشر إليه محققة كتاب: مكارم الأخلاق للخرائطي، لكن من خلال النصوص
التي نقلها القرطبي عنه يدل على أن أقرب الأسماء إليه اسم القبور.

كتاب التذكرة ضمن موارد الكتب الأخرى:

نقل عدد من أهل العلم من كتاب التذكرة في كتبهم، وبعضهم تعقبه في
بعض المسائل التي أوردها في كتاب التذكرة، فمن تلك الكتب التي وقفت
على نقلها من كتاب التذكرة:

١ - كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري: للحافظ ابن حجر العسقلاني،
وقد نقل واستدرك على كتاب التذكرة في المواضع الآتية من الفتح: ١/
١٧٩، ٣٢٠، ٢٣٩/٣، ٢٠٧/٧، ٢٩٨/٨، ٣٥٠/١١، ٣٥٤، ٣٦٩،
٣٧٠، ٣٧٦، ٣٨٤، ٣٩١، ٤٢١، ٤٣١، ٤٥٠، ٤٦٦، ١٨/١٣، ٦١،
٧٧، ٧٩، ٩١، ٩٧، ٩٨.

٢ - عون المعبود حاشية سنن أبي داود: لمحمد شمس الحق العظيم آبادي،
ومواضع ورود التذكرة فيه في المواضع الآتية: ١/١٩٩، ٧/١٤٠، ٨/

(١) فتح الباري ١١/٤٣٤.

٢٦٧، ٢٣٣/١١، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٥، ٣٠٥،
٣١٨، ٦/١٣.

٣ - تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى: لمحمد عبد الرحمن المباركفوري،
ومواضع ورود التذكرة فيه في المواضع الآتية: ٣٨١، ٣٤٥/٦، ١٠٢/٧،
٢٣٥، ٢٣٦/٨.

٤ - شرح النسائي: للسيوطي، ومواضع ورود التذكرة فيه في المواضع الآتية:
٩٨/٤، ٩٩، ١١٤، ١١٧.

٥ - شرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز الحنفي، ومواضع ورود التذكرة فيه
في المواضع الآتية: ص(٢٥٢، ٢٥٧، ٤٧٥).

٦ - وابن كثير في تفسيره في ٣/٣٣، ٤/٤٧٧، ٤٧٨.

٧ - مجموع الفتاوى: لابن تيمية، وورود كتاب التذكرة فيه في ٤/٣٢٤.

٨ - الروح: لابن القيم، وورود كتاب التذكرة فيه في ١/٣٦.

٩ - فيض القدير: لعبد الرؤوف المناوي، وورود كتاب التذكرة فيه في ٥/٦٧.

١٠ - معارج القبول: لحافظ حكيم، وورد كتاب التذكرة فيه في ٢/٧٤٢.

مختصرات كتاب التذكرة:

١ - شرح الصدور بحال الموتى والقبور للسيوطي، قال السيوطي عن كتابه:
«... محرراً ما وقع من ذلك في تذكرة القرطبي بالتنقيح، والتخريج مع
زوائد جمّة. والكتاب مطبوع».

٢ - مختصر كتاب التذكرة لعبد الوهاب الشعراني، ذكره الزركلي في
الأعلام^(١)، وذكره يوسف إنيان سركيس في معجم المطبوعات العربية
والمعربة^(٢)، طبعة دار صادر بيروت سنة ١٤٠٥هـ.

٣ - واختصره أحمد بن محمد بن علي نور الدين الحسيني الشافعي السحيمي

القلعي الأزهري المتوفى سنة ١١٧٨هـ وسماه: التذكرة الفاخرة في أحوال الآخرة. ذكره سركيس في معجم المطبوعات العربية كما في الإحالة السابقة، وقد ذكر لي شيخي - المشرف على الرسالة - فضيلة الدكتور محمد باكريم أنه توجد نسخة خطية من هذا المختصر الأخير في مكتبة فاتح استانبول بتركيا برقم ٢٨٣١.

مزايا الكتاب:

لكتاب التذكرة مزايا عديدة جعلته يحظى باهتمام العلماء والعامه أجمعها

فيما يلي:

- كثرة الاستدلال بالكتاب والسنة، ويظهر ذلك من خلال فهارس الآيات والأحاديث، حيث احتوى الكتاب على ألف وأربعمائة وسبعة عشر حديثاً مرفوعاً (١٤١٧ حديثاً).
- كثرة موارد الكتاب وتنوعها، وهذا واضح من خلال سردها فيما سبق.
- سلك المؤلف في كتابه هذا منهجاً قريب الشبه من منهج البحث العلمي الحديث؛ حيث قسم كتابه إلى أبواب وأعقب الأبواب بفصول تقوم مقام التعليق على الأبواب، كما بين في مقدمته سبب التأليف ومنهجه - خطته - فيه.
- جمع المؤلف في كتاب التذكرة بين الناحية العلمية: وذلك بحشد الأدلة لكل باب أو فصل. والناحية الوعظية: وذلك بذكر آيات وأحاديث، وحكايات وأشعار وروايات وعظية عن بعض أهل العلم تتخلل الأبواب والفصول.
- ربط المؤلف موضوعات كتابه ببعضها البعض حيث يكثر من إحالة المتقدم إلى المتأخر، والمتأخر منها إلى المتقدم كما في ص (١٣٢، ١٥٢، ١٦٠، ١٧١، ١٧٨).
- يثير المؤلف بعض المسائل الفقهية والعقدية المتعلقة بالأبواب كما في ص (١٣٠، ١٣٦، ١٣٩).

- ظهور شخصية المؤلف التفسيرية في الكتاب بصورة واضحة في مواضع كثيرة كما في ص (١١٧، ٣٦٨، ٥٢٧، ٥٤٣، ٨٦٥) وغير ذلك.
- يربط المؤلف القارئ بكتبه الأخرى بالإحالة إليها في الموضوعات التي بسط القول فيها هناك كما في ص (٩٠٩، ٩١٩، ٩٥٦، ٩٧٨، ٩٧٩، ١٠٤٦، ١١٠٦).
- لم يكن المؤلف مجرد ناقل للنصوص أو أقوال أهل العلم وإنما كانت له إضافاته ومشاركاته لأهل العلم في أقوالهم وآرائهم، ويظهر ذلك من خلال الآتي:
- ترجيحاته واختياراته للمسائل كما في ص (٣٨٦، ٣٩٤، ٣٩٥، ٤٩١، ١٢٨١).
- إضافاته وتدخلاته على ما يذكره أهل العلم في المسائل كما في ص (١٣٧، ١٦٧، ١٦٩، ١٨٢، ٣٦٨، ٨٤٠)، وهو كثير جداً، وغالباً يأتي بعده قوله: قلت.
- يجتهد في دفع تعارض النصوص كما في ص (١١٦، ١٣٠، ١١٨، ١٣٨، ٣٥٧، ٣٩٠، ٥٢٧، ٧٥٠).

نقد الكتاب والمآخذ عليه:

- كما أن مزايا الكتاب كثيرة، كذلك توجد عليه مآخذ ومنحوظات من وجهة نظري أجملها في الآتي:
- كثرة الأحاديث الضعيفة في الكتاب كما في ص (١٢١، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٧، ١٤٠، ١٥١، ١٥٢)، بل يكثر من الرواية عن عُرف عند محدثين بالكذب ووضع الحديث كما في حال أبي هذبة إبراهيم بن هذبة الذي اتهم بالكذب، وتركه أئمة الحديث لذلك، فقد أورد له أحاديث في مواضع منها ص (١٥٠، ٢٦٤، ٢٧١، ٢٩٨، ٣٢٧، ٣٤٣، ٤٩٤، ٥٩٦، ٨٥٠، ٨٦٠).
 - خالف المؤلف منهج السلف الصالح في كتابه هذا في باب الأسماء والصفات، بل أول آيات الصفات تأويل الأشاعرة كما في ص (٢٢٦، ٢٢٨، ٣٨٦، ٤٦٢، ٤٦٧، ٤٦٩، ٧٤٧، ٨٧٩، ٨٣٠، ٩٠٩، ٩١٣)، كما يستعمل بعض الألفاظ المنفرة لمخالفه في باب الأسماء والصفات كالوصف بالغباء كما في ص (٦٥٠) أو الوصف بالتجسيم كما في ص (٤٧١، ٦٤٨، ٨٣٠).

- يورد أموراً غيبية في مواضع عديدة في كتابه من كتب لا تُعنى بتمحيص الروايات، بل يوردها من غير تعليق، وأبرز تلك الكتب التي نقل عنها تلك الغيبيات هو كتاب كشف علوم الآخرة للغزالي الذي كاد أن ينقله برمته في التذكرة، ومن تلك المواضع: ص(٢٣٨، ٢٥٢، ٣٥٣).
- كثرة استدلال المؤلف بالإسرائيليات كما في ص(١١٤، ١١٥، ١٥٢، ٢٠٤، ٢١٠، ٢٥١، ٢٥٥).
- إيرادُه لمنامات كثيرة في كتابه مستنداً بها على مسائل يذكرها كما في ص(٢٤١، ٢٤٢، ٣٧٠).
- ينقل المؤلف أقوالاً كثيرة ويكتفي بقونه: قال علماؤنا، أو قال العلماء، فلا يذكر اسم صاحب القول ولا اسم كتابه مع كون القول موجوداً في كتب قد نقل عنها المؤلف في مرات عديدة، بل قد يكون القائل من مشايخ المؤلف فمن أمثلة ذلك: في ص(١١١) قال المؤلف: «قال علماؤنا: الموت ليس بعدم محض...»، مع وجود هذا القول في كتاب شيخه أبي العباس أحمد بن عمر المسمى المفهم لما أشكل من صحيح مسلم ٥٧٤/٢، وقد نقل المؤلف عن شيخه أبي العباس في كتابه المفهم نقولاً كثيرة وقد عزاها له بقوله: قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر، كذلك يستعمل المؤلف الصيغة السابقة - قال علماؤنا - مع أبي محمد عبد الحق الإشبيلي - مع العلم أنه ليس من مشايخه المباشرين؛ فربما ذكر هذه الصيغة لسبقه في التأليف في الموضوع، أو لأنه مالكي مثله تقدمه - مع عدم ذكر اسمه أو اسم كتابه العاقبة في ذكر الموت والآخرة الذي نقل عنه المؤلف ما يزيد على الأربعين نصاً، فعلى سبيل المثال انظر ص(١١٢) من كتاب التذكرة، و ص(٤٣) من كتاب العاقبة لأبي محمد عبد الحق، وفي بعض الأحيان ينقل عن كتاب العاقبة ولا يشير إليه بأي إشارة كما في ص(١١٢) من التذكرة والنقل في العاقبة في ص(٤٥)، وكذلك في ص(١١٤) من التذكرة والنقل في العاقبة ص(٤٥) وغيره كثير ينقله عنه ولا يحيل أو يشير إليه، ولم أصل إلى تفسير لذلك، وربما أراد

المؤلف أن يُلطف تلك الكثرة من النقول عن كتاب العاقبة بهذا التنوع والله أعلم. وكذلك يقول في ص(١٤٧): «قال بعض العلماء...»، والنقول في نواذر الأصول للحكيم الترمذي وهو من موارد المؤلف في كتابه، وكذلك قول المؤلف في ص(١٣١): «رأى بعض أهل العلم...»، والنقول في كتاب التمهيد لابن عبد البر ٢٣٢/٧، وهو من موارد المؤلف المهمة، ومثل هذا المنهج في عدم تسمية من ينقل عنه يزيد في صعوبة توثيق تلك النقول، فلا أدري هل نقل المؤلف كل تلك الأقوال التي قال فيها: قال علماؤنا، من كتبهم أو مشافهة عن بعضهم.

- يورد المؤلف كثيراً من الأشعار دون ذكر قائلها في أغلب الأحيان، أو ذكر الكتاب الذي نقل عنه تلك الأشعار، بل يكتفي بقول: ولقد أحسن من قال، أو: وأنشدوا، أو: وقال آخر، ونحو ذلك، كما في ص(١١٣)، (١٢٤، ١٢٧، ١٥٤، ١٩٨)، وهذا أيضاً فيه صعوبة في توثيق هذه الأشعار.

- يكثر من قول: قيل، دون ذكر صاحب القول أو كتابه، كما في ص(١٢٧)، (١٥٩، ١٨٨، ٢١٣، ٢٦٩)، ولاحظت أن بعض هذه الأقوال توجد ضمن نصوص من ينقل عنهم القرطبي.

طباعات الكتاب الحالية:

طُبع كتاب التذكرة عدة طباعات، وكنت قد كتبت تقريراً مفصلاً عن كل طبعة، ثم أعرضت عن ذلك؛ لأن الحكم على جهود الآخرين وتقويمها أمر لا يكون لمن هو معهم في الميزان، فالكل مأجور إن شاء الله تعالى على قدر ما بذل ويقدر توفيق الله تعالى له، واكتفيت بالتعريف بتلك الطباعات وبذكر مجمل الملحوظات عليها التي جعلتني أعيد العمل في تحقيق الكتاب، عدا الطبعة التي حققها الدكتور السقا، فقد فضلتُ فيها بعض الشيء؛ حتى لا يتوهم القارئ أن الدكتور السقا سلك فيها المنهج العلمي المتبع في تحقيق الرسائل الجامعية.

والطبقات على النحو التالي:

- طبعة أحمد محمد مُرسِي لسنة ١٣٨٠هـ، بتوجيه من شيخ طريقته كما ذكر مُرسِي، وقد أجاب شيخه بقوله: «وقد أجبته تيمناً به والتماساً لبركته»، هكذا افتتح مرسي عمله الذي قال عن خطته: «ولم يكن في الوسع اتباع خطة ومنهج في سبيل إخراجه الإخراج اللائق به: من إتقان الصناعة، وتجميل الطباعة، وتحسين في الترصيف... إلى قوله: وأما المنهج الذي سلكته فهو إثبات ما كان يُعزُّ لي من الشرح أو التعليق»، وجل تعليقاته شرح للكلمات التي رأى أنها غريبة.

- طبعة مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة لسنة ١٤٠٠هـ تحقيق د. أحمد حجازي السقا: دكتوراه من جامعة الأزهر.

ويلاحظ على هذه الطبعة الآتي:

١ - لم يعتمد المحقق في مقابلة نسخته التي جعلها أصلاً إلا على نسخة واحدة، قال عنها: «وأشرنا إلى التي طُبعت في مصر من قبل بالرمز (ط)» فلم يظهر لي هل اعتمد الدكتور في المقابلة على هذه النسخة قبل الطبع وهي مخطوطة أم اعتمد عليها بعد طبعتها، وفائدة معرفة ذلك أن الاعتماد على نسخة مطبوعة واحدة في المقابلة يزيد من احتمال حدوث التحريف من الناسخ من المخطوطة قبل طبعتها، ثم احتمال وقوع الأخطاء أيضاً بعد الطبع، وعلى كل حال فالفروق التي ذكرها الدكتور بين النسخة الأصلية ونسخة المقابلة قليلة جداً مقارنة بحجم الكتاب؛ وحتى تلك الفروق انقلية منها ما يتركه المحققون عادة ولا يذكرونه؛ لأنه يكون في العادة من تصرف المُسَاح نحو: رضي الله عنه، وعليه السلام، وقال تعالى، ونحو ذلك.

- خلا عمل المحقق تماماً من تخريج الأحاديث وعزو الآيات إلى مواضعها من السور.

- كما خلال عمل المحقق تماماً من توثيق نصوص المؤلف من مصادرها.

- وخلا أيضاً عمل المحقق تماماً من التعليق على المسائل التي تحتاج إلى

تعليق، وعلل ذلك بقوله: «ولم نذكر تعليقات لكبير الكتاب من جهة؛ ولأن موضوعاته في الترغيب والترهيب من جهة أخرى» انظر ص(٥) من مقدمة المحقق.

- لم يترجم للأعلام أو يشرح أو يضبط الكلمات الغريبة.
- كما خلا التحقيق من دراسة للمؤلف والكتاب، وذكر المحقق صفحة واحدة ضمنها اسم المؤلف وسنة وفاته، وبقيّة الصفحة ذكر فيها مصدر نسخة الأصل ورموز نسخته ومنهجه في التعليق عدم التعليق كما سبق ذكره.
- وليس في الكتاب إلا فهرس المحتويات.
- ومن طبعات الكتاب: طبعة دار الريان للتراث بالقاهرة لسنة ١٤٠٧هـ الطبعة الثانية، والطبعة غير محققة وإنما طبعتها الدار على نسخة مخطوطة واحدة.
- طبعة دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثالثة لسنة ١٤١٤هـ، وهو جزاءن في مجلد واحد، وجاء في صفحة الغلاف: حققه وخرّج أحاديثه وعلق عليه فواز أحمد زمرلي، واعتمد المحقق في عمله على نسخة واحدة.
- طبعة دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الأولى لسنة ١٤١٥هـ، والتي جاء في صفحة غلافها ما يلي: تحقيق ودراسة مجدي فتحي السيد، واعتمد المحقق في عمله على نسخة واحدة.
- طبعة دار البخاري بالمدينة النبوية الطبعة الأولى لسنة ١٤١٧هـ، والتي جاء في صفحة غلافها ما يلي: خرّج أحاديثه أبو سفيان محمود بن منصور البسطوسي، واعتمد أيضاً على نسخة واحدة.

الملحوظات الإجمالية على الطبعات السابقة:

الأولى: تتعلق باسم الكتاب حيث جاء في جميع تلك الطبعات العنوان التالي: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، وقد نص المصنف على اسم كتابه في مقدمته فقال وسميته: «كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة»

فكون المصنف ينصر على اسم كتابه في مقدمته بقوله: (بأحوال الموتى)، ثم يكتب بصيغة تخالفه: (في أحوال الموتى)، فهذا تساهل لا يليق بعمل علمي، على الرغم من تناوب حرفي الفاء والياء في المعنى في العربية، كما يتنافى أيضاً مع رغبة المصنف في تسمية الكتاب، علماً بأن التسمية الصحيحة للكتاب موجودة في مقدمة المؤلف لكتابه في جميع تلك الطبعات.

الثانية: اعتماد جميع تلك الطبعات على نسخة واحدة في إخراج الكتاب جعلوها أصلاً دون مقابلة هذا الأصل مع نسخ أخرى لتقويم النص، وهذا النقص وحده يُخرج جميع تلك الطبعات عن حد التحقيق الذي وضعه كبار المحققين لمعنى التحقيق.

يقول أ.د. عبد الرحيم عسيلان في كتابه تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل^(١) في المدلول الاصطلاحي لمعنى التحقيق: «وهو الذي يتمثل في إخراج الكتاب على أسس صحيحة محكمة من التحقيق العلمي في عنوانه، واسم مؤلفه، ونسبته إليه، وتحريره من التصحيف والتحريف والخطأ والنقص والزيادة، أو إخراجه بصورة مطابقة لأصل مؤلفه أو الأصل الصحيح الموثوق إذا فقدت نسخة المؤلف»، ويقول أيضاً: «ويبدو أن جمهرة من الذين صنفوا في أصول تحقيق المخطوطات يركزون في تعريفهم للتحقيق على إخراج النص بالنسبة التي جاءت عند المؤلف. ولا مراعاة في أن الغاية القصوى من التحقيق تتجه إلى تحرير النص وقراءته قراءة صحيحة على النحو الذي جاء به عند مؤلفه، ومع ذلك فيما أرى يقتضي التحقيق الحرص على اختيار النسخ المعتمدة للتحقيق، وتحديد أصل منها،... إلى قوله: ومقابلة الأصل بالنسخ الأخرى المختارة، وإثبات الفروق المناسبة في حاشية التحقيق... وعلى هذا درج كبار المحققين في عصرنا كما يبدو من نهجهم العملي الذي قاموا بتحقيقه من المخطوطات مثل أحمد زكي، والشيخ محيي الدين عبد الحميد، وأحمد محمد شاكر، وأخيه محمود محمد شاكر، وعبد السلام هارون، ومحمد أبي الفضل

إبراهيم، وأحمد صفر وغيرهم^(١).

فمما سبق يتضح أن مفهوم التحقيق يتجه بالدرجة الأولى إلى الاهتمام بنص الكتاب من حيث ضبطه ومعالجة نصوصه وإثبات فروق النسخ؛ لاحتمال أن يكون ما بتلك النسخ هو الصواب، وأما من لم يفعل ذلك فلا يحق له أن يكتب على عمله: حققه فلان، وإنما من الأمانة العلمية أن يكتب عليه الجهد الذي قام به في الكتاب كأن يقول: خرّج أحاديثه، أو علق عليه، لأن هذه الأمور من مراحل التحقيق، وليست هي كل التحقيق، ويسمى بعض المحققين هذه المرحلة بمرحلة تخريج النصوص والتعليقات^(٢) وهي مرحلة مهمة في التحقيق دون شك، وإن كانت اهتمامات بعض المحققين الذين لهم خبرة في التحقيق كالأستاذ عبد السلام محمد هارون تتجه بالدرجة الأولى إلى معالجة مشاكل النص: بتصحيح أخطائه من تصحيف وتحريف، وزيادة ونقص، وإثبات فروق النسخ في أعمالهم التحقيقية^(٣).

ومما يُذكر هنا للأخ البسطويسي أنه كتب على عمله في كتاب التذكرة: خرّج أحاديثه، ولم يقل حققه؛ لأنه اهتم بعمل معين فذكره، وأما مفهوم التحقيق فيدخل فيه بالإضافة إلى معالجة النصوص وإثبات الفروق بين النسخ: تخريج الآيات والأحاديث وتوثيق النصوص... إلى غير ذلك من التعليقات التي تخدم الكتاب.

الملحوظة الثالثة: خلت بعض طبعات الكتاب تماماً من عزو النصوص إلى مصادرها، عدا بعض الطبعات فقد عزت عدداً من النصوص الحديثية فقط إلى مظانها - تتفاوت الطبعات في ذلك - وحتى هذه الطبعات إنما اكتفت في توثيق النصوص الحديثية بإثبات الجزء والصفحة أو الكتاب والباب اللذين ورد

(١) تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل ص(٣٦ - ٣٧)، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية.

(٢) انظر: تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل ص(٢٠٩).

(٣) انظر: الكتب التي حققها عبد السلام محمد هارون، وكذلك كتاب تحقيق النصوص ونشرها له، أول كتاب عربي في هذا الفن، يوضح مناهجه ويعالج مشاكله.

فيهما الحديث دون مقابلة النصوص التي في كتاب التذكرة بما في تلك المصادر التي نُقلت منها، ومثل تلك المقابلات لها فوائد منها:

١ - تبين دقة المؤلف في نقله في مصادره.

٢ - تقوي من احتمال صحة المتن الموجود في الأصل إن كان موافقاً لمصدره، أو تقوي صحة ما في النسخ الأخرى إن كانت متوافقة أو بعضها مع مصدر المؤلف، مثال ذلك: جاء في متن المؤلف في نسخة الأصل الجملة التالية: «إذا دفن العبد المؤمن قال له القبر: مرحباً وأهلاً أما إن كنت لأحب من يمشي على ظهري فإذا وليتكَ اليوم وصرت إلي فسترى صنيعي بك، قال: فيتسع له مد بصره»، فكلمة: «قال» ليست في نسخة (ع) ونسخة (ظ)، والنسخة التي اتخذها أصلاً متوافقة مع سنن الترمذي أي أن كلمة (قال) كما هي موجودة في النسخة الأصل فهي أيضاً في سنن الترمذي وهو مصدر المؤلف.

وفي نفس النص السابق جاء ما يلي: «إذا وليتكَ اليوم فصرت إلي فسترى صنيعي»، وجاء في نسخة (ع) ونسخة (ظ) وسنن الترمذي: (وصرت) بدلاً من (فصرت) التي جاءت في الأصل، بل جاءت زيادة في سنن الترمذي لا توجد في جميع النسخ سواء الأصل أو نسخ المقابلة، فالذي في النسخ الخطية ما يلي: (قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب) وجاء في سنن الترمذي زيادة (هذا حديث حسن غريب لا يعرفه إلا من هذا الوجه)، فعلى فرض أن المصنف ذكر حكم الترمذي مختصراً، فإن إثبات تلك الزيادة كفرق مهمة؛ لأن الإمام الترمذي رحمته الله لو لم ير فائدتها لاكتفى في الحكم على ما اكتفى به المصنف.

٣ - تحلُّ مقابلة النصوص التي في متن المصنف مع مصادرها بعض الإشكالات، فعلى سبيل المثال: جاء في متن كتاب التذكرة في جميع نسخ الكتاب الخطية التي اعتمدها ما يلي: «مسلمٌ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله^(١): كيف أقول إذا دخلت المقابر؟ قال: «قولي السلام على أهل

(١) تأخر عبارة (يا رسول الله) في صحيح مسلم إلى ما بعد كلمة: لهم.

الذيار من المؤمنين والمسلمين، ويرحمُ اللهُ المُستقْدِمِينَ منا، والمُسْتَأْجِرِينَ،
وَأَنَا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لِأَجْفُونَ»^(١)، خرَّجه مسلم^(٢)، هكذا جاء متن هذا
الحديث في نسخة الأصل ونسخة (ظ)^(٣).

وأما لفظ الحديث في صحيح مسلم فهو على النحو التالي: «قالت:
قلت: يا رسول الله كيف أقول لهم؟ قال: قولي السلام على أهل الديار...»
الحديث، فعبارة: «إذا دخلت المقابر»، ليست في صحيح مسلم، ومثل هذا
الإدراج له خطورته بحيث يؤثر في الاستدلال بالحديث فيكون إقراراً من
النبي ﷺ في محل النزاع في زيارة النساء للقبور^(٤).

ولم ينبه على هذا الإدراج أحد ممن خرَّج أحاديث كتاب التذكرة، ولا
يمكن أن يُكْتَشَفَ أو يُعْرَفَ مثل هذا الإدراج إلا بمقابلة نصوص المؤلف
المنقولة من المصادر بالنصوص الموجودة في تلك المصادر.

الملحوظة الرابعة على الطبقات السابقة: خلو تلك الطبقات من تراجم
الأعلام الواردين في الكتاب، وفائدة التراجم لا تخفى، فهي تبين الصفة
العلمية والتاريخية للمترجم له، وبالتالي إن كان لصاحب الترجمة قول يستشهد
به فإن قوله يكتسب قبولاً في النفس لمكانة صاحب القول العلمية، وكلما كان
متقدماً اكتسب قوله قوة لقربه من عهد النبوة والقرون المفضلة.

الملحوظة الخامسة: خلو الطبقات السابقة تماماً من ضبط الكلمات التي
تحتاج إلى ضبط، والذي بعده قد يصبح المعنى محتملاً لغير المراد.

الملحوظة السادسة: الدراسة التي عملت للمؤلف والكتاب في الطبقات
السابقة لا تتناسب ومكانة الكتاب وأهميته، ومكانة مؤلفه.

الملحوظة السابعة: من المعلوم أنه لا تكاد تسلم نسخة خطية من

(١) في (صحيح مسلم): للاحقون.

(٢) في صحيحه ٦٧١/٢، ح ٩٧٥.

(٣) لم أشر إلى نسخة (ع)؛ لأن الباب الذي فيه هذا الحديث ليس في نسخة (ع).

(٤) انظر: تفاصيل المسألة ص (١٣٠) من الكتاب.

التصحيف والتحريف^(١) والزيادة والنقص، وغير ذلك من الأخطاء التي تنشأ من النساخ لا محالة، فمن الملاحظ على جميع تلك الطبعات عدا طبعة د. السقا عدم الإشارة إلى مصادر إكمال النقص، أو إصلاح الخطأ في نسخهم، فلا أدري هل أكملوا ما فيها من نقص، وصححوا ما بها من تصحيف وتحريف بأجتهاداتهم، أم من الطبعات التي سبقتهم دون الإشارة إلى ذلك.



(١) المراد بالتصحيف: الالتباس الذي قد يقع في نقط الحروف المتشابهة الشكل كالباء والتاء والثاء، والجيم والحاء والخاء، والذال والذال. والراء، والزاي، والسين والسين.

وأما التحريف: فهو خاص بتغيير شكل الحروف ورسمها كالدال والراء، والنون والزاي. انظر: تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون ص(٦٧).

المبحث الثاني

وصف المخطوطات

لكتاب التذكرة نسخ عديدة من المخطوطات وقفت عليها من خلال الاطلاع عليها في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ومكتبة المسجد النبوي الشريف، ومكتبة المحمودية، ومكتبة عارف حكمت، كلنا الأخيرتين بمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة النبوية، ومكتبة المسجد الحرام بمكة المكرمة، ونسخ أخرى اطلعت على معلومات عنها عن طريق الفهارس: كالفهرس الشامل لآل البيت بالأردن، وفهرس معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية، وفهرس المكتبة الظاهرية بسوريا، وفهرس دار الكتب المصرية بالقاهرة، وفهرس مكتبة شسترتي بإيرلندا الشمالية، وغير ذلك من الفهارس. ومن خلال البحث انتخبت أربع مخطوطات للعمل من خلالها في تحقيق الكتاب وهي على النحو التالي:

الأولى: نسخة بخط المصنف رحمته:

مصدر النسخة:

عثرت على معلومات أولية عنها في فهرس مكتبة شسترتي بإيرلندا الشمالية، حيث جاء عنها أنها بخط المصنف ثم ضوّر في الفهرس الصفحة الأولى والأخيرة من النسخة والتي جاء فيها: «بخط مصنفه العبد الفقير إلى ربه محمد بن أحمد». وقد تزامن العثور على تلك المعلومات مع خبر يفيد أن الشيخ مشهور حسن آل سلمان، حفظه الله - من أبرز تلاميذ الشيخ الألباني رحمته بالأردن - يمتلك أيضاً نسخة بخط المصنف، فاتصلت هاتفياً على الشيخ مشهور الذي أكد لي المعلومة، فاستأذنته في تصويرها فأذن لي، جزاء الله خيراً على

ذلك التعاون الكريم. كما أشكر الأخ الزميل عمر ماجد كيال بالأردن الذي ساعدني في عملية التصوير والإرسال، وبمقارنة معلومات ونماذج صور نسخة مكتبة شستر بتي مع النسخة المرسله من الشيخ مشهور وجدت هذه الأخيرة عبارة عن صورة من نسخة شستر بتي.

محاولات التأكد من أن النسخة بخط مصنفها:

بعد وصول هذه النسخة حاولت البحث عن أدلة وقرائن من المخطوطة أطمئن بها إلى النسخة بخط مصنفها فكان من ذلك ما يلي:

أولاً: جاء على الصفحة الأخيرة منها قول المصنف بعد نهاية الكتاب: «سأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يتوفانا مسلمين وأن يلحقنا بالشهداء والصالحين، وأن يجعلنا من عباده المتقين، وأن يجعل ما كتبناه خالصاً لوجهه بمنه وكرمه، وأن يتفعلنا به ووالدينا ومن أراده وقرأه أمين أمين إنه سميع الدعاء قريب مجيب، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين، ورحم الله عبداً دعا بالمغفرة والتوبة أمين، بخط مصنفه العبد الفقير إلى ربه محمد بن أحمد، غفر الله له ورحمه أمين: ناولتُ جميع هذا الكتاب ضياء الدين أحمد بن أبي السعود بن أبي المعالي البغدادي المعروف بالسطرجي، وأذنت له أن يناوله من يشاء، قاله مصنفه محمد بن أحمد بتاريخ الثامن والعشرين لشهر شعبان سنة ست وخمسين وستمائة، حامداً لله تعالى ومصلياً على نبيه محمد المصطفى»، فمن النص السابق يتبين ما يلي:

١ - تشابه العبارات بين مقدمة المؤلف والخاتمة التي بين فيها أن ما كُتِبَ بخط المصنف حيث جاء في مقدمة المؤلف: «جعله الله خالصاً لوجهه بمنه وكرمه»، وجاء في الخاتمة: «وأن يجعل ما كتبناه خالصاً لوجهه بمنه وكرمه». ومن ذلك أيضاً ما جاء في مقدمة المؤلف: «قال العبد الفقير إلى ربه المتنصل من ذنبي الراجي رحمة ربه محمد بن أحمد...»، وهذا مشابه لما في الخاتمة حيث قال: «بخط مصنفه العبد الفقير إلى ربه محمد بن أحمد، غفر الله له ورحمه أمين». ومثل هذا التشابه يبعد أن يكون من كاتب غير المصنف.

٢ - جاء أيضاً في الخاتمة: «وأن ينفعنا به ووالدينا ومن أُراده وقرأه أمين أمين إنه سميع الدعاء قريب مجيب»، ومثل هذا الدعاء لا يكون من مجرد ناسخ عادي؛ لأن من قرأ كتاباً فأُراده ورغب فيه وأحبه لا تنجيه إليه عادة دعوة الناسخ العادي، بل الناسخ العادي يطلب ممن يقرأ الكتاب أن يدعو له، ولا يكون الدعاء للقارئ عادة إلا من مؤلفه.

٣ - جاء أيضاً في خاتمة هذه النسخة ما يلي: «بخط مصنفه العبد الفقير إلى ربه محمد بن أحمد، وجاء أيضاً في الخاتمة: «قاله مصنفه محمد بن أحمد، فمثل هذا التنصيص بأنه بخط مصنفه، وأنه قاله مصنفه ثم يذكر اسم المصنف نفسه أقرب ما يكون إلى أنه من صنع المصنف نفسه، واتهام النسخ بالانتحال هذا خلاف الأصل وإن كان محتملاً، إلا أنه احتمال لا يصل إلى حد الارتباب في النسخ، وإنما يطلق العاملون في مجال التحقيق مثل ذلك الاحتمال للمزيد من التحري في إثبات أن النسخة بخط مصنفها، أو أن يكون هناك أمر مريب ظاهر في النسخة يدعو للشك.

٤ - كما جاء أيضاً في الخاتمة أن المصنف ناول الكتاب إلى غيره، وأنه أذن له أن يناوله إلى غيره، فهذه حقوق للمؤلف ليست للناسخ، تنازل عنها خطأً للشخص المذكور، ولا يكون مثل هذا إلا من المصنف.

٥ - جاء في الخاتمة أيضاً تاريخ مناولة المصنف الكتاب للشخص المذكور: «قاله مصنفه محمد بن أحمد بتاريخ الثامن والعشرين لشهر شعبان سنة ست وخمسين وستمائة، فالمصنف ناول هذا الكتاب لغيره في تلك السنة وعاش بعدها خمس عشرة سنة، والناسخ المدلس قد لا يكون ذكياً بكتابة تاريخ نسخ في حياة المصنف؛ ووفاة المصنف في سنة ٦٧١هـ ثم يذكر أنه بخط مصنفه، كما أن تاريخ الفراغ من النسخ يُثبت عادة إذا كان الناسخ اعتمد على نسخة أخرى نسخ منها، فلما لم يُذكر تاريخ نسخ، وذكر تاريخ مناولة قوياً احتمال أنها بخط المصنف.

٦ - قدّم هذه النسخة التي أثرت الرطوبة فيها فكثرت فيها الخرم، كذلك مما يدل

على قدامها، ويرجح أنها كانت مسودة للمؤلف كثرة الأبواب والفصول والمسائل التي خلّت منها هذه النسخة مما يدل على أن المؤلف كان يضيف إليها ويزيد؛ وذلك لأن ما بين مناولتها إلى وفاة المؤلف فترة طويلة تكفي لعمل التنقيحات.

٧ - العناية الفائقة بالنص؛ حيث كان مضبوطاً بالتشكيل في معظم كلماته، وهذا عمل صعب جداً ويحتاج إلى وقت وجهد وعلم بالنحو، ومثل هذا لا يعتني به عادة إلا مؤلفو الكتب أنفسهم.

٨ - كثرة الزيادات والإضافات التي توجد بهوامش النسخة بحيث يبدو أن تكون من مقابلات ناسخ عادي، أو من تعليقات بعض أهل العلم، بل في كثير من الأحيان ما تكون الزيادات أبواباً أو فصولاً، والناسخ العادي قد تفوته كلمة أو عبارة فيستدركها في التصحيح بالمقابلة، وأما تلك الزيادات الكثيرة فتدل على أن المصنف كان يضيف إلى ما كتب سابقاً ويحرر فيه، كما في ل/١ ب، ل/٥ ب، ل/٦ ب، ل/١٠ ب، ل/١١ أ، ل/١٢ أ، وهو كثير جداً.

٩ - كتب النسخة بخط مغربي، والمصنف من أهل الأندلس الذين عاشوا ارتباطاً وثيقاً بالمغاربة.

١٠ - جاء في صفحة الغلاف اسم الكتاب كما ذكره المصنف في مقدمة كتابه تماماً، حيث جاء فيها: «كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة»، ثم كتب تحت اسم الكتاب في ورقة الغلاف: «تصنيف العبد الفقير إلى ربه محمد بن أحمد القرطبي غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين أجمعين إنه سميع الدعاء قريب مجيب»، وعادة النساخ تفخيم مؤلفي الكتب كقولهم: الإمام العلامة الممتن... إلخ، وعبارات المصنفين تحيل عادة عبارات التواضع.

١١ - حلّت هذه النسخة إشكالات وردت في النسخ الأخرى، ورجحت الصواب فيها، كما سير قريباً إن شاء الله في ص (٨٥).

هذه الأمور مجتمعة جعلتني أطمئن لهذه النسخة أنها بخط المصنف، وإن كان من بين تلك المرجحات ما هو من قبيل القرائن.

تاريخ النسخ:

لم يرد في المخطوطة تاريخ نسخ، وإنما ورد فيها تاريخ مناولة حيث جاء في الصفحة الأخيرة ما يلي: «ناولت جميع هذا الكتاب ضياء الدين أحمد بن أبي السعود بن أبي المعالي البغدادي المعروف بالسطريجي، وأذنت له أن يناوله من يشاء، قاله مصنفه محمد بن أحمد بتاريخ الثامن والعشرين لشهر شعبان سنة ست وخمسين وستمائة، حامداً الله تعالى ومصلياً على نبيه محمد المصطفى»، وبين تاريخ المناولة وتاريخ وفاة المصنف ٦٧١هـ خمس عشرة سنة.

عدد اللوحات والأسطر والكلمات:

عدد لوحات هذه النسخة ٢٧٥ لوحة، وعدد الأسطر في كل صفحة ما بين (١٨ إلى ٢٠) سطراً، أما عدد الكلمات فيتراوح ما بين (٨ إلى ١١) كلمة في السطر الواحد.

من منهج المصنف في نسخ كتابه:

للمصنف منهج درج عليه في جميع ما كتب، وأهم ما تبين لي منه ما يلي:

١ - إذا أراد أن بلغني كلمة فإنه لا يضرب عليها بكشطها، وإنما يضع فوقها حرف (م) ثم يكتب الكلمة الصحيحة في الهامش، ويكتب فوقها كلمة (صح) كما في اللوحة ٥/أ.

٢ - يحافظ على ترتيب الأسطر بأن تنتهي محاذية لبعضها البعض ولو أدى ذلك لأن يقطع الكلمة بحيث يجعل بعضاً منها في آخر السطر وباقيها في بداية السطر التالي كما في اللوحة ٧/أ السطر الثامن من أسفل حيث جزأ كلمة (الإحساس) فجعل (الإ) في سطر، وباقي الكلمة (حساس) في السطر الذي يليه، وكما في ل ١٦/أ السطر الرابع من أعلى حيث جزأ كلمة (استوفيته) فجعل (استو) في نهاية السطر و(فيتته) في بداية السطر الذي يليه، ومثل هذا المنهج في التقطيع قد يُشكّل على القارئ إذا لم يتنبه له.

٣ - إذا أراد أن يدرج كلمة أو جملة كتبها في الهامش ووضع في المكان الذي يريد أن يجعل فيه الكلمة علامة إلحاق هكذا (-)، كما في ل/٩ ب السطر السادس من أعلى، وأيضاً في ل/١٠ أ السطر الأخير منها.

٤ - يكتب عنوانين الأبواب والفصول بخط سميك، وكذلك بعض الكلمات والعبارات خاصة عند تعليقات المصنف وتدخلاته فيكتب (قلت) بخط سميك، كذلك يكتب أسماء أصحاب الكتب الحديثية التي ينقل عنها بخط سميك، ومعرفة مثل هذا المنهج يحل بعض الإشكالات التي لا يمكن أن تُحلّ بغير الوقوف على نسخة المصنف ومعرفة منهجه في الكتابة، ومما يؤيد ذلك ما جاء في متن المؤلف: «مسلم^(١) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت يُضْرُّ نزل به، فإن كان لا بُدَّ متمنياً قُبِّلَ: اللهم أخيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي» أخرجه البخاري^(٢)، وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت ولا يدعُ به من قُبِّلَ أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً»^(٣).

فقد أشكل عليّ مرجع الضمير في قول المصنف (وعنه)، فإن قصد به أنساً رضي الله عنه وهو راوي الحديث المتقدم فيكون وهماً؛ لأن اللفظ الذي ساقه من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، وإن قصد به البخاري وهو أقرب مذكور فالحديث ليس من رواية البخاري وإنما من رواية مسلم، وإن أرجع الضمير إلى مسلم وهو أبعد مذكور فيكون قد راعى منهجه الذي سار عليه في كتابه من كتابة اسم صاحب الكتاب الذي ينقل عنه بخط سميك، وقد كتب كلمة (عنه) بخط سميك، وأقرب صاحب كتاب نقل عنه كُتِبَ بخط سميك هو مسلم رضي الله عنه والحديث فيه؛ فعلى هذا المنهج يكون قد زال الإشكال عندي في إرجاع الضمير والحمد لله رب العالمين.

(١) في صحيحه ٤/٢٠٦٤، ح ٢٦٨٠. (٢) في صحيحه ٥/٢٢٣٧، ح ٥٩٩٠.

(٣) أخرجه مسلم ٤/٢٠٦٥، ح ٢٦٨٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عيوب هذه النسخة:

على الرغم من أن المحقق لأي كتاب يرجو أن يظفر بنسخة المؤلف؛ لاتخاذها أصلاً للتحقيق إلا أن النسخة هذه التي بين أيدينا من الواضح أنها كانت مسودة ولم تكن النسخة النهائية أو الأخيرة، بدليل عدم اشتغالها على الكثير من الأبواب والفصول التي توجد في بقية النسخ الأخرى، هذا بالإضافة إلى مشاكل الرطوبة التي تكثر في ثلثيها الثاني والثالث. إلا أن فرص الاستفادة من هذه النسخة متاحة، وذلك في حل مشاكل النسخ الأخرى، وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف (م) إشارة إلى مسودة المؤلف.

الثانية: نسخة أحمد الثالث بتركيا:

معلومات الغلاف:

جاء في صفحة الغلاف ما يلي: «كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تصنيف الشيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي ثم القرطبي تغمده الله برحمته»، وسيأتي أن اسم جد المؤلف الصحيح (فرج) في التعليق عليه في موضعه من مقدمة الكتاب.

مصدر النسخة:

صوّرت لي هذه النسخة من معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية في مصر، وعلى غلاف هذه النسخة معلومات تفيد أنها مصورة من مكتبة أحمد الثالث بتركيا.

تاريخ النسخ:

جاء في الصفحة الأخيرة من هذه النسخة ما يلي: «ووافق الفراغ من نسخته في منتصف شهر رمضان المعظم قدره من شهور سنة الثنتين وسبعين وسبعمائة على يد أقل عباد الله وأحوجهم إلى لطفه الخفي: الحسن بن علي بن منصور بن ناصر الحنفي»، وبين تاريخ نسخ هذه المخطوطة وتاريخ وفاة المؤلف في عام ٦٧١هـ (١٠١١) سنة.

عدد اللوحات وعدد الأسطر والكلمات في كل صفحة:

بلغ عدد لوحات هذه النسخة مائتين وخمسين لوحة (٢٥٠)، وعدد الأسطر في كل وجه خمسة وعشرين سطراً، وعدد الكلمات في كل سطر تتراوح ما بين (١٤ إلى ١٧) كلمة.

نوع الخط:

نسخي معتاد.

منهج النسخ في نسخ المخطوطة:

- ١ - إذا كان عنوان الباب طويلاً يكتب بعضه بخط سميك ويكتب البعض الآخر في السطر التالي بنفس خط المتن، انظر ل٦/ب سطر ٦ من أعلى، ول١٣/أ سطر ٩ من أسفل.
- ٢ - يراعى ترتيب الأسطر ولو أذاه ذلك إلى تقطيع الكلمة بحيث يجعل بعضها في سطر وبقيتها في السطر الذي يليه كما في ل١٨/ب سطر ٢ من أعلى حيث جعل كلمة (وقارا) في سطرين (وقا) في سطر و(ارا) في سطر آخر، كذلك إذا انتهى السطر وتمت المحاذاة بالسطر الذي فوقه يجعل بقية أحرف الكلمة فوق نفس الكلمة كما في ل٦/ب سطر ٧ من أسفل، وأحياناً يكمل السطر ليتساوى مع الذي قبله بالرمز (٠).
- ٣ - يجعل فوق بعض الأحرف المهملة رمزاً هكذا (٧) للتفريق بينها وبين المعجمة كما في ل٢/أ سطر ١٢ من أعلى، ول٢/ب سطر ٨ من أسفل.
- ٤ - إذا أراد أن يلغي كلمة أو عبارة جعل فوقها رمزاً هكذا (ـ) ويكتب الصحيح في الهامش كما في ل٦/أ سطر ٨ من أسفل، ول٩/أ سطر ٢ من أسفل.
- ٥ - إذا سقطت كلمة من الجملة وأراد إلحاقها جعل في موضعها علامة إلحاق هكذا ()، ثم كتبها في الهامش وكتب فوقها كلمة (صح) كما في ل١١/أ سطر ٥ من أسفل، وسقط الكلمات قليل في هذه النسخة، وإنما سقطت بعض الأبواب والفصول في ثلثها الأخير.

٦ - ضبط الناسخ كثيراً من كلمات الكتاب.

مزايا هذه النسخة وأسباب اختياري لها لتكون أصلاً للتحقيق.

- قد اخترت هذه النسخة لتكون أصلاً اعتمد عليه في التحقيق للأسباب

الآتية:

- لأنها أقرب النسخ الخطية الثامنة التي عثرت عليها تاريخياً لعصر المؤلف فقد نسخت في سنة (٧٧٢هـ) وتوفي المؤلف في سنة (٦٧١هـ)، فيبينهما نحو (١٠١) سنة.

- ولأنها أكثر النسخ موافقة لمسودة المؤلف ومصادره في حال الفروق بين النسخ، مما يعني قلة الأخطاء التي تقع من النساخ بسبب قربها من عصر المؤلف.

- وللتشابه العام بين هذه النسخة وبين مسودة المؤلف، ويتمثل هذا التشابه في الآتي:

١ - التطابق في كتابة اسم الكتاب صحيحاً كما في مقدمة المؤلف.

٢ - التشابه في الافتتاحية.

٣ - ضبط كثير من كلمات النسختين بالحركات.

٤ - تسميك بعض الكلمات التي قد سمكها المؤلف في مسودته.

٥ - استعمال كلمة «قلت» عند قول المؤلف في أغلب الأحيان كما هو الحال في مسودة المؤلف.

٦ - وللتشابه في تقطيع الكلمات من أجل المحافظة على مساواة الأسطر، كما كان يفعل المصنف، وقد مرت نماذج على ذلك قريباً.

٧ - ولأن الناسخ كتب بالهامش جملة (بلغ مقابلة) في مواضع عديدة من هذه النسخة للدلالة على أنه قابل نسخته إما على النسخة التي نسخ منها، أو على نسخة المصنف، أو قابلها على نسخة مصححة على نسخة المصنف، انظر ل٨/أ، ول١٣/أ، وغيرها من اللوحات، ونتيجة للتشابه الكبير بين

هذه النسخة ونسخة المصنف فمن المرجح أن الناسخ قابل عليها؛ ولأن هذا التشابه لا يوجد في بقية النسخ الأخرى.

٨ - قلة السقط في هذه النسخة خاصة في ثلثيها الأول والثاني.

عيوب هذه النسخة:

أهم عيوب هذه النسخة وجود سقط في ثلثها الأخير، كما يوجد آثار طمس بالحبر الأسود في مواضع منها، كما يوجد بياض في بعض أوجه اللوحات بسبب في عدم وضوح بعض الكلمات والأحرف.

الثالثة: نسخة المكتبة الشوقية بمصر:

معلومات الغلاف ومصدر النسخة:

حمل الغلاف معلومات فهرس المكتبة الشوقية التي ذكر فيها رقم المخطوط، واسم الكتاب، واسم المؤلف، وتاريخ النسخ، وعدد الأوراق. وهذه النسخة صورت لي من معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة.

تاريخ النسخ:

جاء تاريخ نسخ المخطوطة ضمن معلومات الناسخ التي قال فيها: «كملت التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، على يد العبد الفقير إلى رحمة ربه القدير: عبد الله بن يوسف بن عباس الغزي، . . . بتاريخ نهار الأربعاء من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانمائة، والحمد لله رب العالمين». فيكون بين تاريخ نسخ هذه النسخة وبين وفاة المؤلف (١٣٨) سنة.

عدد اللوحات والأسطر والكلمات:

بلغ عدد اللوحات مائتين وثلاث عشرة لوحة (٢١٣) لوحة، وعدد الأسطر في كل وجه من اللوحة يتراوح ما بين سبعة وعشرين وثمانية وعشرين سطرًا، وعدد الكلمات في كل سطر يتراوح ما بين ست عشرة إلى ثماني عشرة كلمة.

نوع الخط:

نسخي معتاد.

من مزايا هذه النسخة:

تلي هذه النسخة نسخة الأصل من حيث الأهمية وذلك لسببين:

الأول: قرب سنة نسخها من سنة وفاة المؤلف فبينهما ١٣٨ سنة، وبالتالي بينها وبين تاريخ النسخة التي اعتمدها أصلاً ٣٧ سنة تقريباً.

الثاني: عليها مقابلات، حيث جاء في اللوحة الأخيرة منها معلومة مهمة وهي: (بلغ مقابلة وتصحيحاً على نسخة مصححة على نسخة المصنف رحمه الله تعالى)، ورمزت لهذه النسخة بالحرف (ع).

عيوب هذه النسخة:

من أهم عيوب هذه النسخة وجود قطع في عدد من لوحاتها بسبب التصوير الذي تسبب في مسح ثلث اللوحة في كلا الوجهين عند كل موضع قطع، كذلك وجود سقط في بعض الأبواب والجمل المتفرقة. بالإضافة إلى عدم وضوح أكثر عناوين الأبواب؛ ولعل السبب في ذلك كتابتها بالألوان، فلم تظهر في التصوير بسبب ذلك.

الرابعة: نسخة المكتبة الظاهرية:

معلومات الغلاف:

جاء في صفحة الغلاف (كتاب تذكرة القرطبي)، ثم ذكرت أوصاف للمصنف ثم اسمه.

مصدرها:

صورت لي هذه النسخة من دار الكتب الظاهرية بدمشق (مكتبة الأسد حالياً).

تاريخ النسخ:

جاء في آخرها: (تم والحمد لله أولاً وآخراً... في الثاني عشر من شهر رمضان سنة ١٠٠٠) ولم أستطع استظهار باقي تاريخ النسخ.

عدد اللوحات وعدد الأسطر والكلمات:

بلغ عدد اللوحات ٢٦٤ لوحة، في كل وجه منه واحد وثلاثون سطراً، وعدد الكلمات يتراوح ما بين ست عشرة إلى تسع عشرة كلمة.

من مزايا النسخة:

عليها مقابلات في مواضع كثيرة من لوحاتها، وجاء في اللوحة الأخيرة منها: (بلغ قراءة وتصحيحاً على الأصل)، وقد رمزت لها بالحرف (ظ)، وهذه النسخة تأتي في المرتبة الثالثة في الجودة مقارنةً مع نسخة الأصل ونسخة (ع).

عيوب هذه النسخة:

أهم عيوب هذه النسخة كثرة السقط الناتج عن نقل نظر الناسخ، وهو أمر يندر في النسخ الأخرى، كذلك يزيد فيها التصحيف مقارنةً مع النسخ الأخرى.



الفصل الثالث

المنهج في التحقيق

أولاً: ضبط النص وتقويمه:

١ - إذا وجدت تصحيحاً أو تحريفاً في الأصل أثبت الصواب في المتن دون جعل معقوفتين؛ لأنه ليس نقصاً في الأصل، ثم أشير في الحاشية إلى التصحيح الذي كان في الأصل وإلى النسخ أو المصادر التي تم منها التصويب هكذا: في الأصل: يفجر، والتصويب من (ع، ط، وديوان أبي العتاهية)^(١).

٢ - لا أشير في الحاشية إلى التصحيحات أو التحريفات، أو الأخطاء الناشئة عن الزيادة أو النقصان في أحرف الكلمة، التي في النسخ الأخرى؛ لتجنب إثقال الحواشي من غير فائدة، فعلى سبيل المثال في نسخة (ع) لـ ١/ب سطر ١٣ من أعلى: «حدثنا أبو قتيبة بن سعيد»، وصوابه: حدثنا قتيبة بن سعيد، مثال آخر في لـ ٣/١ سطر ٨ من أعلى: فأصابه مستيقصاً ومُشمراً، والصواب: فأصابه متيقظاً ومُشمراً. ومن الأمثلة في نسخة (ط)، في لـ ٦/ب سطر ٨ من أعلى: «قاله الله عباد الله اذكر الموت الذي لا بد منه واسمعوا...». وصوابه: اذكروا الموت...، وعلى مثل هذه الأمثلة يقاس نوع الأخطاء التي في نسخ المقابلة التي لا أثبت في الحاشية، وإنما أثبت اختلاف عبارات النسخ الأخرى عما في الأصل، فمن أمثلة ذلك: جاء في الأصل ما يلي: نقلته من

(١) إشارة إلى التصحيح الذي وقع في بيت أبي العتاهية:

ما بسأل من أوئسه نطقاً وجيفةً آخيره يفسخُرُ

كتب الأئمة وثقات أعلام هذه الأمة، وجاء في نسخة (ع): وثقات الأعلام لهذه الأمة، وجاء في نسخة (ظ): وثقات هذه الأمة.

٣ - في بعض الفروق بين الأصل والنسخ الأخرى أجد أن ما بالأصل يستقيم به المعنى لكنه يختلف في العبارة مع النسخ الأخرى علماً بأن النسخ الأخرى قد تتفق إما مع مسودة المؤلف أو مصدره أو معهما، مثال ذلك: في (الأصل): برحم الله المستقدمين والمتأخرين، وفي نسخة (ع، ظ، وصحيح مسلم مصدر المؤلف): والمستأخرين.

مثال آخر: في (الأصل): فرأى ناساً، وفي (ع، ظ، والتمهيد مصدر المؤلف): فرأى قوماً.

مثال آخر: في (الأصل): مع البشري والتحف والكرامة، وفي نسخة (ع، ظ، ومسودة المؤلف، ومصدر المؤلف): مع البشري والتحف والكرامات. فبالنظر إلى الهدف الكلي من تحقيق الكتب نجده يركز على إخراجها في أقرب صورة تركها عليها مؤلفوها، فبالنظر إلى هذا الهدف أجد أن النهج الأمثل أن أثبت ما في النسخ التي تتفق مع مسودة المؤلف ومصدره في المتن؛ لأن وجود النص في المسودة ووجوده أيضاً في تلك النسخ يدلنا على أن المؤلف أبقى تلك العبارة في آخر النسخ المصححة عنده، وكذلك وجود العبارة في النسخ الأخرى ووجودها في مصدر المؤلف، ويقوى احتمال أن المخالفة مردها إلى الناسخ؛ لذا أبقى ما في الأصل في الحاشية في هذه الحالة وإن كان المعنى يستقيم به، وأشار إلى أن المثبت من (ع، ظ، ومصدر المصنف أو مسودته) هكذا: في الأصل: ... وما أثبتته من (ع، ظ، م) أو من (ع، ظ، مصدر المصنف)^(١)، وهذا المنهج لا يتوهم مخالفته لمنهج اتخاذ الأصل؛ لأنه مرتبط بمواضع محدودة ومضبوطة بضابط اتفاق نسختين مع وجود مرجع وهو مصدر

(١) فجملة: وما أثبتته من... للدلالة على أن ما بالأصل يصح به المعنى، لكن المثبت من (ع، ظ، م) أو من (ع، ظ، مصدر المصنف)، وأما في حال التصحيف أو التحريف أو الأخطاء التي تكون في الأصل فأقول: والتصويب من (...).

المؤلف، أو مسودته، أو اجتماعهما، أو مصنف آخر للمؤلف فيه ذلك النص.

٤ - إذا انفردت مسودة المؤلف عن بقية النسخ بفرق من الفروق لا أشير إليه في الحاشية لاحتمال أن يكون المصنف قد استغنى عن ذلك في تصحيحاته الأخرى لكتابه، بخلاف مصدر المؤلف فإنه إذا انفرد بفرق من الفروق عن كل النسخ أشير إلى ذلك الفرق الذي انفرد به ذلك المصدر في الحاشية لاحتمال أن يكون المؤلف نقل عن نسخة سقطت منها تلك العبارة، أو وهم فيها المؤلف وتبعه النساخ على ذلك.

٥ - إذا كان في الأصل خرم أو سقط بسبب التصوير أو غيره أكمله من النسخ الأخرى أو مصادر المؤلف وأجعله بين معقوفتين هكذا []، أما إن كان الخرم كبيراً فأجعله بين معقوفتين مزدوجتين هكذا []، ثم أجعل بعده حاشية هكذا: ما بين المعقوفتين من ().

وأما السقط أو الخرم الذي في النسخ الأخرى فأحدد بدايته ونهايته بحواشي فقط ولا أجعله بين معقوفتين.

٦ - إذا كان في الأصل بياض أو طمس كبير أوضحه من النسخ الأخرى ومصادر المؤلف ولا أجعل ذلك بين معقوفتين؛ لأنه ليس سقطاً في الأصل، وإنما أجعل حواشي تحدد بداية ونهاية البياض أو الطمس مشيراً إلى النسخ أو المصادر التي تم منها التوضيح.

٧ - إذا كان في الأصل كلمة أو عبارة وليست في النسخ الأخرى أو مصدر المؤلف مع استقامة المعنى بما في كل من الأصل وبقية النسخ الأخرى أشير في الحاشية إلى أن تلك الكلمة ليست في بقية النسخ، مثال ذلك: جاء في الأصل ما يلي: ذكر أبو نعيم الحافظ بإسناده، وجاء في نسخة (ظ): ذكر أبو نعيم بإسناده، فأجعل حاشية عند كلمة (الحافظ) وأقول: (الحافظ): ليست في (ظ).

٨ - إذا كان في النسخ الأخرى أو مصدر المؤلف كلمة أو عبارة فيها زيادة معنى وليست مجرد فرق عما في الأصل أجعلها في المتن بين معقوفتين،

وأشير إلى ذلك في الحاشية، مثاله: أن رسول الله ﷺ قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه ونعيمه [وخدمه وسروره] مسيرة ألف سنة...»،
فما بين المعقوفتين من بعض النسخ ومصدر المؤلف.

٩ - إذا اتفقت نسختان على كلمة أو عبارة تخالف الأصل وكان الأصل متوافقاً مع مسودة المؤلف أو مصدره أذكر في الحاشية ما في النسختين مع ذكر موافقة الأصل لمصدر المؤلف أو مسودته، يُعْلَم أن للأصل مرجحاً آخر، ولا يعني اتفاق نسختي المقابلة على فرق ما أن ما فيهما هو الصواب، مثال ذلك: في الأصل: «ولهذا استحب العلماء أن يحضر الميت الصالحون، وأهل الخير حالة موته ليذكروه، ويدعوا له ولمن يخلفه ويقولوا: خيراً، فيجتمع دعاؤهم، وتأمين الملائكة فينتفع بذلك الميت، ومن يصاب به، ومن يخلفه»، فجملة: (ويقولوا: خيراً، فيجتمع دعاؤهم، وتأمين الملائكة) ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (مسودة المؤلف (م) ومصدره (المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم)؛ لأن هذه الجملة فيهما وبذلك يُطمئن لعبارة الأصل وإن انفردت عن نسختين أساسيتين في المقابلة.

١٠ - إذا ذكرت فرقاً من نسخة واحدة، فذلك يعني أن بقية النسخ ومصدر المؤلف متفقة مع الأصل.

١١ - لا أشير إلى الفروق التالية في الحاشية: (تعالى، ﷻ)، (ﷺ)، عليه الصلاة والسلام)، (قال المؤلف، قال الشيخ) ونحو ذلك، وأكتفي بما في الأصل.

١٢ - اتبعت منهج المصنف في مسودته بتسميك الكلمات التي كتبها بخط سميك أو التي يُسَمِّكها عادة.

ثانياً: المنهج في تخريج النصوص والتعليق عليها:

١ - أعزو الآيات إلى سورها وأرقامها من المصحف، ثم أشير إلى ذلك في نفس المتن بخط صغير بين معقوفتين كالتالي: [الشورى: ٥].

- ٢ - أعزو القراءات التي وردت في الكتاب إلى من قرأ بها من الأئمة، وذلك من كتب القراءات.
- ٣ - أخرج الأحاديث والآثار التي ينص المؤلف على ذكر مصادرها من تلك المصادر، فإن كان الحديث أو الأثر في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بالعزو لهما أو لأحدهما، أما غير الصحيحين فأخرجه من ذلك المصدر ومن غيره من مصادر التخريج الأخرى مكتفياً ببعضها إن كانت كثيرة، ذكراً رقم الحديث والجزء والصفحة، جاعلاً رقم الحاشية عند ذكر اسم الكتاب المنقول عنه، مثال ذلك: في البخاري (١) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ «...»، أما الأحاديث التي لم يذكر المؤلف لها مصدراً فأجتهد في تخريجها من أي مصدر من مصادر أهل العلم جاعلاً رقم الحاشية عند نهاية تلك الرواية، مثاله: روي عن النبي ﷺ «...» (٢).
- ٤ - أذكر أقوال المحذّثين القدامى والمتأخرين في الحكم على الأحاديث ما وجدت إلى ذلك سبيلاً، فإن لم أجد من حكم عليه من أهل العلم، أجتهد في الحكم عليه من خلال السند، فإن لم يذكر المصنف سنداً أنظر إلى المتن، فإذا تضمن مخالفة لأصل من أصول الدين، أو لما صح من الأحاديث أبين تلك المخالفة.
- ٥ - أوثق أقوال أهل العلم التي يذكرها المؤلف من كتبهم، أو من المصادر التي تنقل أقوالهم قدر الإمكان إن لم أجد كتبهم، أو لم أجد النص فيها.
- ٦ - أتبّه إذا تضمنت الحكايات التي يوردها المصنف على مخالفات عقديّة أو شرعية.
- ٧ - أنعقب المؤلف في المسائل العقديّة التي يخالف فيها معتقد أهل السنة والجماعة بإيراد ردود علماء أهل السنة والجماعة عليها، أو بالتعليق عليها مبيّناً وجه المخالفة والرد عليه.
- ٨ - أنرجم لمن نقل القرطبي عنه قولاً ترجمة موجزة عند أول وروده عدا الصحابة رضوان الله عليهم؛ لأنهم عدول كلهم والجهالة بأحدهم لا

تضر، وإنما أبين أنه صحابي بالترضي عنه بين شرطتين إذا لم يرد الترضي عنه في المتن، وكذلك لا أترجم لأصحاب الكتب الستة والأئمة الأربعة؛ لاستفاضة شهرتهم، ولا أترجم أيضاً لرجال السند في الروايات التي يوردها المؤلف مستندة؛ لكثرتهم إلا إذا كان في السند من ذكر بكنيته أو لقبه فأبين من هو، أو من يدور عليه رد الحديث.

٩ - أكتفي في الغالب في الترجمة بمصدر واحد وهو سير أعلام النبلاء للذهبي؛ لأن الكتاب مخدوم والإحالة إليه تفيد من أراد التوسع في مصادر المترجم لهم.

١٠ - إذا كان مصدر المؤلف مفقوداً، أو مخطوطاً لم أقف عليه، أشير إلى ذلك عند أول وروده في ثنايا الكتاب ثم أحيل إلى موضعه من المقدمة الدراسية، ولا أشير إليه بعد ذلك.

١١ - أشرح الكلمات الغريبة، وأضبط ما يحتاج إلى ضبط.

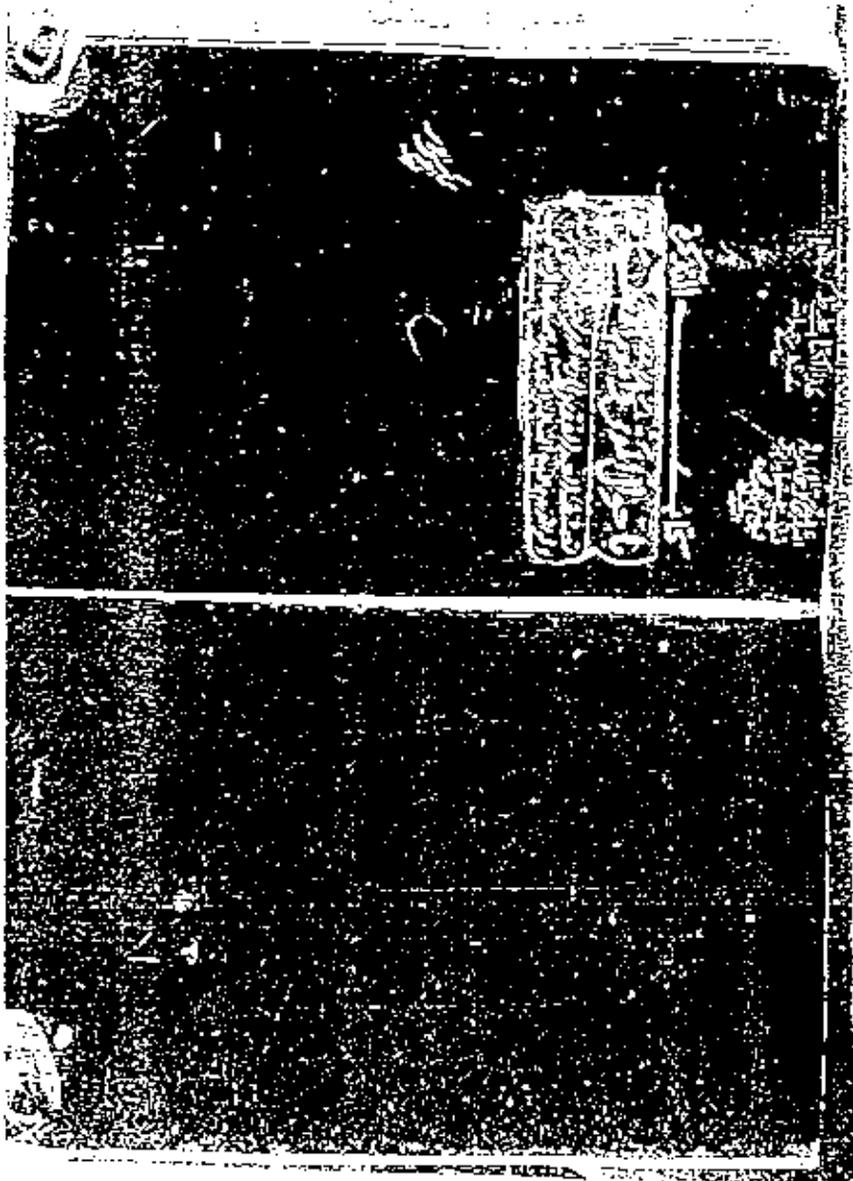
١٢ - أعرف بالبلدان والبقاع.

١٣ - أعزو الأشعار إلى قائلها، أو إلى مصادر متقدمة قدر الإمكان.

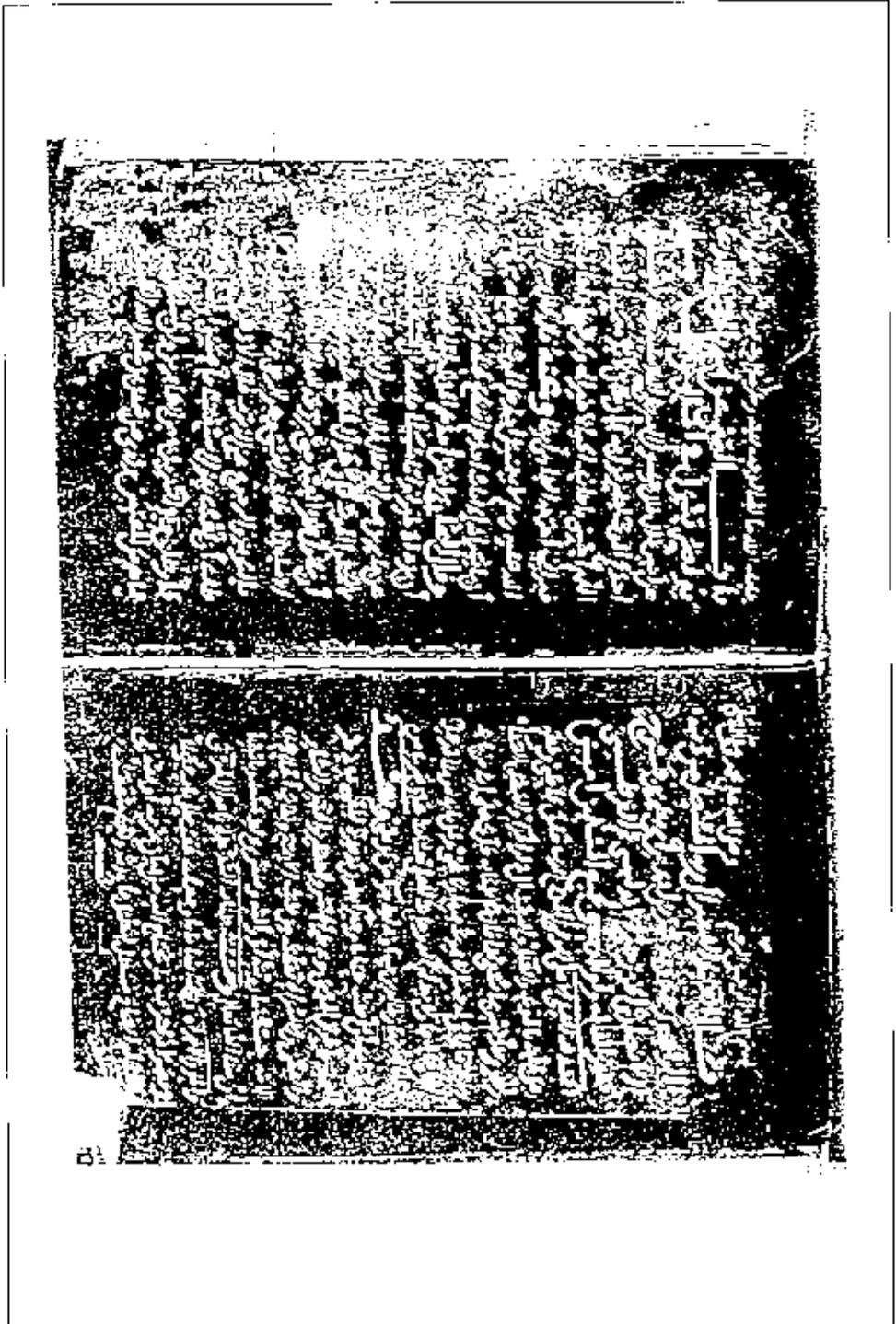
١٤ - وضعت رمزاً عند نهاية اللوحة في نسخة الأصل كالتالي [ل/٤/ب].

فحرف: (ل) يشير إلى كلمة اللوحة، والرقم يشير إلى رقمها، وحرف (أ)، (ب) يشير إلى أحد قسمي اللوحة.

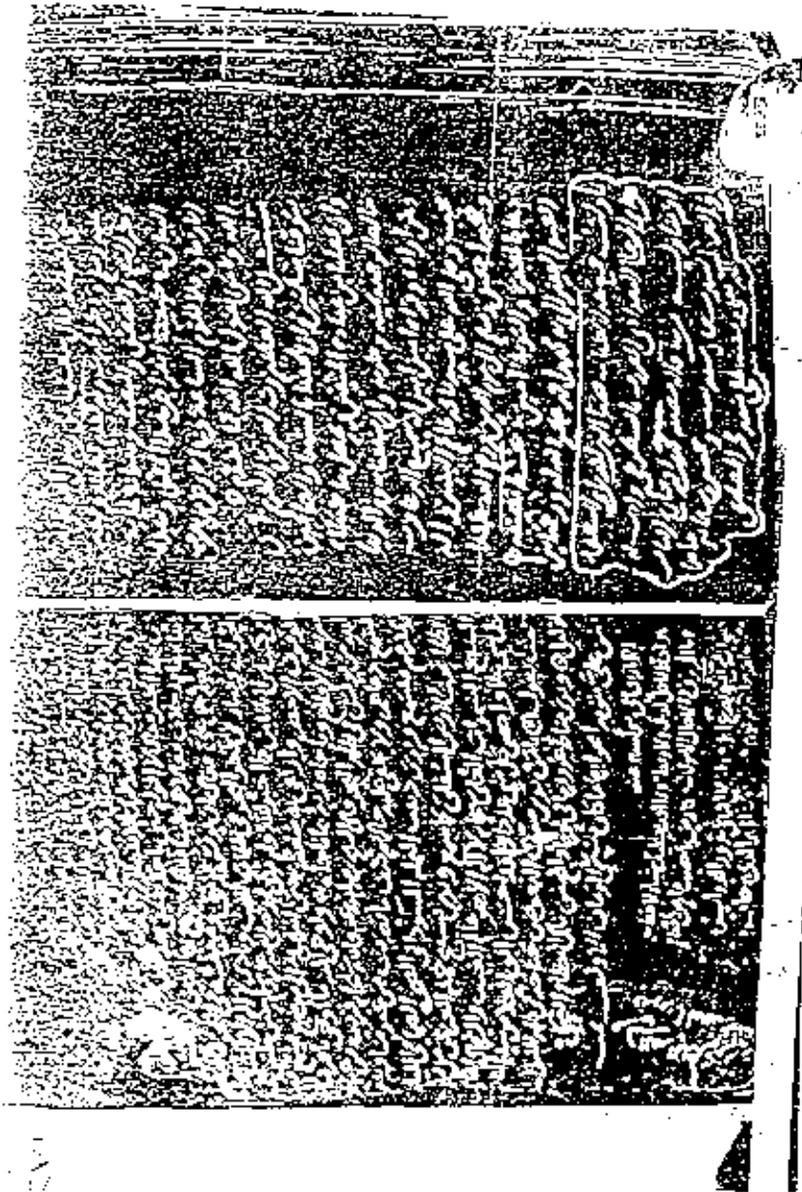
١٥ - الفهارس.

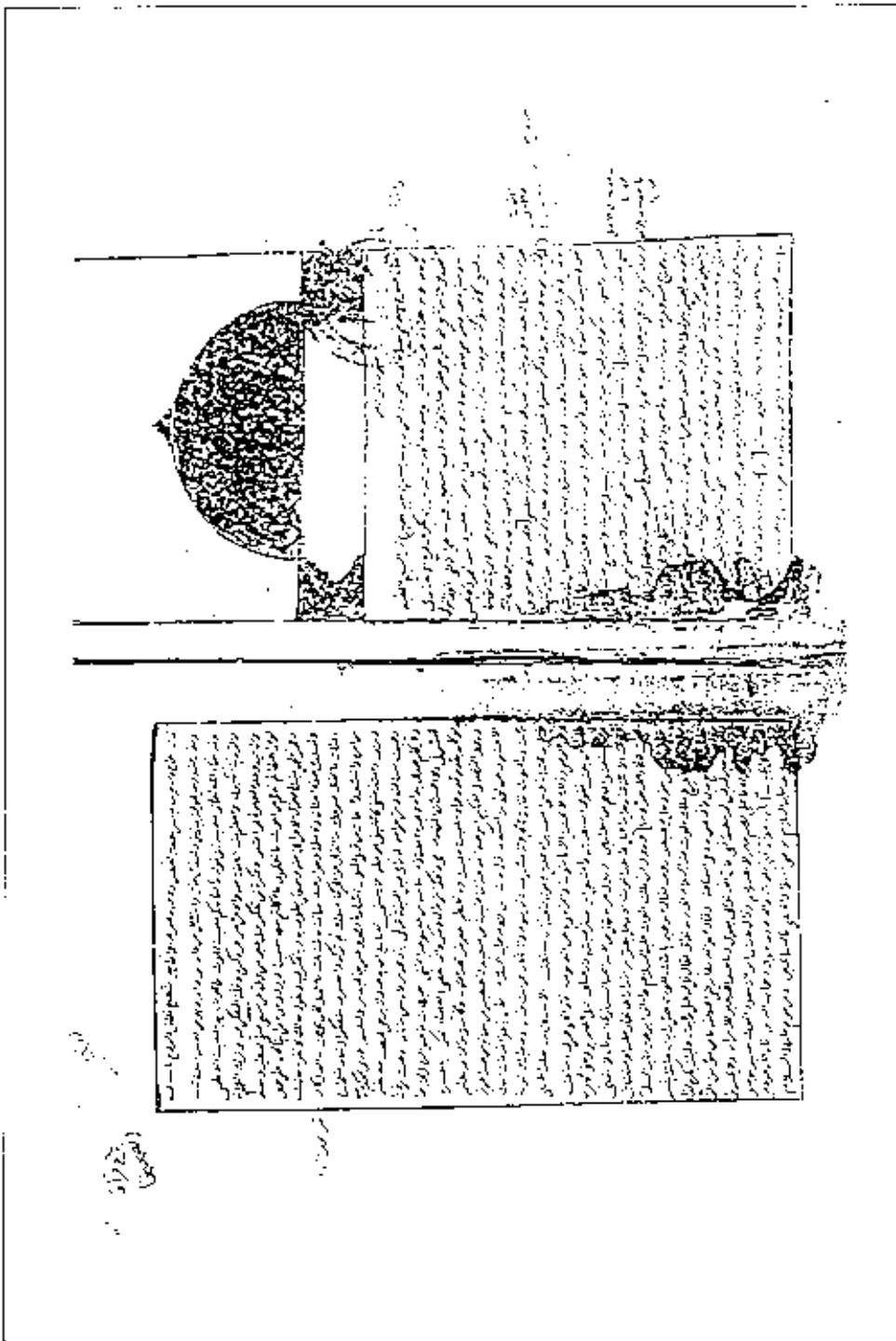


صفحة الغلاف من مسودة المصنف (م)



اللوحة الأولى من مسودة المصنف (م)





اللوحة الأولى من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق (ظ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول العبد الفقير إلى ربه، المتئصل من ذنوبه، الراجي رحمة ربه: محمد بن أحمد^(١) بن أبي بكر بن فرح^(٢) الأنصاري، الخزرجي، الأندلسي، ثم القرطبي، غفر الله له، ولوالديه، ولجميع المسلمين^(٣) أجمعين^(٤) آمين:

الحمد لله العليّ الأعلى، الوليّ المولى، الذي خلق فأحيى^(٥)، وحكّم على خلقه بالموت، والنفاء، والبعث إلى دار الجزاء، والفصل والقضاء؛ لتجزى كل نفس بما تسعى كما قال في كتابه^(٦) جلّ وعلا: ﴿إِنَّكُمْ مِنْ بَيْنِ رَبِّهِمْ تَجْرِمًا فَإِنَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۗ﴾ ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مَوْتٌ قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الَّذِينَ أُعْلِنُوا الْعِلْمَ ﴿٧٥﴾ حَتَّىٰ عَدَّ نَجْرًا مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَلِكَ جزاء من قرأ ﴿٧٦﴾ [طه: ٧٤ - ٧٦]، ويعذ:

فإني رأيت أن أكتب كتاباً وجزياً؛ يكون تذكرةً لنفسي وعملاً صالحاً بعد موتي في ذكر الموت، وأحوال الموتى، وذكر الحشر، والنشر، والجنة،

(١) في (ع، ط): أبو عبد الله محمد بن أحمد، وكنية المصنف نسبت في الأصل، ومسوده: (م).

(٢) هكذا جاء الاسم مضبوطاً في (م)، وضبطه أيضاً صاحب شجرة النور الزكية في طبقات المالكية بقوله: فرح بفتح الفاء وسكون الراء، ص (١٩٧) رقم الترجمة ٦٦٦، وفي (ط): فرح، وفي الأصل (ع): فرح، والذي يظهر والعنم عند الله أن فرح تصحفت إلى فرح حيث ظن بعض النساخ أن السكون الذي على الراء هو نقطة الجيم.

(٣) إني هذا الموضوع يتوافق الأصل مع (م)، وفي (ع، ط) ألقاب وأوصاف تدل على أنها من تصرف النساخ.

(٤) (أجمعين): ليست في (ع، ط).

(٥) في (ع): وأحيى.

(٦) (في كتابه): ليست في (ع).

والتار، والفنن، والأشراط. نقلته من كتب الأئمة، وثقات أعلام هذه الأمة^(١) حسب ما روته أو رأته^(٢)، وسرى ذلك منسوباً مبيئاً إن شاء الله تعالى، وسميته: كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة. ويزنه باباً باباً، وجعلت عقب كل باب فضلاً أو فضولاً نذكر فيه ما يحتاج إليه من بيان غريب، أو فقه في حديث، أو إيضاح مشكّل؛ ليكتمل فائدته، وتعمم منفعته؛ إذ التفقه في حديث رسول الله ﷺ هو المعنى المقصود، والرأي المحمود، والعمل الموجود في المقام المحمود، واليوم المشهود، جعله الله خالصاً لوجهه ومقرباً^(٣) من رحمته بمنه وكرمه، لا رب سواه، ولا معبود إلا هو سبحانه.

باب النهي عن تمنى الموت والدعاء به

لضراً نزل^(٤) في المال والجسد

مسلم^(٥) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت يضر نزل به، فإن كان لا بد متمنياً فليقل: اللهم أخيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي»، أخرجه البخاري^(٦) [أيضاً]^(٧).

وعنه^(٨) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت ولا يدع به

(١) في (ع): وثقات الأعلام لهذه الأمة، وفي (ظ): وثقات هذه الأمة. والأصل متوافق مع (م).

(٢) في (الأصل): رأته أو روته، وما أثبتته من (ع، ظ، م). وقد روى المؤلف في هذا الكتاب عدداً من الأحاديث بسنده كما في المقدمة للدراية ص(٥٦).

(٣) في (ع، ظ): مُزلفاً، والزلفة والزلفى: القرية والمنزلة، انظر: الصحاح للجوهري ٤/ ١٣٧٠، والكلمة ليست في (م).

(٤) في (ع، ظ): ينزل والأصل متوافق مع ما جاء في مصدر المؤلف.

(٥) في صحيحه ٤/ ٢٠٦٤، ح ٢٦٨٠. (٦) في صحيحه ٥/ ٢٣٣٧، ح ٥٩٩.

(٧) ما بين المعقوفين من (ع، ظ، م).

(٨) لم يتضح لي مرجع الضمير في قول المصنف رحمه الله (عنه)، فإن قصد به أنساً ﷺ فيكون وهماً؛ لأن اللفظ الذي ساقه من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، وإن قصد به البخاري وهو أقرب مذكور فالحديث ليس من رواية البخاري وإنما من رواية مسلم وإن أرجع الضمير إلى مسلم وهو أبعد مذكور فيكون قد راغى منهجه الذي سار عليه في مسودته: (م) من كتابة اسم صاحب الكتاب الذي ينقل عنه بخط سميك، وقد كتب كلمة (عنه) في مسودته =

من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً»^(١).

وقال البخاري^(٢): «لا يتمنين أحدكم الموت إماماً محسناً فلعله [أ/١] أن يستغيب».

البيزار^(٤) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تمنوا الموت فإن هون المطلق»^(٥) شديد، وإن من السعادة أن يطول عمر العبد حتى يرزقه الله الإجابة»^(٦).

فصل

قال العلماء^(٨): الموت ليس بعدم محض، ولا فناء صرف، [و]^(٩) إنما

- بخط سميك، وأقرب صاحب كتاب نقل عنه كتب بخط سميك هو مسلم ثقة والحديث فيه؛ فعلى هذا المنهج يكون قد زال الإشكال عندي في إرجاع الضمير والله تعالى أعلم.
- (١) أخرجه مسلم ٢٠٦٥/٤، ح ٢٦٨٢.
- (٢) في صحيحه ٢١٤٧/٥، ح ٥٣٤٩؛ ٢٦٤٤/٦، ح ٦٨٠٨.
- (٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ط، م، والبخاري) وهي ساقطة من الأصل وأشير إليها بعلامة إلحاق هكذا (ـ) في مكانها، ومع ذلك سها الناسخ عن كتابها في الهامش.
- (٤) المحافظ العلامة أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري، صاحب المسند الكبير، توفي سنة ٢٩٢هـ، انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ٦٥٣/٢ - ٦٥٤.
- (٥) الهول: الخوف، والأمر الشديد، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢٨٢/٥.
- (٦) المطلق: الموقف يوم القيامة، أو ما يشرف عليه من أمر الآخرة عقب الموت، النهاية في غريب الحديث ١٣٢/٣ - ١٣٣.
- (٧) كشف الأستار عن زوائد البيزار على الكتب السنة للهيتمي ٧٨/٤، ح ٣٢٤٠ (لم أجد هذا الحديث في مسند البيزار المطبوع)؛ ورواه أحمد في المسند ٣/٣٣، ح ١٤٦٠٤؛ قال الهيتمي: إسناده حسن، مجمع الزوائد ١٠/٢٠٣؛ وقال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته ص (٢٩١)، ح ٢٠٠٦.
- (٨) منهم أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي شيخ المصنف، حيث ذكر القول بحروفه في كتابه المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم له ٥٧٤/٢ كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له.
- (٩) ما بين المعقوفتين من (ع، ط، م، مصدر المؤلف).

هو انقطاع تعلق الروح بالبدن، ومفارقته، وحيلولة بينهما^(١)، وتبدل حال، وانتقال من دار إلى دار^(٢)، وهو من أعظم المصائب، وقد سماه الله تعالى مصيبة في قوله: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مَصِيبَةَ الْمَوْتِ﴾ [المائدة: ١٠٦]، فالموت هو المصيبة العظمى والرزية الكبرى.

قال علماؤنا^(٣): وأعظم منه الغفلة عنه، والإعراض عن ذكره، وقلة التفكير فيه، وترك العمل له، وإن فيه وحده لبرة لمن اعتبر، وفكرة لمن تفكر.
 و^(٤) في خبر يروى^(٥) عن النبي ﷺ: «لو أن اليهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمياً»^(٦).

ويروى أن أعرابياً كان يسير على جمل له فخرّ الجمل ميتاً، فنزل الأعرابي عنه، وجعل يطوف به ويتفكر فيه ويقول: ما لك لا تقوم؟! ما لك لا تنبعث؟! هذه أعضاؤك كاملة، وجوارحك سالمة، ما شأنك؟! ما الذي كان يحميك؟! ما الذي كان يبعثك؟! ما الذي صرعتك؟! ما الذي عن الحركة منعك؟! ثم تركه وانصرف متفكراً في شأنه، متعجباً من أمره^(٧).

(١) نهاية قول أبي العباس القرطبي.

(٢) يقول ابن القيم: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها، وخرجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائفة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدماً محضاً، فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو عذاب، انظر: الروح ص(٣٤)؛ وعرفه الجرجاني بأنه: صفة وجودية خلقت ضد الحياة، انظر: التعريفات له ص(٣٠٤) رقم ١٥٢٠.

(٣) قال علماؤنا: ليست في (ع، ظ)، والقائل هو: أبو محمد عبد الحق الإشبيلي في كتابه العاقبة في ذكر الموت والآخرة ص(٤٣).

(٤) الواو ليس في (ع). (٥) في (ع، ظ): مروي.

(٦) في (ع): رسول الله.

(٧) في زوائد نعيم بن حماد عن كتاب الزهد لابن المبارك ٣٨/٢، ح ١٥٢ من بلاغات الحسن بن صالح؛ ورواه أبو نعيم في الحلية عن سفيان الثوري بلفظ: «لو أن اليهائم تعقل من الموت ما تعقلون...» ٣٩٢/٦. قال الألباني: ضعيف جداً، انظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته ص(٦٩٤)، ح ٤٨١٣.

(٨) ذكر هذه الرواية أبو محمد في العاقبة ص(٤٥).

وأنشدوا في بعض الشجعان مات حتف أنفه^(١):

جاءته من قبل المنون^(٢) إشارة
ورمى بمحكم دُرْعِهِ وبِرُمُوحِهِ
لا يستجيبُ لصارخٍ إن يدعُهُ
ذهبتْ بسالته^(٤) ومرَّ غرامه^(٥)
يا ويحه^(٦) من فارسٍ ما باله
هذي يذاه وهذيه أعضاؤه
هيهات ما خيلُ الردي مُحتاجة
هي ويحككم أمرُ الإله وحكمه
يا حسرة لو كان يُقدَّرُ قدرُها
فهوى صريعاً لليدين وللهم
وامتدُّ مُلقى كالفتيق^(٣) الأعظم
أبدأ ولا يُرجى لخطبِ مُعظم
لما رأى خيلَ المنية ترثمي
ذهبتْ مروته ولما يُكلم^(٧)
ما منه من عُضوٍ غدا بمثل^(٨)
للمشرفي^(٩) ولا السنانِ اللهدم^(١٠)
والله يقضي بالقضاء المُحكّم
ومصيبة عظمت ولما تُعظم

(١) في (ع، ظ): وأنشدوا.

(٢) المنون والمنية: الموت. الصحاح لنجوهري ٦/٢٢٠٧، ٢٤٩٧.

(٣) الفتيق: هو الفحل المُكرم، الذي لا يُركب ولا يُهان، وناقفة فُنق أي فتية، سبيبة. الصحاح ٤/١٥٤٥، لسان العرب لابن منظور ١٠/٣١٣.

(٤) البسالة: الشجاعة، الصحاح ٤/١٦٣٤.

(٥) كذا في (الأصل) و(ع، والعباية لأبي محمد عبد الحق): غرامه، والغرام هو الولوع بالشيء، الصحاح ٥/١٩٩٦ فعلى هذا يكون المعنى: ذهبت بسالته ومر ولوعه بالقتال وخوض الحروب، وفي (ظ): غرامه: والغرام: الشدة، والقوة، والشراسة. انظر: الصحاح ٥/١٩٨٣؛ لسان العرب ١٢/٣٩٥، وهناك احتمال أن يكون صواب الكلمة (غرامه) كما في (ظ) ثم تصحفت الضمة التي على العين إلى نقطة والذي يساعد على صحة هذا الاحتمال قوة مناسبة كلمة (غرامه) لمعنى البيت.

(٦) ويح: كلمة رحمة. الصحاح ١/٤١٧.

(٧) الكَلْمُ: العجاجة، والجمع: كَلُومٌ وكِلَامٌ الصحاح ٥/٢٠٢٣ - ثم يُكلم أي لم يُجرح -.

(٨) الثلمة: الخلل في الحائط وغيره، يُقال: في السيف ثلمٌ، وفي الإناء ثلمٌ إذا انكسر من شفته شيء. الصحاح لنجوهري ٥/١٨٨١ - والمراد ثم ينكسر منه أي عُضوٍ من جسمه -.

(٩) المشرفي: السيف، الصحاح ٤/١٣٨٠.

(١٠) اللهدم من الأسته: القاطع، الصحاح ٥/٢٠٣٧.

خبر علمنا كلنا بمكانه وكأننا في حالنا لم نعلم^(١)

وروى الترمذي الحكيم^(٢) أبو عبد الله^(٣): حدثنا قتيبة بن سعيد^(٤) والخطيب بن سالم عن عبد العزيز^(٥) الماجشون عن محمد بن المنكدر قال: مات ابن آدم ﷺ فقال: يا حوّا^(٦) إنه^(٧) قد مات ابنك [ب/١]، قالت: وما الموت؟ قال: لا يأكل، ولا يشرب، ولا يقوم، ولا يقعد، قرئت^(٨). فقال آدم ﷺ: عليك الرنة وعلى بناتك أنا وبنيتي منها برآء.

فصل

وقوله^(٩): «فلعله^(١٠) أن يستعتب»، الاستعتاب: طلب العتبي، وهو الرضى، وذلك لا يحصل إلا بالتوبة والرجوع عن الذنوب.

(١) أورد أبو محمد عبد الحق هذه الآيات في العاقبة ص(٤٥).

(٢) نم أجدّه في نوادر الأصول، ووجدته في المعجم الأوسط للطبراني ٣٦١/٢، ح ٢٢٣٢؛ والحلية لأبي نعيم ١٤٨/٣ كلاهما من طريق ابن الماجشون عن محمد بن المنكدر؛ قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه الحسين بن سيار وهو متروك، مجمع الزوائد ٥/٣ والخير من الإسرائيليات.

(٣) هو محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي، نفوه من ترمذ وشهدوا عليه بالكفر بسبب تأليفه كتاب (ختم الولاية، وكتاب علل الشريعة) وحكى الذهبي أنه: زعم أن للأولياء خاتماً؛ وأنه يفضل الولاية على النبوة، توفي سنة ٣٢٠هـ، انظر: تذكرة الحفاظ ٢/٦٤٥؛ وسير أعلام النبلاء ١٣/٤٣٩ كلاهما للذهبي؛ وطبقات المفسرين للسيوطي ص(٥٨).

(٤) في (الأصل): سعد، وما أثبتته من (ع، ط، ومصادر التخریج)، انظر: سير أعلام النبلاء ١١/١٣، تقريب التهذيب ص(٤٥٤) رقم ٥٥٢٢.

(٥) في سير أعلام النبلاء ٧/٣٠٩، وتقريب التهذيب ص(٣٥٧) رقم ٤١٠٤: عبد العزيز بن الماجشون.

(٦) في (ع): حوّا. (٧) (إنه): لست في (ع، ط).

(٨) الرنة: الصوت، وأرنت المرأة: صاحت. الصالح ٥/٢١٢٧.

(٩) في (ع): قوله. (١٠) في (ع): ولعله.

قال الجوهري^(١): استعْتَب: طلب أن يُعْتَب، يقول: اسْتَعْتَبْتُهُ فَأَعْتَبَنِي أَي: اسْتَرْضَيْتُهُ فَأَرْضَانِي^(٢).

وفي التنزيل في حق الكافرين: ﴿وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت: ٢٤].

وزوي عن سهل بن عبد الله التستري^(٣) أنه قال: لا يتمنى الموت^(٤) إلا ثلاثة: رجلٌ جاهلٌ بما بعد الموت، أو رجلٌ يقرُّ من أقدارِ الله عليه، أو مشتاقٌ مُحبٌّ للقاء الله تعالى^(٥).

وزوي أن ملك الموت جاء إلى إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن ﷺ ليقبض روحه عليه فقال إبراهيم: يا ملك الموت هل رأيت خليلاً يقبض روح خليله؟ فخرج ملك الموت عليه السلام إلى ربه تعالى، فقال^(٦): قلُّ له هل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله؟ فرجع، قال: فاقبض زوجي الساعة^(٧).

وقال أبو الدرداء^(٨) عليه السلام: ما من مؤمنٍ إلا والموت خيرٌ له، فمن لم يصدقني فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآزِرِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]، ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُطْعِمُهُمْ خَيْرٌ^(٩) لِنَفْسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

(١) إمام اللغة، أبو نصر إسماعيل بن حماد النكري، مصنف كتاب الصحاح، وأحد من يضرب به المثل في ضبط اللغة، توفي سنة ٣٩٣هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٨٠ - ٨١.

(٢) انظر: الصحاح للجوهري ١/ ١٧٦.

(٣) سهل بن عبد الله التستري، أبو محمد، صوفي توفي سنة ٢٨٣هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٣٠ - ٣٣٣.

(٤) في (الأصل): لا يتمنى أحدكم الموت، وما أثبتته من (ع)، ظ، م، وتفسير المصنف، انظر: الجامع لأحكام القرآن له ٩/ ١٧٦ فقرة ٢٦٩.

(٥) ثم أوقف على مصدر لهذا الأثر.

(٦) في (ع): فقال له.

(٧) رواه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٩٩؛ بسند مقطوع؛ وأورده الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار ونصوص الأخبار من غير إسناد ٤/ ١٩١، والخير من الإسرائيليات.

(٨) عامر بن عويمر، الخزرجي الأنصاري، أبو الدرداء، انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٣/ ١٢٢٧ رقم ٢٠٠٦، وذكر ابن جرير هذا الأثر في تفسيره ٤/ ١٤٦.

(٩) في (الأصل): خيراً، وما أثبتته من (المصحف، ع، ظ).

وقال حيان بن الأسود^(١): الموت جسرٌ يوصلُ الحبيبَ إلى الحبيبِ^(٢).

بابُ جوازِ تَمَنِّي الموتِ والدعاءِ بِهِ خَوْفُ ذَهَابِ الدِّينِ

قال الله تعالى مخبراً عنُ يوسُفَ عليه السلام: ﴿تَوَقَّئِ مَسَلِمًا وَالْحَقِيقَ بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وعن مريمَ عليها السلام ^(٣) في قولها: ﴿بَلَّغْتَنِي مِثَّ قَبَلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣].

مَالِكٌ عن أبي الزناد^(٤) عن الأعرج^(٥) عن أبي هريرة^(٦) رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَقُومُ^(٧) السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولَ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ»^(٨).

فَضْلٌ

قلت: لا تعارضُ بين هذه التَّرْجِمَةِ والتي قَبَلَهَا لِمَا نُبِئَتْ:

- (١) ثم أفتى له على ترجمة، وقد جاء في الحلية لأبي نعيم: حيان الأسود وذكر له قولاً واحداً ولم يذكر له سنة وفاة، انظر: الحلية ١٠/١٦٤.
- (٢) الذي يظهر والله أعلم أن الموت كالجسر الذي يقف حائلاً بين الحبيب ومن يحب، فإذا عبره الذي يحب الله جل وعلا استراح من عناء وآفات انطريق ببلوغ غايته، وهذا في حق الميت المطيع، وأما الموت فهو مصيبة ورزية بالنسبة للمقصر وأقاربه الأحياء، وقول حيان هذا ذكره أبو محمد عبد الحق في كتابه العاقبة ص(٣٢).
- (٣) عبارة عليه السلام: لا تستعمل إلا في حق الأنبياء، ومريم البتول ليست نبيّة كما سيأتي بعد عدة أسطر.
- (٤) عبد الله بن ذكوان القرشي، أبو عبد الرحمن المدني، المعروف بأبي الزناد، ثقة فقيه، مات سنة ١٣٠هـ، وقيل بعدها، انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ص(٣٠٢) رقم ٤٤٥/٥ وسير أعلام النبلاء ٥/٤٤٥.
- (٥) عبد الرحمن بن هُرَيْرَةَ، الأعرج، أبو داود المدني، ثقة ثبت عالم، مات سنة ١١٧هـ، التقريب ص(٣٥٢) رقم ٤٤٠٣٣؛ وسير أعلام النبلاء ٥/٦٩.
- (٦) عبد الرحمن بن صخر الدوسي، أبو هريرة، انظر: الإصابة لابن حجر ٤/٣١٦ رقم ٥١٤٤.
- (٧) في (ع): لا تقوم.
- (٨) أخرجه البخاري ٦/٢٦٠٤، ح ٦٦٩٨؛ ومسلم ٤/٢٢٣١، ح ١٥٧.

أما يوسف عليه السلام فقال فتادة^(١): لم يتمن الموت أحدٌ نبيٍّ ولا غيره إلا يوسف عليه السلام حين تكاملت عليه النعم، وُجِّع له الشملُ اشتاق إلى لقاء ربه عليه السلام فقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي^(٣)﴾ الآية [يوسف: ١٠١] فاشتاق إلى لقاء ربه عليه السلام.

وقيل: إن يوسف عليه السلام لم يتمن الموت وإنما تمنى الوفاة على الإسلام، أي إذا جاء أجلي توقني مُسليماً^(٤)، وهذا هو القول^(٥) المختار في تأويل الآية عند أهل التأويل^(٦). وأما مريم عليها السلام فإنما^(٨) تمشت الموت لوجهين:

أحدهما: أنها^(٩) خافت أن يُظنَّ بها الشرُّ في دينها وتُعيَّر [١/٢] فيفتنَّها ذلك.

الثاني: لئلا يقع قوم بسببها في البهتان والزور^(١٠) والنسبة إلى الزنا^(١١)

- (١) فتادة بن دغامة السدوسي، أبو الخطاب البصري، ثقة ثبت، مفسر، مات سنة ١١٨هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ٥/٢٧٠.
- (٢) ذكره ابن جرير في تفسيره ١٣/٧٣.
- (٣) (وعلمتني): ليست في (ع، ظ).
- (٤) قال ابن القيم رحمه في قوله تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي وَفِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَقَفِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّقِي بِالْمُسْلِمِينَ﴾: جمعت هذه الآية: الدعوة والإقرار بالتوحيد، والاستسلام للرب، وإظهار الافتقار إليه، والبراءة من موالاة غير سبحانه، وكون الوفاة على الإسلام أجل غايات العبد، وأن ذلك بيد الله لا بيد العبد، والاعتراف بالمعاد، وطلب مرافقة السعداء، الفوائد لابن القيم ص(٣٤٩).
- (٥) في (ع، ظ): وهذا القول هو، والأصل يتوافق مع (م).
- (٦) ذكر القرطبي في تفسيره، إنه قول الجمهور. انظر: الجامع لأحكام القرآن ٩/١٧٦ فقرة ٢٦٩.
- (٧) في (ع): زيادة: والله أعلم، وفي (ظ): والله تعالى أعلم، والأصل يتوافق مع (م).
- (٨) في (ع): فإنها.
- (٩) (أنها): ليست في (ع).
- (١٠) (والزور): ليست في (ع، ظ).
- (١١) لقد سبق أبو الحسن الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠هـ، المصنف بذكر هذين الوجهين في تفسيره وزاد وجهاً ثالثاً وهو: لأنها لم تر في قومها رشيداً ذا فراسة يُنزهها من سوء. انظر: النكت والعيون تفسير الماوردي ٣/٣٦٤.

وذلك مُهْلِكٌ لَهُمْ، وقد قال الله ﷻ في حق مَنْ افترى على عائشة رضي الله عنها: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١]، وقال: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

وقد اختلفت في مريم رضي الله عنها هل هي صِدِّيقَةٌ؟ لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَرْيَمُ فَحَمَلَتْهُمُ ابْنًا مِمَّنْ خَلَقَ لَهَا مِنْ نَفْسِهَا فَوَجَّهْنَا لَهَا نُورًا إِذْ أَنْوَتْهُ لِمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ﴾ [النور: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَرَدَّ قَالَ الْمَلَكُ حَمَلُكَ بِمَرِيَمَ إِنَّ اللَّهَ آمَنَّكَ﴾ [آل عمران: ٤٢] الآية^(١)،^(٢)؛ وعليه فيكون^(٣) الافتراء عليها أعظم، والبهتان في حقها أشد، وفيه يكون الهلاك حقاً؛ فعلى هذا الحد الذي ذكرنا من التأويلين يكونُ تمنى الموت في حقها جائزاً والله أعلم. وأما الحديث: فإنما هو خبر أن ذلك يكون^(٤) لشدة ما ينزل بالناس من فساد الحال في الدين، وضعفه، وخوف ذهابه، لا لضر ينزل بالمرء في جسمه أو غير ذلك من ذهاب ماله مما يحط به عنه خطابه، وما يوضح هذا المعنى وبيته قوله رضي الله عنه: «اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحُب المساكين، وإذا أردت - ويروى أدت - في الناس فتنة فاقبضني إليك غير مفتون» رواه مالك^(٥)، ومثل هذا قول عمر رضي الله عنه:

(١) في (ع، ط): إلى قوله تعالى: ﴿بِمَرِيَمَ﴾ فقط.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه: وقد ذكر القاضي أبو بكر والقاضي أبو يعلى، وأبو المعالي، وغيرهم الاتفاق على أنه ليس في النساء نبي، والقرآن والسنة دلاً على ذلك: كما في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَعْلَى السَّمَوَاتِ﴾ [يوسف: ١٠٩]، وقوله: ﴿مَا أَلْسَيْحُ أَبَتْ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَمَّا مَرْيَمُ فَحَمَلَتْهُمُ ابْنًا مِمَّنْ خَلَقَ لَهَا مِنْ نَفْسِهَا فَوَجَّهْنَا لَهَا نُورًا إِذْ أَنْوَتْهُ لِمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ﴾ [النور: ٢١]، ذكر أن غاية ما انتهت إليه أمه: الصديقية. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٩٦/٤.

(٣) في (الأصل): على هذا فيكون، وما أثبت من (ع، ط، م).

(٤) في (ع): سيكون.

(٥) في الموطأ ٢١٨/١، ح ٥٠٨؛ وأخرجه الترمذي ٣٦٦/٥، ح ٣٢٢٣؛ والطبراني في المعجم الكبير ١٠٩/٢٠، ح ٢١٦، كلاهما من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه؛ وأحمد في المسند ٣٦٨/١، ح ٣٤٨٤ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٩٧/٣ - ٩٨، ح ٢٥٨٠.

اللهم قد ضعفت قوتي، وكبرت^(١) سني، وانتشرت رعيتي^(٢)، فاقبضني إليك غير مضجع ولا مقصّر، فما جاوز ذلك الشهر حتى قبض كلفته، رواه مالك^(٣) أيضاً، وسيأتي^(٤) لهذا في كتاب الفتن مزيد بيان إن شاء الله تعالى.

وذكر أبو عمر بن عبد البر^(٥) في كتاب^(٦) التمهيد^(٧)، والاستذكار^(٨): من حديث زاذان^(٩) أبي عمر عن عليم الكندي قال: كنت^(١٠) مع عيس^(١١) الغفاري

(١) في (ع): كبير.

(٢) في (الأصل): رعيتي، ما أثبتته من (ع، ط، م، والموطأ).

(٣) في (الموطأ): ٨٢٤/٢، ح ١١٥٠٦، وأخرجه أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني المتوفى سنة ٢٨٧هـ، في كتابه الأحاد والمثاني ١/١٧٠، ح ٩٠.

(٤) انظر: ص (١٠٥٤).

(٥) الإمام حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، من مصنفاته: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، والاستذكار وهو اختصار للتمهيد، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، وغير ذلك، توفي سنة ٤٦٣هـ، انظر: تذكرة الحافظ للذهبي ٣/١١٢٨ - ١١٣٠.

(٦) (كتاب): ليست في (ع، ط).

(٧) التمهيد ١٨/١٤٧. وقال ابن عبد البر: هذا حديث مشهور روي عن عيس الغفاري من عدة طرق.

(٨) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من المعاني والرأي والآثار، تصنيف ابن عبد البر النمري القرطبي، ٨/٤١٠، ح ١٢١٥٤؛ والحديث أخرجه أيضاً الطبراني في المعجم الكبير ٣/٢١١، ح ٣١٦٢؛ والحاكم في المستدرک ٣/٥٠١، ح ٥٨٧١؛ كلاهما من حديث الحكم بن عمرو الغفاري، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٨/٣٦ من حديث عيس الغفاري؛ والطبراني في الكبير ١٨/٥٧؛ وأحمد في المسند ٦/٢٢، ح ٢٤٠١٦؛ كلاهما من حديث عوف بن مالك الأشجعي؛ وأحمد في المسند ٣/٤٩٤، ح ١٦٠٨٣ من حديث عيس الغفاري، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/١٩٩.

(٩) في (الأصل، ع، ط): زاذان، والتصويب من (مصدر المصنف ومصادر الترجمة: سير أعلام النبلاء ٤/٢٨٠، وتقريب التهذيب ص (٣٣٣).

(١٠) في (الأصل): كنت جائساً، وما أثبتته من (ع، ط، ومصدر المؤلف).

(١١) في (الأصل): مع أبي العباس، وفي (ع، ط): مع أبي عيس، والتصويب من مصدر المصنف والإصابة؛ وقال ابن حجر: اسمه عابس ويقال عيس بن عابس، قال البخاري: له صحبة، الإصابة في تمييز الصحابة ٣/٣٥٢ رقم ٤٣٤١.

على سطح فرأى قوماً^(١) يتحملون^(٢) من الطاعونِ فقال: يا طاعونُ خُذْنِي إِلَيْكَ ثلاثاً يقولها^(٣)، قال عَلِيمٌ^(٤): لِمَ تَقُولُ هَذَا؟ أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يَمْتَنِينَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ فَإِنَّهُ عِنْدَ ذَلِكَ انْقِطَاعَ عَمَلِهِ وَلَا يَرُدُّ فَيُسْتَعْتَبُ، فقال عيس^(٥): أنا سمعتُ^(٦) رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: بادِرُوا بِالْمَوْتِ سِتًّا: «إمرة السفهاء، وكثرة الشُّرْطِ^(٧)، وبيع الحكم^(٨)، واستخفافاً بالدم، وقطيعة الرحم، ونشواً يتخذون القرآن مزاميرَ يُقَدِّمُونَ الرَّجُلَ لِيُعْتَبَهُم بِالْقُرْآنِ وَإِنْ كَانَ أَقْلَهُمْ فَهَاءً». وسيأتي^(٩) لهذا مزيد بيان في الفتن إن شاء الله تعالى.

بَابُ نِكْرِ الْمَوْتِ وَفَضْلِهِ وَالِاسْتِعْدَادِ لَهُ

النسائي^(١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثرُوا ذِكْرَ هَازِمِ^(١١) اللَّذَاتِ» يعني الموت، أخرجه ابن ماجه^(١٢) والترمذي^(١٣) أيضاً،

- (١) في (الأصل): فرأى ناساً، وما أثبتته من (ع، ظ، والتمهيد).
- (٢) في رواية مسند أحمد: يخرجون ٤٩٤/٣، ويتحملون بمعنى يرتحلون، انظر: الصحاح ١٦٧٧/٤.
- (٣) في (الأصل): يقولها ثلاثاً، وما أثبتته من (ع، ظ، والتمهيد).
- (٤) في (ع): فقال له عليم، وفي (ظ): فقال عليم.
- (٥) في (الأصل) و(ع، ظ): أبو عيس، والتصويب من التمهيد والإصابة لابن حجر.
- (٦) في (التمهيد): إني سمعت.
- (٧) هم شُرْطُ السُلْطَانِ، سُمُّوا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا لِأَنْفُسِهِمْ عَلَامَاتٍ يَعْرِفُونَ بِهَا، النِّهَايَةُ فِي الْغَرِيبِ ٤٦٠/٢.
- (٨) أي يأخذ الرشوة عنيه، انظر: فيض القدير للمناوي ١٩٤/٣.
- (٩) انظر: ص (١٠٥٤).
- (١٠) في المجتبى من السنن ٤/٤، ح ١٨٢٤.
- (١١) في جميع النسخ: هادم، بالذال، وما أثبتته من (سنن النسائي وابن ماجه والترمذي)، والهذم: القَطْعُ، انظر: الصحاح ٢٠٥٦/٥.
- (١٢) في سننه ١٤٢٢/٢، ح ٤٢٥٨.
- (١٣) في جامعه ٥٥٣/٤، ح ٢٣٠٧، وقال: حديث حسن صحيح غريب، قال النووي: رواه الترمذي، والنسائي وابن ماجه بأسانيد صحيحة كلها على شرط البخاري ومسلم، المجموع شرح المذهب ١٠٥/٥ وقال الألباني: حسن صحيح، انظر: صحيح النسائي له ٣٩٣/٢، ح ١٧٢٠.

وخرجه^(١) أبو نعيم^(٢) الحافظ^(٣) بإسناده من حديث [٢/ب] مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثرُوا من ذكر هادم اللذات، قلنا: يا رسول الله وما هادم اللذات؟ قال: الموت».

ابن ماجه^(٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ فجاء رجلٌ من الأنصار فسلم على النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله أي المؤمنين أفضل؟ قال: أحسنهم خلقاً، قال: فأبي المؤمنين أكيس؟ قال: أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم لما بعده استعداداً، أولئك الأكياس». خرجه مالك^(٥) أيضاً، وسيأتي في كتاب^(٦) الثنتين إن شاء الله تعالى.

الترمذي^(٧) عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «الأكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله». وروى عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثرُوا ذكر^(٨) الموت فإنه يُمحص الذنوب ويُزهد في الدنيا»^(٩).

(١) في (ع)؛ وأخرجه.

(٢) أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، له تصانيف منها: دلائل النبوة، ومعرفة الصحابة، وتاريخ أصبهان، وغير ذلك، توفي سنة ٤٤٣هـ، تذكرة الحفاظ ٣/١٠٩٢ - ١٠٩٧.

(٣) في التحلية ٦/٣٥٥، قال أبو نعيم: غريب من حديث مالك تفرد به جعفر عن عبد الملك.

(٤) في سنته ٢/١٤٢٣، ح ٤٢٥٩؛ وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٢/٤١٧، ح ١٣٥٣٦، قال الهيثمي: إسناده حسن، مجمع الزوائد ١٠/٣٠٩، وقال الألباني: حديث حسن، انظر صحيح ابن ماجه له ٢/٤١٩، ح ٣٤٣٥.

(٥) لم أجده في الموطأ.

(٦) (كتاب): لست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م)، وانظر: ص (١١٤٤).

(٧) في جامعه ٤/٦٣٨، ح ٢٤٥٩، وقال: هذا حديث حسن؛ وأخرجه ابن ماجه ٢/١٤٢٣، ح ٤٤٦٠؛ والطبراني في الكبير ٧/٢٨١، ح ٧١٤١؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٣/٣٦٩، ح ٦٣٠٦؛ وأبو داود الطيالسي في مسنده ص (١٥٣)، ح ١١٢٢؛ قال الألباني: حديث ضعيف، انظر: ضعيف الترمذي له ص (٢٧٩)، ح ٤٣٦.

(٨) في (ع): اذكروا.

(٩) قال الحافظ العراقي: رواه ابن أبي الدنيا بإسنادٍ ضعيف جداً، انظر: المغني عن حمل =

وروي عنه عليه السلام أنه قال: «كفى بالموت واعظاً»^(١).

وقيل له: يا رسول الله، هل يحشر مع الشهداء أحد؟ قال: «نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة»^(٢).

وقال السدي^(٣) في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلِغَكُمْ إِلَيْكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، أي: أكثركم^(٤) للموت ذكراً، وله أحسن استعداداً، ومنه أشد خوفاً وحذراً^(٥).

فصل

قال علماؤنا^(٦) رحمة الله عليهم: قوله^(٧) عليه السلام: «أكثرُوا ذكراً هادم اللذات»: الموت كلامٌ مختصرٌ وجيزٌ، قد جمع التذكرة، وأبلغ في الموعظة، فإن من تذكر^(٨) الموت حقيقة ذكره نقص عليه لذته الحاضرة، ومنعه من تمنئها في المستقبل، وزهده فيما كان منها يؤمل، ولكن^(٩) النفوس الزاكدة، والقلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعاظ، وتزويق الألفاظ، وإلا ففي قوله عليه السلام: «أكثرُوا ذكراً هادم اللذات» مع قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾

= الأسفار في الأسفار للمحافظ العراقي ١٢٠٢/٢، ح ٤٣٤٤.

(١) رواه أحمد في الزهد عن عمار بن ياسر رضي الله عنه ص (١٧٦)، ورواه نعيم بن حماد في زوائد الزهد لابن المبارك عن ابن مسعود رضي الله عنه ص (٣٧)، ح ١٤٨، وقد صححه الشيخ الألباني موقوفاً، وضدّه مرفوعاً، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/٢ رقم ٥٠٢ وهذا القول مشهور أيضاً عن الفضيل بن عياض، انظر: سير أعلام النبلاء ٣٨٨/٨.

(٢) قال المحافظ العراقي: لم أقف له على إسناد، المغني ١/٢، ح رقم ٤١٣٤.

(٣) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، الإمام، المفسر، أبو محمد الحجازي، ثم الكوفي السدي. توفي سنة ١٢٧هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ٥/٢٦٤ - ٢٦٥.

(٤) في (ظ): أكثرهم.

(٥) ذكره الماوردي في تفسيره ٦/٥٥١ وانظر: تفسير السدي ص (٤٥٨).

(٦) القائل هو: أبو محمد عبد الحق في كتابه العاقبة ص (٣٨).

(٧) في (ع): في قوله. (٨) في (ع): ذكر.

(٩) في (ع): لكن.

[آل عمران: ١٨٥] ما يَكْفِي السامعُ له، ويشغل^(١) الناظرُ فيه^(٢).

وكان أمير المؤمنين: عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه كثيراً ما يتمثل بهذه الآيات^(٣):

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته	يبقى الإله ويودي ^(٤) المال والولد
لم تُغن عن هُرْمَرَّ يوماً خزائنه	والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له	والإنس والجن فيما بينها برد ^(٥)
أين الملوك التي كانت لعزتها	من كل أوب إليها وافد يفد
خوض هنالك مورود بلا كذب	لا بُد من وزده يوماً كما ورَدوا ^(٦)

فصل

إذا ثبت ما ذكرناه فاعلم أن ذكر الموت يورث استيشعار الانزعاج عن هذه [أ/٣] الدار القانية، والتوجه في كل لحظة إلى الآخرة الباقية، ثم إن الإنسان لا ينفك عن حالتي ضيق، وسعة، ونعمة، ومحنة^(٧)، فإن كان في حال ضيق، ومحنة^(٨) فذكر الموت يسهل عليه بعض ما هو فيه فإنه لا يدوم، والموت أصعب منه، أو في حال نعمة وسعة، فذكر الموت يمنع^(٩) من

(١) في (الأصل): ويشغل. والتصويب من (ع، ظ، والعاقة).

(٢) إلى هنا انتهى قول أبي محمد.

(٣) في (ع، ظ): كثيراً يشد هذه الآيات.

(٤) في الصحاح ٦/٢٥٢١: أودى فلان، أي هنك.

(٥) في (الأصل): برد، وفي الأغاني: تجري بينها البرد، وما أثبتته من (ع، ظ)؛ لقرية مما في الأغاني؛ ولأن البرد يأتي بمعنى ثبوت الحق على الآخرين، والخصومة يوم القيامة بين الإنس والجن معلومة، وانظر: الصحاح ٢/٤٤٦.

(٦) جزء من قصيدة طويلة لورقة بن نوفل، أوردها أبو الفرج الأصبهاني في كتابه الأغاني ٣/١١٥؛ وذكر أبو داود السجستاني في كتابه الزهد ص(٩٦) البيت الأول منها عن عمر رضي الله عنه.

(٧) في (ظ) تقديم وتأخير: حالتي ضيق، ونعمة، ومحنة، وسعة.

(٨) (فإن كان في حال ضيق، ومحنة): ليست في (ظ).

(٩) في (ع، ظ): يمنع.

الاغترار بها، والسكون إليها لقطعها عنها، ولقد أحسن من قال^(١):

اذكر الموت هادم اللذات وتجهز لمضرع سوف يأتي^(٢)

وقال آخر^(٣):

واذكر الموت تجده راحة في اذكار^(٤) الموت تقصير الأمل

وأجمعت الأمة على أن الموت ليس له سئ معلوم، ولا زمن معلوم، ولا مرض معلوم^(٥)؛ وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك، مستعداً لذلك، وكان بعض الصالحين يُنادي بالليل على سور المدينة: الرحيل، الرحيل، فلما توفي فقد صوته أمير تلك المدينة، فسأل عنه، فقيل له: إنه قد مات فقال:

ما زال ينهج بالرحيل وذُكِرِه حتى أناع ببابه الجنان

فأصابه شيقظاً ومُتشمراً^(٦) ذا أهبة لم تُلهه الآمال

وكان يزيد الرقاشي^(٨) يقول لنفسه: وَيَحْك يا يزيدُ مَنْ ذَا^(٩) يُصلي عنك بعد الموت؟ مَنْ ذَا^(١٠) يصومُ عنكَ بعد الموت؟ مَنْ ذَا^(١١) يترضى عنكَ ربَّكَ بعد الموت؟ ثم يقول: أيها الناسُ ألا تبكون، وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم؟ مِنَ الموتِ موعدهُ، والقبرِ بيتهُ، والثرى فراشهُ، والدودُ أنيسهُ، وهو

(١) لم أقف على القائل. (٢) في (ع): يأت.

(٣) لم أقف على القائل.

(٤) هكذا في جميع النسخ، ولعل الكلمة (اذكار) بالبدال المشددة، والقاعدة في ذلك: إذا وقعت ناء الافتعال بعد الدال أو الزاي أو النذال قلبت دالاً، قال ابن مالك في الفيته:

ظَا نَا أَفْتَعَالٍ رُدُّ إِثْرٍ مُظْبِقٍ فِي إِذَانٍ وَأَزْدُ وَأَكْبَرُ دَالاً بِقِي

(٥) (ولا مرض معلوم): لست في (ع). (٦) في (ع، ظ): فقيل إنه مات.

(٧) في (ع): مشمراً.

(٨) يزيد بن أبان الرقاشي بتخفيف القاف، أبو عمر البصري القاص، زاهد ضعيف، أسند عن أنس بن مالك، وروى عن الحسن وغيره، إلا أن التبعيد شغله عن حفظ الحديث فأعرضت الثقة عما يروي، من الخامسة مات قبل العشرين، انظر: صفة الصفوة ٣/

٢٨٩ - ٢٩٠ لأبي الفرج ابن الجوزي؛ تقريب التهذيب ص (١٠٧١) رقم ٧٧٣٣.

(٩) في (ظ): من ذا الذي. (١٠) في (ظ): من ذا الذي.

(١١) في (ظ): من ذا الذي.

مع هذا منتظر^(١) الفرع الأكبر، كيف يكون حاله؟ ثم يبكي حتى يسقط مغشياً عليه^(٢).

وقال التيمي^(٣): شيطان قطعاً عني^(٤) نذاذة الدنيا: ذكر الموت، وذكر الوقوف^(٥) بين يدي الله تعالى^(٦).

وكان عمر بن عبد العزيز^(٧) يجمع الفقهاء فيتذاكرون^(٨) الموت، والقيامة، والآخرة، فيكون^(٩) حتى كأن بين أيديهم جنازة^(١٠).

وقال أبو نعيم^(١١): كان الثوري^(١٢) إذا ذكر الموت لا يتفجع به أياماً، فإن سئل عن شيء قال: لا أذري لا أذري.

(١) في (ع، ظ): ينتظر.

(٢) ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب المختصرين ص (١٤٦)؛ وأبو نعيم في الحلية ٥١/٣، وأبو محمد عبد الحق في العاقبة ص (٤٠).

(٣) عبد الأعلى التيمي، هكذا ذكره أبو نعيم في الحلية ولم يذكر له ترجمة؛ قال ابن حجر: روى عن أبيه وعمر وابن مسعود، وروى عنه أبو حنيفة ومسعر، ذكره البخاري في تاريخه فلم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، انظر: تعجيل المنفعة لابن حجر ص (٢٤٣) رقم ٦٠٢؛ والتاريخ الكبير للبخاري ٧٢/٦ رقم ١٧٤٦.

(٤) كلمة: (عني)، طمس في الأصل وتوضيحا من (ع، ظ).

(٥) في (الأصل): الموقف، وما أثبتته من (ع، ظ، حلية الأولياء).

(٦) ذكره أبو نعيم في الحلية ٨٨/٥ - ٨٩، وأبو محمد عبد الحق في العاقبة ص (٣٩).

(٧) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، الإمام، الحافظ، العلامة، المجتهد، العابد، الخليفة الزاهد الراشد، أشج بني أمية. توفي سنة ١٠١هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ١١٤/٥ - ١٤٨.

(٨) في (ع): فيذاكرون.

(٩) في (ع): ويكون.

(١٠) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين ٤١٢/٤؛ وأبو محمد عبد الحق في العاقبة ص (٤٠).

(١١) في الحلية ٦/٣٨٧.

(١٢) سفيان بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الله الثوري الكوفي، المجتهد، شيخ الإسلام، إمام الحافظ، سيد العلماء العالمين في زمانه، مصنف كتاب الجامع. توفي سنة ١٢٦هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ٧/٢٢٩ - ٢٣٠.

وقال ابن أسباط^(١): ذُكِرَ عند النبي ﷺ رجلٌ فأثني عليه، فقال رسول الله ﷺ: «كيف ذُكِرَ للموت؟ فلم يُذكر»^(٢) ذلك منه، فقال: ما هو كما تقولون^(٣).

وقال اللغاف^(٤): «مَنْ أَكثَرَ ذَكَرَ الْمَوْتِ أَكْرَمَ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءٍ: تَعْجِيلُ التَّوْبَةِ، وَقَنَاعَةُ الْقَلْبِ، وَنَشَاطُ الْعِبَادَةِ، وَمَنْ نَسِيَ الْمَوْتَ عُوقِبَ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءٍ: تَسْوِيفُ التَّوْبَةِ، وَتَرْكُ الرِّضَى^(٥) بِالْكَفَافِ، وَالتَّكَاسُلُ فِي الْعِبَادَةِ.

فتفكر يا مغرور في الموت وسكرته، وصعوبة كآسبه، ومرارته^(٦)، فيا للموت من وعيد ما أصدقه ومن حاكم [ب/٣] ما أعدله، وكفى^(٧) بالموت مُقْرِحاً للقلوب، ومُبْكياً للعيون، ومُفَرِّقاً للجماعات، وهادماً للذات، وقاطعاً للأمنيات، فهلاً تفكرت يا ابن آدم [في] يوم مضرك، وانتقالك من موضعك، وإذا^(٨) نُقِلْتَ مِنْ سَعَةِ إِلَى ضَيْقٍ، وَخَانِكَ الصَّاحِبُ وَالرَّفِيقُ، وَهَجَرَكَ الْأَخُ وَالصَّدِيقُ، وَأَخَذْتَ مِنْ قُرْبِكَ وَغَطَّائِكَ إِلَى عَرِي^(٩)، وَغَطَّوْكَ مِنْ بَعْدِ لَيْلٍ لِحَافِكَ بِتَرَابٍ وَمَدْرٍ، فَيَا جَامِعَ الْمَالِ، وَالْمَجْتَهِدُ فِي الْبِنْيَانِ لَيْسَ لَكَ وَاللَّهِ

(١) يوسف بن أسباط، أبو يعقوب الزاهد له مواعظ وحكم، روى عن الثوري وغيره، توفي سنة ١٩٥هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، ١٦٩/٩، ومشاهير علماء الأمصار لابن حبان البستي ص (١٨٦) رقم الترجمة ١٤٩٠.

(٢) في (ع): تذكر.

(٣) قال العرافي: رواه ابن أبي الدنيا في الموت من حديث أنس بإسناد ضعيف، المعنى ١٢٠٢/٢، رقم ٤٣٤٨.

(٤) هكذا ورد اسمه في جميع النسخ، وفي المطبوعة: الدفاق، ويبدو أنه تصحيف؛ فقد أورد المناوي الأثر في فيض القدر ٨٥/٢، ونسبه إلى اللغاف، وبالرجوع إلى كتب التراجم العامة لم أظف على علم بهذا الاسم إلا ما جاء في ترجمة حاتم الأصم الواعظ أن راوي آثاره يسمى حامداً اللغاف، انظر: حلية الأولياء ٦٠/٨، ٦٤، ٦٦، ٧٥ والبيهقي في الزهد الكبير ١٥٨/٢، ٢١١.

(٥) في (ع): الترضي.

(٦) (ومراتته): ليست في (ع).

(٧) في (ع، ط): فكفى.

(٨) ما بين المعقوفتين من (ع، ط).

(٩) في (ع): إذ.

(١٠) العرر: الأرض المُستعمدة، انظر: الصحاح ٧٤٤/٢.

من ما لك إلا الأكفان، بل هي والله^(١) للخراب، والذهب، وجسمك للتراب والمآب، فأين الذي جمعته من المال؟ فهلاً أبعدك^(٢) من الأهوال؟ كلا، بل^(٣) تركه إلى من لا يحمدك، وقدمت بأوزار على من لا يعذرك.

ولقد أحسنَ مَنْ قال^(٤) في تأويلِ قولِهِ تعالى: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧] النصب^(٥): الكفن، فهو وعظ متصل بما تقدم من قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾، أي: اطلب فيما أعطاك الله من الدنيا الدار الآخرة^(٦) وهي: الجنة، فإن حق المؤمن أن يصرف الدنيا فيما ينفعه في الآخرة، لا في الطين والماء، والتجبر والبغي، فكانهم قالوا: لا تنس^(٧) أنك تترك جميع^(٨) مالك إلا نصيبك الذي هو الكفن، ونحو هذا قول الشاعر^(٩):

نصيبك مما تجمع الدهر كله رداء ان تلوى فيهما وحنوط
وقال آخر^(١٠):

هي القناعة لا تبغي بها بدلاً فيها النعيم وفيها راحة البدن
انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن

فصل^(١١)

وقوله^(١٢): «الكيسُ من دان نفسه»، دَانَ: حاسَبَ، وقيل: دَلَّ^(١٣).

- (١) (والله): ليست في (ع، ظ).
- (٢) في (ع): بلى.
- (٣) هذا القول ذكره القرطبي في تفسيره ٢٠٨/١٣ فقرة رقم ٣١٤، ولم يذكر له قائل.
- (٤) في (ع، ظ): إن النصب.
- (٥) (أي: اطلب فيما أعطاك الله من الدنيا الدار الآخرة): ليست في (ع).
- (٦) (لا تنس): ليست في (ع).
- (٧) (٨) في (ع): من جميع.
- (٨) ذكر القرطبي في تفسيره هذا البيت ٢٠٨/١٣ فقرة رقم ٣١٤، ولم ينسبه إلى قائل معين.
- (٩) ذكره القرطبي في تفسيره أيضاً ٢٠٨/١٣ فقرة رقم ٣١٤، ولم ينسبه إلى قائل.
- (١٠) كلمة (فصل): ليست في (ع، ظ).
- (١١) في (ع، ظ): وقوله ﷺ.
- (١٢) انظر: النهاية في غريب الحديث ١٤٨/٢.

قال أبو عبيد^(١): دان نفسه: أي أذلها واستعبدتها، يقال: دنته، أدنيتُه إذ أدلته^(٢)، فيذل نفسه في عبادة الله تعالى عملاً يُعَدُّه لما بعد الموت، ولقاء الله تعالى، وكذلك يحاسب نفسه على ما فرط من عمره، ويستعد لعاقبة أمره، بصالح عمله، والتَّنْصُلُ مِنْ سَالِفِ زَلِيلِهِ، وذكر الله تعالى، وطاعته في جميع أحواله؛ فهذا هو الرَّادُّ لِيَوْمِ الْمَعَادِ.

والعاجزُ ضد الكيس، والكيسُ: العاقلُ، والعاجزُ: المَقْصُرُ في الأمور، فهو مع تقصيره في طاعة ربه، واتباع شهوات نفسه متنمُّ على الله أن يغفر له؛ وهذا هو الاعتزازُ، فإنَّ الله تعالى أمره، ونهاه.

قال الحسن البصري^(٣)^(٤): إنَّ قومًا ألَهْتَهُمُ الْأَمَانِيَّ^(٥) حَتَّى خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا لَهُمْ حَسَنَةٌ، وَيَقُولُ أَحَدُهُمْ إِنِّي أَحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّي^(٦) وَكَذَبَ، لَوْ أَحْسَنَ الظَّنَّ لِأَحْسَنِ الْعَمَلِ، وَتَلَا قَوْلَهُ^(٧) تَعَالَى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحْتُمْ مِنْ الْقَتِيلِينَ﴾ ﴿١٣﴾ [فصلت: ٢٣]^(٨).

وقال سعيد بن جبير^(٩): الغرة بالله: أن يتمادي الرجل بالمعصية، ويتمنى على الله المغفرة [٤/أ] (١٠) (١١).

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي، اللغوي، الفقيه، صاحب المصنفات منها: الناسخ والمنسوخ، والأموال، - وكتاب الإيمان - توفي سنة ٢٢٤هـ، تذكرة الحفاظ ٤١٧/٢ - ٤١٨.

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ٤٣٨/١.

(٣) (البصري): ليست في (ع).

(٤) الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد البصري، من بحور العلم، ملبح التذكير، بليغ الموعظة، رأس في أنواع الخير، توفي سنة ١١٠هـ، تذكرة الحفاظ ٧١/١ - ٧٢.

(٥) في (الأصل): الأماني بالمغفرة، وما أثبت من (ع، ظ، م).

(٦) في (ع): بالله. (٧) في (ع، ظ): تلا قول الله.

(٨) انظر: تفسير الحسن البصري ٢٦٧/٢.

(٩) سعيد بن جبير بن هشام، الإمام، الحافظ، المفسر، أبو محمد الأسدي، النواليبي مولاهم، أحد الأعلام، توفي سنة ٩٥هـ، سير أعلام النبلاء ٣٢١/٤ - ٣٤١.

(١٠) ذكره المحاسبي في الرعاية لحقوق الله ص (٤٣٣).

(١١) قال ابن القيم في الفرق بين حسن الظن بالله تعالى والغرور: إن حسن الظن إن حمل على العمل وحث عليه وساق إليه فهو صحيح، وإن دعا إلى البطالة والانهماك في =

وقال بقية بن الوليد^(١): كتب أبو عمير الصوري^(٢) إلى بعض إخوانه: أما بعد، فإنك قد أصبحت تؤمل الدنيا بطول عمرك، وتتمنى على الله الأمانى بسوء فعلك، وإنما تضرب حديداً بارداً، والسلام^(٣).

وسياتي لهذا^(٤) مزيد بيان في باب ما جاء أن القبر أول منازل الآخرة^(٥) إن شاء الله.

باب ما يُذَكَّرُ الموت والآخرة ويُزهد في الدنيا

مسلم^(٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى، وأبكى من حوله فقال: «استأذنت ربي [في]^(٧) أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكّر الموت».

ابن ماجه^(٨) عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «كنت^(٩) نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تزهد في الدنيا، وتذكر الآخرة».

- المعاصي فهو غرور. وحسن الظن هو الرجاء فمن كان رجاءه هادياً له إلى الطاعة وزاجراً عن المعصية فهو رجاء صحيح. ومن كان بطلانه رجاء ورجاؤه بطلالة ونفريطاً فهو المغرور. الجواب انكافي ص (٤٠).

(١) بقية بن الوليد، أبو يحمّد، انكلاعي، الحميري، الحمصي، محدث الشام، توفي سنة ٩٧هـ، تذكر الحفاظ ٢٨٩/١ - ٢٩٠.

(٢) في (الأصل، ع): أبو عمر الصوري، والتصويب من (ظ)، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم، وهو أبان بن سليمان، أبو عمير الصوري، كان من عباد الله الصالحين، يتكلم بالحقمة، الجرح والتعديل ٣٠٠/٢ رقم الترجمة ١١٠٦.

(٣) لم أقف على هذا الأثر. (٤) في (ع، ظ): لهذا الباب.

(٥) انظر: ص (٣٠١). (٦) في صحيحه ٦٧١/٢، ح ٩٧٦.

(٧) في (الأصل): رسول الله، وما أثبت من (ع، ظ، صحيح مسلم).

(٨) ما بين المعقوفين من (ع، ظ، م، صحيح مسلم).

(٩) في سنته ٥٠١/١، ح ١٥٧١، وابن حبان في صحيحه ٢٦١/٣، ح ٩٨١، قال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف سنن ابن ماجه ص (١١٩)، ح ٣٤٣.

(١٠) (كنت): ليست في (ع، ظ)، والأصل يتوافق مع سنن ابن ماجه.

فصل

زيارة القبور للرجال^(١) متفق عليه^(٢) عند العلماء، مُختلف في النساء، أما الشواب فحرام عليهن الخروج، وأما القواعد فمباح لهن ذلك، وجائز لجميعهن ذلك^(٣) إذا انفردن بالخروج عن الرجال^(٤)، ولا يختلف في هذا إن شاء الله تعالى^(٥).

و^(٦) على هذا المعنى يكون قوله **فَلْيُحْجَبْنَ**: «زوروا القبور»، عام^(٧)، وأما موضع، أو وقت يُخشى فيه الفتنة من اجتماع الرجال والنساء فلا يحل ولا

(١) في (الأصل): للرجل، والتصويب من (ع، ظ، م).

(٢) هكذا في جميع النسخ، ولعل الضمير يرجع إلى محذوف تقديره: أمر.

(٣) في (الأصل): وجائز ذلك لجميعهن، وما أثبتته من (ع، ظ، م).

(٤) ذكر أبو محمد في العاقبة ص(٢١٢ - ٢١٣) كلاماً قريباً من هذا، فربما تصرف فيه المصنف.

(٥) بل الخلاف في زيارة النساء للقبور مشهور ومبسوط في كتب أهل العلم، انظر:

التمهيد لابن عبد البر ٣/٢٣٢ - ٢٣٥؛ والمجموع شرح المهذب للنووي ٥/٣١١؛

والمغني لابن قدامة ٢/٤٣٠؛ ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٤/٣٤٣ - ٣٥٩؛ وجزء

في زيارة النساء للقبور لبكر بن عبد الله أبو زيد.

والخلاف بين أهل العلم في هذه المسألة يدور بين التحريم والكرهة والإباحة، ولم

أقف على من قال باستحباب زيارة النساء للقبور، فغاية ما قاله الإباحة والجواز

بشروط وضوابط في الخروج، وحد المباح هو لما أذن الله في فعله وتركه غير مقترن

بذم فاعله وتاركه ولا مدحه وهو من الشرع؛ روضة الناظر لابن قدامة ١/١١٦،

فالإباحة في الزيارة لا بُدَّ فيها من إذن الشارع وهو أمر متنازع فيه، هذا من جانب،

ومن جانب آخر فإن الزائرة لا تناب على زيارتها ولا تمدح بفعلها، فلم يبق لها إلا

فائد الانتفاع الشخصية من تذكر الموت والآخرة وهي مصلحة خاصة محاطة بالفتن

ومحاذير الجزع وقلة الصبر والنيابة على الموتى، بل محاطة بالشرك من دعاء الموتى

والاستغاثة بهم، فإذا عَلِمَ هذا فإن المتقرر في قواعد الشريعة الإسلامية أن درء

المفاسد مقدم على جلب المصالح، فتمنع النساء من زيارة القبور سداً لتلك الذرائع،

والله تعالى أعلم.

(٦) (الواو): ليست في (ع).

(٧) هكذا (عام) بالرفع في (الأصل، ع، م)، وفي (ظ): عاماً، بالنصب، والذي يظهر أن

الصواب ما في (ظ)؛ لأن كان هنا ناقصة فاسمها (قَوْلُهُ) وخبرها (عاماً) والله أعلم.

يجوز، فبينما الرجل يخرج ليعتبر^(١) فيقع بصره على امرأة فيفتتن، وبالعكس، فيرجع كل واحد من الرجال والنساء^(٢) مأزوراً غير مأجور، وهذا واضح، والله أعلم.

وقد رأى بعض أهل العلم^(٣): أن لعن النبي ﷺ زوارات القبور^(٤) كان^(٥) قبل أن يرخص في زيارة القبور^(٦)، فلما رخص^(٧) دخل في رخصته الرجال والنساء، وما ذكرناه لك أولاً أصح، والله أعلم.

وروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه خرج إلى المقبرة^(٨)، فلما أشرف عليها قال: يا أهل القبور أخبرونا عنكم، أو نخبركم، أمّا خير من^(٩) قبيلنا: فالمال^(١٠) قد اقتسم، والنساء قد تزوجن، والمساکن قد سكنها قوم غيركم، [ثم قال]^(١١): أما والله لو استطاعوا لقالوا: لم نرد زاداً خيراً من التقوى^(١٢).

ولقد أحسن أبو العتاهية^(١٣) حيث يقول:

يا عجباً للناس لو فكروا وحاسبوا أنفسهم أبصروا^(١٤)
وعبروا الدنيا إلى غيرها فإنما الدنيا لهم مغبر

(١) في (الأصل): فيعتبر وما أثبتته من (ظ، م).

(٢) (من قوله): فلا يحل ولا يجوز. إلى هذا الموضع سقط في (ع).

(٣) صاحب الرأي هو: ابن عبد البر في التمهيد ٧/٢٣٢.

(٤) في (ظ): أن نهي رسول الله ﷺ عن زيارة القبور.

(٥) (كان): ليست في (ظ). (٦) في (ظ): في زيارتها.

(٧) من قوله: وقد رأى بعض أهل العلم... إلى هذا الموضع سقط في (ع).

(٨) في (ع): مر إلى المقبرة.

(٩) في (ع، ظ): ما، وما بالأصل أحسن؛ لأن أكثر ما يستعمل للعاقل: (من).

(١٠) في (ظ): فإن المال. (١١) ما بين المعقوتين من (ع، ظ).

(١٢) ذكره ابن عبد البر في الاستذكار ٢/١٦٤؛ وأبو محمد عبد الحق في العاقبة ص(١٩٦).

(١٣) إسماعيل بن قاسم بن سويد الغنزي مولاهم الكوفي، أبو إسحاق، رأس الشعراء، سار شعره لجموده، وحسنه، وعدم تقعره، توفي سنة ٢١١هـ، وقيل ٢١٣هـ، وفيات الأعيان لابن خلكان ١/٢١٩؛ سير أعلام النبلاء ١٠/١٩٥ - ١٩٧.

(١٤) في (ع): وأبصروا.

لا فخرَ إلا فخر أهلِ الثُّقى
 لِيَعْلَمَنَّ النَّاسُ أَنَّ الثُّقَى^(٢)
 عَجِبَتْ لِلإِنْسَانِ^(٣) فِي فِخْرِهِ [٤/ب] ما يالُ مَنْ أَوْثَهُ نُظْفَةً
 أَصْبَحَ لَا يَمْلِكُ تَقْدِيمَ
 وَأَصْبَحَ الأَمْرَ إِلَى غَيْرِهِ
 غداً إِذَا ضَمَّهُمُ المَحْشَرُ^(١)
 وَالْبِرُّ كَإِنَّا خَيْرُ ما يُدْخَرُ
 وَهُوَ غداً فِي قَبْرِهِ^(٤) يُقْبَرُ
 وَجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ^(٥)
 ما يَرْجُو ولا تَأخِيرَ ما يَحْذَرُ
 فِي كلِّ ما يُقْضَى وما يَقْدَرُ^(٦)

فصل

قال العلماء^(٧) رحمة الله عليهم: ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور، وخاصة إن كانت قاسية، فعلى أصحابها أن يعالجوها بأربعة أمور:

أحدها: الإقلاع عما هي عليه، بحضور مجالس العلم بالوعظ، والتذكر^(٨)، والتخويف، والترغيب، وأخبار الصالحين؛ فإن ذلك ممّا يلين القلوب، وينجع فيها.

الثاني: ذكر الموت، فيكثر من ذكر هادم^(٩) اللذات، ومفروق الجماعات، ومؤتم البنين والبنات، كما تقدم^(١٠) في الباب قبل.

ويروى^(١١) أن امرأة شكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها^(١٢)، فقالت لها: أكثرى ذكر الموت يرق قلبك، ففعلت ذلك، فرق قلبها، فجاءت تشكر عائشة^(١٣).

(١) (غداً إذا ضمهم المحشر): ساقطة من (ع).

(٢) (ليعلمن الناس أن الثقى): ساقطة من (ع).

(٣) في ديوان أبي العتاهية (ما أحسن الإنسان).

(٤) في الديوان (في حفرة).

(٥) في (الأصل): يفجر، والتصويب من (ع، ط، وديوان أبي العتاهية).

(٦) ديوان أبي العتاهية ص (١٧٩)، وقد حذف المصنف بعض الآيات.

(٧) ثم أوقف على القائل.

(٨) في (ع، ط): هادم.

(٩) في (ع، ط): يروى.

(١٠) في (ع): قساوة قلبها.

(١١) ذكر هذا الأثر الغزالي في إحياء علوم الدين ٤/٤١٢؛ وأبو محمد في العاقبة ص (٤١)؛ وذكره ابن رجب الحنبلي في رسالته ذم قساوة القلوب ص (٢٧ - ٢٨).

قال العلماء^(١): فذكر الموت يردع عن المعاصي، ويلين القلب القاسي، ويذهب الفرح بالدنيا، ويهون المصائب فيها.

الثالث: مشاهدة المحتضرين؛ فإن في النظر إلى الميت، ومشاهدة سكراته، ونزعائه، وتأمل صورته بعد مماته، ما يقطع عن النفوس لذاتها، ويطرده^(٢) عن القلوب مسراتها، ويمنع الأجفان من النوم، والأبدان من الراحة، ويبعث على العمل، ويزيد في الاجتهاد والتعب^(٣).

ويروى^(٤) أن الحسن البصري دخل على مريض يعود فوجده في سكرات الموت، فنظر إلى كربه وشدة ما نزل به، فرجع إلى أهله بغير اللون الذي خرج به من عندهم، فقالوا له: الطعام يرحمك الله، فقال: يا أهلاه عليكم بضعايكم وشرايكم، فوالله لقد رأيت مضرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه^(٥).

فهذه ثلاثة أمور ينبغي لمن قسا قلبه، ولزمه ذنبه أن يستعين بها على دواء دائه، ويستصرخ بها^(٦) على فتن الشيطان وإغوائه^(٧)، فإن انتفع بها فذاك، وأن عظم عليه ران القلب، واستحكمت فيه دواعي الريب^(٨)، فزيارة قبور الموتى تبلغ في دفع ذلك ما لا يبلغه الأولى، والثاني، والثالث؛ ولذلك قال ﷺ: «زوروا القبور فإنها تذكرو الموت والآخرة، وتزهّد في الدنيا»^(٩)، فالأول: سماع بالأذن، والثاني: إخبار للقلب^(١٠) بما إليه المصير، وقائم له مقام التخويف، والتحذير في مشاهدة^(١١) من احتضر^(١٢)، وزيارة قبر^(١٣) من مات

(١) القائل هو: أبو محمد عبد الحق في كتابه العاقبة ص(٤٠).

(٢) في (ع): يقطع.

(٣) في (الأصل): التبعث، والتصويب من (ع، ظ).

(٤) (الواو) ليست في (ع، ظ).

(٥) ذكره الإمام أحمد في كتابه الزهد ص(٣٨٢)؛ وابن الجوزي في كتابه الحقائق في علم الحديث والزهديات ٣/٤٣٥؛ وأبو محمد عبد الحق في العاقبة ص(٤٢).

(٦) في (ع): به.

(٧) في (ع، ظ): وأعوانه.

(٨) في (ع، ظ): الذنب.

(٩) في (ع، ظ): وفي مشاهدة.

(١٠) في (الأصل): من احتضره، وما أثبتته من (ع، ظ)؛ لأن ما بالأصل يحتاج إلى تقدير: احتضره الموت، ولا يستقيم المعنى بدون الهاء.

(١١) (قبر): ليست في (ظ).

من المسلمين معاينة؛ فلذلك كانا^(١) أبلغ من الأول والثاني، قال عليه السلام: ليس الخيرُ كالمعاينة^(٢)، رواه ابنُ عباس رضي الله عنهما، لم يروه أحدٌ غيره، إلا أن الاعتبار بحال المحتضرين غير ممكن في كل الأوقات^(٣)، وقد لا يتفق لمن أراد علاج قلبه في ساعة من الساعات، وأما زيارة القبور: فوجودها أسرع، والانتفاع بها أليق وأجدز، فينبغي [١/٥] لمن عزم على الزيارة أن يتأدب بأدابها، ويحضر قلبه في إتيانها، ولا يكون حظه منها التطواف^(٤) على الأجداث فقط؛ فإن هذه حالة تشاركه فيها بهيمة^(٥)، ونعوذ بالله من ذلك، بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى، وإصلاح فساد قلبه، أو نفع الميت بما يتلو^(٦) عنده من القرآن على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى^(٧)، ويجتنب المشي على المقابر، والجلوس عليها إذا دخل المقابر، ويخلع نعليه، كما جاء في الحديث^(٨)، ويسلم إذا دخل المقابر^(٩)، ويخاطبهم خطاب الحاضرين فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين»^(١٠)، كذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول، وكفى^(١١) بالدار عن عمّارها وسكانها، ولذلك خاطبهم بالكاف والميم؛ لأن العرب تعبر بالمنزل عن أهله، وإذا وصل إلى قبر ميمه الذي يعرفه سلم^(١٢) عليه أيضاً، فيقول: عليك السلام.

(١) في (ع): كان.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢١٥/١، ح ١٨٤٢، والحاكم في المستدرک ٣٥١/٢، ح ٣٢٥٠ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه؛ وابن حبان في صحيحه بترتيب ابن بندان ٩٦/١٤، ح ٦٢١٣، كلهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح الجامع الصغير ٨٧/٥، ح ٥٢٥٠.

(٣) في (ع): وقت. (٤) في (ع): التطوف.

(٥) كلمة (بهيمة) جاءت نكرة في جميع النسخ.

(٦) في (ع، ظ): يتلوه.

(٧) سيأتي التعليق إن شاء الله على هذه المسألة في باب ما جاء في قراءة القرآن عند القبر ص (٢٧٥ - ٢٧٧).

(٨) في (ظ): أحاديث. لعل المصنف يشير إلى الحديث الذي أخرجه النسائي في المجتبى ٩٦/٤، ح ٢٠٤٨، وأبو داود ٢١٧/٣، ح ٣٢٣٠ وفيه: «فأرى رجلاً يمشي بين القبور في نعليه، فقال: يا صاحب السبتين ألقهما».

(٩) جملة (ويخلع نعليه، كما جاء في الحديث، ويسلم إذا دخل المقابر): ليست في (ع).

(١٠) جزء من حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه مسلم ٢١٨/١، ح ٢٤٩.

(١١) في (ع): ويكني. (١٢) في (ع): يسلم.

روى الترمذي في جامع^(١): «أَنَّ رجلاً دخل على النبي ﷺ فقال: عليك السلام، فقال ﷺ: لا تقل عليك السلام، فإن^(٢) عليك^(٣) السلام تحية الميت»، وأتاه من تلقاء وجهه في زيارته كمخاطبته حياً، ولو^(٤) خاطبه حياً لكان الأدب استقباله بوجهه فكذلك ما هنا^(٥)، ثم يعتبر^(٦) بمن صار تحت التراب، وانقطع عن الأهل والأحباب، بعد أن قاد الجيوش والعساكر وناقس الأصحاب والعشائر، وجمع الأموال والذخائر، فجاءه الموت في وقت لم يحتسبه، وهول لم يرتقبه، فليتأمل الزائر حال من مضى من إخوانه، ودرج من أقرابه الذين بلغوا الآمال، وجمعوا الأموال، كيف انقطعت آمالهم، ولم تغني عنهم أموالهم، ومحا التراب محاسن وجوههم، وافتقرت في القبور أجزاءهم، وترقل بعدهم نساؤهم، وشمل ذل اليتيم أولادهم، [و]^(٧) اقتسم غيرهم طريقهم وبلاذهم، ويتذكر ترددهم في^(٨) المآرب، وحرصهم على نيل المطالب، وانخداعهم لمؤاتاة^(٩) الأسباب، وركوبهم إلى الصحة والشباب، وليعلم أن ميله إلى النهو واللعب كميلهم، وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع والهلاك السريع كغفلتهم، وأنه لا بد صائر إلى مصيرهم، وليحضر بقلبه ذكر من كان متردداً في أغراضه، وكيف تهدمت رجلاه، وكان يتلذذ بالنظر إلى ما حوّل،

(١) ٧١/٥، ح ٢٧٢١ وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح؛ وأخرجه النسائي في السنن الكبرى ٨٧/٦، ح ١٠١٤٩، ٨٨/٦، ح ١٠١٥٠، وأبو داود ٥٦/٤، ح ٤١٨٤، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٣٦/١٠، والطبراني في المعجم الكبير ٦٦/٧، ح ٦٣٨٩، قال الألباني: صحيح، صحيح الترمذي له ٣٥١/٢، ح ٢١٩٠.

(٢) في (سنن الترمذي): إن.

(٣) في (ع): ذلك.

(٤) في (ع): إذ لو.

(٥) الذي يظهر أن هذا القياس مع الفارق، فالمتيت ليس كالحي من كل وجه، فعدم استقبال الأحياء بالوجه حال الخطاب قد يؤدي إلى الشحنة والبغضاء بين المسلمين وهو أمر يطلب الشارع تحبته بخلاف الميت.

(٦) في (ع): تعتبر.

(٧) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).

(٨) في (ظ): إلى.

(٩) في (الأصل): مؤاتاة، والتصريب من (ع، ظ) ومؤاتاة الأسباب: موافقتها ومطابقتها، انظر: لسان العرب ١٧/١٤.

وقد سألت عيناه، ويصول^(١) ببلاغة نطقه، وقد أكل الدود لسانه، ويضحك لمؤاتاة دهره، وقد أبلى التراب أسنانه، وليتحقق أن حاله كحال^(٢)، وماله كماله^(٣)، وعند هذا التذكري، والاعتبار، تزول^(٤) عنه جميع الأغيار الدنياوية، ويقبل على الأعمال الآخروية، فيزهد في دنياه^(٥)، ويقبل على طاعة مولاه، ويلين قلبه، وتخضع جوارحه، والله أعلم.

فصل

جاء في هذا الباب حديث يُعارض حديث هذا الباب، وهو ما خرَّجه أبو بكر أحمد بن علي^(٦) الخطيب^(٧) في كتاب السابق واللاحق^(٨)، وأبو حفص عمر^(٩) بن شاهين^(١٠) في الناسخ والمنسوخ له^(١١) في الحديث^(١٢) بإسناديهما

(١) في (ع): يقول.

(٢) في (ع): كمالهم.

(٣) في (ع): كمالهم.

(٤) في (ع): يزل.

(٥) في (ع): الدنيا.

(٦) (أحمد بن علي): ليست في (ع، ط).

(٧) الإمام العلامة، المفتي، الحافظ، الناقد، محدث الوقت، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، خاتمة الحفاظ، صاحب التصانيف منها: التاريخ، شرف أصحاب الحديث، السابق واللاحق وغير ذلك. توفي سنة ٤٦٣هـ، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٧٠ - ٢٩٧.

(٨) لا يوجد هذا الحديث في النسخة المطبوعة من السابق واللاحق، قال محقق الكتاب:

هناك بعض النصوص منقولة من السابق واللاحق ولم أجدتها في النسخة التي بين يدي

وقد نصر ناقلوها إنها من السابق واللاحق. ولم أستطع أن أعرف الموضوع الذي

سقطت منه بالتحديد، فأحييت أن أجعلها في ملحق للكتاب، وذكرتها: حديث عائشة

في حجة الوداع المذكور. انظر: السابق واللاحق للخطيب البغدادي (٣٧٧ - ٣٧٨).

(٩) أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان المعروف بابن شاهين، الشيخ الصدوق الحافظ،

العالم صاحب التفسير الكبير، قال الخطيب البغدادي: قال محمد بن عمر الداودي:

رأيت يوماً اجتمع مع الحسن الدارقطني فلم ينطق بكلمة هيبه وخوقاً أن يخطئ بحضرة

أبي الحسن، وقال: سمعت ابن شاهين يقول: أنا أكتب ولا أعارض، وكذا حكى عنه

البرقاني، قال البرقاني: فنذلك لم أستكثر زهداً فيه توفي سنة ٣٨٥هـ، انظر: تاريخ

بغداد للخطيب البغدادي ١١/ ٢٦٨؛ سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٣١.

(١٠) في (الأصل): عمر بن شاهين، والتصويب من (ع، ط، مصدر الترجمة).

(١١) ناسخ الحديث ومنسوخه لعمر بن شاهين ص (٤٨٩ - ٤٩٠).

(١٢) في (ط): في هذا الحديث.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج بنا رسول الله ﷺ ٥١/ب حجة الوداع فمر بي على غيبة الحجون^(١) وهو بك، حزين، مُعْتَمٍ، فبكت لبكاء رسول الله ﷺ ثم إنّه ظفر^(٢) فنزل فقال:

يا حُميراء استمسكي، فاستندت إلى جنب البعير، فمكث عني طويلاً^(٣) ثم عاد إليّ وهو فرح متبسّم^(٤)، فقلت [له]^(٥): يا أيّي أنت وأمي يا رسول الله نزلت من عندي وأنت بك حزين مُعْتَمٍ، فبكت لبكاءك يا رسول الله، ثم إنك عدت إليّ وأنت فرح متبسّم، فعمّماذا يا رسول الله؟ فقال: ذهبت يقبر أُمّي آمنّة فسألت الله تعالى^(٦) أن يحييها، فأحيها، فأمنت بي، أو قال: فأمنت^(٧)، ورذّها الله ﷻ، لفظ الخطيب^(٨). قلت^(٩): وقد ذكر السهيلي^(١٠) في روضه^(١١) الأنف له^(١٢) بإسناد فيه

(١) جبل بأعلى مكة، وقيل مكان من البيت على ميل ونصف، انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٢/٢٢٥.

(٢) الظنّة: الوثبة، الصحاح ٢/٧٢٦. (٣) في (ع، ظ): طويلاً منياً.

(٤) في (ع، ظ): ثم إنّه. (٥) في (ع): فرحاً متبسماً.

(٦) ما بين المعقوفين من (ع، ظ، م). (٧) وفي (ع): الله ربي.

(٨) في (ع، ظ): أمنت.

(٩) قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع بلا شك، والذي وضعه قليل العلم، عديم الفهم إذ لو كان له علم لعلمه أن من مات كافراً لا ينفعه أن يؤمن بعد الرجعة، لا بل لو آمن عند السعاية لم يتنفع، ويكفي في رد هذا الحديث قوله تعالى: ﴿فَيَسُئَلُ عَنْهُمْ وَهُمْ كَارِهِونَ﴾ وقوله في الصحيح: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي»، وقد كان أقوام يضعون أحاديث ويدسونها في كتب المغفلين، فيرويها أولئك، وقد قال شيخنا أبو الفضل بن ناصر: هذا حديث موضوع، وأم رسول الله ﷺ ماتت بالأبواء بين مكة والمدينة ودفنت هناك ونيس بالحجون. ١، هـ، الموضوعات من الأحاديث المرفوعات ٢/١٢ - ١٣، ج ٥٤٦.

(١٠) قلت: ليست في (ع، ظ)، والأصل يتوافق مع (م).

(١١) الحافظ العلامة أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي، الضرير، صاحب الروض الأنف في السيرة النبوية، والإعلام بما أبهم في القرآن من الأعلام، وغيرها، توفي سنة ٥٨١هـ، تذكرة الحفاظ ٤/١٣٤٨ - ١٣٤٩.

(١٢) في (الأصل ع، ظ) بتكرير كلمة (روض)، والتصويب من مسودة المؤلف (م).

(١٣) له: ليست في (ع، ظ).

(١٤) قال السهيلي: وروى حديث غريب لعلمه أن يصح وجدته بخط جدي أبي عمران أحمد بن أبي الحسن القاضي بسند فيه مجهولون، ذكر أنه نقله من كتاب، انسخ من =

مجهولون: «أن الله تعالى أحيا له أباه وأمّه وآمنا به».

قال المؤلف رحمته: ولا تعارض، والحمد لله لأن إحياءهما متأخر عن النهي بالاستغفار^(١) لهم^(٢) بدليل حديث عائشة رضي الله عنها أن ذلك كان في حجة الوداع، وكذلك جعله ابن شاهين ناسخاً لما ذكر من الأخبار^{(٣)(٤)}.

= كتاب معوذ بن داود بن معوذ الزاهد يرفعه إلى ابن أبي الزناد عن عروة عن عائشة أخبرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يحيي أبويه، فأحياهما له، وآمنا به، ثم أماتهما، انظر: الروض الأنف لأبي القاسم السهيلي ١٩٤/١.

(١) في (ع): عن الاستغفار. (٢) في (ع): لهما.

(٣) تقدم توثيق نص ابن شاهين ص (١٣٦).

(٤) سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته: هل صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تبارك وتعالى أحيا له أبويه حتى أسلما على يديه ثم ماتا بعد ذلك؟

فأجاب: لم يصح ذلك عن أحد من أهل الحديث، بل أهل المعرفة متفقون على أن ذلك كذب مخلوق، وإن كان قد روى في ذلك أبو بكر - يعني الخطيب البغدادي - في كتابه السابق واللاحق، وذكره أبو القاسم السهيلي في شرح السيرة بإسناد فيه مجاهيل، وذكره أبو عبد الله القرطبي في التذكرة، وأمثال هذه المواضع، فلا نزاع بين أهل المعرفة أنه من أظهر الموضوعات كذباً كما نص عليه أهل العلم، وليس ذلك في الكتب المعتمدة في الحديث: لا في الصحيح ولا في السنن ولا في المسانيد ونحو ذلك من كتب الحديث المعروفة، ولا ذكره أهل كتب المغازي والتفسير، وإن كانوا قد يروون الضعيف مع الصحيح؛ لأن ظهور كذب ذلك لا يخفى على متدين، فإن مثل هذا لو وقع لكان مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله فإنه من أعظم الأمور خرقاً للعادة من وجهين:

أ - من جهة إحياء الموتى.

ب - ومن جهة الإيمان بعد الموت.

فكان نقل مثل هذا أولى من نقل غيره، فلما لم يروه أحد من الثقات علم أنه كذب. والخطيب البغدادي هو في كتاب السابق واللاحق مقصوده أن يذكر من تقدم ومن تأخر من المحدثين عن شخص واحد سواء كان الذي يروونه صدقاً أو كذباً، وابن شاهين يروي الغث والسمين، والسهيلي إنما ذكر ذلك بإسناد فيه مجاهيل.

وهذا بخلاف الكتاب والسنة الصحيحة والاتفاق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ وَلَيْسَ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَّا وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَمَا﴾.

قلت^(١): «ويُؤَيِّنُ حَدِيثُ مُسْلِمٍ^(٢) عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: «فِي النَّارِ، فَلَمَّا قَتِيَ دَعَاهُ، فَقَالَ: إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ». وَحَدِيثُ سَلْمَةَ بْنِ يَزِيدَ الْجَعْفِيِّ فِيهِ: «فَلَمَّا رَأَى مَا دَخَلَ عَلَيْنَا قَالَ: وَأُمِّي مَعَ أُمَّكُمَا»^(٣)

- فبين الله تعالى أنه لا توبة لمن مات كافراً.

وفي صحيح مسلم قوله ﷺ: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ». وفي صحيح مسلم أيضاً: «وَأَسْتَأْذِنْتَهُ فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يَأْذَنْ لِي» - الحديث - وفي الحديث الذي في المسند وغيره قال: «إِنَّ أُمِّي مَعَ أُمَّكَ فِي النَّارِ».

فإن قيل: هذا في عام الفتح والإحياء كان بعد ذلك في حجة الوداع! ولهذا ذكر ذلك من ذكره وبهذا اعتل صاحب التذكرة - أي القرطبي - وهذا باطل من وجوه:

الأول: أن الخبر عما كان ويكون لا يدخله نسخ كقوله في أبي نهب: «سَيَصَلِّي نَارًا دَاتَ لَهْبٍ»^(٤)، وكقوله في الوليد «سَأُيَفِّقُهُ صَعُودًا»، وكذلك في «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ»، وإن أُمِّي مع أُمَّكَ فِي النَّارِ، وهذا نُبَسْ خَيْرٌ عَنِ نَارٍ يَخْرُجُ مِنْهَا صَاحِبُهَا كَأَهْلِ الْكِبَايَرِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَجَازَ الْأَسْتَغْفَارُ لِهَمَا، وَتَوُ كَانَ قَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ إِيْمَانَهُمَا لَمْ يَنْبَغِ عَنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْأَعْمَالَ بِالْخَوَاتِيمِ، وَمَنْ مَاتَ مُؤْمِنًا فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُ فَلَا يَكُونُ الْأَسْتَغْفَارُ لَهُ مَمْتَعًا.

الثاني: أن النبي ﷺ زار قبر أمه، وأما أبوه فلم يزره إذ كان مدفوناً بالشام في غير طريقه، فكيف يقال: أحسب له؟!!

الثالث: أنهما لو كانا مؤمنين إيماناً يتفح كانا أحق بالشهرة والذكر من عميه: حمزة، والعباس، وهذا أبعد مما يقوله الجيهاال من الرفضة ونحوهم من أن أبا طالب آمن، هذا باطل لما في الصحيح وغيره، فلما كان من العلم المتواتر المستفيض بين الأمة خلفاً عن سلف أنه لم يُذكر أبو طالب ولا أبواه في جملة من يذكر من أهله المؤمنين، كحمزة، والعباس، وعني، وفاطمة، والحسن، والحسين ﷺ، كان هذا من آيين الأدلة على أن ذلك كذب.

الرابع: إن الله تعالى قال: «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّنَا إِنَّا بِهِرُونَ بِكُمْ - إلسى قوله - لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ» الآية، وقال تعالى: «وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِتْيَاءً فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ». فأمر بالتأسي بإبراهيم والذين معه إلا في وعد إبراهيم لأبيه بالاستغفار، وأخبر أنه لما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه والله أعلم. انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٤/٣٢٤ - ٣٢٧ باختصار.

(١) قلت: ليست في (ع، ظ).

(٢) في صحيحه ١/١٩١، ح ٢٠٣.

على ما يأتي^(١). هذا إن صح إحيائهما^(٢)، وقد سمعت^(٣) أن الله تعالى أحيى له عمه أبا طالب، وآمن به، والله^(٤) أعلم. وقد قيل: إن الحديث في إيمان أمه وأبيه موضوع يرده القرآن العظيم، والإجماع، قال الله تعالى: ﴿وَلَا الَّذِينَ يَسْتُوبُونَ وَهُمْ كَفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨]^(٥)، فمن مات كافراً^(٦)، لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة، بل لو آمن عند المعايضة لم ينفع، فكيف بعد الإعادة.

وفي التفسير أنه عليه السلام قال: «ليت شعري ما فعل أبوأي؟ فنزل: ﴿وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَهْكَبِ لَبَّحِيرٍ﴾ [البقرة: ١١٩]^(٧).

قال المؤلف: ذكره الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية^(٨)، وفيه نظر؛ وذلك أن فضائل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخصائصه لم تزل تنزلي، وتتابع إلى حين مماته؛ فيكون هذا ممّا فضّله الله تعالى وأكرمه به، وليس إحيائهما، وإيمانها به^(٩)

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد في المسند ١/٣٩٨، ح ٣٧٨٧؛ والطبراني في المعجم الكبير ١٠/٨٠، ح ١٠٠١؛ والحاكم في المستدرک ٢/٣٩٦، ح ٣٣٨٥، كلهم من حديث عبد الله بن مسعود ولم أقف عليه من حديث سلمة بن يزيد الجعفي، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٣٦٢: رواه أحمد والبيزار والطبراني وفي أسانيدهم كلهم عثمان بن عمير وهو ضعيف.

(٢) (على ما يأتي): ليست في (ع، ط).

(٣) تعليق إحياء والذي النبي على صحة الحديث، ثم تقرير ذلك الإحياء بعد عدة أسطر، يدل على أن المسألة لم تتحرر عند المصنف.

(٤) مسائل الاعتقاد تحتاج إلى أدلة أقوى من مجرد السماعات والبلاغات.

(٥) في (ظ): فالله.

(٦) جاء في هذا الموضع في (ع، ط): وقال عز من قائل: ﴿قِيمَتٌ وَهُوَ كَاوِرٌ﴾.

(٧) في (ظ): فمن مات وهو كافر.

(٨) ذكره ابن جرير في تفسيره ١/٥٦٣ من طريق محمد بن كعب القرظي وذكر له طريقاً آخر من طريق داود بن أبي عاصم، ط. دار الكتب العلمية - بيروت، قال الشيخ أحمد محمد شاكر: وهما إسنادان ضعيفان، انظر: تفسير الطبري ٢/٥٥٨ - ٥٥٩ رقم ١٨٧٥، ١٨٧٦. تحقيق محمود محمد شاكر، تخريج أحمد محمد شاكر ط. الثانية - دار المعارف بمصر، وضعفه السخاوي في الفتاوى الحديثية له ص (٣١٠).

(٩) عمر بن حسن بن علي أبو الخطاب الكلبي، توفي سنة ٦٢٣هـ، سير أعلام النبلاء ٢٢/٣٨٩.

(١٠) (به): ليست في (ع).

ممتنع^(١) عقلاً، ولا شرعاً^(٢)، فقد ورد في الكتاب إحياء قتيل بني إسرائيل، وإخباره بقاتله، وكان عيسى عليه السلام يُحيي الموتى، وكذلك نبينا محمداً عليه الصلاة والسلام أحيى الله تعالى على يديه^(٣) جماعة^(٤) من الموتى^(٥)، وإذا ثبت [هذا]^(٦) فما يمنع من إيمانها بعد إحيائهما زيادة في كرامته وفضيلته، مع ما ورد من الخبر^(٧) في ذلك، ويكون^(٨) ذلك خصوصاً فيمن مات كافراً.

وقوله: فيمن^(٩) مات كافراً إلى آخر كلامه فمردود، لما روي في الخبر أن الله تعالى ردَّ الشمن على نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام بعد مغيبها، ذكره

(١) هكذا في جميع النسخ عدا نسخة (م) التي يوجد فيها جزء من هذا الفصل، وليس فيه هذه الجملة، والذي يظهر لي أن الصواب: ممتنعاً، لأن الكلمة في موضع نصب خير ليس، والتقدير: ليس إحيائهما... ممتنعاً.

(٢) هذا احتجاج من المصنف رحمته الله بقدرة الله تعالى على إحياء النبي عليه السلام، والاحتجاج بالقدرة وحدها من غير دليل صحيح يدل على حدوث ما قدره الله تعالى لا ينيق في هذا المقام؛ لأن الله سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولو ذهبنا نظرد مثل هذا الاستدلال لقلنا: إن إحياء عبد المطلب جد النبي عليه السلام الذي تكفل به ورثاه - والجد: أب - ليس بممتنع على قدرة الله تعالى، فهل نبني على ذلك أن الله تعالى قد أحيى عبد المطلب وآمن بالنبي عليه السلام؟! إذن فالفصل والمعتبر هو التحاكم إلى أدلة الكتاب وصحيح السنة فعليهما يبنى المسلم ما يعتقده.

(٣) في (ظ): أحيى الله عليه.

(٤) أورد السبوطي بعض الآثار في هذا المعنى في كتابه: الخصائص الكبرى ٢/٢٨٠ جمعها من كتب الدلائل وأعلام النبوة، ولم أقف على شيء يصح منها.

(٥) هذا من الاستدلال بالعموم وبقدرة الله تعالى غير محل النزاع، فلا أحد ينازع في قدرة الله تعالى، فالمسألة هنا حادثة عين، هل حدث الإحياء لوالدي النبي عليه السلام أم لم يحدث؟ فإن حدث الإحياء بعد الموت فنتحتاج إلى دليل يثبت صحة تلك الحادثة وإلا فكل مسلم يعتقد أن الله تعالى قادر على إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم للحساب وغيره متى ما شاء عليه السلام.

(٦) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).

(٧) في (ع): وفضيلة ما ورد من الخبر.

(٨) في (ع): فيكون.

(٩) في (ع، ظ): فيمن.

أبو جعفر الطحاوي^(١) وقال: إنه حديث ثابت^(٢)، فلو لم يكن رجوع الشمس نافعاً، وأنه لا يتجدد الوقت لما ردها عليه، وكذلك^(٣) يكون إحياء أبوي النبي ﷺ نافعاً لإيمانهما [١/٦] وتصديقهما بالنبي ﷺ، وقد قبل الله إيمان قوم يونس، وتوبتهم بعد^(٤) تلبسهم بالعذاب^(٥) فيما ذكر في بعض الأقوال، وهو ظاهر القرآن.

وأما الجواب عن الآية: فيكون ذلك قبل إيمانهما، وكونهما في العذاب^(٦)، والله بغيبه أعلم وأحكم.

(١) الإمام العلامة الحافظ الكبير أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة المصري الطحاوي الحنفي، صاحب التصانيف منها: أحكام القرآن، ومعاني الآثار، واختلاف العلماء - وله مصنف في عقيدة السلف الصالح شرحه ابن أبي العز الحنفي - مات سنة ٣٢١هـ، سير أعلام النبلاء ١٥/٢٧ - ٢٩.

(٢) ذكر في شرح مشكل الآثار له حديثين ٩٢/٣، ح ١٠٦٧، ١٠٦٨، وضعفهما شعيب الأرنؤوط في تعليقه على الكتاب.

(٣) في (ع): فكذلك. (٤) في (ع، ط): مع تلبسهم.

(٥) قياس والذي النبي ﷺ على قوم يونس ﷺ قياس مع الفارق لأمرين:
الأول: أن قوم يونس ﷺ كانوا أحياء لما تلبسهم العذاب بخلاف والذي النبي ﷺ فقد كانا ميتين.

الثاني: أنه جاء نص الكتاب في استثناء قوم يونس ﷺ من أهل القرى الذين لم يتفهم إيمانهم بعد تلبسهم بالعذاب، قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْلَا كُنْتَ قَرِيئاً مَأْتِئاً فَتَفَعَّلَهَا بِنُحَيْثُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا كَانَتْ هَامُوتاً كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَمَّهُمْ عَنَّا الْخَزِيئَةَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨]، فاستثنى الله قوم يونس من أهل القرى الذين لم يتفهم إيمانهم بعد نزول العذاب بساحتهم وأخرجهم منهم، وأخبر خلقه أنه تفهم إيمانهم خاصة من بين سائر الأمم غيرهم. ١. هـ. ١٧٠/١١.

ولم يأت نص من الكتاب ولا صحيح السنة في استثناء والذي النبي ﷺ بعد استحقاقهما للعذاب. ولا يجوز للمسلم أن يعترض على الله جلّ وعلا في عدم إيمان والذي النبي ﷺ، فإله تعالى بغيبه أعلم وأحكم، يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، فقد أضل من قبل والد إبراهيم ﷺ، وابن نوح ﷺ، وهدى امرأة فرعون، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَلْ عَمَّا يُفَعَّلُ وَهُمْ يَسْتَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

(٦) هذا الجواب عن الآية لا يستقيم؛ لأنه مبني على إيمانها، وإيمانها مبني على إحيائها، وكلاهما لم يثبت.

باب^(١) منه وما يقال عند دخول المقابر وجواز البكاء عندهما

أبو داود^(٢) عن بُرَيْدَةَ بن [الْحُصَيْبِ]^(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: «نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا، فَإِنَّ فِي زِيَارَتِهَا تَذْكَرَةٌ».

وذكر النسائي^(٤) عن بريدة أيضاً^(٥) عن النبي ﷺ قال^(٦): «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَزُورَ قَبْرًا^(٧) فَلْيَزُرْهُ^(٨)، وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا»، بمعنى سوءاً.

ذكر أبو عمر^(٩) من حديث ابن عباس رضيهما عن النبي ﷺ قال: «ما من رجل يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فسلم عليه إلا ردَّ عليه السلام»، روي هكذا عن أبي هريرة^(١٠) موقوفاً قال: فإن لم يعرفه وسلم ردَّ عليه السلام^(١١).

- (١) هذا الباب بكامله مع الفصل الذي فيه ساقط في نسخة (ع).
 (٢) في سننه ٢١٨/٣، ح ٣٢٣٥ و ٣٢٢/٣، ح ٣٦٩٨، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٩٢/٩، ح ١٨٩٩٦ قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح سنن أبي داود للألباني ٧٠٥/٢.
 (٣) في (الأصل): بريدة بن خصيب، وفي (ظ): بريدة بن حصين، والتصويب من (أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ٢٠٩/١)، وفي سنن أبي داود: بريدة عن أبيه.
 (٤) في المجتبى من السنن له ٨٩/٤، ح ٤٢٠٣٣، وأخرجه أحمد في المسند ٣٦١/٥، ح ٢٣١٠٢ من حديث بريدة أيضاً، والطبراني في المعجم الكبير ٢٥٣/١١، ح ١١٦٥٣ من حديث ابن عباس، والبيهقي في السنن الكبرى ٧٧/٤، ح ٦٩٩٠، والحاكم في المستدرک ٥٣٢/١، ح ١٣٩٣ كلاهما من حديث أنس بن مالك، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح سنن النسائي ٤٣٦/٢، ح ١٩٢٢.

- (٥) (أيضاً): ليست في (ظ). (٦) (قال): ليست في (ظ).
 (٧) (قرأ): ليس في (النسائي). (٨) وفي سنن النسائي: فليزر.
 (٩) في الاستذكار في كتاب الطهارة، باب جامع الوضوء ١٦٥/٢ من حديث ابن عباس رضيهما وفيه زيادة (إلا عرفه)، قال الحافظ العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في القبور، وفيه عبد الله بن سميان ولم أقف على حاله، ورواه ابن عبد البر في التمهيد من حديث ابن عباس نحوه، وصححه عبد الحق الإشبيلي، انظر: المغني للحافظ العراقي ١٢٢٩/٢.

- (١٠) في (ظ): روي هذا عن أبي هريرة رضيهما موقوفاً.
 (١١) ذكر هذا الحديث قوام السنة في الحجّة في بيان المحجة ٣١٢/٢ وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء، وقال: غريب ومع ضعفه فيه انقطاع، انظر: السير ٥٩٠/١٢.

مسلم^(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله^(٢): كيف أقول^(٣)؟ قال: «قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين^(٤) والمسلمين، ويرحمهم الله^(٥) المستقيمين منا^(٦) والمُستأجرين^(٧)، وأنا إن شاء الله بكم لاجتئون^(٨)». خرَّجه مسلم^(٩) من حديث بُرَيْدة أيضاً، وزاد: «أسأل الله لنا ولكم العافية». وفي الصحيحين^(١٠): أنه ﷺ مرَّ بامرأة تبيكي عند قبر لها فقال لها: «اتقي الله واضبري» الحديث.

فصل

هذه الأحاديث تشتمل على فقه عظيم وهو: جواز زيارة القبور للرجال والنساء^(١١)، والسلام عليها، وردُّ الميت السلام^(١٢) على من يسلم عليه، وجواز بكاء النساء عند القبر، ولو كان يكاوهنَّ وزيارتهنَّ حراماً؛ لنهي ﷺ المرأة ولزجرها زجراً يزرُّ مثله من أتى محرماً، وارتكبت منهياً^(١٣)، وما روي من النهي للنساء عن زيارة القبور فغير صحيح.

(١) في صحيحه ٦٦٩/٢، ح ٩٧٤.

(٢) تأخرت عبارة (يا رسول الله) في صحيح مسلم إلى بعد كلمة: لهم.

(٣) جاء في هذا الموضوع في (الأصل) و(ظ) عبارة: (كيف أقول إذا دخلت المقابر)، وليست في صحيح مسلم، ومثل هذا الإدراج لكلمة (المقابر) له شأنه الكبير بحيث يؤثر في الاستدلال بالحديث فيكون إقراراً في محل النزاع في زيارة النساء للقبور.

(٤) (المؤمنين و): ليست في (ظ)، الأصل متوافق مع صحيح مسلم.

(٥) (ويرحمهم الله): ليست في (ظ)، الأصل متوافق مع صحيح مسلم.

(٦) (منا): ليست في (ظ)، الأصل متوافق مع صحيح مسلم.

(٧) في (الأصل): (والمستأجرين، وما أتته في (ظ، وصحيح مسلم).

(٨) في (صحيح مسلم): (للاجتئون. (٩) في صحيحه ٦٧١/٢، ح ٩٧٥.

(١٠) البخاري ٤٢٢/١، ح ١١٩٤؛ ومسلم ٦٣٧/٢، ح ٩٢٦، كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(١١) تقدم الكلام ص (١٣٠) على زيارة النساء للقبور.

(١٢) (السلام): ليست في (ظ).

(١٣) معلوم أن الأمر بالشئ نهى عن ضده، فلما أمر النبي ﷺ المرأة التي تبيكي عند القبر بتقوى الله والصبر فقد نهاها عن بكائها عند القبر.

والصحيح: ما ذكرت لك من الإباحة^(١) إلا أن عمل النساء في خروجهنّ ممّا لا يجوز لهنّ من تبرّج، أو كلام، أو غيره، فذلك المنهي عنه، وقد ذكرت لك في الباب قبل الفرق بين المتجالة^(٢) والشائبة، فتأمّله، وقد أبيح لك أن تبكي عند^(٣) قبر ميّتك حزناً عليه، أو رحمةً له مما بين يديه، كما أبيح لك البكاء^(٤) عند موته.

والبكاء عند العرب يكون البكاء المعروف، وتكون النياحة، وقد يكون معها الصياح، وضرب الخدود^(٥)، وشقّ الجيوب، وهذا محرّم بإجماع العلماء، وهو الذي ورد فيه الوعيد من قوله ﷺ: «أنا بريء ممّن خلق^(٦)، وسلّق^(٧)، وخرّق^(٨)»، خرّجه مسلم^(٩).

وأما البكاء من غير نياحة، فقد ورد فيه الإباحة عند القبر، وعند الموت وهو بكاء الرأفة والرحمة التي لا يكاد يخلو منها إنسان، وقد بكى النبي ﷺ لما مات ابنه إبراهيم^(١٠).

وقال عمر: دعهنّ يبكين على أبي [٦/ب] سليمان^(١١) ما لم يكن نفع، أو لقلقة^(١٢).

التفّع: ارتفاع الصوت.

- (١) تم التعليق على هذه المسألة ص(١٣٠) وبيان أن الرجوع منع النساء من زيارة القبور.
- (٢) المتجالة: المرأة إذا أسنت - العجوز -، وجنّ الرجل أيضاً إذا أسن. انظر: الصحيح ١٦٦٠/٥.
- (٣) في (ظ): علي.
- (٤) (البكاء): ليست في (ظ).
- (٥) في (ظ): الخد.
- (٦) أي خلق رأسه عند المصيبة إذا حلت به، النهاية في غريب الحديث ٤٢٧/١.
- (٧) سلّق: أي رفع صوته عند المصيبة، النهاية في غريب الحديث ٣٩١/٢.
- (٨) أي مزق ثوبه عند المصيبة. (٩) في صحيحه ١٠٠/١، ح ١٠٤.
- (١٠) إشارة إلى الحديث الذي فيه قول النبي ﷺ: «إنا بك لمحزونون» أخرجه البخاري ١/٤٣٩، ح ١٢٤١، ومسلم ١٨٠٧/٤، ح ٢٣١٥.
- (١١) أبو سليمان هو خالد بن الوليد ؓ.
- (١٢) أورد البخاري هذا الأثر في باب ما يكره من النياحة على الميت من كتاب الجنائز ١٦٠/٣.

والنفلقة^(١): تنابع ذلك، وقيل النقع: وضع التراب على الرأس^(٢)، والله أعلم.

باب المؤمن يموت بعرق الجبين

ابن ماجه^(٣) عن^(٤) بُرَيْدَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ». خرجه الترمذي، وقال فيه: حديث حسن^(٥).

وروي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ارقبوا الميت عند موته ثلاثاً: إن رشحت جبينه، وذرفت عيناه، وانتشر منخرأه فهي رحمة من الله قد نزلت به، وإن عطف^(٦) عطيظ البكر^(٧) المخنوق، وخمد لونه، وازيد شدقاه، فهو عذاب من الله قد حل به. خرجه أبو عبد الله الترمذي الحكيم في نوادر الأصول له^(٨) وقال: قال عبد الله^(٩): إن المؤمن تبقي عليه خطايا من^(١٠) خطاياها فيجازف بها عند الموت، أي يجازى فيعرق لذلك جبينه».

- (١) قال ابن الأثير: أراد الصياح والجلبة عند الموت، النهاية لابن الأثير ٤/٢٦٥.
- (٢) قال ابن الأثير: وهو أولى؛ لأنه قرن بالنفلقة وهو الصوت، فحمل النفلتين على معنيين أولى من حملهما على معنى واحد، النهاية لابن الأثير ٥/١٠٩.
- (٣) في سنته ١/٤٦٧، ح ١٤٥٢؛ وأخرجه النسائي في المجتبى من السنن ٤/٥، ح ١٨٢٨؛ وابن حبان في صحيحه ٧/٢٨١، ح ٣٠١١، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ١/٢٤٥، ح ١١٨٨.
- (٤) من هذا الموضوع يوجد طمس في بعض الكلمات والأحرف في الأصل، ثم توضيحه من (ع، ظ، ومصادر المصنف).
- (٥) جامع الترمذي ٣/٣١٠، ح ٩٨٢.
- (٦) عطيط النائم والمخنوق: نخيره، الصحاح ٣/١١٤٦.
- (٧) البكر: الفتى من الإبل الصحاح ٢/٥٩٥.
- (٨) انظر: الأصل الخامس والثمانين ١/٤١٤ باختلاف يسير عن لفظ المؤلف، وقال الحافظ العراقي: أخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث سلمان، ولا يصح، انظر: المغني للحافظ العراقي ٢/١٢١٣ رقم ٤٣٩٣.
- (٩) في (الأصل): عبيد الله، وما أثبتته من (ع، ظ، ونوادر الأصول)، وهو ابن مسعود، كما في الأثر بعده.
- (١٠) (خطايا من): ليست في (ع).

وقال بعض العلماء^(١): إنما يعرِّق جبينه حياة من ربه لما اقترف من مخالفتيه؛ لأن ما سئل منه قد مات، وإنما بقيت قوى الحياة وحركاتها فيما غلا^(٢)، والحياة في العينين فذاك^(٣) وقت الحياء، والكافر في عمى^(٤) عن هذا كله، والنوحُ السعدب في شغل عن هذا بالعذاب الذي قد حل به، وإنما العرق الذي يظهر لمن حلت به الرحمة فإنه ليس من ولي ولا صديق ولا بر إلا وهو مُستحي من ربه^(٥) مع البشري والتخف والكرامات^(٦).

قلت: وقد تظهر العلامات الثلاث، وقد تظهر واحدة، وتظهر اثنتان، وقد شاهدنا عرق الجبين وحده؛ وذلك بحسب تفاوت الناس في الأعمال، والله أعلم.

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «موت المؤمن عرق الجبين تبقى عليه البقية من الذنوب فيجازف بها عند الموت»^(٧)، أي يشدد ليُمحص^(٨) عنه ذنوبه.

(١) القائل هو الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في الأصل الخامس والثمانين ١/٤١٤، والذي يظهر بعد المقارنة أن المصنف قد تصرف بعض الشيء في عبارة الترمذي.

(٢) جاء في هذا الموضع من (ع) عبارة: لأن ما سئل منه قد مات، والذي يظهر أنها تكرار؛ لأنها نُبست في الأصل و(ظ).

(٣) في (ع)، وفي نوادر الأصول: وذلك.

(٤) في (ع): عماء.

(٥) في (ع): من الله.

(٦) في (الأصل): الكرامة، وما أثبتته من (ع، ظ، م، ونوادر الأصول).

(٧) ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في الأصل الخامس والثمانين ١/٤١٣ باختلاف في الألفاظ، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٢/١٤٠، قال الهيثمي: رجائه ثقات ورجال الصحيح ٢/٣٢٥؛ وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢/١١٣١، وذكره ضمن الشواهد على علامة حسن الخاتمة: انموت برشح الجبين، انظر: أحكام الجنائز وبدعها للألباني ص(٣٥).

(٨) في (ع): تُمحص.

باب منه^(١) وفي خروج نفس المؤمن والكافر

خَرَجَ أَبُو نَعِيمٍ^(٢) مِنْ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ^(٣) عَنْ إِبْرَاهِيمَ^(٤) [عَنْ^(٥) عُلْقَمَةَ^(٦) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ^(٧)] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ تَخْرُجُ رَشْحًا^(٨)، وَإِنَّ نَفْسَ الْكَافِرِ تُسَلُّ كَمَا تُسَلُّ نَفْسُ الْحِمَارِ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنَ لِيَعْمَلَ الْخَطِيئَةَ فَيَشُدُّ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَوْتِ لِيُكْفَرَ بِهَا عَنْهُ، وَأَنَّ الْكَافِرَ لِيَعْمَلَ الْحَسَنَةَ فَيُسَهِّلَ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَوْتِ لِيُخْرَى بِهَا^(٩)».

الباب ما جاء أن للموت [٧/١] سكرات وفي تسليم الأعضاء بعضها على بعض وفيما يصير الإنسان إليه

وصف الله ﷻ شدة الموت في أربع آيات:

الأولى: قوله تعالى^(١٠): ﴿وَمَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق: ١٩].

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ [الأنعام: ٩٣].

الثالثة: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣].

(١) هذا الباب بكامله قد سقط من (ع).

(٢) في الحلية ٥/٥٩؛ وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير بسنده عن عبد الله بن مسعود أيضاً ١٠/٧٩، ح ١٠٠١٥؛ والترمذي باختلاف يسير ٣/٣٠٩، ح ٩٨٠؛ وحسنه الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة ٥/١٨٤، ح ٢١٥١.

(٣) سليمان بن مهران الأعمش، ثقة حافظ عارف بالفراء لكنه يُدلس، مات سنة ١٤٧هـ، التقريب ص (٤١٤) رقم ٢٦٣٠.

(٤) إبراهيم بن يزيد بن قيس، النخعي البيماني ثم الكوفي، فقيه العراقي، وأحد الأعلام توفي سنة ٩٦هـ، سير أعلام النبلاء ٤/٥٢٠.

(٥) في (الأصل): إبراهيم بن علقمة، والتصويب من (ع، ط، ومصادر الترجمة).

(٦) علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي، فقيه الكوفة ومقرنها، خال إبراهيم النخعي، كان طلبته يسألونه ويتفتقون به والصحابة متوافرون توفي سنة ٦١هـ، السير ٤/٥٣.

(٧) ابن مسعود ﷺ.

(٨) رشح رشحاً: غرق، الصحاح ١/٣٦٥.

(٩) هنا ينتهي الطمس الذي في الأصل. (١٠) في (ع): قوله الحق.

الرابعة: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّوْاقِلَ﴾ [القيامة: ١٢٦].

البخاري^(١) عن عائشة رضي الله عنها أنها أن رسول الله ﷺ كان^(٢) بين يديه رُكُوءٌ، أو عُنْبَةٌ فيها ماء فجعل يَدْخُلُ يده^(٣) في الماء فيمسح بها^(٤) وجهه ويقول: «لا إله إلا الله إن للموت سكرات، ثم نصب يده فجعل يقول في الرفيق الأعلى» حتى قبض ومالت يده.

وخرَجَ الترمذي^(٥) عنها قالت: ما أغبط أحداً بهون موتٍ بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ.

وفي البخاري^(٦) عنها قالت: مات رسول الله ﷺ وإنه لبين حاقنتي، وذاقنتي، فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبي ﷺ.

الحاقنة^(٧): المضمن^(٨) بين الترقوة والحلق.

الذاقنة: نقرة الذقن^(٩).

وقال الخطابي^(١٠): الذاقنة ما يناله الذقن من الصدر.

- (١) في صحيحه ٢٣٨٧/٥، ح ٦١٤٥، و١٦١٦/٤، ح ٤١٨٤ باختلاف بسير.
- (٢) في (ع، ظ): كانت، والأصل يتوافق مع صحيح البخاري.
- (٣) في (ع، ظ): يديه، والأصل يتوافق مع صحيح البخاري.
- (٤) في (ع، ظ): بهما، والأصل يتوافق مع صحيح البخاري.
- (٥) في جامعه ٣/٣٠٩، ح ٩٧٩، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح الترمذي ٢٨٨/١ - ٢٨٩، ح ٧٨٣.
- (٦) في صحيحه ٤/١٦١٥، ح ٤١٨١، و١٦١٣/٤، ح ٤١٧٤.
- (٧) في النهاية لابن الأثير: هي الوهدة المنخفضة بين الترقوتين من الحلق، ٤١٦/١.
- (٨) في (ظ): العظام.
- (٩) في النهاية لابن الأثير الذاقنة: الذقن، وقيل: طرف الحلقوم، وقيل: ما يناله الذقن من الصدر ١٦٢/٢.

(١٠) الإمام العلامة الحافظ اللغوي: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي الخطابي، صاحب التصانيف منها: شرح لكتاب أبي داود، وغريب الحديث، شرح الأسماء الحسنى، الغنية عن الكلام وأهله، توفي سنة ٣٨٨هـ، سير أعلام النبلاء ١٧/٢٣ - ٢٧، ولم أجد القول في غريب الحديث للخطابي، ولا في معالم السنن له.

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة^(١) في مُسنَدِهِ من حديث جابر^(٢) بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: تحدثوا عن بني إسرائيل فإنه كانت^(٣) فيهم أعاجيب^(٤)، ثم أنشأ فتحدث^(٥)، قال: خرجت طائفة منهم فأتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا: لو صلينا ركعتين ودعونا الله يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت، قال: ففعلوا، فبينما هم كذلك إذا اطلع رجل رأسه أسود اللون^(٦) خلا شيء بين عينيه السجود، فقال: يا هؤلاء ما أردتم إليّ، والله^(٧) لقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عني حرارة الموت حتى الآن فادعوا الله أن يعيدني كما كنتُ».

وروى أبو هُدَبة إبراهيم بن هُدَبة^(٨) قال: حدثنا أنس بن مالك عن النبي ﷺ

(١) الإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان، أبو بكر العيسى مولاهم الكوفي، وهو من أقران الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني في السنن والمؤلف والحفظ، له من الكتب: المصنف، والمسند، والتفسير، مات سنة ٢٣٥هـ، السير ١١/١٢٢.

(٢) في (ع): عن جابر.

(٣) في (ع): كان.

(٤) إلى هنا رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣١٨/٥، ح ٢٦٤٨٦، وإلى هذا الموضع أيضاً قال الهيثمي: رواه البزار عن شيخه جعفر بن محمد بن أبي وكيع عن أبيه، ولم أعرفهما، وبقيّة رجاله ثقات، انظر: مجمع الزوائد ١/١٩١، ولم أجد الحديث في مسند البزار المطبوع، ذكر أبو محمد عبد الحق النص كاملاً في كتابه العاقبة ص(١١٥).

(٥) في (ع، ظ): بحدثنا.

(٦) والله: ليست في (ع).

(٨) قال الثنائي في إبراهيم بن هُدَبة: متروك الحديث، انظر: الضعفاء والمتروكين له ص(١٢) رقم ٩، ملحق بالضعفاء الصغير للبخاري؛ وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه فقال: كذاب، الجرح والتعديل ٢/١٤٣، ح ١٤٧١ وقال ابن حبان: إبراهيم بن هُدَبة أبو هُدَبة يروي عن أنس بن مالك، دجال من الدجاجلة، وكان رقاصاً بالبصرة يُدعى إلى الأعراس فيرقص فيها فلما كبر جعل يروي عن أنس ويضع عليه، ولم يكن أبو هُدَبة يعرف بالحديث ولا يكتبه إنما كان يلعب ويسخر به في المجالس والأعراس ولم يزل يرقص في المجالس حتى شاخ، فلما كبر زعم أنه سمع أنس بن مالك وجعل يضع عليه مثل ما ذكرت، فلا يحل لمسلم أن يكتب حديثه ولا يذكره إلا على وجه التعجب، المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ١/١١٤، ح ٢٩، وقال =

قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لِيَعَانِجُ كُرْبَ الْمَوْتِ وَسَكَرَاتِ الْمَوْتِ»^(١) وَأَنَّ مَفَاصِلَهُ لَيْسَلُمُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ تَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ^(٢) تَفَارِقْنِي وَأَفَارِقْكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(٣).

وَذَكَرَ الْمَحَاسِبِي^(٤) فِي الرَّعَايَةِ^(٥): أَنْ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا خَلِيلِي كَيْفَ وَجَدْتَ الْمَوْتَ؟ قَالَ^(٦): كَسَفُودٍ^(٧) مَحْمِي جُعِلَ فِي صَوْفٍ رَطْبٍ ثُمَّ جُدِبَ، قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ هَوَّنَا^(٨) عَلَيْكَ.

و^(٩)رَوِيَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا صَارَ رُوحُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى قَالَ لَهُ رَبُّهُ: يَا

= ابن عدي: متروك الحديث بين الأمر في الضعف جداً، الكامل في ضعفاء الرجال. فرجل هذا حاله نجد أن المصنف يكثر من الاستدلال برواياته في مواضع من كتابه هذا انظر: ص (٧٠).

(١) في (ظ): سكراته. (٢) في (ع): عليك السلام.

(٣) قال الحافظ العراقي: رواه في الأربعين لأبي هدية إبراهيم بن هدية عن أنس، وأبو هدية مالك، المغني ١٢١١/٢ رقم ٤٣٨٨.

(٤) شيخ الصوفية، أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، صاحب التصانيف الزهدية. كان أحمد بن حنبل يكره لحارث نظره في الكلام، وتصانيفه فيه، ويصد الناس عنه، وقيل هجره أحمد فاختلف مدة، قال سعيد بن عمرو البرذعي: شهدت أبا زرعة وسئل عن المحاسبي وكتبه، فقال للسائل: إياك وهذه الكتب، هذه كتب بدع وضلالات، عليك بالآثر فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب، قيل له في هذه الكتب عبرة، قال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة، هل بلغكم أن مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والأشعث المتقدمين صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس، وهذه الأشياء ١٩ هؤلاء قوم خائفوا أهل العلم، يأتوننا مرة بالحارث المحاسبي، ومرة بعبد الرحيم الديلمي، ومرة بحاتم الأصم، ومرة بشقيق، ثم قال: ما أسرع الناس إلى البدع. انظر: تاريخ بغداد ١٨/٢١٤ - ٢١٥؛ وسير أعلام النبلاء ١٢/١١٠ - ١١٢.

(٥) الرعاية لحقوق الله للمحاسبي ص (١٤١) دار الكتب العلمية، بيروت، وذكره أبو محمد عبد الحق في العاقبة ص (١١٤)، قال ابن حبان: هذا متن موضوع، انظر: كتاب المجروحين له ١/٢١٤.

(٦) في (ظ) والرعاية للمحاسبي: قال وجدت الموت، والأصل يتوافق مع (ع)، م.

(٧) السَّفُودُ: الحديدية التي يُشوى بها اللحم، الصحاح ٢/٤٨٩؛ وفي اللسان ٣/٢١٨، حديدية ذات شعب معقفة يشوى بها اللحم.

(٨) في الرعاية (هوناه). (٩) (الواو): ليست في (ع).

مُوسَى كَيْفَ وَجَدْتَ الْمَوْتَ؟ قَالَ: وَجَدْتُ نَفْسِي كَالْعَصْفُورِ الْحَيِّ جِئْتُ^(١) يُقَلِّي^(٢) عَلَى الْمُقَلَّى لَا يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ وَلَا يَنْجُو فَيَطِيرُ^(٣).

وَرُوي عَنْهُ: أَنَّهُ قَالَ: «وَجَدْتُ نَفْسِي كَشَاةٍ حَيَّةٍ^(٤) تُسَلِّخُ بِيَدِ الْقَصَابِ^(٥)».

وَقَالَ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ عليه السلام: «يَا مَعْشَرَ الْحَوَارِيِّينَ ادْعُوا اللَّهَ أَنْ يَهَوِّنَ عَلَيْكُمْ هَذِهِ السَّكْرَةَ، يَعْنِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ^(٦)».

وَرُوي^(٧): «أَنَّ الْمَوْتَ أَشَدَّ مِنْ ضَرْبِ السَّيْفِ^(٨)، وَتَشْرِبُ بِالْمَنَاشِيرِ، وَقَرَضَ بِالْمَقَارِضِ».

وَذَكَرَ أَبُو نَعِيمٍ^(٩) مِنْ حَدِيثِ مَكْحُولٍ عَنْ وَاثِلَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لِمَعَايِنَةُ مَلَكَ الْمَوْتِ [٧/ب] أَشَدُّ مِنْ أَلْفِ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ^(١٠). وَسَيَأْتِي بِكَمَالِهِ^(١١) إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى».

وَفِي الْخَيْرِ مِنْ حَدِيثِ حُمَيْدِ الطَّوِيلِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَكْتَفُ الْعَبْدَ وَتَحْسِبُهُ وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَكَانَ^(١٢) يَبْعُدُو فِي الصَّحَارِيِّ وَالْبِرَارِيِّ مِنْ شِدَّةِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ^(١٣)».

(١) فِي الرِّعَايَةِ (حَيْثُ).

(٢) ذَكَرَهُ الْمُحَاسِنِيُّ فِي الرِّعَايَةِ ص (١٤١)؛ وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْحَقِّ فِي الْعَاقِبَةِ ص (١١٤)؛ وَالْأَثَرُ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، الَّتِي لَا تَصَدَّقُ وَلَا تَكْذِبُ.

(٤) (حَيَّةٌ): لَيْسَتْ فِي (ع).

(٥) ذَكَرَهُ الْمُحَاسِنِيُّ فِي الرِّعَايَةِ ص (١٤١)؛ وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْحَقِّ فِي الْعَاقِبَةِ ص (١١٤).

(٦) ذَكَرَهُ الْمُحَاسِنِيُّ فِي الرِّعَايَةِ ص (١٤١)؛ وَالْفُزَالِيُّ فِي الْإِحْيَاءِ ٤/٤٢٢.

(٧) ذَكَرَهُ الْمُحَاسِنِيُّ فِي الرِّعَايَةِ ص (١٣٩) بِصِيغَةِ التَّضْعِيفِ، وَلَمْ أَقِفْ عَلَى مَنْ ذَكَرَهُ غَيْرَهُ.

(٨) فِي (الْأَصْلِ): ضَرْبِ السَّيْفِ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ (ع، ط، الرِّعَايَةِ).

(٩) فِي (ع، ط): أَبُو نَعِيمٍ الْحَافِظُ فِي كِتَابِ الْحَلِيَّةِ.

(١٠) فِي الْحَلِيَّةِ ٥/١٨٦، وَقَالَ أَبُو نَعِيمٍ: غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ مَكْحُولٍ لَمْ نَكْتُبْهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ

إِسْمَاعِيلَ؛ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: هَذَا حَدِيثٌ لَا يَصِحُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، الْمَوْضُوعَاتُ

٥١٨/٣ - ٥١٩، ح ١٧٤٥؛ وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ: ضَعِيفٌ، انْظُرْ: السَّلْسَلَةُ الضَّعِيفَةُ ٣/٦٤٥،

١٠٠/٥.

(١١) انْظُرْ: ص (١٨٢).

(١٢) كَلِمَةٌ: (لَكَانَ): لَيْسَتْ فِي (ط).

(١٣) لَمْ أَجِدْ هَذَا الْخَيْرِ.

وجاءت الرواية بأن ملك الموت إذا تولى الله قبض نفسه بعد موت الخلائق يقول: «وعزيتك وجلالك لو علمت من سكرة»^(١) الموت ما أعلم ما قبضت نفس مؤمن، ذكره القاضي أبو بكر بن العربي^(٢) في سراج المرديد^(٣). وعن شهر بن حوشب^(٤) قال: سئل رسول الله ﷺ عن الموت وشدته فقال: «إن أهون الموت بمنزلة حسكة»^(٥) كانت في صوف^(٦) فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف»^(٧).

قال شهر^(٨): ولما حضر عمرو بن العاص الوفاة قال^(٩) ابنة: يا أبتاه إنك لتقول^(١٠) لنا: ليتني كنت ألقى رجلاً عاقلاً ليبيأ عند نزول الموت حتى يصف لي ما يجذ، وأنت ذلك الرجل فصف لي الموت؟ فقال: بني^(١١) والله كأن جنبي في تخت، وكأنني أنتفس من سم إبرة، وكأن غصن شوك يجذب من

(١) في (ظ): سكرات.

(٢) العلامة الحافظ القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله الأصبهاني المالكي، من نصائبه: عارضة الأحوذى شرح الترمذي، والعواصم من الفواصم وغير ذلك. توفي سنة ٥٤٣هـ، سير أعلام النبلاء ١٩٧/٢٠.

(٣) (في سراج المرديد): ليست في (ع)، وكتاب سراج المرديد مخطوط، لدى بعض المتضلاء بمكة المكرمة، اطلعت عليه ووثقت منه بعض النصوص، ويوجد به سقط كبير، ونص الحديث يدل على أنه موضوع، لأن ملك الموت لا يعصي الله أمراً ولو علم شدة سكرة الموت قبل أن يموت، قال الله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

(٤) شهر بن حوشب أبو سعيد مولى الصحابة: أسماء بنت يزيد الأنصارية، كان من كبار علماء التابعين توفي سنة مائة هجرية، وقيل غير ذلك، سير أعلام النبلاء ٣٧٢/٤.

(٥) شوكة صلبة، النهاية في غريب الحديث ٣٨٦/١.

(٦) في (ع): صوف رطب.

(٧) ذكره النغزالي في الإحياء ٤٢٣/٤؛ قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا من رواية شهر بن حوشب مرسلاً، انظر: المغني ١٢٠٩/٢، ح ٤٣٨١؛ وقال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف الجامع الصغير ص (٢٢٦)، ح ١٨٤٢.

(٨) في (ع): شهر بن حوشب. (٩) في (ع، ظ) قال له.

(١٠) في (ظ): إنك كنت تقول.

(١١) في (ع): يا بني، وفي (ظ): والله يا بني.

قدمي^(١) إلى هامتي، ثم أنشئ يقول^(٢):

ليتني كنتُ قبل^(٣) ما قَدَّ بَدَّ لي في تلالِ الجِبَالِ أرعى الوُعُولَا
وعن أبي مسيرة^(٤) رفعه قال: «لو أن أَلَمَ شَعْرَةَ مِنَ المِيتِ وَوَضَعَ عَلَى
أَهْلِ السَّمَاءِ^(٥) وَالْأَرْضِ لَمَاتُوا جَمِيعًا»^(٦).
وَأَنشَدُوا^(٧):

أذْكَرُ المَوْتَ وَلَا أَزْهِبُهُ
أَطْلُبُ الدُّنْيَا كَأَنِّي خَالِدٌ
وَكفَى بِالمَوْتِ فَاعْلَمْ وَاعْظَا
وَالْمَنَايَا حَوْلَهُ تَرُضُّدُهُ
وَقَالَ آخِرَ^(٨):

بَيْنَا^(٩) الفَتَى مَرِيحُ الخُطَا فَرِحَ بِمَا
إِذ قِيلَ بَاتَ بِلَيْلَةٍ مَا نَامَهَا
إِذ قِيلَ أَصْبَحَ شَاخِصًا وَمُوجَهَا
يَسْعَى لَهُ إِذ قِيلَ قَدَ مَرَضَ الفَتَى
إِذ قِيلَ أَصْبَحَ مُنْخَنًا مَا^(١٠) يُرْتَجَى
وَمُعْتَلًا إِذ قِيلَ أَصْبَحَ قَدَ قَضَى

(١) في (ع): مقدمي.

(٢) هذه الرواية في العاقبة لأبي محمد ص (١١٣) مع اختلاف في السياق.

(٣) (قبول): لست في (ع).

(٤) عمرو بن شرحبيل، أبو مسيرة الهمداني الكوفي، حدث عن عمر وعلي وابن مسعود وغيرهم، مات في ولاية عبيد الله بن زياد، السير ١٣٥/٤.

(٥) في (ع): السموات.

(٦) قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من رواية أبي مسيرة رفعه، وأبو مسيرة هو عمرو بن شرحبيل، والحدث مرسل حسن الإسناد، انظر: المعنى ١٢١٠/٢، ح ٤٣٨٤، وذكره المحاسبي في الرعاية لحقوق الله ص (١٤٠).

(٧) لم أقف على الناقل.

(٨) في (ع): قال غيره، ولم أقف على مصدر لقوله.

(٩) في (ع، ظ): بينما.

(١٠) في (ع): لا يرتجى.

فصل

أيها الناسُ قد آن للنائم أن يستيقظ من نومه، وحنَّ للغافل أن ينتبه من غفلته قبل هجوم الموت بمرارة كؤوسه، وقبل سُكون حركاته، وحمود أنفاسه، ورحلته إلى قبره^(١) ومقامه بين أزمانه^(٢).

وروي عن عمر بن عبد العزيز^(٣) أنه كتب إلى أناسٍ من أصحابه يُوصيهم، فكان فيما أوصاهم به أن كتب إليهم: أما بعد، فإنني أوصيكم بتقوى الله العظيم، والمراقبة له، [١/٨] واتخذوا التقوى والورع زاداً فإنكم في دارٍ عمّا قريب^(٤) تنقلب بأهلها، والله في عرصات القيامة وأحوالها يسألكم عن الفتيل والنقير، فالله عباد الله اذكروا الموت الذي لا بد منه، واسمعوا قول الله سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقوله ﷻ: ﴿كُلُّ مَن عَلَيْهَا فَإِنَّ (١٦٦)﴾ [الرحمن: ٢٦]، وقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ (١٦٧)﴾ [محمد: ٢٧].

فقد بلغني والله أعلم وأحكم^(٥) أنهم يُضربون بسياط من نار، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].
١ - وقد بلغني^(٦) والله أعلم وأحكم أن ملك الموت رأسه في السماء ورجلاه

(١) (إلى قبره) ليست في (ظ).

(٢) الرُفْس: ثواب القبر، الصحاح ٩٣٦/٣.

(٣) لم ألق على من ذكر هذه الرواية عنه.

(٤) في (ظ): قنيل.

(٥) (وأحكم): ليست في (ع، ظ).

(٦) هذه البلاغات من (١ إلى ١٠) التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى في صفة ملك الموت ثم يذكر ما يدل عليها؛ وبالتالي لا يُعتقد إلا ما صح فيه دليل، وإن كان القصد مجرد التخويف من ملك الموت فالواجب علينا أن نخاف الله وحده؛ لأن الملائكة والنار خلق من خلق الله تعالى لا يعذبان أحداً إلا بأمره تعالى، فحق ملك الموت علينا أن نحبه؛ لطاعته لله تبارك وتعالى وامتنان أمره بقبض أرواح الخلائق كغيره من بقية الملائكة الذين نجبهم كجبرائيل الموكّل بالوحي وميكائيل الموكّل بالقطر، ونعتقد أن الله أعطى ملك الموت قدرة عظيمة تمكنه من قبض أرواح الخلائق مهما كثر عدد الموتى، واختلفت بلدانهم وأزمانهم.

- في الأرض، وأن الدنيا كلها في يدي^(١) ملك الموت كالقصة بين يدي أحدكم يأكل منها.
- ٢ - وقد بلغني والله أعلم وأحكم أن ملك الموت ينظر في وجوه كل آدمي ثلاثمائة نظرة وستة^(٢) وستين نظرة^(٣).
- ٣ - وبلغني أن ملك الموت ينظر في كل بيت تحت ظل السماء ستمائة مرة.
- ٤ - وبلغني أن ملك الموت قائم^(٤) وسط الدنيا فينظر الدنيا كلها برها وبحرها وجبالها وهي بين يديه كالبيضة بين رجلي أحدكم.
- ٥ - وبلغني أن لملك الموت أعواناً الله أعلم ليس منهم ملك إلا لو أُذن له أن يلتقم السموات والأرض في لقمة واحدة لفعل.
- ٦ - وبلغني أن ملك الموت تفرغ منه الملائكة أشد من فرع أحدكم من السبع.
- ٧ - وبلغني أن حملة العرش إذا قرب ملك الموت من أحدهم ذاب حتى يصير مثل الشعرة من الفزع منه.
- ٨ - وبلغني أن ملك الموت ينتزع^(٥) روح ابن آدم من تحت عضوه وظهره وعروقه وشعره ولا تصل الروح من مفصل إلى مفصل إلا كان عليه أشد من ألف ضربة بالسيف.
- ٩ - وبلغني أنه لو وُضِعَ وجع شعرة من الموت على السماوات والأرض لأذابها، حتى إذا بلغت الحلقوم ولي القبض ملك الموت.
- ١٠ - وبلغني أن ملك الموت إذا قبض روح المؤمن جعلها في حريرة بيضاء

(١) في (ع، ظ): يد.

(٢) كذا في جميع النسخ بنائبة كلمة (سته) والذي يظهر تذكير الكلمة لتكون (ستاً)؛ لأن المعدود (نظرة) مؤنث، فيذكر له العدد فيما بين الثلاثة والعشرة.

(٣) في (ع، ظ): تقديم وتأخير في بعض البلاغات.

(٤) في (ع، ظ): أن ملك الموت يكون قائماً.

(٥) في (ع): ينزع.

وسمك أذفر^(١)، وإذا قبض روح الكافر جعلها في خرقه سوداء في فحارٍ من نارٍ أشدُّ نِتاً من الجنب.

وفي الخبر: «أنه إذا دنت منية المؤمن نزل^(٢) عليه أربعة من الملائكة، ملكٌ يجذب النفس من قدمه^(٣) اليمنى، وملكٌ يجذبها من قدمه^(٤) اليسرى، وملكٌ يجذبها من يده اليمنى، وملكٌ يجذبها من يده اليسرى، والنفس تنسلُّ انسلالاً القذاة من السقاء، وهم يجذبونها من أطراف البنان، ورؤوس الأصابع، والكافر تنسلُّ روحه كالسّفود من الصوف المبتل^(٥)، ذكره^(٦) أبو حامد^(٧) في كشف علوم^(٨) الآخرة^(٩) (١٠×٩).

فمثل نفسك^(١١) يا مغرورٌ وقد حلت بك السكرات، ونزل بك الأنين والغمرات، فمن قائل يقول: إن فلاناً قد أوصى، وماله قد أحصى، ومن قائل

(١) أي طيب ذكي الرائحة، انظر: الصحاح ٦٦٣/٢.

(٢) في (ع، ظ): نزلت.

(٣) في (ع): مقدمه.

(٤) في (ع): مقدمه.

(٥) في كشف علوم الآخرة: العبلول.

(٦) في (ظ): ذكره الشيخ.

(٧) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، الطوسي، الغزالي، أبو حامد، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط، أدخله سيلان ذهنه في مضائق الكلام، ومزأ الأقدام، غلا في طريق التصوف وصار داعية في ذلك. قال أبو بكر بن العربي: شيخنا أبو حامد بنع الفلاسفة وأراد أن يتقيأهم فما استطاع، وكان خاتمة أمره: إقباله على طلب الحديث، ومجالسة أهله، ومطالعة الصحيحين، ولم يتفق له أن يروي، من تصانيفه: «المستصفي»، «إحياء علوم الدين»، «اليسيط»، «الوسيط»، «الوجيز»، «تهافت الفلاسفة»، «المتقد من الضلال»، وغيرها، توفي الغزالي سنة ٥٠٥هـ، السير ٣٢٢/١٩.

(٨) في (ظ): في كتاب كشف علم الآخرة.

(٩) ذكره أبو حامد في كتاب كشف علوم الآخرة: ليست في (ع).

(١٠) كشف علوم الآخرة ص (١٦ - ١٧)، لم أجد هذا الخبر في شيء من دواوين السنة الصحيحة أو الضعيفة، ومثل هذا الخبر لا يقال من جهة الرأي ولا يعتد مضمونه إلا بعد ثبوته، قال الحافظ ابن حجر عن كتاب كشف علوم الآخرة للغزالي: وقد أكثر في هذا الكتاب من إيراد أحاديث لا أصول لها، فلا يقتر بشيء منها، انظر: فتح الباري ٤٣٤/١١.

(١١) في (ع، ظ): لنفسك.

يقول: إن فلاناً ثَقُلَ^(١) لسأته فلا يعرف جيرانه ولا يكلم إخوانه^(٢)، وكأنني أنظر إليك تسمع الخطاب ولا تقدر على ردّ الجواب ثم تبكي ابنتك كالأسيرة، وتتضرع وتقول: حبيبي أبي، مَنْ لِيُتِمِّي بعدك؟ و^(٣) مَنْ لِحَاجَتِي [ب/أ]؟ وأنت والله تسمع الكلام ولا تقدر على رد الجواب.

وأنشدوا^(٤):

فأقبلت الصغرى مُمرِّعٌ خدَّها على وحتي حِيناً وحِيناً على صَدْرِ
وتخمشُ خديها وتبكي بحُرْفَةٍ تُنادي: أبي إني غلبت عن الصبرِ
حبيبي أبي مَنْ لليتامى تركتهم كأفراخٍ رُغِبَ في بُعيْدٍ مِنَ الوَكْرِ

فخيل لنفسك يا ابن آدم إذا أخذت من فراشك إلى لوح مُغتسلك فغسلك الغاسل، وألبست الأكفان وأوحش منك الأهل والجيران، وبكت عليك الأصحاب^(٥)، والإخوان، وقال الغاسل: أين زوجته^(٦) تحالله، وأين اليتامى تركتم أباكم فما ترونه من^(٧) بعد هذا اليوم أبداً.

وأنشدوا^(٨):

ألا أيها المُرورُ ما نك تلعب تُؤملُ آمالاً وموئِكَ أقربُ
وتعلمُ أنّ الجِرْصَ بحرٌ مُبعدُ سفينتهُ الدنيا فإياك تغطُبُ
[وتعلمُ أنّ الموتُ بنقضٍ مُسرِعاً عليك يقيناً طعمهُ ليسَ يعْدُبُ]^(٩)
كأنك تُوصي واليتامى تراهم وأمهم الشكلى تنوحُ وتندُبُ
تغصُّ بحُرْنٍ ثم تلطمُ وجهها تراها^(١٠) رجالٌ بعد ما هي تحجبُ

(١) في (ع): قد ثقل.

(٢) في (ع): فلا يكلم إخوانه ولا يعرف جيرانه.

(٣) (الواو): ليست في (ع، ظ).

(٤) ثم أقف على القائل.

(٥) في (ع، ظ): أين زوجة فلان.

(٦) (من): ليست في (ع).

(٧) ثم أقف على القائل.

(٨) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).

(٩) في (ظ): يراها، وكلا الوجهين جاتز في العربية، فعنى تأنيث الفعل يكون الفاعل مخلوقاً تقديره: جماعة الرجال، ثم حذف المضاف وأنيب المضاف إليه متابه، وعلى-

وأقبل بالأكفانِ نحوكَ قاصداً^(١) وحثَّ عليك الترتبَ والعينُ تسكبُ

فصل

قول عائشة رضي الله عنها: «كانت بين يديه ركوةٌ أو علبَةٌ».

و^(٢)العلبة: قدحٌ من خشبٍ ضخيمٍ يحلب فيه، قاله ابنُ فارسٍ^(٣) في المُجمل^(٤).

وقال الجوهري في الصحاح^(٥): العلبَةُ مِحْلَبٌ من جلدٍ، والجمع: عُلْبٌ وعِلَابٌ، والمُعْلَبُ^(٦) الذي يتخذها.

قال الكميْتُ^(٧) يصف خيلاً:

سَقِينَا دِمَاءَ الْقَوْمِ طَوْرًا وَتَارَةً صُبُوحًا لَهُ أَقْتَارُ الْجُلُودِ الْمُعْلَبُ^(٨)

وقيل: أسفله جلدٌ وأعلاه خشبٌ مدورٌ مثل إطار الغربان وهو الدائر به.

وقيل: هو عُسٌّ يحلب فيه، والعُسُّ: القدحُ الضخم.

وقال اللغويُّ أبو هلال الحسن بنُ عبد الله بن سهل العسكري^(٩) في

= الوجه الثاني وهو تذكير الفعل تكون المراعاة للفظ (رجال) وهو مذكر أو على تقدير فاعل محذوف تقديره: جمع الرجال ثم حذف المضاف وأنيب المضاف إليه منابه.

(١) في (ع): قاصدٌ، وهو الصواب؛ لأنها فاعل للفعل (أقبل)، وأما (قاصداً) كان من الممكن أن تعرب حالاً إذا أمكن تقدير فاعل مستتر في الفعل (أقبل) يعود على متقدم، لكن أمتنع لأن النوار استثنائية فتعين الرفع.

(٢) (الواو): ليست في (ع، ظ).

(٣) الإمام اللغوي المحدث أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، صاحب كتاب المجمل ومعجم مقاييس اللغة، توفي سنة ٣٩٥هـ، سير أعلام النبلاء ١٧/١٠٣.

(٤) ٦٢٥/٣ (٥) ١٨٩/١.

(٦) في (ع): هو الذي يتخذها.

(٧) الكميْتُ بن زيد الأسدي الكوفي، مقدّم شعراء وقته، توفي سنة ١٢٦هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ٥/٣٨٨.

(٨) أورده الجوهري في الصحاح تحت كلمة علب ١/١٨٩.

(٩) الحسن بن عبد الله بن سهل بن مهرا، أبو هلال اللغوي العسكري، له كتاب صناعتِي النظم والنثر، وجمهرة الأمثال، وكتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء وغير ذلك، =

كتاب التلخيص^(١) له: والعُلْبَةُ قَدْخٌ للأعرابِ مثل العُصِّ، والعُصُّ يُتَخَذُ^(٢) من جنبِ جلد البعير، والجمعُ عِلَابٌ.

وقوله^(٣): «إنَّ لِمَوْتِ سَكَرَاتٍ» أي شدائد، وسَكْرَةُ المَوْتِ شدته.

فصل (٤)

قال علماؤنا^(٤) رحمة الله عليهم: فإذا كان هذا الأمر قد أصاب الأنبياء والمرسلين ﷺ والأولياء المتقين، فما لنا عن ذكره مشغولين وعن الاستعداد له متخلفين؟ ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿١٨﴾﴾ [ص: ٦٧ - ٦٨]، قالوا: وما جرى على الأنبياء صلوات الله عليهم من شدائد الموت وعَلَزَاتِهِ^(٥) له فائدتان:

إحدهما: أن يعرف الخلق ألم الموت وأنه باطن^(٦) وقد يطلع [١/٩] الإنسان على بعض الموتى فلا يرى عليه حركة، ولا قلقاً، ويرى سهولة خروج روحه فيغلب على ظنه سهولة أمر الموت، ولا يعرف ما الميت فيه، فلما ذكر الأنبياء الصادقون في خبرهم شدة ألمه مع كرامتهم على الله تعالى ونهوينه على بعضهم قطع الخلق بشدة الموت الذي يقاسيه الميت مطلقاً لإخبار الصادقين عنه ما خلا الشهيد قتيل الكفار عنى ما يأتي ذكره^(٨).

الثانية: ربما خطر لبعض الناس أن هؤلاء^(٩) أحباب الله وأنبيأؤه، ورسله

= توفي سنة ٣٩٥هـ، انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي ٢٥٨/٨؛ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل البغدادي ٢٧٣/١.

(١) كتاب التلخيص ٣٠٤/١.

(٢) في (ع): يتخذ فيه، وكلمة (فيه) ليس في الأصل وكتاب التلخيص.

(٣) في (ع): قوله. (٤) كلمة (فصل): ليست في (ع، ظ).

(٥) لم أقف على القائل.

(٦) في (الأصل): عكرانه، والتصويب من (ع، م)، وفي (ظ): غلظاته، والعلز: الكرب عند الموت، لسان العرب ٣٨٠/٥.

(٧) في (الأصل): وأنه ألم باطن، وما أثبتته من (ع، ظ، م).

(٨) انظر: ص (٤١٥، ٤٣٨).

(٩) جاء في (الأصل): بعض هؤلاء، وما أثبتته من (ع، ظ، م).

فكيف يقاسون هذه الشدائد العظيمة وهو سبحانه قادر أن يخفف عنهم أجمعين كما قال في قصة إبراهيم^(١): «أما إنا قد هوننا عليك»^(٢).

فالجواب: «أن أشد الناس بلاء في الدنيا الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل» كما قال نبينا ﷺ، خرجه البخاري^(٣) وغيره^(٤). فأحب الله سبحانه أن يتليهم تكمياً لفضائلهم لديه^(٥) ورفعة لدرجاتهم^(٦) عنده، وليس ذلك في حقهم نقصاً ولا عذاباً، بل هو كمال رفعة مع رضاهم بجميل ما يحريه الله عليهم، فأراد الله سبحانه أن يختم لهم بهذه الشدائد مع إمكان التخفيف والتهوين عليهم ليرفع منازلهم، ويعظم أجورهم قبل موتهم كما ابتلي إبراهيم بالنار، وموسى بالخوف والأسفار، وعيسى بالصحاري والفقار^(٧)، ونبينا ﷺ^(٨) بالفقر والزهد في الدنيا، ومقاتلة الكفار^(٩)، كل ذلك^(١٠) رفعة في أحوالهم

(١) في (الأصل): في حق إبراهيم، وما أثبتته من (ع، ظ، م).

(٢) تقدم الحكم عليه بأنه موضوع ص (١٥١).

(٣) لم يخرج البخاري هذا الحديث بتصه، وإنما جعله عنوان باب فقال: باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأول فالأول ٢١٣٩/٥. قال ابن حجر: قوله: «الأول فالأول» للنسفي، و«الأمثل فالأمثل» للأكثر، وجمعهما المستمني، فتح الباري ١١١/١٠ (بتصرف يسير).

(٤) أخرجه الترمذي ١٠٦/٤، ح ٢٣٩٨؛ وابن ماجه ١٣٣٤/٢، ح ٤٠٢٣؛ وأحمد ١/١٧٢، ح ١٤٨١؛ وابن حبان في صحيحه ١٦٠/٧، ح ٢٩١٠؛ والطيالسي ص (٢٩)، ح ٢١٥ كلهم من طريق عاصم بن بهدنة عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه سعد، قال الألباني: حسن صحيح، انظر: صحيح ابن ماجه ٣٧١/٢، ح ٣٢٤٩.

(٥) (لديه): ليست في (ع، ظ)، والأصل يتوافق مع (م).

(٦) في (ع): في درجاتهم.

(٧) ثم أقف على نص يدل على أن عيسى ﷺ كان ملازماً للصحاري، والمعروف عنه ﷺ قيامه بالدعوة ومباشرة المدعوين، والذي يظهر أن هذا من نسج الصوفية، توهموه من فعل الرهبان، والله أعلم.

(٨) في (الأصل): (نبينا محمد ﷺ)، وما أثبتته من (ع، ظ، م).

(٩) في (ع): ومقابلة الكفار.

(١٠) في (الأصل): على ذلك، وما أثبتته من (ع، ظ). وفي (م) طمس، والصواب ما أثبتته؛ لأن المعنى لا يستقيم بما في الأصل، ففي الكلام نقص على ما في الأصل، وأما =

وكمال^(١) في درجاتهم، ولا يُفْهَم من هذا أن الله شَدَدَ عليهم أكثرَ ممَّا شَدَدَ على العُصاةِ المَخْلُوعِينَ، فإن ذلك عقوبة وموَاخِذَةٌ لهم^(٢) على إجرامهم فلا نسبةً بينه^(٣) وبين هذا.

فصل (٤)

إن قال قائل هل كل المخلوقات تجد هذه السكرات؟ قيل له: قال بعض علمائنا^(٥): قد وجب^(٦) بحكم القيل الصدق، والكلمة الحق أن الكأس مرَّ المذاق، وأن قد ذُيقَ ويُدَاق، ولكن نَمَّ فرقان وتقديرات وأوزان، وأن الله تعالى لما انفرد بالبقاء وحده لا شريك له، وأجرى سنة الهلاك والفناء على الخلق دونه خالف في ذلك ﷺ بين المخلوقات، وفرَّق بين المحسوسات بحسب ما خالف بين المنازل والدرجات، فنوع أرضي حيواني إنساني وغير إنساني، وفوقه عالم روحاني، وملاً عُلوِي رضواني، كل يشرب^(٧) من ذلك الكأس جوعته، ويغتنص^(٨) منه غصته، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

قال أبو حامد في كتاب كشف علم^(٩) الآخرة: وثبت ذلك في ثلاثة^(١٠)

= عبارة: كل ذلك، فتعود على ما ذكر من الابتلاء بالنار، والخوف والأسفار...، كذلك اسم الإشارة لا يشير إلى نبينا ﷺ وحده.

(١) كذا في (الأصل، ع، ظ)، وفي (م): كمالاً، وكلاهما جائز، فإذا أعرينا (رفعة) خبر لكل، كان المعطف على المرفوع مرفوعاً، وإذا أعرينا (رفعة) مفعولاً لأجله، عطفنا فنصبنا.

(٢) في (ع، ظ): عقوبة لهم وموَاخِذَةٌ.

(٣) في (الأصل): بينهم، وما أثبتته من (ع، ظ، م).

(٤) كلمة (فصل): لبست في (ع، ظ). (٥) في (ع، ظ): العلماء.

(٦) في (ع): قيل. (٧) في (ع): شرب.

(٨) في (ع): يغتنص. (٩) في (ع): عنوم.

(١٠) في (الأصل) و(ظ) ثلاث، وما أثبتته من (ع، ومصدر المؤلف) وهو الصواب؛ لأن الأعداد من ثلاثة إلى عشر تخالف المعدود في التذكير والتأنيث، والمعدود هنا مذكر مفرد موزع؛ لذلك يؤنث العدد.

مراضع من كتابه^(١١)، وإنما أراد سبحانه الموتات^(٣) الثلاث^(٤) للعالمين: فالمتحيز إلى العالم الدنيوي يموت، والمتحيز إلى العالم الملكوتي يموت، والمتحيز إلى العالم الجبروتي يموت.

فالأول آدم وذريته وجميع الحيوان على ضروره الثلاث.

والملكوتي وهو الثاني أصناف الملائكة والجن.

وأهل الجبروتي هم^(٥): المصطفون من الملائكة، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِمَّنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، فهم كروبيون وحملة العرش وأصحاب [٩/ب] سرادقات^(٦) الجلال كما وصفهم الله^(٧) في كتابه^(٨) وأثنى عليهم حيث يقول: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [١٧/ب] [الأنبياء: ١٩ - ٢٠] وهم أهل حضرة القدس المعنيون بقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَنْزِلَهُمْ لَأَنْزَلْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٧]، وهم يموتون على هذه المكانة من الله تعالى والقربى وليس زلفاهم يمانع لهم من الموت^(٩).

قال ابن قسي^(١٠): وكما تفرقت الطرق بهذه العوالم كذلك تفرقت طرق

(١) (من كتابه): ليست في (كتاب كشف علوم الآخرة).

(٢) في سورة آل عمران من الآية (١٨٥)، وسورة الأنبياء من الآية (٣٥)، وسورة العنكبوت من الآية (٥٧).

(٣) في (جميع النسخ): بالموتات، ولا يستقيم بها المعنى، وما أثبتته من كشف علوم الآخرة.

(٤) (الثلاث): ليست في (ظ). (٥) في كشف علوم الآخرة: فهم.

(٦) (السرادقات): هي التي تُمد فوق صحن الدار، وكل بيت من كُرسف - القطن - فهو سرادق، الصحاح ٤/١٤٩٦.

(٧) في (ظ)، وكشف علوم الآخرة: الله تعالى.

(٨) من هذا الموضع يباصر في الأصل في بعض النسخات والأحرف، تم إكماله من (ع)، ظ، كشف علوم الآخرة.

(٩) الدرر الفاخرة في كشف علوم الآخرة لأبي حامد الغزالي ص (١٤ - ١٥).

(١٠) أحمد بن الحسين بن قسي الأندلسي، شيخ الصوفية، صاحب كتاب خلع النعلين في الوصول إلى حضرة الجمعين الذي شرحه زعيم وحدة الوجود: محيي الدين بن عربي، =

الإحساسات في اجتراع الغصص، والمرارات^(١):

فإحساس روحاني للروحانيات كما يجده النائم في منته، أو الغصة الوجعة تغصه في نومه، فيغص منها في حال رقدته ويتململ بذلك إلى حين يقظته، حتى إذا استيقظ لم يجد شيئاً ووجد الأُنسَ عنده فأزال ألمه ووقاه أمانه ونعمه.

وإحساس علوي قدسي للعلوية كما يجده الوستان من الروحانية، وهو مما^(٢) لا يدركه العقل البشري إلا توهماً فلا^(٣) يبلغه التحصيل إلا تخيلاً وتوسماً.

وإحساس بشري ثقلي إنسي وجني: وهو مما^(٤) لا يكاد^(٥) أن توصف شدائده وغصصه فكيف وقد قالوا: الغصة^(٦) الواحدة منه كألّف ضربة بالسيف فما عسا أن ينعت ويوصف، وهذا الذي لا يمكن أن يعرف.

والخلق أيضاً في هذا الإحساس فرق^(٧) يختلفون باختلاف المنازل والطرق: فالفرقة الإسلامية لا تجد منه^(٨) ما تجده^(٩) غير الإسلامية، ثم الإسلامية في نفسها لا تجد منه النبوية كما^(١٠) تجد^(١١) التبعية، ثم النبوية في ذاتها ومقامات إحساساتها^(١٢) تختلف على حكم الكلمة^(١٣) وصدق القليل باختلاف التقديم والتفضيل، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْ كَلِمَ اللَّهِ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] [آية]^(١٤)، وقد نبهت الحُلة الذاتية عزت سبباحتها

- توفي سنة ٥٤٥هـ، انظر: الأعلام للزركلي ١/١١٦، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.

- (١) نهاية البياض الذي في الأصل.
- (٢) في (ع، ظ): ما.
- (٣) في (ع، ظ): ولا.
- (٤) في (ع، ظ): ما.
- (٥) في (ع): لا يدرك.
- (٦) في (ع، ظ): والغصة.
- (٧) في (ع): بين فرق.
- (٨) في (الأصل): فالفرقة الإسلامية في نفسها لا تجد منه، وما أثبتته من (ع، ظ، م).
- (٩) في (ظ): تجد.
- (١٠) في (ع): ما.
- (١١) في (ع، ظ): تجده، والأصل يتوافق مع (م).
- (١٢) في (الأصل): إحساسها، وما أثبتته من (ع، ظ، م).
- (١٣) في (ظ): الكلم.
- (١٤) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).

وتقدست صفاتها على خفة ذلك عن إبراهيم وأشارت إلى تهوين الأمر عليه وتبين ما خفف عنه صلوات الله وسلامه عليه، فقال: «أما إنا قد هونا عليك يا إبراهيم»، وما وصف^(١) الحق ﷻ بالهون فلا أهون منه، كما ما كبره^(٢) وعظمة فلا أكبر ولا أعظم منه، ولا فرق بين أن قال موتاً هيناً يسيراً وملكاً عظيماً كبيراً، وقال في نعيم الجنة^(٣): ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نِعْمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠]، فكما أنه^(٤) لا أكبر من ملك الجنة كذلك لا أهون من موت الخلة^(٥)، والله أعلم.

فصل

إذا ثبت ما ذكرناه فاعلم أن الموت هو الخطب الأفطع^(٦)، والأمر الأشنع، والكأس التي^(٧) طعمها أكره وأبشع، وأنه الحادث^(٨) الأهدم للذات، والأفطع لنزاحات، والأجلب للكريهات، وأن أمراً يقطع أوصالك ويفرق أعضائك، ويفت أعضادك، ويهد أركانك، لهو الأمر العظيم، والخطب الجسم، وإن يومه لهو اليوم الحقيم^(٩).

يحكى^(١٠) عن^(١١) الرشيد^(١٢) لما اشتد مرضه أحضر طبيباً طوسياً فارسياً

(١) في (ع، ظ): وصفه.

(٢) في (ظ): كثره.

(٣) في (ع): نعيم أهل الجنة.

(٤) (الواو): ليست في (ع، ظ)، والأصل يتوافق مع (المصحف).

(٥) (أنه) ليست في (ع).

(٦) هذا القياس لا يستقيم، لأن حديث تهوين الموت على إبراهيم ﷺ الذي اعتمد عليه في القياس تقدم أنه موضوع، انظر: ص (١٥١).

(٧) في (ظ): الأفطع.

(٨) في (ع، ظ): الذي.

(٩) في (ع، ظ): للحادث.

(١٠) هذا نص كلام أبي محمد عبد الحق، ويبدأ من قوله: الموت هو الخطب... انظر: العاقبة ص (٣٦).

(١١) هذه الحكاية ذكرها ابن الجوزي في كتابه المنتظم ٢/٩: ٢١٣؛ وأبو محمد عبد الحق في كتابه العاقبة ص (١٣٠) مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

(١٢) في (ع، ظ): أن.

(١٣) أبو جعفر هارون الرشيد بن المهدي محمد المنصور العباسي الخليفة، كان من أنبل-

وأمر أن يعرض عليه [١٠/أ] ماؤه مع مياه كثيرة لمرضى وأصحاء^(١)، فجعل يستعرض القوارير حتى رأى قارورة الرشيد فقال: قولوا لصاحب هذا الماء يوصي فإنه قد انحلت قواه، وتداعت بنيته^(٢)، ولما استعرض باقي المياه أقيم فذهب فينس الرشيد من نفسه، وأنشد:

إن الطبيب بطببه ودوانه لا يستطيع دفاع نَحْبٍ قد أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذي قد كان أبرأ مثله فيما مضى

وبلغه أن الناس أرجفوا بموته، فاستدعى حماراً وأمر فحُبل عليه فاسترخت فخذاه فقال: أنزلوني، صدق المرجفون، ودعا بأكفان فتحير منها ما أعجبه، وأمر فشق له قبر أمام فراشه، ثم أطلع فيه فقال: ما أغنى عني ماليه، هلك عني سلطانيه^(٣).

فما ظنك رحمك الله بنازل ينزل بك، فيذهب رونقك وبهائك، ويغير منظرك ورؤاك^(٤)، ويمحو صورتك وجمالك، ويمنع من اجتماعك واتصالك، ويردك بعد النعمة والنصرة والسطوة والقدرة والنخوة والعزة إلى حالة^(٥) يبأدر فيها أحب الناس إليك، وأرحمهم بك، وأعطفهم عليك، فيقذفك في حفرة من الأرض قريبة^(٦) أنحاؤها، مظلمة أرجاؤها، محكم عليك حجرها وصيذاتها^(٧)، فتحكم فيك^(٨) هوامها وديدانها، ثم بعد ذلك تمكن منك الإعدام، وتختلط

= الخلفاء، وأحشم الملوك، ذا حج وجهاد وغزو وشجاعة ورأي، مات غازياً سنة ١٩٢هـ، تاريخ بغداد ٥٠/١٤؛ سير أعلام النبلاء ٢٨٦/٩.

(١) في (ظ): للمرضى والأصحاء. (٢) في (ع): منيته.

(٣) ذكر هذا البلاغ أبو محمد في كتابه العاقبة ص(١٣٠).

(٤) في (الأصل): رؤياك، وفي (ع، ظ): رؤاك، وما أثبتته من العاقبة، والرؤاء بالضم: حسن المنظر، الصحاح للجوهري ٢٣٤٩/٦.

(٥) في (ظ): والعزة إلى حال. (٦) (قريبة) ليست في (ظ).

(٧) الصيذات: برام الحجارة، وبرام جمع بُرمة وهي القدر مطلقاً، انظر: الصحاح ٢/٥٠٠، ولسان العرب ٤٥/١٢.

(٨) في (الأصل): عثك، وما أثبتته من (ع، ظ، العاقبة).

بالرغام^(١)، وتصير تراباً تطؤه الأقدام، وربما شُرب منك إناء فخار، وأحکم بك بناء جدار، أو طلي بك محبس^(٢) ماء، أو موقدة^(٣) نار^(٤).

كما روي عن علي رضي الله عنه أنه أتى بإناء^(٥) ليُشرب منه فأخذه بيده ونظر إليه وقال: كم فيك من عين كحيل، وخذ أسيل^(٦).

ويحكى أن رجلين تنازعا وتخاصما في أرض، فأنطق الله تعالى لبنة في حائط من تلك الأرض فقالت: يا هذان إني كنت ملكاً من الملوك ملكت كذا وكذا سنة ثم مت وصرت تراباً فبقيت كذلك ألف سنة، ثم أخذني خزاف: يعني فخاراً فعمل مني إناء فاستعملت حتى تكسرت ثم عدت تراباً، فبقيت ألف سنة، ثم أخذني رجل فضرب مني لبنة فجعلني في هذا الحائط فقيم تنازعكما؟ وقيم تخاصمكما^(٧).

قلت: والحكايات في هذا المعنى كثيرة^(٨)، والوجود شاهد بتجديد ما دُثر وتغيير ما غُيّر، وعن ذلك يكون الحفر والإخراج واتخاذ الأواني وبناء^(٩)

(١) الرغام: التراب، الصحاح ١٩٣٥/٥.

(٢) في (الأصل): محس، وفي (ع): نحيس، وفي (ظ): محش، ولا يستقيم المعنى بواحدة مما سبق، بل ليس لبعضها معنى، والتصويب من كتاب العاقبة مصدر المؤلف. وفي الصحاح ٩١٥/٣: الجبس: خشب أو حجارة تبني في مجرى الماء فتحبس الماء، فيشرب منه القوم.

(٣) في (ع، ظ): موقد.

(٤) هذا نص كلام أبي محمد عبد الحق، ويبدأ من قوله: فما ظنك رحمك الله بنازل. انظر: العاقبة ص (٣٦).

(٥) في (ع، ظ): إناء ماء.

(٦) خد أسيل: أي لين، انظر: الصحاح ١٦٢٢/٤، ذكر هذا الأثر أبو محمد عبد الحق في كتابه العاقبة ص (٣٧).

(٧) هذه الحكاية ذكرها أبو محمد عبد الحق في كتابه العاقبة ص (٣٧).

(٨) في (ع، ظ): قد ذكر أبو محمد عبد الحق في هذا المعنى حكايات كثيرة في كتاب العاقبة له.

(٩) (بناء): ليست في (ع، ظ).

الأبراج، ولقد كنت في زمن الشباب أنا وغيري ننقل التراب على الدواب^(١) من مقبرة عندنا تُسمى بمقبرة اليهود خارج قرطبة، وقد اختلط بعضهم من هناك ولحومهم وشعورهم وأبشارهم^(٢) إلى الذين يصنعون القرمذ^(٣) للسقف^(٤)، قال علماؤنا^(٥): وهذا التغير إنما يحل بجسدك^(٦) وينزل بيدك لا بروحك؛ لأن الروح لها حكم آخر، وما مضى منك فغير مضاع وتفرقه لا يمنع من الاجتماع، قال [١٠/ب] الله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴿١﴾﴾ [ق: ٤]، وقال: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَعْزِلُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه: ٥١ - ٥٢].

باب الموت كفارة لكل مسلم

أبو نعيم^(٧) عن عاصم الأخول عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «الموت كفارة لكل مسلم»، ذكره القاضي أبو بكر بن العربي في سراج المرئيين له^(٨)، وقال فيه: حديث^(٩) صحيح حسن^(١٠).

فصل

إنما كان الموت كفارة لكل ما يلقاه^(١١) الميت في مرضه، من الآلام

- (١) (على الدواب): ليست في (ع، ظ).
- (٢) (وشعورهم وإبشارهم): ليست في (ع، ظ).
- (٣) القرمذ: ضرب من الحجارة يوقد عليها، فإذا نضج طلي به، الصحاح ٥٢٤/٢.
- (٤) جمع سَفَف، انظر: الصحاح ١٣٧٥/٤.
- (٥) القائل هو أبو محمد عبد الحق في العاقبة ص (٣٧).
- (٦) في (ع): بجسدك.
- (٧) الحلية ١٢١/٣، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ٢١٨/٣ وقال: هذا حديث لا يصح، وحكم بوضعه الألباني في ضعيف الجامع الصغير ص (٨٥٧)، ح ٥٩٥٠.
- (٨) (له): ليست في (ع، ظ)، والأصل يتوافق مع (م).
- (٩) (حديث): ليست في (ع، ظ).
- (١٠) لم أجد النص في سراج المرئيين المخطوط.
- (١١) في (ع، ظ): لما يلقاه.

والأوجاع، وقد قال ﷺ: «ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها»، خرَّجه مسلم^(١).

وفي الموطأ^(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ^(٣): «من يرد الله به خيراً يصب منه».

وفي الخبر المأثور^(٤) يقول الله تعالى: «إني لا أخرج أحداً من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه حتى أوفيه بكل خطيئة كان عملها سقماً في جسده، ومصيبة في أهله وولده، وضيقاً في معاشه، وإفتاراً في رزقه حتى أبلغ منه مثاقيل^(٥) الذر، فإن بقي عليه شيء شددت^(٦) عليه الموت حتى يفضي إليّ كيوم ولدته أمه».

قلت: وهذا بخلاف من لا يحبه ويرضاه كما في الخبر يقول الله تعالى: «وعزتي وجلالي لا أخرج من الدنيا عبداً أريد أن أعذبه حتى أوفيه بكل^(٧) حسنة عملها^(٨) بصحة في جسده، وسعة في رزقه، ورغد في عيشه، وأمن في سربه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر، فإن بقي له^(٩) شيء هونت عليه الموت حتى يفضي إليّ وليس له حسنة يتقي بها النار».

قلت: وفي مثل هذا المعنى ما خرَّجه أبو داود^(١٠) بسند صحيح فيما^(١١)

(١) في صحيحه ١٩٩١/٤، ح ٣٥٧١.

(٢) ٩٤١/٢، ح ١٦٨٤؛ والبخاري في صحيحه ٢١٣٨/٥، ح ٥٣٢١.

(٣) في (ع، ط): قال: قال رسول الله.

(٤) ثم أجد هذا الخبر.

(٥) في (الأصل): مثقان، وما أثبتته من (ع، ط)؛ ولأنها جاءت في الأصل بعد خمسة أسطر كما في (ع، ط).

(٦) من هذا الموضع سقط في (ع). (٧) في (ط): كل.

(٨) نهاية السقط الذي في (ع).

(٩) (ه): ليست في (ع).

(١٠) في السنن ١٨٨/٣، ح ٣١١؛ وأحمد ٤٢٤/٣؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٣/٣٧٨، ح ١٦٣٦٢ صححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود له ٦٠١/٢، ح ٢٦٦٧.

(١١) في (ط): فيها.

ذكر أبو الحسن بن الحَضَار (١) عن [عُبَيْد] (٢) بن خالد السلمي رضي الله عنه وكانت له صحبة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «موت الفجأة أخذة أسف» (٣)، ورواه (٤) أيضاً مرسلًا. وروي (٥) عن عائشة رضي الله عنها: «أنها راحة للمؤمن، وأخذة أسف للكافر».

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن داود عليه السلام [٦]» «مات فجأة يوم السبت» (٧)، وعن زيد بن أسلم (٨) أن (٩) عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إذا بقي على المؤمن شيء من ذنوبه (١٠) لم يبلغه بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدائده درجته من الجنة، وأن الكافر إذا كان قد عمل معروفًا في الدنيا هُوَنٌ عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه في الدنيا ثم يصير إلى النار.

(١) علي بن محمد الخزرجي، يعرف بالحضار، له كتاب المدارك، وصل به مقطوع حديث مالك في الموطأ، توفي في حدود سنة ٦١٠، انظر: التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار ٢٤٨/٣.

(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، وسنن أبي داود)، وفي الأصل (و، ظ، م): عُبَيْد. وقد جاء اسم عُبَيْد في نفس سند أبي داود: سعد بن عبيدة عن عبيد بن خالد السلمي، مما يفوي احتمال حدوث الوهم والاشتباه فيهما، قال ابن حجر: عبيد بن خالد السلمي، وقيل عبد بغير تصغير، وقيل: عبده بزيادة هاء، انظر: الإصابة ٤٠٩/٤.

(٣) في (الأصل): أسف للكافر، وما أثبتته (ع، ظ، م، سنن أبي داود).

(٤) أي أبو داود، ورواه مرسلًا بعد الرواية السابقة.

(٥) في (الأصل): وروي الترمذي، وما أثبتته من (ع، ظ، م) ولم أجد لفظ هذا الحديث في جامع الترمذي، ووجدته في معجم الطبراني الكبير ١٧٥/٩ رقم ٨٨٦٥ بلفظ: «تخفيف عن المؤمن وأسف على الكافر»، وفي مسند أحمد ١٣٦/٦، ح ٢٥٠٨٦ والبيهقي في السنن ٣/٣٧٩، ح ٦٣٦٤ كلاهما بلفظ: «راحة للمؤمن وأخذة أسف للقاجر»، قال الهيثمي في المجمع ٢/٣٦٨: رواه أحمد والطبراني في الأوسط - ثم أجدته في الأوسط - وفيه عبيد الله بن الوليد الرصافي وهو متروك؛ وقال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف الجامع الصغير ص (٨٥٠)، ح ٥٨٩٦.

(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٧) ذكره ابن العربي في سراج المريدين وسبيل المهنددين له (مخطوط) ل ٢٥٠ ب السطر الأول من أعلى، محفوظ بدار الكتب القومية بمصر، تحت رقم ٢٠٣٤٨ ت.

(٨) في (ع، ظ): زيد بن أسلم مؤلف عمر.

(٩) (أن): ليست في (ع، ظ).

(١٠) في (ع، ظ): من ذنوبه شيء.

ذكره أبو محمد^(١) عبد الحق^(٢).

وخرجه^(٣) أبو نعيم الحافظ من حديث الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله^(٤) قال: قال رسول الله ﷺ: «نفس المؤمن تخرج رشحاً، وإن نفس الكافر تسيل كما تسيل نفس الحمار، وإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد عليه بها^(٥) عند الموت ليكفر بها عنه، وإن الكافر [١/١١] ليعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت ليجزى بها^(٦)».

وذكر ابن المبارك^(٧): أن أبا الدرداء رضي الله عنه قال: أحب الموت اشتياقاً إلى ربي، وأحب الممرض تكفيراً لخطيئتي، وأحب الفقر تواضعاً لربي ﷻ^(٨).

(١) الحافظ العلامة أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله، الإشبيلي، المعروف في زمانه بابن الخراط، له من المصنفات: الأحكام الصغرى، والوسطى، والكبرى، وكتاب الجمع بين الصحيحين، والمعتل من الحديث، والعاقبة، وغير ذلك، توفي سنة ٥٨١هـ، السير ١٩٨/٢١.

(٢) (ذكره أبو محمد عبد الحق): ليس في (ع، ط). وهو في كتاب العاقبة لأبي محمد ص(١١٣)؛ وذكره انغزالي في الإحياء ٤/٤٢٣.

(٣) في (ع، ط): وخرج.

(٤) الأعمش هو سليمان بن مهران، وإبراهيم هو النخعي، وعلقمة هو علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي، وعبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه.

(٥) في (ع، ط): بها عليه.

(٦) تقدم تخريجه ص(١٤٨).

(٧) عبد الله بن المبارك بن واضح، الحنظلي مولاهم التركي، ثم المروزي، أبو عبد الرحمن، شيخ الإسلام، عالم زمانه، أمير الأتقياء، الحافظ، الفقيه، الجواد الغازي، جُمِعَتْ فيه خصال الخير، سمع من أبي حنيفة ومالك واللبث والثوري وغيرهم، حدث عنه ابن معين وأبو داود وابن أبي شيبة وعبد الرزاق، وأمهم غيرهم مات سنة ١٨١هـ، السير ٣٧٨/٨ والتقريب ص(٣٢٠) رقم ٣٥٧٠.

(٨) أثر أبي الدرداء الذي رواه ابن المبارك ليس في (ع، ط)، والأصل يتوافق مع (م)، وهو في الزهد لابن المبارك ص(٨٨ - ٨٩)، ح ٢٦٢ باختلاف في السياق، وأبو نعيم في الحلية ٢١٧/١، وأبو داود السجستاني في كتابه الزهد ص(٢١٥).

باب لا يموت أحد إلا وهو يحسن بالله الظن

[وفي الخوف من الله تعالى] (١)

مسلم (٢) عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل وفاته بثلاث: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله» أخرجه البخاري (٣)، وذكره ابن أبي الدنيا (٤) في كتاب حسن الظن بالله (٥) وزاد: فإن قوماً [قد] (٦) أرداهم سوء ظنهم بالله فقال لهم تبارك وتعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣] (٧).

ابن ماجه (٨) عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال: كيف تجدك؟ فقال: أرجو الله يا رسول الله، وأخاف ذنوبي، فقال

(١) ما بين المعقوفين من (ع، ط).

(٢) ٢٢٠٦/٤، ح ٢٨٧٧.

(٣) لم أجده في صحيح البخاري أو الأدب المفرد نه.

(٤) عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي مولاهم البغدادي، المؤدب، صاحب التصانيف السائرة منها: القبور، والموت، وقصر الأمل، والمحتصرين، وحسن الظن بالله، والتوبة، وغير ذلك، توفي سنة ٢٨١هـ، السير ٣٩٧/١٣، والبداية والنهاية لابن كثير ٧١/١١.

(٥) ص (١٩).

(٦) ما بين المعقوفين من (ع، ط، وحسن الظن لابن أبي الدنيا).

(٧) قال العلامة ابن القيم: قال الله تعالى في حق من شك في تعلق سمعه ببعض الجزئيات وهو السر من القول: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، فهؤلاء لما ظنوا أن الله سبحانه لا يعلم كثيراً مما يعملون كان ذلك إساءة لظنهم بربهم، فأرداهم ذلك الظن، وهذا شأن كل من جحد صفات كماله، ونعوت جلاله، وأساء الظن بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، وظن أن ظاهر ذلك ضلال وكفر، وكيف يحسن الظن به من يظن أنه لا يتكلم ولا يأمر ولا ينهى، ولا يرضى ولا يغضب؟! وهل هذا إلا من خدع النفوس، وغرور الأمانى؟! الجواب الكافي ص (٢٣ - ٢٤) بتصرف.

(٨) في سنته ١٤٢٣/٢، ح ٤٢٦١، وحسنه الألباني، النظر: صحيح ابن ماجه ٤٢٠/٢، ح ٣٤٣٦.

رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد^(١) في مثل^(٢) هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجوه^(٣)، وآمنه^(٤) مما يخاف». ذكره ابن أبي الدنيا^(٥) أيضاً، وخرجه الترمذي^(٦) وقال: هذا حديث حسن^(٧) غريب، وقد روى بعضهم هذا الحديث عن ثابت عن النبي ﷺ مرسلًا.

وذكر^(٨) الترمذي الحكيم في الأصل السادس والثمانين في^(٩) نوادر الأصول^(١٠): حدثنا يحيى بن حبيب عن عدي قال: حدثنا بشر بن المفضل عن عوف عن الحسن أنه^(١١) قال: بلغني عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قال ربكم ﷻ: لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمينين، فمن خافني في الدنيا أمنت في الآخرة، ومن أمني في الدنيا أخفته في الآخرة».

حدثنا أبو بكر بن سابق^(١٢) الأموي قال: ثنا أبو مالك الجنيبي عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ^(١٣) فيما يذكر من مناجاة موسى عليه السلام أنه قال: يا موسى إنه لن يلقاني عبد لي^(١٤) في حاضر القيامة إلا

(١) في (الأصل): عبد مؤمن، وما أثبت من (ع، ظ، ابن ماجه).

(٢) (مثل): ليست في (ظ).

(٣) في (ع، وابن ماجه): يرجو.
(٤) كذا بحد الألف في (م، وكتاب المحنضرين لابن أبي الدنيا)، وفي الأصل و(ع، ظ) ليس على الألف شيء.

(٥) ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب المحنضرين ص(٣٣)؛ وكتاب حسن الظن بالله ص(٤١)، قال الألباني: حسن، انظر: تحقيق مشكاة المصابيح له ٥٠٨/١.

(٦) في جامعه ٣١١/٣، ح ٩٨٣.

(٧) (حسن): ليست في (ع، ظ)، والأصل يتوافق مع (سنن الترمذي).

(٨) في (ع): روى.
(٩) في (ع، ظ): من.

(١٠) ص(١٢٧)، والحديث روى نحوه ابن حبان في صحيحه ٤٠٦/٢، ح ٦٤٠، وابن المبارك في الزهد ص(٥١)، ح ١٥٧، وعزاه ابن المبارك إلى البزار، ولم أجده في مسنده المطبوع، وهو من مراسيل الحسن البصري، قال الهيثمي: رواه البزار عن شيخه محمد بن يحيى ولم أعرفه، وبقيت رجال المرسل رجال الصحيح، مجمع الزوائد ٣٠٨/١٠.

(١١) (أنه) ليست في (ع، ظ).
(١٢) في (ع، ظ): بنانة.

(١٣) من هذا الموضع إلى قوله: فأدخلهم الجنة، ساقط من (ع).

(١٤) في (ظ): عبد.

فتشته عما في يديه إلا ما كان من الورعين فإني أستحييهم، وأجلهم، فأكرمهم^(١) فأدخلهم الجنة بغير حساب، فمن استحيى من الله تعالى في الدنيا مما صنع^(٢) استحيى الله من تفتيشه وسؤاله، ولم يجمع عليه حيايين كما لا يجمع عليه خوفين^(٣).

فصل

حسن الظن بالله ﷻ ينبغي أن يكون أغلب على العبد عند الموت منه في حال^(٤) الصحة، وهو أن الله تعالى يرحمه برحمته^(٥) ويتجاوز عنه، ويغفر له، وينبغي لجلسائه أن يذكروه بذلك حتى يدخل في قوله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء»^(٦).

وروي حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله، فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة»^(٧).

وروي عن ابن عمر ﷺ أنه قال: عمود الدين، وغاية مجده، وذروة [ب/١١] سنامه، حسن الظن بالله، فمن مات منكم وهو يحسن الظن بالله دخل الجنة مُدِلًّا^(٨).

(١) في (ط): وأكرمهم.

(٣) ذكر الحكيم الترمذي في نوادر الأصول نحوه ٤١٨/١، وفي سننه جوير بن سعيد الخراساني، قال عنه النسائي: متروك الحديث، انظر: الضعفاء والمتروكين له ص (٢٨) رقم ١٠٤، وضعفه يحيى بن معين، انظر: المجروحين لابن حبان ٢١٧/١ رقم ١٨٨.

(٤) في (ع): حالة. (٥) (برحمته) ليست في (ع، ط).

(٦) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٤٠١/٢، ح ٦٣٣؛ وأحمد في مسنده ٤٩١/٣، ح ١٦٠٥٩؛ وابن أبي الدنيا في كتابه حسن الظن بالله ص (١٥)؛ قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله ثقات، المجمع ٣١٨/٢.

(٧) أورده الخطيب البغدادي في ترجمة محمد بن إبراهيم بن كثير الباشامي، انظر: تاريخ بغداد ٣٩٦/١ رقم الترجمة ٣٦٦.

(٨) لم أقف على هذا الأثر، والمُدِلُّ: المجترى، والذي يتجنى في غير موضع تجن، ودل=

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: والله الذي لا إله غيره^(١)، لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه، وذلك أن الخير بيده^(٢).

وذكر ابن المبارك قال: أخبرنا سفيان [أن]^(٣) ابن عباس رضي الله عنه قال: إذا رأيتم بالرجل الموت فيشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن بالله، وإذا كان حياً فخوفوه^(٤).

وقال الفضيل^(٥): الخوف أفضل من الرجاء ما كان العبد صحيحاً، فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل من الخوف^(٦).

وذكر ابن أبي الدنيا قال: حدثنا يحيى أبو عبد الله^(٧) البصري قال^(٨): حدثنا سوار بن عبد الله قال: حدثنا المعتمر قال: قال أبي حين حضرته الوفاة^(٩): يا معتمر حدثني بالرخص لعلي ألقى الله وأنا حسن^(١٠) الظن به^(١١).

وقال حدثنا^(١٢) عمرو بن محمد الناقد قال: حدثنا خلف بن خليفة عن حصين عن إبراهيم قال: كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند الموت حتى يحسن ظنه بربه ﷻ^(١٣).

= إذا افتخر، والدلة: المنة، انظر: لسان العرب ١١/٢٤٨.

- (١) في (ع): لا إله إلا هو.
- (٢) ذكره ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله ص (٩٦).
- (٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ٤، ظ).
- (٤) الزهد ص (١٤٨ - ١٤٩)، ح ٤٤١.
- (٥) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر أبو علي التميمي الخراساني، من أقران سفيان بن عيينة في الموصل، اشتهر بالزهد والورع مات سنة ١٨٧هـ، وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/٤٧، سير أعلام النبلاء ٨/٣٧٢.
- (٦) ذكره أبو نعيم في الحلية ١/٨٩؛ والذهبي في سير أعلام النبلاء ٨/٣٨١.
- (٧) في (ع): بن عبد الله، والأصل متوافق مع (ظ، ومصدر المؤلف).
- (٨) (قال): ليست في (ع، ظ).
- (٩) في (ظ): قال أبي لما حضرته الوفاة.
- (١٠) في (الأصل): أحسن، وما أثبتته من (ع، ظ، م، مصدر المؤلف).
- (١١) ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله ص (٤٠)؛ وكتاب المحضرين ص (٣٩) له.
- (١٢) في (ع، ظ): قال وحدثنا.
- (١٣) ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب المحضرين ص (٤٠).

وقال ثابت البناني^(١): كان شاب به زَهَقٌ^(٢)، فلما نزل به الموت انكبت عليه أمه وهي تقول: يا بني قد^(٣) كنت أحذرك مصرعك^(٤) هذا. قال: يا أماه إن لي رباً كثيراً المعروف، وإني لأرجو اليوم أن لا يعدمني بعض معروفه، فقال ثابت: رحمه الله بحسن ظنه بالله^(٥) في حاله تلك^(٦).

وقال عمر بن ذر^(٧) يوماً في كلامه وعند ابن أبي داود^(٨)، وأبو حنيفة^(٩): أتعدبنا وفي أحوالنا التوحيد، لا أراك تفعل، اللهم اغفر لمن لم يزل على مثل حال السحرة في الساعات التي غفرت لهم فإنهم قالوا آمنا برب العالمين، فقال أبو حنيفة: رحمك الله، القصص بعدك حرام^(١٠).

وكان يحيى بن زكريا إذا لقي عيسى بن مريم صلوات الله عليهما عيس، وإذا لقيه عيسى تبسم، فقال له عيسى: تلقاني عابساً كأنك آيس^(١١)؟ فقال^(١٢)

(١) ثابت بن أسلم، وأبو محمد البنانى البصرى، التابعى الإمام القُدوة، تُوفى سنة ١٢٧هـ، السير ٥/٢٢٠.

(٢) الرَّهَقُ: الشَّقَّة، القاموس المحيط ص(١١٤٧).

(٣) (قد) ليست في (ع، ظ)، والأصل يتوافق مع مصدر المؤلف.

(٤) في (ع): من مصرعك. (٥) (بالله) ليست في (ظ).

(٦) ذكره ابن أبي الدنيا في كتابه حسن الظن بالله ص(٤٤)؛ وأبو محمد عبد الحق في كتابه العاقبة ص(١٤٧).

(٧) عمر بن ذر بن عبد الله بن زُرارة الهمداني الزاهد، كان مرجئاً، تُوفى سنة ١٥٦هـ، فلم يشهده سفيان الثوري ولا الحسن بن صالح، سير أعلام النبلاء ٦/٣٨٥.

(٨) هكذا في جميع النسخ، ولم أقف في معاصري عمر بن ذر على من اسمه ابن أبي داود، ثم وجدت في ترجمة عمر بن ذر أحد الأعلام واسمه: ابن أبي رواد، وكان هذا الأخير رأساً في الإرجاء كما كان عمر بن ذر، وكانت وفاة ابن أبي رواد سنة سبع وتسعين ومائة (١٩٧هـ)، فبين وفاة الرجلين ٤١ سنة، واسم ابن أبي رواد: عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، فربما كان هذا الأخير هو المراد وحدث في اسمه تحريف، والله أعلم، انظر: سير أعلام النبلاء ٩/٤٣٤.

(٩) الإمام الفقيه، صاحب المذهب: أبو حنيفة النعمان بن ثابت، روى عن عطاء بن أبي رباح وعكرمة وعمر بن ذر، وغيرهم، تُوفى سنة ١٥٠هـ، سير أعلام النبلاء ٦/٣٩٠، ٦/٣٨٥.

(١٠) ذكره ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله باختلاف يسير ص(٢٦ - ٢٧).

(١١) في (ع، ظ): ياتس. (١٢) في (ع، ظ): قال.

له يحيى: تلقاني ضاحكاً كأنك آمن؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إن أحبكما إلي أحسنكما ظناً بي» ذكره الطبري^(١).

وقال زيد بن أسلم^(٢): يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: انطلقوا به إلى النار، فيقول: يا رب فأين صلاتي، وصيامي؟ فيقول الله تعالى: اليوم أفتطك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي من رحمتي^(٣).

وفي التنزيل: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، وسيأتي^(٤) لهذا الباب مزيد بيان في باب سعة رحمة الله تعالى وعفوه يوم القيامة إن شاء الله تعالى.

باب تلقين^(٥) الميت لا إله إلا الله

مسلم^(٦) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله».

وذكر ابن أبي الدنيا^(٧) عن زيد بن أسلم قال: قال عثمان بن عفان^(٨): إذا حضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله، فإنه ما من عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «احضروا موتاكم وذكروهم^(٩) فإنهم يرون ما لا ترون، ولقنوهم [١/٢٦] لا إله إلا الله^(١٠)»^(١١).

(١) ثم أقف عليه.

(٢) زيد بن أسلم أبو عبد الله العدوي المدني الفقيه، روى عن والده أسلم مولى عمر، وعن عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وغيرهم توفي سنة ١٦٣هـ، سير أعلام النبلاء ٣١٦/٥.

(٣) رواه أبو نعيم في التحلية ٢٢٢/٣. (٤) ص (٧٩٤).

(٥) في (ع، ط): بلقن.

(٦) في صحيحه ٦٣١/٢، ح ٩١٦، ٦٣١/٢، ح ٩١٧.

(٧) ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين ص (٢٠).

(٨) في (الأصل): قال رسول الله ﷺ، وما أثبتته من (ع، ط، كتاب المحتضرين).

(٩) في (الأصل): ولقنوهم، وما أثبتته من (ع، ط، وكتاب المحتضرين).

(١٠) (لا إله إلا الله) ليست في (ع، ط)، والأصل يتوافق مع (كتاب المحتضرين).

(١١) ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين ص (٢٢)؛ وأبو محمد في العاقبة ص (١٤٤).

وذكر أبو نعيم من حديث مكحول عن^(١) إسماعيل بن عياش عن أبي معاذ عتبة بن حميد عن مكحول عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ^(٢): «احضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة فإن الحكيم من الرجال يتحير عند ذلك المصرع، وإن الشيطان أقرب ما يكون من ابن آدم عند ذلك المصرع، والذي نفسي بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف، والذي نفسي بيده لا تخرج نفس عبد من الدنيا حتى يتألم كل عرق منه على حياله»^(٣) غريب من حديث مكحول لم نكتبه إلا من حديث إسماعيل^(٣).

فصل

قال علماؤنا^(٤): تلقين الموتى^(٥) هذه الكلمة سنة مأثورة عمل بها المسلمون، وذلك ليكون آخر كلامه لا إله إلا الله فيختم له بالسعادة؛ وليدخل في عموم قوله عليه ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»، خرَّجه أبو داود^(٦) عن^(٧) معاذ بن جبل، وصححه أبو محمد عبد الحق^(٨)؛ وليُنبه^(٩) المحتضر على ما يدفع به الشيطان، فإنه يتعرض للمحتضر ليفسد عليه عقيدته على ما يأتي^(١٠). فإذا تلقنها المحتضر وقالها مرة واحدة فلا تعاد عليه

(١) (مكحول عن) ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع الحلبة.

(٢) في (ع): قال:

(٣) تقدم تخريجه ص (١٥٢)، والحكم عليه بأنه ضعيف.

(٤) القائل هو أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي في كتابه المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٥٦٩/٢ - ٥٧٠.

(٥) في (الأصل): الميت، وما أثبتته من (ع، ظ، كتاب المفهم).

(٦) في السنن ١٩٠/٣، ح ٣١١٦، والطبراني في الكبير ١١٢/٢٠، ح ٢٢١، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح سنن أبي داود ٦٠٦/٢، ح ٢٦٧٣.

(٧) في (ع، ظ): من حديث.

(٨) والحديث أورده أبو محمد في كتاب العاقبة ص (١٤٣).

(٩) في (ع، ظ): ولينبه، والأصل يتوافق مع المفهم؛ ولأن المحتضر في شغل وكرب يحتاج إلى من ينهه.

(١٠) ص (١٨٢).

لئلا يضرجر^(١)، وقد كره أهل العلم الإكثار من التلقين، والإلحاح عليه إذا هو تلقنهما، أو فهم ذلك عند.

قال ابن المبارك: لقنوا الميت لا إله إلا الله، فإذا قالها فدعوه^(٢).

قال أبو محمد عبد الحق: وإنما ذلك لأنه يخاف عليه إذا ألح عليه بها أن يتبرم^(٣) ويضرجر ويثقلها الشيطان عليه، فيكون سبباً لسوء الخاتمة^(٤).

وكذلك أمر ابن المبارك أن يفعل به، قال^(٥) الحسن بن عيسى^(٦): قال لي ابن المبارك: لقني يعني الشهادة، ولا تعد علي إلا أن أتكلم بكلام ثان^(٧).

والمقصود أن يموت الرجل وليس في قلبه إلا الله ﷻ؛ لأن المدار على القلب، وعمل القلب هو الذي ينظر فيه، وتكون النجاة به، وأما حركة اللسان دون أن تكون ترجمة عما في القلب فلا فائدة فيها ولا عبر^(٨) عندها.

قلت: وقد يكون التلقين بذكر الحديث عند الرجل العالم كما ذكر أبو نعيم^(٩)

(١) (لئلا يضرجر) ليست في (ع، ظ)، والأصل يتوافق مع المفهوم.

(٢) ذكره أبو محمد في العافية ص(١٤٥).

(٣) في (ع): يبرم، وفي الصحاح: البرم بالتحريك مصدر قولك: برم به بالكسر إذا مشمه، وأبرمه: أي أمله وأضرجه.

(٤) قاله في كتاب العافية ص(١٤٥).

(٥) في (ع، ظ): وقال.

(٦) في (الأصل): الحسن بن علي، وما أثبتته من (ع، ظ)، وترجمة ابن المبارك: وهو الحسن بن عيسى بن ماسرجس مولى عبد الله بن المبارك، وممن روى عنه، توفي سنة ٢٤٠هـ، انظر: السير ٣٨٠/٨، و٢٧/١٢.

(٧) ذكره ابن الجوزي في صفوة الصفوة ١٤٦/٤، والثبات عند الممات له ص(١٥٨) بسعناه.

(٨) في (ع، ظ): خير.

(٩) لم أجده في الحلية، وذكره ابن الجوزي في اثبات عند الممات ص(١٦١)، وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣٤٥/١.

أن أبا زُرْعَةَ^(١) كان^(٢) في السَّوْقِ^(٣)، وعنده أبو حاتم^(٤)، ومحمد بن مسلم^(٥)، والمنذر بن شاذان^(٦)، وجماعة^(٧) من العلماء، فذكروا حديث التلقين فاستحيوا من أبي زرعة^(٨) فقالوا: يا أصحابنا^(٩) تعالوا نتذاكر الحديث، فقال محمد بن مسلم^(١٠): حدثنا^(١١) الضحاك بن مخلد أبو عاصم، حدثنا عبد الحمي بن جعفر عن صالح بن أبي ولم يجاوزه، وقال أبو حاتم: حدثنا بُنْدَارُ، حدثنا أبو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبي ولم يجاوزه، والباقون^(١٢) سكوت^(١٣)، فقال أبو زرعة وهو في السَّوْقِ: حدثنا أبو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبي عَرِيْبٍ^(١٤) عن كثير بن مَرَّةٍ الحضرمي عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا

(١) عُيَيْدُ اللَّهِ بن عبد الكريم، أبو زُرْعَةَ الرازي، الإمام سيد الحفاظ، مات ٢٦٤هـ، وذكر الذهبي حكايته هذه في ترجمته، انظر: السير ١٣/٦٥.

(٢) في (ع، ظ، م): لما كان.

(٣) أي في حال نزع الأرواح، انظر: الصحاح ٤/١٥٠٠.

(٤) محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي، أبو حاتم الرازي، الإمام الحافظ الناقد، توفي سنة ٢٧٧هـ، سير أعلام النبلاء ١٣/٢٤٧.

(٥) محمد بن مسلم بن عثمان، أبو عبد الله بن وازة الرازي، أحد الأعلام، توفي سنة ٢٧٠هـ، السير ١٣/٢٨.

(٦) في (الأصل): محمد بن سلمة، والتصويب من (ع، ظ، م).

(٧) المنذر بن شاذان، أبو عمرو، من أهل الري، سمع منه ابن أبي حاتم، انظر: الإرشاد ٢/٦٧٣، للخليل بن عبد الله القزويني.

(٨) في (الأصل): جماعات، وما أثبت من (ع، ظ، م).

(٩) (التلقين فاستحيوا من أبي زرعة) قطع في (ع).

(١٠) (يا أصحابنا): ليست في (ع، ظ).

(١١) في (الأصل): سلمة، والتصويب (ع، ظ، م).

(١٢) من هذا الموضع قطع في (ع).

(١٣) في (ظ): والباقي.

(١٤) نهاية النقطع في (ع).

(١٥) في (الأصل): غريب، والتصويب من (ع، ظ، م)، وتقريب التهذيب ص (٢٧٣) رقم (٢٨٨٠).

إله إلا الله دخل الجنة^(١)، وفي رواية: «حرمه الله على النار»^(٢)، وتوفي كحلته.

ويروى عن عبد الله بن شبرمة^(٣) أنه قال: دخلت مع عامر الشعبي^(٤) على مريض نعوده فوجدناه^(٥) نَمَا^(٦) به ورجل [١٢/ب] يلقنه الشهادة يقول له: قل لا إله إلا الله وهو يكسر عليه، فقال له الشعبي: ارفق به، فتكلم المريض وقال: إن تلقني أو لا تلقني فإني لا أدعها، ثم قرأ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦]، فقال الشعبي: الحمد لله الذي أنجا صاحبنا هذا^(٧).

وقيل للجنيد^(٨) كحلته عند موته: قل لا إله إلا الله، قال^(٩): ما نسيته فأذكره^(١٠).

قلت^(١١): لا بد من تلقين الميت، ويذكره الشهادة وإن كان على غاية من

(١) تقدم ص (١٧٨) أن الحديث من رواية أبي داود في السنن، وأشار الحاكم في مستدرکه بعد أن أورد هذا الحديث إلى حكاية أبي ذرعة ١/٦٧٨، ح ١٨٤٢.

(٢) روى الطبراني في الكبير نحوه ١٨/٢٧، ح ٤٦٦.

(٣) عبد الله بن شبرمة، فقيه العراق، أبو شبرمة، حدث عن أنس بن مالك، والشعبي والحسن البصري وغيرهم، وحدث عنه الثوري وابن المبارك وغيرهم، توفي ١٤٤هـ، السير ٦/٣٧٤.

(٤) عامر بن شراحيل، الإمام، أبو عمر الهمداني ثم الشعبي، توفي سنة ١٠٤هـ، السير ٤/٢٩٤.

(٥) في (ع، ظ): فوجدنا عليه نما به.

(٦) الإلمام: النزول، وألّم به أي نزل به - الموت - الصحاح ٥/٢٠٣٢.

(٧) ذكره أبو محمد عبد الحق في كتابه العاقبة ص (١٣٦).

(٨) الجنيد بن محمد بن الجنيد أبو القاسم الخزاز، ويقال القواريري، له وعظ وكلام على لسان الصوفية، مات سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين (٢٩٨هـ)، تاريخ بغداد ٧/٢٤١.

(٩) في (ع، ظ): فقال.

(١٠) ذكره أبو محمد في كتابه العاقبة ص (١٣٤)، إن صححت الرواية عن الجنيد كان الأولى

أن يشكر من لقنه كلمة التوحيد - ما دامت فيه قوة على الرد والكلام -؛ لأن الملقن

امتثل فيه أمر النبي ﷺ: «لَقِنُوا موتاكم لا إله إلا الله»، ويحفظ الجنيد في نفسه بعدم

نسيانه لربه تعالى، وعيارة المصنف بعد كلام الجنيد تتضمن الرد عليه.

(١١) من هذا الموضع إلى قوله: كل عضو على حياته، ليس في (ع، ظ).

النيقظ، فقد ذكر أبو نعيم^(١) الحافظ من حديث مكحول عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ: «احضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة، فإن الحكيم^(٢) من الرجال والنساء يتحير^(٣) عند ذلك المصرع، وأن الشيطان أقرب ما يكون من ابن آدم عند ذلك المصرع، والذي نفسي بيده لعمارة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف، والذي نفسي بيده لا تخرج نفس عبد من الدنيا حتى يتألم كل عضو على حياله».

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حضر ملك الموت رضي الله عنه رجلاً قال: فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئاً ففك لحيبه^(٤) فوجد طرف لسانه لاصقاً بحنكه يقول: لا إله إلا الله فغفر^(٥) له بكلمة^(٦) الإخلاص»، ذكره ابن أبي الدنيا بإسناده^(٧) في كتاب المحتضرين^(٨)، وخرجه الطبراني^(٩) بمعناه، وسيأتي في آخر أبواب الجنة إن شاء الله تعالى.

باب من حضر الميت فلا يلقو، وليتكم بخير وكيف الدعاء للميت إذا مات، وفي تغميضة

مسلم^(١٠) عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون، قالت:

(١) في الحلية ٥/١٨٦ قال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف الجامع الصغير ص(٣١)، ح٢٠٨.

(٢) في (الحلية): الحكيم.

(٣) في (الحلية): يتحيرون.

(٤) في (ظ): فك في لحيبه.

(٥) في (الأصل): اغفر، والتصويب من (ع، ظ، وكتاب المحتضرين).

(٦) في (الأصل): بكلمته، وما أثبت من (ع، ظ، وكتاب المحتضرين).

(٧) جاءت كلمة: بإسناده، في (ع، ظ) بعد كلمة: المحتضرين.

(٨) كتاب المحتضرين ص(٢٢)، وضعفه الألباني، انظر: ضعيف الجامع الصغير ص(٤٠٢)، ح٢٧٢٥.

(٩) لم أجده في المعاجم الثلاثة ومسدأ الشاميين للطبراني.

(١٠) في صحيفه ٢/٦٣٣، ح٩١٩.

فلما مات أبو سلمة أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات، قال: قولي اللهم اغفر لي وله وأعقبني منه عقبى حسنة، قالت^(١): فقلت فأعقبني الله من هو خير [لي]^(٢) منه رسول الله ﷺ.

وعنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر، فضج ناس من أهله فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون، ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، واوسع له في قبره، ونور له فيه»^(٣).

فصل

قال علماؤنا^(٤): قوله^(٥) ﷺ: «إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً»، أمر نذب وتعليم بما يقال عند الميت والمريض^(٦) وإخبار بتأمين الملائكة على دعاء [١٣/أ] من هناك؛ ولهذا استحب العلماء أن يحضر الميت الصالحون وأهل الخير حالة موته ليذكروه، ويدعوا له ولمن يخلفه ويقولوا خيراً، فيجتمع دعاؤهم، وتأمين الملائكة^(٧) فينتفع بذلك الميت، ومن يصاب به، ومن يخلفه.

(١) قالت: ليست في (ع).

(٢) ما بين المعقوفين من (ع، ظ، م، وصحيح مسلم).

(٣) أخرجه مسلم ٦٣٤/٢، ح ٩٢٠.

(٤) القائل هو أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي في كتابه المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ٥٧١/٢ - ٥٧٢.

(٥) في (ع): في قوله.

(٦) في (ع، ظ): المريض أو الميت، وكلمة «المريض» ليست في المفهم.

(٧) جملة: (ويقولوا) خيراً، فيجتمع دعاؤهم، وتأمين الملائكة، ليست في (ع، ظ)، والأصل يتوافق مع (م، ومصدر المؤلف).

باب منه وما يقال عند التغميض

ابن ماجه^(١) عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حضرتم موتاكم^(٢) فأغمضوا البصر، فإن البصر يتبع الروح، وقولوا خيراً، فإن الملائكة تؤمن على ما قال أهل البيت».

وذكر الخرائطي أبو بكر محمد بن جعفر^(٣) قال: حدثنا أبو موسى عمران بن موسى قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا إسماعيل بن عليّة عن هشام بن حسان عن حفصة بنت سيرين عن أم الحسن^(٤) قالت: كنت عند أم سلمة فجاءها إنسان فقال: فلان بالموت، فقالت لها: انطلقني فإذا حضر فقولي^(٥): السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين^(٦).

وخرج^(٧) من حديث سفيان الثوري عن سليمان التيمي عن بكر بن عبد الله المزني قال: إذا أغمضت الميت فقل بسم الله وعلى ملة رسول الله وسبح، ثم تلا سفيان: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ٤٥].

قال أبو داود^(٨): وتغميض الميت إنما هو بعد خروج الروح، سمعت محمد بن محمد المقرئ قال: سمعت أبا ميسرة وكان^(٩) رجلاً عابداً يقول: غمضت جعفر المعلم، وكان رجلاً عابداً في حالة الموت فرأيته في منامي

(١) في سننه ٤٦٧/١ - ٤٦٨، ح ١٤٥٥؛ وأحمد ٤/١٢٥، ح ١٧١٦؛ والطبراني في الكبير ٢٩١/٧، ح ٧١٦٨ قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح ابن ماجه ١/٢٤٥ - ٢٤٦، ح ١١٩٠.

(٢) من هذا الموضع قطع في (ع).

(٣) الحافظ الصدوق المصنف أبو بكر محمد بن جعفر السامري الخرائطي، صاحب كتاب مكارم الأخلاق وكتاب مساوئ الأخلاق، وكتاب اعتلال القلوب وغير ذلك، مات سنة ٣٢٧هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ١٥/٢٦٧.

(٤) خيرة أم الحسن البصري مولاة أم سلمة، روت عن مولاتها وعن عائشة، وروى عنها ابنتها الحسن البصري، وحفصة بنت سيرين وغيرهما، تهذيب التهذيب ١٢/٤٤٥.

(٥) في (الأصل): فقول، والتصويب من (ط).

(٦) في (ع): خرجه.

(٧) لم أرف على هذه الرواية.

(٨) (وكان) ليست في (ط).

(٩) في سننه ٣/١٩٠.

يقول: أعظم ما كان عليّ تغميضك [لي] (١) قبل أن أموت.

باب ما جاء أن الشيطان يحضر الميت عند موته وجلساؤه في الدنيا وما يخاف من سوء الخاتمة

روي عن النبي ﷺ أنه قال (٢): «إن العبد إذا كان عند الموت قعد عنده شيطانان الواحد عن يمينه، والآخر عن شماله، فالذي عن (٣) يمينه على صفة أبيه يقول له: يا بني إني كنت عليك شفيقاً، ولك محبباً، ولكن مت على دين النصراني وهو خير الأديان، والذي على شماله على صفة أمه يقول له: يا بني كان بطني (٤) لك وعاء، وئدي لك سقاء، وفخذي (٥) لك وطاء، ولكن مت على دين اليهود، وهو خير الأديان»، ذكره أبو الحسن (٦) القاسبي (٧) في شرح رسالة ابن أبي زيد (٨) له، وذكر معناه أبو حامد في كتاب كشف علم (٩) الآخرة (١٠). وأن عند استقرار النفس في التراقي والارتفاع تعرض عليه الفتن وذلك أن إبليس قد أنفذ أعوانه إلى هذا الإنسان خاصة واستعملهم عليه ووكلائهم به، فيأتون المرء وهو في تلك الحال (١١) فيتمثلون له في صورة من سلف من الأحياء (١٢) الميتين الباغين [١٣/ب] له النصح في دار الدنيا كالأب،

(١) ما بين المعقوفتين من (سنن أبي داود).

(٢) (روي عن النبي ﷺ أنه قال) ليست في (ظ).

(٣) في (ظ): على. (٤) في (ظ): إن بطني كان.

(٥) نهاية القطع الذي في (ع).

(٦) في (الأصل): أبو الحسين، والتصويب من (ع، ظ، تذكرة الحفاظ).

(٧) أبو الحسن علي بن خلف القاسبي المعافري الحافظ المحدث الفقيه علامة المغرب، له كتب منها: المتقد من شبه التأويل، والمنتبه للفتن من غوائل الفتن، وملخص الموطأ، توفي سنة ٤٠٣هـ، تذكرة الحفاظ ١٠٧٩/٣.

(٨) ثم أشر على هذا الكتاب. (٩) في (ع): علوم.

(١٠) الدررة الفاخرة في كشف علوم الآخرة ص (٢٠).

(١١) في (ع): الحالة.

(١٢) في (الأصل) و(ع): الأحياء، والتصويب من (ظ، كشف علوم الآخرة)، وهو المناسب للسياق.

والأم، والأخ، والأخت، والصديق والحميم^(١) فيقولون له: أنت تموت يا فلان ونحن قد سبقناك في هذا الشأن فمت يهودياً فهو الدين المقبول عند الله تعالى، فإن انصرم عنهم وأبى جاءه آخرون وقالوا له: مت نصرانياً فإنه دين المسيح ونسخ به دين موسى، ويذكرون له عقائد كل ملة، فعند ذلك يزيغ الله من يريد زيغته، وهو معنى^(٢) قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ [آل عمران: ٨]، أي لا تزغ قلوبنا عند الموت وقد هديتنا من قبل هذا زماناً، فإذا أراد الله بعبده هداية وتثبيتاً جاءته الرحمة، وقيل هو جبريل عليه السلام فيطرد عنه الشياطين ويمسح الشحوب عن وجهه فيتيسم الميت لا محالة، وكثيراً من يرى متبسماً في هذا المقام فرحاً^(٣) بالبشير الذي جاءه^(٤) من الله، فيقول: يا فلان أما تعرفني؟ أنا جبريل وهؤلاء أعداؤك من الشياطين مت على الملة الحنيفية والشرعة الجليلة، فما شيء أحب إلى الإنسان وأفرح منه بذلك الملك، وهو قوله تعالى: ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَقَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، ثم يقبض عند الطعنة^(٥) على ما يأتي^(٦).

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حضرت وفاة أبي أحمد ويدي الخرقه لأشد نحيبه فكان يفرق ثم يفيق ويقول بيده، لا بعد، لا بعد فعل ذلك^(٧) مراراً فقلت له: يا أبة أي شيء ما يبدو منك؟ فقال: الشيطان قائم بحدائني عاض على أنامله يقول: يا أحمد فتني، وأنا أقول لا بعد، لا بعد حتى أموت^(٨).

(١) في (ظ): والصديق الحميم. (٢) (معنى) ليست في (ع).

(٣) في (الأصل): فرحاناً، وما أثبتته من (ع، ظ، كشف علوم الآخرة).

(٤) في (ظ): جاءه رحمة، وفي كشف علوم الآخرة: جاءه ملك الرحمة.

(٥) إلى هنا ينتهي النقل من كشف علوم الآخرة ص(٢٠)، والمواد بالطعنة هنا ما ذكره الغزالي: من أن ملك الموت يقبض الميت بعد طعنه بحربة مسمومة سُميت سمّاً من نار، وقال مرة: إنها تغمس في بحر الموت، كما في ص(١٩، ٢٠) من كشف علوم الآخرة.

(٦) ص(٢٥٣ - ٢٥٤). (٧) في (ظ): هذا.

(٨) ذكره ابن الجوزي في الثبات عند الممات له ص(١٦٠).

قلت: سمعت^(١) شيخنا الإمام أبا العباس أحمد بن عمر القرطبي بشعر الإسكندرية^(٢) يقول: حضرت أبا شيخنا أبي^(٣) جعفر أحمد بن محمد القرطبي بقرطبة وقد احتضر فقيل له: قل لا إله إلا الله، فكان يقول: لا، لا، فلما أفاق ذكرنا ذلك له فقال: أتاني شيطانان عن يميني وعن يساري يقول أحدهما: مت يهودياً فإنه خير الأديان، ويقول الآخر مت نصرانياً فإنه خير الأديان، فكنت أقول لهما: لا، لا، إلي تقولان^(٤) هذا؟! وقد كتبت بيدي في كتاب الترمذي والنسائي عن النبي ﷺ: «إن الشيطان يأتي أحدكم عند موته فيقول: مت يهودياً مت نصرانياً»، فكان الجواب لهما لا لكم.

قلت: (٥) [و]^(٦) تصفحت كتاب الترمذي أبي عيسى وسمعت جميعه فلم أقف على هذا الحديث^(٧) فيه، فإن كان في بعض النسخ والله أعلم، وأما كتاب النسائي فسمعت بعضه وكان عندي كثير منه فلم أقف عليه^(٨)، وهو نسخ فيحتمل أن يكون في بعضها، والله أعلم^(٩).

(١) في (ظ): وقد سمعت.

(٢) في (ظ): بقرطبة.

(٣) في (الأصل): أبا جعفر، والتصويب من (ع، ظ) ولأن موضع الكلمة الإعرابي مضاف إليه. يجر بالياء لأنه من الأسماء الخمسة، وأبو جعفر هذا هو المعروف بابن أبي حجة، وهو أيضاً من شيوخ المصنف، انظر: ص (٣٥).

(٤) في (ظ): إلي لا تقولان.

(٥) في (ظ): قال الشيخ رحمه الله: ومثل هذا عن الصالحين كثير يكون الجواب للشيطان لا لمن يلقته الشهادة.

(٦) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).

(٧) جملة: (أبي عيسى وسمعت جميعه فلم أقف على هذا الحديث) مقطوعة في (ع).

(٨) وبحثت أيضاً في سنن النسائي والترمذي المطبوعين فلم أجد هذا الحديث.

(٩) فيحتمل أن يكون في بعضها والله أعلم) ليست في (ع، ظ). وفي قول المصنف: (فإن كان في بعض النسخ)، وقوله أيضاً: (وهو نسخ فيحتمل أن يكون في بعضها) دليل على أهمية تحقيق كتب التراث الإسلامي لما فيه من المقارنة بين النسخ المخطوطة، وإثبات الفروق بينها في الحواشي، وبالتالي حل إشكالات النسخ من: تصحيف وتحريف... إلخ، كما فيه دليل على أدب المصنف تمت من عدم تخطئه لأهل العلم إذا كان هناك مخرج أو احتمال لصحة ما قالوه.

وروى ابن المبارك^(١) وسفيان^(٢) عن ليث عن مجاهد تَذَرُ. * ما من ميت^(٣) إلا يعرض عليه أهل مجالسه^(٤) الذين كان يجالس^(٥)، إن كانوا أهل لُهِرٍ فأهل اللُهِو، وإن كانوا أهل ذُكْرٍ فأهل ذُكْرٍ^(٦).

وقال الربيع^(٧) بن سَبْرَةَ^(٨) بن معبد الجهني وكان عابداً بالبصرة: أدركت الناس بالشام وقيل لرجل: يا فلان قل لا إله إلا الله، قال: اشرب واسقني^(٩).

وقيل^(١٠) لرجل بالأهواز: قل لا إله إلا الله، فجعل يقول: ذَّة يَارُذَّة^(١١) [ذَوَارُذَه]^(١٢)، تفسير [ه] [١٣]: عشرة^(١٤) أحد عشر، اثنا عشر، كان هذا الرجل من أهل [١٤/أ] العمل والديوان فغلب عليه الحساب والميزان. ذكر هذا التفسير أبو محمد عبد الحق^(١٥).

قال الربيع: وقيل لرجل ها هنا بالبصرة: يا فلان قل لا إله إلا الله، فجعل يقول:

(١) في الزهد له ص (٣٢٩)، ح ٩٣٩؛ وذكره أبو نعيم في الحلية ٢٨٣/٣.

(٢) في (الزهد): أخبرنا سفيان عن ليث عن مجاهد.

(٣) في (الزهد): ما من ميت يموت.

(٤) في (ع، ظ): مجالسته، وفي (الزهد): مجالسه.

(٥) (الذين كان يجالس): ليست في (الزهد).

(٦) في (ظ): الذكر.

(٧) الربيع بن سبرة: روى عن أبيه وكانت لأبيه صحبة، روى الزهري عن الربيع بن سبرة، وكان ثقة، الطبقات الكبرى لابن سعد ٥ / ٢٥٢؛ وتقريب التهذيب ص (٢٠٦) رقم ١٨٩٢.

(٨) في (الأصل): شبرة، والتصويب من (ع، ظ، م، مصادر الترجمة).

(٩) ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين ص (١٧٨).

(١٠) ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين ص (١٧٨).

(١١) في (ع): يَزْدَّة، وفي (م): يازده.

(١٢) ما بين المعقوفين من (ع، ظ، م).

(١٣) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).

(١٤) كلمة: عشرة، ليست في (ع).

(١٥) في كتابه العاقبة ص (١٧٩).

يا رَبُّ قَائِلَةٌ يَوْمًا وَقَدْ لَعِبْتُ^(١) كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَامٍ مِنْجَابٍ^(٢)
 قَالَ الْفَقِيهَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ^(٣) بِنِ سَلِيمَانَ بْنِ الْحَسَنِ النَّجْدِيِّ^(٤): هَذَا رَجُلٌ
 اسْتَدَلَّتْهُ امْرَأَةٌ إِلَى الْحَمَامِ فَدَلَّهَا إِلَى مَنْزِلِهِ، فَقَالَ عِنْدَ الْمَوْتِ^(٥).
 وَذَكَرَ^(٦) أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْحَقِّ هَذِهِ الْحِكَايَةَ فِي كِتَابِ الْعَاقِبَةِ^(٧) نَهْ فَقَالَ:
 وَهَذَا الْكَلَامُ لَهُ قِصَّةٌ: وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ وَاقِفًا بِإِزَاءِ دَارِهِ وَكَانَ بَابُهُ يَشْبَهُ بِبَابِ
 حَمَامٍ، فَمَرَّتْ بِهِ^(٨) جَارِيَةٌ لَهَا مَنْظَرٌ وَهِيَ تَقُولُ: أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَامٍ مِنْجَابٍ؟
 فَقَالَ لَهَا: هَذَا حَمَامٌ مِنْجَابٌ، وَأَشَارَ إِلَى دَارِهِ فَدَخَلَتْ الدَّارَ^(٩)، وَدَخَلَ
 وَرَاءَهَا، فَلَمَّا رَأَتْ نَفْسَهَا مَعَهُ فِي دَارِهِ وَلَيْسَ بِحَمَامٍ^(١٠)، وَعَلِمَتْ أَنَّهُ خَدَعَهَا،
 فَأُظْهِرَتْ^(١١) لَهُ الْبِشْرَ وَالْفَرْحَ^(١٢) بِاجْتِمَاعِهَا مَعَهُ^(١٣) عَلَى تِلْكَ الْخَلْوَةِ وَفِي تِلْكَ
 الدَّارِ، وَقَالَتْ لَهُ: يَصْلِحُ أَنْ يَكُونَ مَعَنَا مَا يَطِيبُ بِهِ عَيْشَنَا، وَتَقْرَبُ بِهِ أَعْيُنَنَا،
 فَقَالَ لَهَا: السَّاعَةَ آتِيكَ بِكُلِّ مَا تَرِيدِينَ، وَبِكُلِّ مَا^(١٤) تَشْتَهِينَ، فَخَرَجَ وَتَرَكَهَا
 فِي الدَّارِ وَلَمْ يَقْلُهَا، وَتَرَكَهَا مَحْلُولَةً عَلَى حَالِهَا وَمَضَى وَأَخَذَ مَا يَصْلِحُ لَهَا
 وَرَجَعَ وَدَخَلَ^(١٥) الدَّارَ، فَوَجَدَهَا قَدْ خَرَجَتْ وَذَهَبَتْ وَلَمْ يَجِدْ لَهَا أَثْرًا، فَهَامَ

- (١) فِي (الأصل) و(ظ، ع، م): لعبت، وفي (العاقبة): إذا بلغت، وفي كتاب المحتضرين لابن أبي الدنيا: لعبت، من اللغوب وهو التعب والإعياء، انظر: النصحاح للنجوهري ١/٢٢٠، وهذا المعنى الأخير أقرب في ظني إلى معنى البيت: لأنها سأته بعد ما لعبت، والله أعلم.
- (٢) ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين ص (١٧٨).
- (٣) فِي (الأصل): محمد، والتصويب من (ع، ظ، م، تاريخ بغداد).
- (٤) الفقيه الحنبلي المعروف بالنجداد، كانت له حلقتان إحداهما للفتوى في الفقه على مذهب الإمام أحمد، والأخرى لإملاء الحديث، سمع من أبي داود السجستاني، توفي ٣٤٨هـ، تاريخ بغداد ٤/١٨٩.
- (٥) فِي (ظ): فقال عند الموت حكاية.
- (٦) فِي (الأصل): قال، وما أثبتته من (ع، ظ) وهي تناسب السياق.
- (٧) ص (١٧٩ - ١٨٠).
- (٨) (به) ليست في (ع).
- (٩) فِي (ظ): فدخلت الجارية الدار.
- (١٠) (وليس بحمام) ليست في (ع، ظ).
- (١١) فِي (ع، ظ): أظهرت.
- (١٢) فِي (ظ): البشري أو الفرح.
- (١٣) فِي (ع، ظ): باجتماعهما.
- (١٤) (بكل ما: ليست في (ع).
- (١٥) (ودخل): ليست في (ظ).

الرجل بها، وأكثر الذكر لها، والحزق عليها، وجعل يمشي في الطرق^(١١) والأزقة وهو يقول:

يا رَبِّ قاتلة يوماً إذا^(١٢) بلغت أين الطريق^(١٣) إلى حمام منجاب^(١٤)
وإذا بجارية^(١٥) تجاوبه من طاق وهي تقول:

قرنان^(١٦) هلاً جعلت لها^(١٧) إذ ظفرت بها حرزاً على الدار أو^(١٨) قفلاً على الباب

فزاد هيمانه، واشتد هيجانه، ولم يزل كذلك حتى كان من أمره ما ذكر. فنعوذ بالله من الفتن والمحن^(١٩).

قلت: ومثل هذا في الناس كثير ممن غلب عليه الاشتغال بالدنيا والهم بها أو بسبب^(٢٠) من أسبابها، حتى قد^(٢١) حكي^(٢٢) لنا أن بعض السماسرة^(٢٣) جاء عند الموت فقيل^(٢٤) له: قل لا إله إلا الله، فجعل يقول: ثلاثة ونصف، أربعة ونصف، غلبت عليه السمسرة.

(١) في (الأصل) و(ظ): الطريق، وما أثبتته من (ع، والعاقة).

(٢) في (الأصل): قاتلة تقول إذا، والتصويب من (ظ، والعاقة) وفي (ع): يوماً وقد لغبت.

(٣) في (ع): كيف الطريق. (٤) في (ع): زيادة هذا البيت:

دللتها نحو داري كي أفوز بها وصلأ فجاء ومر من بين أعتاب

(٥) في (الأصل): الجارية، وما أثبتته من (ع، ظ، والعاقة).

(٦) (قرنان): ليست في العاقبة، وفي (ظ): قربات.

(٧) في (الأصل): جعلت عليها إذا ظفرت بها، في (ع، ظ): هلا جعلت إذ ظفرت بها، وما أثبتته من العاقبة.

(٨) في (الأصل): وقفلاً، والتصويب من (ع، ظ، والعاقة) وهو يناسب التخيير.

(٩) في (ع): المحن والفتن.

(١٠) في (الأصل، ع، ظ): سبب، وما أثبتته من (م) وبه يستقيم السياق.

(١١) في (ع): لقد.

(١٢) في (ظ): إنه لقد يحكى.

(١٣) السماسرة: الذي يدخل بين البائع والمشتري متوسطاً لإمضاء البيع، انظر: النهاية في غريب الحديث ٤٠٠/٢.

(١٤) في (ظ): قيل.

ولقد رأيت بعض الحُساب وهو في غاية المرض يعقد بأصابعه ويحسب .
وقيل لآخر: قل لا إله إلا الله، فجعل يقول: الدار الفلانية أصلحوا فيها
كذا^(١)، والجنان^(٢) الفلاني^(٣) اعملوا فيه كذا وكذا^(٤).

وقيل لآخر: قل لا إله إلا الله، فجعل يقول: عَقْلُكَ^(٥) الحمار.

وقيل لآخر: قل لا إله إلا الله، فجعل يقول: البقرة الصفراء. غلب عليه
حبها والاشتغال بها، نسأل الله السلامة، والممات على الشهادة بمنه وكرمه .

ولقد حكى ابن ظفر^(٦) في كتاب^(٧) النصائح^(٨) له: كان يونس بن عبيد^(٩)
بزازاً، وكان لا يبيع في^(١٠) طرفي النهار، ولا في يوم^(١١) غيم، فأخذ يوماً
ميزانه فرضه بين حجرين، فقيل له: ألا أعطيت الصانع فأصلح فساده، فقال:
لو علمت فيه^(١٢) فساداً لما أبقيت من مالي قوت ليلة، قيل: فلم كسرتة؟!
قال: حضرت الساعة رجلاً احتضر [١٤/ب] فقلت له: قل لا إله إلا الله
فامتصص^(١٣)، فألححت عليه، فقال: ادع الله لي، فقال: هذا لسان الميزان

(١) في (ظ): كذا وكذا.

(٢) جمع جنه، وهي البستان، لسان العرب ٩٩/١٣ - ١٠٠.

(٣) في (ظ): الفلانية.

(٤) في (ظ): كذا وكذا، ذكره أبو محمد عبد الحق في العافية ص(١٧٩).

(٥) هكذا في جميع النسخ بما فيها (م)، والمعنى: حبسك الحمار، الصحاح ١٧٦٩/٥.

(٦) في (ظ): ظافر، وهو: محمد بن محمد بن ظفر، أبو هاشم الصقلي، الواعظ، له نظم
وتصنيف، مات سنة ٥٦٥هـ، سير أعلام النبلاء ٥٢٢/٢٠.

(٧) (كتاب) ليست في (ظ).

(٨) لم أقف على هذا الكتاب مطبوعاً ولا مخطوطاً.

(٩) في (ظ): عبيد الله، لعنه يونس بن عبيد بن دينار العبدي، من صغار التابعين
وفضلائهم، ومن اشتهر بالورع، توفي سنة ١٤٠، انظر: سير أعلام النبلاء ٢٨٨/٦.

(١٠) (في) ليست في (ظ). (١١) (يوم) ليست في (ظ).

(١٢) في (ظ): منه.

(١٣) هكذا الكلمة في الأصل و(ظ)، ومقطوعة في (ع)، وامتصص، من المخص وهو:
نقطيع في المعى ووجع، انظر: الصحاح ١٠٥٧/٣، قلت: ويحتمل أنها تصحفت من
فامتصص أي شق عليه وأوجعه، انظر: لسان العرب ٢٣٣/٧.

على لساني يمنعني من قولها، قلت: أفما^(١) يمنعك إلا من قولها؟ فقال: نعم^(٢)، قلت: وما كان عملك به؟ قال: ما أخذت ولا أعطيت به إلا حقاً في علمي، غير أنني كنت أقيم المدة فلا أفتقه^(٣) ولا أختيره، فكان يونس بعد ذلك يشترط على من يبايعه^(٤) أن يأتي بميزان^(٥)، ويزن بيده وإلا لم يبايعه^(٦).

باب منه في سوء الخاتمة وما جاء أن الأعمال بالخواتيم

مسلم^(٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل الزمان^(٨) الطويل يعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله^(٩) بعمل أهل النار^(١٠)، وإن الرجل ليعمل الزمان^(١١) الطويل يعمل أهل النار ثم يختم له بعمل^(١٢) أهل الجنة».

وفي البخاري^(١٣) عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إن العيد^(١٤) ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل^(١٥) أهل الجنة وإنه^(١٦) من أهل النار، وإنما^(١٧) الأعمال بالخواتيم».

قال أبو محمد عبد الحق: واعلم أن سوء الخاتمة أعاذنا الله منها لا

- (١) في (ظ): فما.
 (٢) في (ظ): فقال: نعم عملي.
 (٣) في (ظ): التمدد لا أفتقه.
 (٤) في (ظ): بايحه.
 (٥) في (ظ): بالميزان.
 (٦) هذا غلو في الورع يفضي إلى المشقة والعنت للمشتري والبائع.
 (٧) في صحيحه ٢٠٤٢/٤، ح ٢٦٥١.
 (٨) في صحيح مسلم: الزمن.
 (٩) عمله: ليست في (ظ).
 (١٠) نهاية القطع في (ع).
 (١١) في (ع)، وصحيح مسلم: الزمن.
 (١٢) في (صحيح مسلم): ثم يختم له عمله بعمل، وفي جميع النسخ كما هو مثبت.
 (١٣) في صحيحه ٢٤٣٦/٦، رقم ٦٢٣٣.
 (١٤) في (ظ): الرجل.
 (١٥) في (ع): بعمل.
 (١٦) في (ظ): وهو.

(١٧) (وإنما): ليست في هذه الرواية من صحيح البخاري، وهي موجودة في جميع نسخ التذكرة، وتوجد كلمة (وإنما) في رواية أخرى لصحيح البخاري مختلفة الألفاظ عن الرواية التي أوردها المصنف ولكنها متفقة المعنى وفي آخرها: (وإنما الأعمال بخواتيمها)، انظر: صحيح البخاري ٢٣٨١/٥، ح ٦١٢٨.

تكون لمن استقام ظاهره وصلح^(١) باطنه، ما سمع بهذا، ولا علم به والحمد لله، وإنما تكون لمن كان له فساد في العقل وإصرار على الكبائر وإقدام على العظائم، فربما غلب ذلك عليه حتى^(٢) ينزل به الموت قبل التوبة فيصطلمه^(٣) الشيطان عند تلك الصدمة ويختطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله ثم العياذ بالله، أو يكون^(٤) ممن كان مستقيماً ثم يتغير عن حاله ويخرج عن سنته ويأخذ في غير طريقه؛ فيكون ذلك سبباً لسوء خاتمته، وشؤم عاقبته^(٥)، كإبليس الذي عبد الله فيما يروى ثمانين ألف سنة^(٦)، وبلغام بن باعوراء الذي آتاه الله آياته فانسخ منها بخلوده إلى الأرض واتباع^(٧) هواه^(٨)، وبرصيصاً العابد الذي قال الله في حقه: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾ [الحجر: ١٦]^(٩).

ويروى: أنه كان بمصر رجل ملتزم مسجداً^(١٠) للأذان والصلاة، وعليه بهاء الطاعة وأنوار العبادة، فرقي يوماً المنارة على عادته للأذان، وكان تحت المنارة دار لنصراني ذمي، فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب^(١١) الدار فافتتن بها، وترك الأذان ونزل إليها ودخل الدار، فقالت له: ما شأنك؟! ما تريد؟! فقال: أنت أريد^(١٢)، [قالت: لماذا؟ قال]:^(١٣) قد سببت^(١٤) نبي، وأخذت بمجامع قلبي، قالت: لا أجيبك إلى ريبة، قال لها: أتزوجك، قالت^(١٥): أنت مسلم وأنا نصرانية وأبي لا يزوجني منك، قال لها: أتنصر، قالت: إن فعلت أفعل،

(١) في (ط): يصلح.

(٢) في (ع): حين.

(٣) الاصطلام: الاستئصال، الصحيح ١٩٦٧/٥.

(٤) في (ع): كان.

(٥) نهاية كلام أبي محمد عبد الحق، انظر: العاقبة ص (١٨٠ - ١٨١).

(٦) لم أقف على هذه الرواية.

(٧) في (ط): واتباع.

(٨) انظر: تفسير الطبري ١٢٠/٩.

(٩) انظر: تفسير الطبري ٤٩/٢٨.

(١٠) في (ط): لمسجد، وفي (العاقبة): ينزم مسجداً.

(١١) في (ط): لصاحب.

(١٢) في (١٢) في (ط): إنني أريدك.

(١٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ط، العاقبة)، وفي (العاقبة): فقال لها.

(١٤) في (ع): قد سببتني، وفي (ط): قد سببت، وفي (العاقبة): سلبت.

(١٥) في (ع): قالت له، وفي (ط): فقالت.

فتنصر ليتزوجها^(١)، وأقام معهم في الدار، فلما كان^(٢) في أثناء ذلك اليوم رقي إلى سطح كان في الدار فسقط منه فمات، فلا هو بدينه، ولا هو بها، ونعوذ^(٣) بالله، ثم نعوذ بالله^(٤).

وروي^(٥) أن رجلاً علق بشخص وأحبه^(٦) فتمنع عنه واشتد نفاره، فاشتد كلف^(٧) البائس إلى أن لزم الفراش، فلم تزل الوسائط تمشي بينهما حتى وعد بأن يعود، فأخبر بذلك ففرح واشتد [١/١٥] سروره وانجلي عنه بعض ما كان يجده، فلما كان في بعض الطريق رجع^(٨) وقال: والله لا أدخل مداخل الرب، ولا أعرض نفسي لمواقع التهم، فأخبر^(٩) بذلك البائس المسكين فسقط في يديه ورجع إلى أشد ما كان به وبدت^(١٠) علامات الموت وأمارته^(١١)، قال الراوي^(١٢): فسمعته يقول في تلك الحال^(١٣) يقول^(١٤):

(١) في (ع): ليتزوج بها، وفي (ظ): فتزوجها، والأصل متوافق مع العاقبة.

(٢) من هذا الموضع قطع في (ع). (٣) في (ظ، العاقبة): فنعوذ.

(٤) ذكر هذه الرواية أبو محمد عبد الحق في كتابه العاقبة ص (١٨١).

(٥) الرواي هو الحميدي صاحب المستخرج على الصحيحين في كتابه جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس ص (١٣٤)، قال: حدثه أبو محمد ابن حزم الأندلسي قال: حدثه - من شهد القصة - ثم ذكر القصة بأوسع مما ذكر المصنف، وذكر ابن حزم طرفاً منها في كتابه طوق الحمامة ص (١١٣) وذكرها أبو محمد عبد الحق في كتابه العاقبة ص (١٨٠).

(٦) في (ظ): فأحبه.

(٧) في الصحاح ٤/١٤٢٣: يقال: كَلِفْتُ بهذا الأمر، أي أولَعْتُ به.

(٨) في (ظ): جئني الصبي.

(٩) في (ظ): فحُيِّرَ.

(١٠) في (ظ): بانت عليه.

(١١) هكذا بالإنفراد: (أمارته) في كل من الأصل و(ظ)، والجار والمجرور بعدها (عنيه) محذوف، فلا يوجد في نسخ التذكرة، وفي (العاقبة): وبدت علامت الموت وأمارته عليه.

(١٢) محمد بن خطاب، شيخ الهالك: أحمد بن كليب، انظر: جذوة المقتبس ص (١٣٥).

(١٣) في (ظ): فسمعته وهو في ذلك الحال.

(١٤) القائل هو: أحمد بن كليب الشاعر، انظر: جذوة المقتبس للحميدي ص (١٣٤)، والبداية والنهاية لابن كثير ٤٠/١٢. قال ابن كثير بعد أن أورد هذه القصة: وهذه زلة =

سلام يا راحة العليل ويرد ذل المدنف^(١) النحيل
 رضاك أشهى إلى فؤادي من رحمة الخالق^(٢) الجليل^(٣)
 قال: فقلت له يا فلان اتق الله، فقال: قد كان^(٤)، فقلت عنه^(٥) فما
 جاوزت باب داره حتى سمعت صيحة^(٦) الموت قد قامت عليه^(٧)، فتعوذ بالله
 من سوء العاقبة، وسوء^(٨) الخاتمة.

قال المؤلف: روى البخاري^(٩) عن سالم عن عبد الله قال: «كان كثيراً ما

- شنعاء وعظيمة صلعاء، وداهية دهياء، ولولا أن هؤلاء الأئمة ذكروها ما ذكرتها، ولكن فيها عبرة لأولي الألباب وتنبية لذوي البصائر والتعقول أن يسألوا الله رحمته وعافيته، وأن يستعيذوا من الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يرزقهم حسن الخاتمة عند الممات، إنه جواد كريم.

(١) في (ظ): المذنب، والمدنف بمعنى المريض الملازم، انظر: الصحاح ٤/ ١٣٦٠ - ١٣٦١.

(٢) قال ابن القيم في العشق وأقسامه: وتارة يكون كفرًا؛ كمن اتخذ معشوقه نذًا؛ يحبه كما يحب الله، فكيف إذا كانت محبته أعظم من محبة الله في قلبه؟ فهذا عشق لا يغفر لصاحبه؛ فإنه من أعظم الشرك. وعلامة العشق الشركي الكفري أن يقدم العاشق رضى معشوقه على رضى ربه، واستفرغ وسعه في مرضاة معشوقه وطاعته والتقرب إليه، وربما صرح العاشق منهم بأن وصل معشوقه أشهى إليه من رحمة ربه - ثم ذكر البيت السابق - فقد رضى هذا من عبودية الخالق جل جلاله بعبودية مخلوق مثله، فإن العبودية هي: كمال الحب والخضوع، وهذا قد استفرغ قوة حبه وخضوعه وذلك لمعشوقه فقد أعطاه حقيقة العبودية. انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص(٢١٩ - ٢٢٠) باختصار.

(٣) أول البيت يكذب آخره؛ فلو كان صادقاً في إجلاله لخالفه لما قدم رضى المخلوق على رحمة الخالق. وقد جاءت هذه الأبيات باختلاف عما في مصادر الترجمة، ففي جذوة المقتبس والبداية النهاية كما يلي:

أُسئِمُ يا راحة العليل رفقاً على الهائم النحيل
 وَصَلْتُكَ أشهى إلى فؤادي من رحمة الخالق الجليل
 وأسئِمُ هذا هو الذي افتتن به المذكور المخذول.

(٤) في (ظ): قد كان تكلم، والأصل متوافق مع جذوة المقتبس.

(٥) في (ظ): فقلت.

(٦) في (ظ): ضجعة، والأصل متوافق مع (العاقبة).

(٧) (عليه): نبست في (ظ). (٨) في (ظ): شؤم.

(٩) في صحيحه ٦/ ٢٦٩١، ح ٦٩٥٦.

كان^(١) النبي ﷺ يحلف: لا ومقلب القلوب»، ومعناه: بصرفها أسرع من مر الريح على اختلاف في القبول والرد والإرادة والكراهة وغير ذلك من الأوصاف. وفي التنزيل: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤]، قال مجاهد^(٢) (٣): (٤) المعنى يحول بين المرء وقلبه^(٥) حتى لا يدري ما يصنع^(٦). بيانه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧]، أي: عقل، واختار الطبري^(٧): أن يكون ذلك إخباراً من الله تعالى بأنه أمثلك لقلوب العباد منهم، وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء حتى لا يدرك الإنسان شيئاً إلا بمشيئة الله ﷻ^(٨).

وقال عائشة [رضي الله عنها]^(٩) كان النبي ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك»، فقلت: يا رسول الله إنك تكثر أن تدعو بهذا الدعاء فهل تخشى؟ قال^(١٠): وما يؤمنني^(١١) يا عائشة وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الجبار، إذا أراد أن يقلب قلب عبده قلبه^(١٢).

(١) في البخاري: أكثر ما كان.

(٢) مجاهد بن جبر، شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي، أخذ القرآن والتفسير والفقه عن ابن عباس رضي الله عنهما، مات سنة ١٠٤ هـ، السير ٤/٤٤٩.

(٣) (قال مجاهد): ليست في (ع، ظ). (٤) نهاية القطع في (ع).

(٥) (وقلبه): ليست في (ظ).

(٦) ذكره الطبري عن مجاهد ٦/٢١٥. وفي تفسير مجاهد: حتى يتوكله لا يعقل، ص (٢٦١).

(٧) محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، الإمام العلم صاحب التصانيف منها: التفسير والتاريخ وتهذيب الآثار وغير ذلك، توفي سنة ٣١٠ هـ، السير ١٤/٢٦٧.

(٨) الذي اختاره الطبري في تفسيره قوله: يعني لمن كان له عقل من هذه الأمة فينتهي عن الفعل الذي كانوا يفعلونه من كفرهم بربهم خوفاً من أن يحل بهم مثل الذي حل بهم من العذاب ١١/٤٣٢.

(٩) ما بين المعقوفين من (ع، ظ). (١٠) في (ع، ظ): فقال.

(١١) في (ظ): يؤمني.

(١٢) هذا الحديث روي عن عائشة رضي الله عنها بألفاظ مختلفة، ولكن أقربها لما أورده المؤلف رواية أحمد في المسند ٦/٢٥٠، ح ٢٦١٧٦، وليس فيها لفظ (فهل تخشى) وفيها لفظ (أصابع الرحمن) بدلاً من (أصابع الجبار)؛ ورواه الطبراني في المعجم الأوسط عن =

قال العلماء^(١): وإذا كانت الهداية إلى الله مصروفة، والاستقامة على مشيئته موقوفة، والمعاقبة مغيبة، والإرادة غير مغالبة، فلا تعجب بإيمانك وعملك وصلاتك وصومك وجميع قُربك؛ فإن ذلك وإن كان من كسبك فإنه^(٢) خلق ربك وفضله الدار عليك وخيره، فمهما افتخرت بذلك كنت كالمفتخر بمتاع غيره^(٣)، وربما سلبه عنك فعاد^(٤) قلبك من الخير أخلا من جوف البعير^(٥)، فكم من روضة أمست وزهرها يانع عميم^(٦)، فأصبحت وزهرها يابس هشيم، أو هبت^(٧) عليها الريح العقيم، كذلك العبد يسمي^(٨) وقلبه بطاعة الله مشرق^(٩) سليم، فيصبح وهو بمعصيته^(١٠) مظلم سقيم، ذلك فعل العزيز الحكيم الخلاق العليم^(١١).

وروى النسائي^(١٢) عن عثمان رضي الله عنه قال: «اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث إنه كان رجل ممن كان قبلكم تعبد، فعَلَّقَتْهُ^(١٣) امرأة غوية فأرسلت إليه جاريتها فقالت له^(١٤): إنا ندعوك للشهادة، فانطلق مع جاريتها فطفقت^(١٥) كلما دخل^(١٦) باباً أغلقتة دونه حتى أفضى إلى امرأة وضئته وعندها^(١٧) غلام،

- عائشة أيضاً ٣١٩/٢، ح ١٥٥٣، وفيه لفظ: (أتخاف وأنت رسول الله)، وليس فيه:

(وما يؤمنني)، وفيه: (أصابع الرحمن) بدلاً من (أصابع الجبار).

(١) لم أفد على النقال.

(٢) في (ع): غيرك.

(٣) في (ع): الطير.

(٤) في (ع): فهبت، وفي (ظ): إذ هبت.

(٥) في (ع): بمشي، والصواب ما في الأصل؛ بدلالة كلمة (يصبح) التي بعدها.

(٦) مشرق، أي داخل في الشروق، القاموس المحيط ص (١١٥٨)، والمعنى: مضي بنور

الطاعة، وفي (ع، ظ): مشرق.

(٧) في (ظ): بمعصية الله.

(٨) في (ع): تقدير العزيز الخلاق العليم، وفي (ظ): تقدير العزيز العليم.

(٩) في المعجم من السنن له ٣١٥/٨، ح ٥٦٦٦؛ ورواه ابن حبان في صحيحه ١٦٨/١٢،

ح ٥٣٤٨؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٢٢٨/٣، ح ٥١٧٦؛ قال الألباني: صحيح،

انظر: صحيح النسائي ١١٤٦/٣ - ١١٤٧، ح ٥٢٣٦.

(١٠) انْعَلَقَ: الهوى، الصحاح ١٥٢٩/٤. (١٤) (له): ليست في (ظ).

(١١) انْعَلَقَ: جعل، الصحاح ١٥١٧/٤. (١٦) في (ظ): دخلت.

(١٧) في (ع): عندها، من غير الواو.

وباطية^(١) خمر، فقالت: والله إني^(٢) ما دعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع عليّ أو تشرب [ب/١٥] من هذا^(٣) الخمر كأساً أو تقتل هذا الغلام، قال: فاسقني من هذا الخمر^(٤) فسقته كأساً^(٥)، قال: زيدوني^(٦)، فلم يرم^(٧) حتى وقع عليها، وقتل النفس، فاجتنبوا الخمر فإنه^(٨) والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلا ويوشك^(٩) أن يخرج أحدهما صاحبه.

ويروى أن رجلاً أسيراً^(١٠) مسلماً وكان حافظاً للقرآن حُصَّ بخدمة راهبين فحفظا منه آيات كثيرة لكثرة تلاوته، فأسلما الراهبان^(١١) وتنصر المسلم، وقيل له: ارجع إلى دينك فلا حاجة لنا فيمن لم يحفظ دينه، قال: لا أرجع إليه أبداً فقتل، وفي الخبر قصة والحكايات^(١٢) في هذا الباب كثيرة، فنسأل الله السلامة والموت^(١٣) على الشهادة.
وأشددوا^(١٤):

قد جرت الأقلام في ذا^(١٥) الوري
فمن^(١٦) سعيد وشقي ومن

بالختم من أمر العليم الحكيم
مُثّر من المال وعارٍ عديم

(١) الباطية: إناء وهو الناجود، الصحاح ٢٢٨١/٦، والناجود: كل إناء يجعل فيه الشراب من جفنة وغيرها، الصحاح ٥٤٣/٢.

(٢) في (ع، ظ): إني والله.

(٣) في (ظ): من هذا الخمر كأساً.

(٤) في (الأصل): وزيدي، والتصويب من (ع، ظ، وسنن النسائي).

(٥) في (الأصل): لم يزل، وما أثبتته من (ع، ظ، سنن النسائي) ولم يرم: أي لم يبرح، الصحاح ١٩٣٩/٥.

(٦) في (ع، ظ): فإتها.

(٧) في (ظ): اشترى.

(٨) في (ع، ظ): فأسلم الراهبان، والأصل على لغة أكلوني البراغيث.

(٩) في (الأصل): وحكايات، وقد سقطت الألف واللام من الأصل، والتصويب من (ع، ظ).

(١٠) في (ع، ظ): الثمات.

(١١) في (ع، ظ): وأنشد بعضهم. وقد ذكر أبو محمد هذه الأبيات في العاقبة ص(١٧٣).

(١٢) في (الأصل، ظ): ذي الوري، والتصويب من (ع، والعاقبة) وذا: اسم إشارة للمذكور والمراد في هذا الوري، أي هذا الخلق.

(١٣) في (ظ): فمهم.

ومن عزيز رأسه في السُّها^(١) ومن ذليل وجهه في التخوم^(٢)
 ومن صحيح شئدت أركانه وآخر واهي المباني سقيم
 كل على منهاجه سالك ذلك تقدير العزيز العليم
 وقال الربيع^(٣): سئل الشافعي عن القدر فأنشأ يقول^(٤):

ما شئتَ كان وإن لم أشأ وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن
 خلقتَ العبادَ على ما علمتَ ففي العلم يجري الفتى والمسمن
 على ذا مننتَ وهذا خذلتَ وهذا أعنتَ وذا^(٥) لم تُعن
 فمنهم شقي ومنهم سعيد ومنهم قبيح ومنهم حسن^(٦)

باب ما جاء في رسل الموت قبل الوفاة

ورد في الخبر: «أن بعض الأنبياء عليهم السلام قال لملك الموت: أما لك رسول تقدمه بين يديك؛ ليكون الناس على حذر منك؟ قال: نعم والله لي^(٧) رسل كثيرة من الإعلال، والأمراض، والشيب، والهموم^(٨)، وتغير السمع، والبصر، فإذا لم يتذكر من نزل به ذلك ولم يتب وإن قبضته ناديته: ألم أقدم إليك رسولاً بعد رسول وتذيراً بعد نذير؟ فأنا الرسول الذي ليس بعدي رسول؛ وأنا النذير الذي ليس بعدي نذير^(٩)، فما من يوم تطلع فيه شمس ولا

(١) السُّها: كوكب خفي، الصحاح ٦/٢٣٨٦.

(٢) التخوم: معالم الأرض، وحدودها، النظر: النهاية في غريب الحديث ١/١٨٣.

(٣) الربيع بن سليمان المرادي، أبو محمد، الفقيه، صاحب الشافعي وناقل علمه، توفي سنة ٢٧٠هـ، سير أعلام النبلاء ١٢/٥٨٧.

(٤) ذكر البيهقي في كتابه الاعتقاد ص(١٦٢)؛ واللانكاثي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/٧٠٢، ونسبها إلى الإمام الشافعي.

(٥) في (ع): هذا.

(٦) في (ع): زيادة بيت:

ومنهم غني ومنهم فقير وكل بأعماله مرتين

(٧) في (ع، ظ): لي والله.

(٨) في (ع، ظ): الهرم، وهو أقرب للسياق.

(٩) من قوله: فأنا الرسول.. إلى هذا الموضع ليس في (ظ).

تغرب^(١) إلا وملك الموت ينادي: يا أبناء الأربعين هذا وقت أخذ الزاد أذهانكم حاضرة، وأعضاؤكم قوية شداد، يا أبناء الخمسين قد دنا الأخذ^(٢) والحصاد، يا أبناء الستين نسيتم العقاب وغفلتم عن رد الجواب فما لكم من نصير، ﴿أَوْلَىٰ نَعْمَتِكُمْ [١٦/١] مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]، ذكره أبو الفرج الجوزي^(٣) في كتاب روضة المشتاق والطريق إلى الملك الخلاق^(٤).

وفي البخاري^(٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أعذر الله إلى امرئ آخر أجله حتى بلغه ستين سنة».

يقال: أعذر في الأمر: أي بالغ فيه، أي أعذر غاية الإعذار بعبده [الذي لا إعذار بعده]^(٦)، وأكبر الإعذار إلى بني آدم بعثة الرسل إليهم ليتم حجته عليهم: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] قال^(٧): ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧] قيل: هو القرآن، وقيل هو: الرسل إليهم، وعن ابن عباس رضي الله عنه وعكرمة^(٨) وسفيان^(٩) ووكيع^(١٠) والحسين بن

(١) في (ع، ظ): تطلع شمس.

(٢) في (ظ): الأجل.

(٣) جاء اسمه هكذا في جميع النسخ، وهو: أبو الفرج ابن الجوزي، الإمام العلامة الحافظ المفسر، عبد الرحمن بن علي من ولد محمد بن القاسم بن أبي بكر الصديق القرشي، صاحب التصانيف منها: زاد المسير في التفسير والناسخ والمنسوخ والموضوعات، وغيرها، توفي سنة ٥٩٧هـ. سير أعلام النبلاء ٢١/٣٦٥.

(٤) لم أقف على الخبر والكتاب، انظر: ص(٦٠).

(٥) في صحيحه ٥/٢٣٦٠، ح ٦٠٥٦.

(٦) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).

(٧) في (ع، ظ): وقال.

(٨) أبو عبد الله القرشي مولاهم الحافظ المفسر العلامة الربيري الأصل، حدث عن ابن عباس وعائشة وأبي هريرة وغيرهم، مات سنة ١١٤هـ، سير أعلام النبلاء ٥/١٢.

(٩) سفيان بن عيينة، والذي عيته هنا هو ابن كثير في تفسيره وعزا إليه هذا القول ٣/٥٦٧، وهو الإمام الكبير حافظ عصره، أبو محمد بن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم الهلالي الكوفي، مات سنة ١٩٨هـ. السير ٨/٤٥٤.

(١٠) وكيع بن الجراح بن ملبغ الكوفي الإمام الحافظ أحد الأعلام، مات سنة ١٩٧هـ. السير ٩/١٤٠.

الفضل^(١) والفراء^(٢) والطبري^(٣): هو الشيب؛ فإنه يأتي في سن الاكتهال^(٤) فهو علامة لمفارقة سن الصبا^(٥) الذي هو سن النهو واللعب. قال^(٦):

رأيت الشيب من نُذِرِ المنايا لصاحبه وحسبك من نذير
وقال آخر^(٧):

فقلت لها المشيب نذير عمري ولست مسوداً وجه النذير
وللقاضي منذر بن سعيد البلوطي^(٨):

كم تصابى وقد علاك المشيب وتعامى عمداً وأنت اللبيب^(٩)
كيف تلهو وقد أتاك نذير وشهاب^(١٠) الجحام منك قريب

- (١) الحسين بن الفضل بن عمير: العلامة، المفسر اللغوي المحدث، أبو علي الكوفي، مات سنة ٢٨٢هـ، السير ٤١٤/١٣.
- (٢) يحيى بن زياد بن عبد الله أبو زكريا، الأسدي مولا هم الكوفي النحوي صاحب انكسائي، للفراء كتاب (البيهي) في حجم (القصيح) لتعلب، مات بطريق الحج سنة ٢٠٧هـ، السير ١١٨/١٠.
- (٣) ذكر الماوردي حكاية قول الفراء والطبري في تفسيره النكت والعيون ٤/٤٧٦، والذي يظهر من قول الطبري أنه يرجح أن النذير هو النبي ﷺ، انظر: تفسيره ١٠/٤١٩.
- (٤) الكَهْلُ: الرجل إذا وَخَطَه الشيب، نسان العرب ١١/٦٠٠.
- (٥) في (ظ): لمفارقة الصبا.
- (٦) حكنا في الأصل (ع) و(ع)، وفي (ظ): وأنشد، ولم يظهر لي إلى من يعود الضمير في: قال.
- (٧) في (ظ): آخر غيره، ولم أقف على القائل.
- (٨) أبو الحكم الأندلسي قاضي الجماعة بقرطبة، كان فقيهاً محققاً، وخطيباً مفوهاً، وليبياً شاعراً، من تصانيفه: الإنباه عن الأحكام من كتاب الله، وكتاب الإبانة عن حقائق أصول الديانة، توفي سنة ٣٥٥هـ، السير ١٦/١٧٣.
- (٩) في (ظ): لبيب.
- (١٠) كلمة: شهاب، من نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقرئ ٣٧٥/١، وهي من نسخة أخرى للكتاب غير التي اعتمدها المحقق، والتي اعتمدها جاء فيها: أن سيأتي الجحام، واخترت ما في النسخة الأخرى لقرب رسمها مما في الأصل: شيا، وفي (ع) شيا، وفي (ظ): شيات.

يا مقيماً قد حان منه رحيل
 إن للموت سكرة فارتقيها
 كم ثثوي^(٢) حتى تصير رهيناً
 بأمر المعاد أنت عليهم
 وتذكر يوماً تحاسب فيه
 ليس في^(٥) ساعة من الدهر إلا
 وله^(٦) أيضاً تَوَلَّاهُ^(٧):

ثلاث وستون قد جزتها
 وحل عليك نذير المشيب
 تمر لياليك مرأ حثيثاً
 فلو كنت تعقل ما ينقضي
 فما لك ويحك^(١٠) لا تستعد^(١١) لـ
 أترغب عن فجأة المنون^(١٣)
 فلما إلى جنة أزلفت^(١٤)

فماذا تؤمل أو تنتظر
 فما ترعوي أو فما تنزجر^(٨)
 وأنت على ما أرى^(٩) مستمر
 من العمر لا اعتضت خيراً بشر^[١٦/ب]
 دار المقام ودار المقر^(١٢)
 وتعلم أن ليس منها وزر
 وإما إلى سقر تستعر

- (١) في (ع، ظ): إن، والأصل متوافق مع نفع الطيب.
 (٢) ثثوي، بمعنى الإقامة بالمكان، انظر: الصحاح ٢٢٩٦/٦، وفي (ع، ونفع الطيب):
 توائى.
 (٣) في (الأصل، ظ): يا أديب، وما أثبتته من (ع، ونفع الطيب)، والأريب هو العاقل،
 الصحاح ٨٧/١.
 (٤) هذا الشطر سقط من (ع)، وفي (ظ): إن من تذكر سوف ينيب.
 (٥) في (ع، ظ): ليس من.
 (٦) في (ظ): وقال.
 (٧) عزاء صاحب نفع الطيب الأبيات لأبي الوليد ابن حزم ٥٥٣/٣.
 (٨) في (ع، ظ): تزجر.
 (٩) في (ع): ترى، وما في الأصل موافق لما في نفع الطيب.
 (١٠) (ويحك): ليست في (ع، ظ). (١١) في نفع الطيب: لا تستعد إذن.
 (١٢) (ودار المقر): ليست في (ع)، والأصل متوافق مع نفع الطيب.
 (١٣) هذا الشطر ليس في (ع).
 (١٤) في (ظ): الجنة قد أزلفت. وما في الأصل موافق لنفع الطيب.

وقيل: النذير الحمى، ومنه قوله ﷺ: «الحمى رائد الموت»^(١).

قال الأزهري^(٢) معناه: أن الحمى رسول الموت، أي^(٣) كأنها تشعر بقدومه وتندّر^(٤) بمجيئه^(٥).

وقيل: موت الأهل والأقارب، والأصحاب والإخوان، وذلك^(٦) إنذار بالرحيل في كل وقت وأوان وحين وزمان^(٧).
قال^(٨):

وأراك تحمّلهم ولمت تردهم وكأنتي^(٩) بك قد حُمِلت ولم^(١٠) تُرَدِّ
وللفقيه أبي^(١١) عبد الله محمد بن أبي زنتين^(١٢) رحمته^(١٣):

الموت في كل حين ينشر الكفنا ونحن في غفلة عما يراد بنا
لا نطمئن إلى الدنيا وبهجتها وإن توشحت من أثوابها الحسناء
أين الأحبة والجيران ما فعلوا أين الذين هم كانوا لنا سكنا

(١) رواه محمد بن سلامة بن جعفر في مسند الشهاب له ٦٩/١، ح ٥٩ من حديث عبد الرحمن بن المرفع، قال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف الجامع الصغير ص (٤١٢)، ح ٢٧٩٧.

(٢) العلامة أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري، كان رأساً في اللغة والفقه، ثقة، ثبتاً، ديناً، له كتاب تهذيب اللغة، وكتاب في التفسير، والأسماء والصفات، وغير ذلك، توفي سنة ٣٧٠هـ، السير ١٦/٣١٥.

(٣) في (ع): أو. (٤) في (ع): بقنومه وشدته.

(٥) تهذيب اللغة للأزهري ١٤/١٦٣. (٦) في (ع): وذلك أنه.

(٧) ذكر هذا القول الماوردي في تفسيره ٤/٤٧٦.

(٨) لم أقف على الناقل. (٩) في (ظ): وكأنتي.

(١٠) في (ع، ظ): فلم.

(١١) في (الأصل): أبو، والتصويب من (ع، ظ).

(١٢) في (الأصل): زمير، والتصويب من (ع، ظ، وسير أعلام النبلاء)، وهو: أبو عبد الله ابن محمد بن عيسى الأندلسي الألبيري شيخ قرطبة، تبحر في العلم، وصنف في الزهد والرقائق، وقال الشعر الرائق، من تصانيفه: اختصار المدونة، ومنتخب الأحكام، وأصول السنة، وأدب الإسلام وغير ذلك، توفي سنة ٣٩٩هـ، السير ١٧/١٨٨.

(١٣) في (ظ): ﷺ يقول.

سقامهم الموت كأساً غير صافية فصيرتهم لأطباق الشرى رهناً^(١)

وروي أن ملك الموت دخل على داود [عليه السلام]^(٢) فقال: من أنت؟ قال^(٣): من لا يهاب المملوك، ولا تمنع منه القصور، ولا يقبل الرشاء، قال: فإذا أنت^(٤) ملك الموت ولم أستعد بعد، قال: يا داود أين فلان جارك؟ أين فلان قريبك^(٥)؟ قال: مات، قال: أما كان^(٦) في هؤلاء عبرة لتستعد^(٧).

وقيل: كمال العقل^(٨)، الذي تعرف به^(٩) حقائق الأمور ويفصل به^(١٠) بين الحسنات والسيئات، فالعاقل يعمل لآخرته، ويرغب فيما عند ربه، فهو نذير والنذير بمعنى الإنذار، والإنذار والإعذار قريب بعضه من بعض، وأكبر^(١١) الإعذار إلى بني آدم بعثة الرسل إليهم، ثم الشيب، أو غيره كما بينا. وجعل الستين غاية الإعذار؛ لأن الستين قريب من معترك العباد وهو سن الإنابة، والخشوع، والاستسلام لله، وترقب المنية ولقاء الله، ففيه إعدار بعد إعدار، وإنذار بعد إنذار: الأول بالنبي ﷺ، والثاني بالشيب وذلك عند كمال الأربعين، قال الله تعالى: ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ بِعَمَلِكَ﴾ [الأحقاف: ١٥]، فذكر الله^(١٢) ﷻ أن^(١٣) من بلغ الأربعين فقد آن له أن يعلم مقدار نعم الله عليه وعلى والديه، ويشكرهما^(١٤).

قال مالك رحمه الله: أدركت أهل العلم ببلدنا وهم يتطلبون^(١٥) الدنيا،

- (١) عزاه صاحب نفع الطيب أيضاً لابن أبي زمنين ٥٢٥/٣.
- (٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
- (٣) في (ع): فقال.
- (٤) في (ظ): فأنت.
- (٥) في (ع، ظ): قريبك.
- (٦) في (ع): كان لك.
- (٧) ذكره الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار ١٨٦/٤، والأثر من الإسرائيليات.
- (٨) ما زال المصنف يورد الأقوال في معنى النذير، وهذا القول للماوردي في تفسيره ٤٧٦/٤.
- (٩) في (ع): به تعرف، وفي الأصل: يعرف بها وتصوبه من (ظ).
- (١٠) (به): ليست في (ع، ظ).
- (١١) في (ع، ظ): أكثر.
- (١٢) لفظ الجلالة ليس في (ع، ظ).
- (١٣) (أن): ليست في (ع).
- (١٤) في (ظ): يشكر لهما.
- (١٥) في (ع، ظ): يطلبون.

ويخائطون الناس حتى يأتي لأحدهم أربعون سنة، فإذا^(١) أتت عليهم [١٧/أ] اعتزلوا الناس^(٢).

تنبيه: هذا الباب هو الأصل في إعدار الحكام إلى المحكوم عليهم مرة بعد أخرى، وكان هذا لطفاً بالخلق؛ ولينفذ القيام عليهم بالحق.

يُحكى^(٣) عن بعض العلماء كان^(٤) يميل إلى الراحة كثيراً، وكان يخلو في بستان له بأصحابه فلا يأذن لأحد سواهم، فبينما^(٥) هو في البستان رأى شخصاً^(٦) يتخلل الشجر، فغضب وقال: من أذن لهذا؟! وجاء الرجل فجلس أمامه، وقال: ما ترى في رجل ثبت عليه حق فزعم أن له مَدَاقِعَ^(٧) تدفعه عنه^(٨)، فقال: يَتَلَوُّمٌ له^(٩) الحاكم بقدر ما يرى، قال السائل: قد ضرب له الحاكم آجالاً فلم يأت بمنفعة له^(١٠)، ولا أفلح عن التلذذ^(١١) والمدافعة. قال: يقضي عليه، قال: فإن الحاكم رفق به، وأمهله أكثر من خمسين سنة. فأطرق الفقيه، وتحدر عرق وجهه. وذهب السائل، ثم إن العالم أفاق من فكرته فسأل عن السائل، فقال البواب: ما دخل إليكم ولا خرج من عندكم أحد، فقال لأصحابه: انصرفوا، فما كان يرى^(١٢) إلا في مجلس يُذكر فيه العلم.

(١) في (ظ): قال فإذا.

(٢) إن صحت الرواية عن الإمام مالك بثلاثة فتوجيهها: أن الإمام لم يرد جميع العلماء، وإنما أراد البعض، وهذا البعض إنما فعل هذه العزلة لوجود غيرهم من العلماء الذين يرشدون الأمة ويفتونهم، والله أعلم.

(٣) في (ظ): حكي.

(٤) في (ع): فيمنما.

(٥) في (ع): في (ع): رجلاً.

(٦) جمع: مَدَقِع، والسرادق موانع تمنعه من الموت، انظر: القاموس المحيط ص (٩٢٤).

(٧) في (ع): معلوماً يدفعه عنه، وفي (ظ): مدافعة تدفع عنه.

(٨) والتلوم: الانظار والتمكث، الصحاح ٢٠٣٤/٥، وفي (ع): ينظره.

(٩) (ه): ليست في (ع).

(١٠) في (ظ): التلذذ، والتلذذ: شدة الخصومة، الصحاح ٢/٥٣٥.

(١١) في (ع): يرى بعد.

فصل

وقد رأيت أن أصل بهذه^(١) الحكاية حكايات في الشيب على سبيل الوعظ، والتذكرة^(٢)، والتخويف، والتحذير.

حكى^(٣) عن بعض المترفين أنه رفض ما كان عليه^(٤) بغتة على غير تدرج فُسئل عن السبب^(٥) فقال ما معناه: كانت لي أمة لا يزيدني طول الاستمتاع^(٦) منها^(٧) إلا غراماً بها، فقلبت شعرها يوماً فإذا فيه شعرتان بيضاوان، فأخبرتها فارتاعت، وقالت: أرني، فأريتها، فقالت: جاء الحق وزهق الباطل، اعلم أنه^(٨) لو لم تُفترض عليّ طاعتك لما أويت إليك، فدع لي ليلي، أو نهاري؛ لأتزوج فيه لأحرتي، فقلت: لا، ولا كرامة، فغضبت وقالت: أتحول بيني وبين ربي وقد آذنتي بلاقائه؟ اللهم بدل حبه لي بغضاً، قال: فبت وما شيء أحب إليّ من بعدها عني، وعرضتها للبيع، فأتاني من أعطاني بها^(٩) ما أريد، فلما عزمتم على البيع بكت، فقلت: أنت أردت هذا، فقالت: والله ما اخترت عليك شيئاً من الدنيا، هل لك إلى ما هو خير من ثمني؟ قلت: ما هو؟ قالت: تحتقني الله ﷻ، فإنه أملك لك منك لي^(١٠)، وأعود عليك منك عليّ^(١١)، فقلت: قد فعلت، فقالت: أمضى الله صفقتك، وبلغك أضعاف عملك^(١٢)، وتزهدت، فبغضت إليّ الدنيا ونعيمها^(١٣).

- (١) في (ع، ظ): هذه.
 (٢) في (ظ): يحكى.
 (٣) في (ع): عن ذلك.
 (٤) في (ظ): بها، وهي أقرب إلى السياق.
 (٥) في (ع، ظ): فيها.
 (٦) في (ع): وأعود منك عليّ.
 (٧) في (ع): وفي (ظ): وتزهدت وبغضت الدنيا ونعيمها، وفي (ظ): وتزهدت وبغضت الدنيا ونعيمها، قال الذهبي في ترجمة سفيان الثوري: شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، كان رأساً في الزهد والنّال والخوف، ثم أورد قول هذا الإمام في الزهد الذي يبين فهمه وفهم أئمة السلف له: ليس الزهد بأكل الغليظ ولبس الخشن؛ ولكنه قصرُ الأمل وارتقَابُ الموت، وقال: الزهد زهدان: زهد فريضة =
- (٢) في (ع): التذكير، وفي (ظ): الذكر.
 (٤) في (ع، ظ): ما كان فيه.
 (٦) في (ع، ظ): الاستماع.
 (٨) في (ع): اعلم أي.
 (١٠) في (ظ): أملك منك لي.
 (١٢) في (ع): أملك.
 (١٣) في (ع): وأعود منك عليّ.

وقال عبد الله بن أبي نوح^(١): رأيت كهلاً بمسجد رسول الله ﷺ لا يزال ينفض الغبار عن جدرانه بسعفة، فسألت عنه فقيل: إنه من ولد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأن له أولاداً وموالي ونعمة موفورة، وإنه اطلع في مرآته فصرخ وجن، ولزم المسجد كما ترى، وإذا أراد أهله أخذه ليدأوه ويصونوه عاذ بالقبور المكرم^(٢) فتركوه، فرقته نهاراً فلم أر منه اختلافاً، ورقبته ليلاً فلما ذهب جنح من الليل خرج من المسجد، فتبعته حتى أتى البقيع^(٣)، فقام يصلي^(٤)، ويبكي حتى قرب طلوع الفجر فجلس يدعو، وجاءت إليه دابة لا أدري أشاة^(٥) أم ظبية، أو^(٦) غيرها، فقامت عنده وتفاجت^(٧) فالتقم ضرعها، فشرب^(٨)، ثم

- وزهد نافلة، فالفرض: أن تدع الفخر والكبر والعنو والثراء والسمة والتزين للناس، وأما زهد المنافئة: فإن تدع ما أعطاك الله من الحلال، فإذا تركت شيئاً من ذلك صار فريضة عليك ألا تتركه إلا لله، انظر: سير أعلام النبلاء ٧/٢٣٠، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤.

(١) لم أقف له على من ترجم له أو ذكره.

(٢) الاستعاذة بقبر النبي ﷺ والالتجاء إليه لكشف الضر ودفع البلوى مما لا يجوز، وإنما يفرغ بذلك للواحد الأحد ﷺ.

(٣) في (ظ): حتى البقيع.

(٤) الذي يظهر أن المراد بالصلاة هنا في هذه الحكاية: الصلاة ذات الركوع والسجود، ولم يرد الصلاة بمعنى الدعاء فقط؛ بدليل الجملة التي بعدها: (فجلس يدعو)، كذلك لم يرد الصلاة على ميت معين مات ولم يدرك الصلاة عليه؛ بدليل ما جاء في سياق الحكاية: (فأقمت ليالي أخرج بخروجه إلى البقيع)، فإذا علم هذا فقد أخرج البخاري في صحيحه ١/١٦٦، ح ٤٢٢ قوله ﷺ: «اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبوراً»؛ قال ابن خزيمة في صحيحه ٢/٢١١ في الحديث السابق: هذا الخبر دال على التحريم عن الصلاة في المقابر. اهـ. وذلك لأن القبور ليست محلاً للصلاة وهذا فيه تحذير للأمة عن الصلاة في القبور، بل من عجائب هذه الحكاية أن صاحبها يترك الصلاة في المسجد النبوي، وفضل الصلاة فيه معلوم، ليصلي في المقابر والنهي عن الصلاة فيها معلوم. وللشيخ الألباني كتاب مفيد في هذا الموضوع بعنوان: تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، فراجع.

(٥) في (ظ): أشاة هي. (٦) في (ع): أم.

(٧) في (ظ): تفاججت، والتفجج: الطریق الواسع بين الجبلين، وفججت ما بين رجلتي أفجهما فجاً إذا فتحت، الصحاح ١/٣٣٣.

(٨) أهل السنة والجماعة يشنون كرامات الأولياء ولا ينكرونها، لكن أيضاً لا تنظلي عليهم =

مسح ظهرها^(١)، وقال: اذهبى بارك الله فيك [١٧/ب]، فوئت تمرح^(٢)، فانسلت، فسقته إلى المسجد، فأقمت ليالي أخرج بخروجه إلى البقيع ولا يشعر بي، وسمعت^(٣) يقول في مناجاته: اللهم إنك أرسلت^(٤) إلي ولم تأذن لي، فإن كنت قد رضيتني فأذن لي، وإن لم ترضني فوفقني لما يرضيك^(٥)، قال: فلما حان^(٦) رحيلي أتيت مودعاً فتجهمني^(٧)، فقلت له: أنا^(٨) أصحابك منذ ليالي بالبقيع^(٩) أصلي بصلاتك، وأؤمن على دعائك، قال: هل أطلعت على ذلك أحداً؟ قلت: لا، قال: انصرف راشداً، قلت: ما الرسول الذي أرسل إليك؟ قال: اطلعت في المرأة فرأيت شيبة في وجهي فعلمت إنها رسول الله إلي، فقلت: ادع الله لي^(١٠)، فقال: ما أنا أهل لذلك، ولكن تعال

= خوارق الشياطين وحيل الدجالين والمشعوذين، فالكرامة لا تتعارض مع هديه ﷺ بل تؤيده وتثبت من سار عليه. فلم يكن من هديه ﷺ ولا من هدي أصحابه الانقطاع للتعبد ثم تأتي لهم الدواب بالرزق، بل كان رزق رسول الله ﷺ تحت ظل رمحه، انظر: مسند الإمام أحمد ٥٠/٢، ح ٥١١٤؛ وابن أبي شيبه في مصنفه ٤/٢١٢، ح ١٩٤٠١، ومن الصحابة رضوان الله عليهم من كان يعمل في التجارة، ومنهم من كان يعمل في الزراعة، وكثير ممن خائف هديه ﷺ وتعبد بالبدع وبغير ما شرع تعينه الشياطين وتخدمه؛ ليستمر على ضلاله، ثم يذهب من يذهب ليحكى فعل هؤلاء المخالفين لتخلو العامة حذوهم، فالحذر الحذر من ذلك، فقد قال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردة»، أخرجه مسلم في صحيحه ٣/١٣٤٣، ح ١٧١٨، أي مردود عليه في يوم هو أحوج ما يكون إليه.

- (١) في (ظ): ضرعها.
- (٢) المرح هنا: شدة النشاط، وفرس ممرح ومروح: أي نشيط قد أمرحه الكلال، الصحاح ٤٠٤/١، وفي (ع): نمرع، والممرع: الخصب، وقد مرع الوادي وأمرع أي أكلا ويقال: القوم ممرعون إذا كانت مواشيمهم في خصب، الصحاح ٣/١٢٨٣ - ١٢٨٤.
- (٣) في (ع، ظ): فسمعت.
- (٤) في (ع): أرسلت رسولا.
- (٥) في (ع): لما يرضيك عني.
- (٦) في (ع): كان.
- (٧) رجل جهم الوجه: أي كالح الوجه، الصحاح ٥/١٨٩١.
- (٨) في (ظ): إني.
- (٩) في (الأصل): البقيع، والتصويب من (ع، ظ).
- (١٠) في (ع، ظ): ادع لي.

نتوسل إلى الله برسوئه^(١)، فقامت معه تجاه القبر^(٢)، فقال: ما حاجتك؟ قلت: العفو، فدعا دعاءً خفيفاً^(٣) فأقمت، ثم مال على جدار القبر فإذا هو ميت^(٤)، فتحدثت عنه حتى فطن الناس له، وجاء أولاده ومواليه فاحتملوه، فجهزوه^(٥) وصليت عليه فيمن صلى ﷺ^(٦).

ويقال: إن ملكاً من ملوك اليونان استعمل على ملبسه أمةً أدبها بعض الحكماء، فألبسته يوماً ثيابه، وأرته المرأة فرأى في وجهه شعرة بيضاء، فاستدعى المقرض وقصها، فأخذتها الأمة وقبّلتها ووضعتها على^(٧) كفها وأصغت أذنها^(٨) إليها، فقال لها الملك: إلى أي شيء تصغين؟! فقالت: إني سمعت هذه المبتلاة بفقد كرامة قرب الملك تقول قولاً عجباً^(٩)، قال: ما هو؟ قالت لا يجترئ لساني على النطق به، قال: قلني أمنة ما لزمك الحكمة، فقالت ما معناه أنها تقول: أيها الملك المسلط^(١٠) إلى أمد قريب إني خفت بطشك بي فلم أظهر حتى عهدت إلى بناتي أن يأخذن بثأري^(١١)، وكأنك بهن وقد^(١٢) خرجن عليك فإما أن يعجلن الفتك بك، وإما أن ينقصن شهوتك^(١٣) وقوتك وصحتك حتى تعد الموت^(١٤) غنماً، قال: اكتبني كلامك، فكتبته فتدبره، ثم نبذ ملكه. في حديث هذا^(١٥) المقصود منه.

(١) اتوسل إلى الله تعالى برسوئه إنما يكون بالإيمان به، وطاعته، ومحبه ﷺ. أما ما يفعله كثير من العامة من التوسل إلى الله تعالى بذات وجه النبي ﷺ فهو من البدع والمحدثات في الدين. وانظر في ذلك كتاب: قاعدة جنبلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية؛ وكتاب خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء لمفيدة.

(٢) السنة أن يستقبل الداعي القبلة، كما في دعائه ﷺ يوم عرفة وعند الجمرات، انظر: صحيح مسلم ٨٩٠/٢، ح ١٢١٨.

(٣) في (ع): خفيفاً.

(٤) في (ع، ط): وجهه.

(٥) في (ع): في.

(٦) في (ع، ط): عجباً.

(٧) في (ط): ثأري.

(٨) في (ط): شهواتك.

(٩) في (ط): هذا هو.

(٤) في (ط): ميتة.

(٦) في (ع): رحمة الله عليه.

(٨) في (ع): بأذنها.

(١٠) في (ع): المسلط علي.

(١٢) في (ع، ط): فد.

(١٤) في (ع): للموت.

وفي معناه قيل^(١):

وزائرة بالشيب^(٢) لاحت بمفرقي فبادرتها خوفاً من الحثف بالنتف
فقال على ضعفي استطلت^(٣) ووحدي رويدك حتى يلحق الجيش من خلفي

وفي الإسرائيليات أن إبراهيم الخليل عليه السلام لما رجع من تقريب ولده إلى ربه ﷻ رأته سارة في لحيته شعرة بيضاء^(٤)، وكان ﷻ أول من شاب، فأنكرتها وأرته إياها، فجعل يتأملها، وأعجبته، وكرهتها سارة وطالبتة^(٥) بإزالتها فأبى، وأتاه ملك فقال: السلام عليك يا إبراهيم، وكان اسمه إرم فزاد^(٦) في اسمه هاء، والهاء في السريانية للتفخيم^(٧) والتعظيم، ففرح بذلك وقال^(٨): أشكر إلهي وإله كل شيء، فقال له الملك: إن الله قد صيرك معظماً في أهل السماء وأهل الأرض، وقد وسمك بسمه الوقار في اسمك، وفي خلقك: أما اسمك فإنك تُدعى في أهل السماء وأهل الأرض إبراهيم، وأما خلقك فقد أنزل^(٩) وقاراً ونوراً على شعرك، فأخبر^(١٠) سارة بما قال له الملك وقال: هذا الذي كرهته نور ووقار، قالت: فإني^(١١) كارهة له، قال: لكنني أحبه، اللهم زدني وقاراً^(١٢)، فأصبح وقد ابيضت لحيته كلها^(١٣).

وفي الآثار النبوية: «من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة»^(١٤).

(١) في (ظ): قيل شعر.

(٢) في (ع): للمشيب، وفي (ظ): للشيب. (٣) في (ع): استطلت.

(٤) في (ظ): في شعر لحيته بيضاً. (٥) في (ظ): فطالبتة.

(٦) في (ع): فزاده.

(٧) في (الأصل): التفخيم، والتصويب من (ع، ظ).

(٨) في (ع): فقال. (٩) في (ظ): أنزل الله.

(١٠) في (ع): وأخبر. (١١) في (ظ): إني.

(١٢) في (ع، ظ): نوراً ووقاراً.

(١٣) ذكر نحو هذا الأثر البخاري في كتابه الأدب المفرد مختصراً ص (٤٢٨)، ح ١٢٥٠.

(١٤) أخرجه النسائي في المجتبى ٦/٢٧، ح ٣١٤٤؛ والترمذي ٤/١٧٢؛ والبيهقي في السنن الكبرى

٦/١٦٢، ح ١٨٢٩٢، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح سنن النسائي ٢/٦٦٠، ح ٢٩٤٧.

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ليستحي أن يعذب ذا شيبة»^(١).
والأخبار في هذا^(٢) كثيرة، وكذلك الشعر اكتفينا^(٣) منه بما ذكرنا وبالله
توفيقنا.

وقال أعرابي في الشيب والخضاب^(٤):

يا بؤس من فقد الشباب وعُيرت^(٥) منه مفارق رأسه بخضاب
يرجو غضارة^(٦) وجهه بخضابه ومصير كل عمارة لخراب
إنني وجدت أجل كل مصيبة فقد الشباب وفرقة الأحباب

باب متى تنقطع معرفة الغيب من الناس

[وفي التوبة وبيانها وفي التائب من هو]^(٧)

ابن ماجه^(٨) عن أبي موسى الأشعري^(٩) قال: سألت رسول الله ﷺ متى
تنقطع معرفة العبد من الناس؟ قال: «إذا عاين».

(١) ذكر الغزالي في الدرة الفاخرة ص(٢٧ - ٢٨) نحوه، وكذا ابن عبد البر في بهجة
المجالس ص(٢١١) القسم الثاني.

(٢) في (الأصل): في هذه، والتصويب من (ع، ظ)، والتقدير: والأخبار في هذا المعنى
كثيرة، وفي (ع) زيادة: هذا الباب.

(٣) في (ع): اكتفيت.

(٤) ذكر هذه الأبيات أبو القاسم الخنثلي في كتاب الديباج له ص(١١٦).

(٥) في (ع): عُزّت، أي غلبت، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَعَزِّي فِي الْخَطَابِ﴾ أي غلبني. انظر:
الصحاح: ٨٨٦/٣، وفي (ظ): غير، والأصل متوافق مع الديباج للخنثلي.

(٦) الغضارة: طيب العيش، وبنو فلان مغضورون: أي في خصب وخير، انظر: الصحاح
٧٧٠/٢.

(٧) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).

(٨) في سننه ٤٦٧/١، ح ١٤٥٣، قال الألباني: ضعيف جداً، انظر: ضعيف سنن ابن
ماجه ص(١٠٩ - ١١٠)، ح ٣١٢.

(٩) الأشعري: ليست في (ع، ظ).

فصل

قوله «إذا عاين»: يريد إذا^(١) عاين ملك الموت، أو^(٢) الملائكة والله أعلم، وهو معنى قوله ﷺ في الحديث الآخر: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغرغر» خرجه الترمذي^(٣)، أي عند الغرغرة، وبلوغ الروح الحلقوم يعاين ما يصير إليه من رحمة أو هوان، ولا تنفع حينئذ توبة ولا إيمان، كما قال في محكم البيان: ﴿فَلَمَّا يَكْفُرُ يَتَفَعَّهُمْ إِيْمَانَهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٢٨٥]، وقال: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ أَفَكُنَّ﴾ [النساء: ١٨]. فالتوبة مبسوطة للعبد حتى يعاين قابض الأرواح وذلك عند غرغرة بالروح^(٤)، وإنما يغرغر^(٥) إذا انقطع^(٦) الوتين^(٧)، فشخص من الصدر إلى الحلق^(٨) فعندها المعاينة وعندها حضور الموت^(٩) فاعلم ذلك^(١٠). فيجب على الإنسان أن يتوب قبل المعاينة والغرغرة، وهو^(١١) معنى قوله تعالى: ﴿تَعَرَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧]. قال ابن عباس والسدي: ﴿مِن قَرِيبٍ﴾: قبل المرض والموت^(١٢). وقال أبو مجلز^(١٣)، والضحاك^(١٤)، وعكرمة، وابن زيد^(١٥) وغيرهم:

- (١) (إذا): ليست في (ع).
 (٢) في (ظ): و.
 (٣) رواه في جامعه ٥/٥٤٧، ح ٣٥٣٧، قال الألباني: حسن، انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/١٧٥، ح ٢٨٠٢.
 (٤) (بالروح): ليست في (ظ).
 (٥) في (ع، ظ): يغرغر به.
 (٦) في (ع، ظ): قُطِع.
 (٧) الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه، الصحاح ٦/٢٢١١.
 (٨) في (ع، ظ): الحلقوم.
 (٩) في (ع، ظ): وعندنا خروج الروح.
 (١٠) (ذلك): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م).
 (١١) في (الأصل): وهي، وتصويبه من (ع، ظ).
 (١٢) ذكره الطبري في تفسيره ٣/٦٤٢.
 (١٣) أبو مجلز واسمه لاحق بن حميد السدوسي، مات بالكوفة سنة ١١٠هـ، قبل الحسن بقليل، مشاهير علماء الأمصار لأبي حاتم البستي ١/٩١؛ الكنى للبخاري ص(٩٠)، ملحق بالتاريخ الكبير.
 (١٤) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد صاحب التفسير، توفي سنة ١١٢هـ، السير ٤/٥٩٨.
 (١٥) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني، كان صاحب تفسير وقرآن، جميع =

قبل المعاينة للملائكة والسُّوق^(١)، وأن يغلب المرء على نفسه.

ولقد أحسن محمود الوراق^(٢) حيث قال^(٣):

قدم لنفسك تربة مرجوة قبل الممات وقبل حيس الألسن
بادر بها غلق^(٤) النفوس فإنها ذخرو غنم^(٥) تلمنيب المحسن [١٨/ب]

قال علماؤنا^(٦) رحمة الله عليهم: وإنما صحت منه التوبة في هذا الوقت؛ لأن الرجاء باقٍ [ويصح الندم]^(٧) والعزم على ترك الفعل.

وقيل: المعنى يتوبون على قرب^(٨) عهد من الذنب من غير إصرار، والسيادة في الصحة أفضل، وألحق لأمله من العمل الصالح، والبعد كل البعد: الموت، وأما ما كان قبل الموت^(٩) فهو قريب عن الضحاك^(١٠) أيضاً.

وعن الحسن لما أهبط إبليس قال: بعزتك^(١١) لا أفارق ابن آدم ما دام الروح في جسده، قال الله تعالى: فبعزتي^(١٢) لا أحجب التوبة عن ابن آدم ما لم تغرغر نفسه^(١٣).

= تفسيراً في مجلد، وكتاباً في النسخ والمنسوخ، توفي سنة ١٨٢ هـ، السير ٣٤٩/٨.

(١) أقوال هؤلاء العلماء أوردها ابن جرير الطبري في تفسيره ٦٤٢/٣ - ٦٤٣.

(٢) محمود بن الحسن الوراق البغدادي، الشاعر، روى عنه ابن أبي الدنيا وأبو العباس بن مسروق، مات في خلافة المعتصم، تاريخ بغداد ١٣/٨٧، السير ١١/٤٦٦.

(٣) في (ظ): يقول.

(٤) هكذا في (الأصل، ع): (غلق)، وكلمة: غلق، ساقطة من (ظ)، وفي (بهجة المجالس لابن عبد البر): علق النفوس، ص (٢٥٩)، التقسيم الثاني. ولعله ما به هو الصواب؛ لأن العلق: الهوى، والمراد هوى النفوس، والله أعلم، انظر: الصحاح ٤/١٥٢٩.

(٥) في (الأصل): وعلم، والتصويب من (ع، ظ، بهجة المجالس).

(٦) ثم أقف على القائل.

(٧) ما بين المعفوتين من (ع، ظ).

(٨) في (ع): يتوبون على قريب، في (ظ): يتوب من على قرب.

(٩) (وأما ما كان قبل الموت): ليست في (ع).

(١٠) ذكر قوله البيهقي في شعب الإيمان ٥/٤٠٠، ح ٧٠٧٤.

(١١) في (ظ): فبعزتك.

(١٢) في (ظ): وعزتي.

(١٣) ذكره الطبري في تفسيره بنحوه ٣/٦٤٣ وذكره ابن المبارك في الزهد عن أبي قلابة ص (٣٦٩).

والتوبة فرض على المؤمنين باتفاق ثقات^(١) المسلمين لقوله: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ السَّمِيعُ الْغَنِيُّ﴾ [النور: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨] الآية.

ولها شروط أربعة:

- ١ - الندم بالقلب.
- ٢ - وترك المعصية في الحال.
- ٣ - والعزم على أن لا يعود لمثلها^(٢).
- ٤ - وأن يكون ذلك حياء من الله تعالى وخوفاً منه لا من غيره^(٣).

فإذا اختل شرط من هذه الشروط لم تصح التوبة.

وقد قيل من شروطها الاعتراف بالذنب^(٤)، وكثرة الاستغفار الذي يحل عقده^(٥) الإصرار^(٦) ويثبت معناه في الجنان لا التلفظ باللسان. فأما من قال بلسانه أستغفر الله وقلبه مصر على معصية^(٧) فاستغفاره ذاك^(٨) يحتاج إلى استغفار، وصغيرته^(٩) لاحقة بالكبائر^(١٠).

وروي عن الحسن البصري أنه قال: استغفارنا^(١١) يحتاج إلى استغفار^(١٢).

(١) (ثقات): ليس في (ع، ظ). (٢) في (ع، ظ): إلى مثلها.

(٣) وهذا الشرط يتضمن أن تكون التوبة خالصة لله تعالى، فلا يتوب من المعصية تحسباً لسمعه في المجتمع، أو خوفاً من العقوبة، إنما يتوب متبغياً بتوبته وجه الله تعالى.

(٤) في (ظ): بالذنوب. (٥) في (ع): عقدة.

(٦) من هذا الموضع قطع في (ع).

(٧) في (ظ): المعصية، وفي (ع) بياض.

(٨) في (ظ): ذلك. (٩) في (ع): صغيرة.

(١٠) قال ابن أبي العز: وقد يقترن بالصغيرة من قلة الحياء وعدم المبالاة، وترك الخوف والاستهانة بها ما يلحقها بالكبائر، وهذا أمر مرجعه إلى ما يقوم بالقلب، وهو قدر

زائد على مجرد الفعل. ١. هـ، شرح العقيدة الطحاوية ٤٥١/٢.

(١١) نهاية النقط في (ع).

(١٢) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين ٣١٣/١ عن رابعة العدوية.

قال الشيخ رحمه الله: هذا يقوله في زمانه، فكيف في زماننا هذا الذي يُرى^(١) فيه الإنسان مكيناً على الظلم مُصرّاً^(٢) عليه لا يقلع والسُّبْحَةُ^(٣) في يده زاعماً أنه يستغفر من ذنبه، وذلك استهزاء منه واستخفاف، وممن اتخذ آيات الله هزواً، وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَسْخَرُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ [البقرة: ٢٣١].

وروي عن علي رضي الله عنه وقد رأى رجلاً قد فرغ من صلاته وقال: اللهم إني أستغفرك وأتوبك إليك سريعاً، فقال له^(٤): يا هذا إن سرعة اللسان بالاستغفار^(٥) توبة الكذابين^(٦)، وتوبتك تحتاج إلى توبة، قال: يا أمير المؤمنين وما التوبة؟ قال: اسم يقع على ستة معان: على الماضي من الذنوب المتدامة، ولتضييع الفرائض الإعادة، ورد المظالم إلى أهلها، وإذابة النفس في الطاعة كما أذابها^(٧) في المعصية، وإذابة النفس مرارة الطاعة كما أذابها^(٨) حلالة المعصية، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته.

وقال أبو بكر الوراق^(٩): التوبة أن تكون نصوحاً، وهو أن تضيق عليك الأرض بما رحبت، وتضيق عليك نفسك كالثلاثة الذين خلفوا.

- (١) في (ظ): نرى.
- (٢) في (الأصل): مصرّاً، وفي (ع، ظ): حريصاً، وما في الأصل خطأ نحوي، والصواب بالنصب؛ لأن الفعل (رأى) ينصب أكثر من مفعول، وبدل عليه الفرق الذي في نسختي (ع، ظ).
- (٣) قال الجوهري) السُّبْحَةُ بالضم: حَزْرَاتٌ يُسَبَّحُ بِهَا، الصحاح ٣٧٢/١. يقول بكر بن عبد الله أبو زيد: إن من وقف على تاريخ اتخاذ السُّبْحَةِ، وأنها من شعائر الكفار من البوذيين والهندوس والنصارى وغيرهم، وأنها تسربت إلى المسلمين من معابدهم علم أنها من خصوصيات معابد الكفرة، وأن اتخاذ المسلم لها وسيلة للعبادة بدعة ضلالة، وهذا ظاهر بحمد الله. ١. هـ، السُّبْحَةُ تاريخها وحكمها ص (١٠١).
- (٤) (له): ليست في (ظ).
- (٥) في (ع): الاستغفار باللسان.
- (٦) إني هنا ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين ٤/٤٧.
- (٧) في (ظ): أذبتها.
- (٨) في (ظ): أذقتها.
- (٩) الإمام المحدث أبو بكر، محمد بن إسماعيل بن العباس البغدادي المستملي الوراق، مات سنة ١٣٧هـ، السير ١٦/٣٨٨.

وقيل: التوبة النصوح هي^(١) رد المظالم، واستحلال الخصوم، وإدمان الطاعات، وقيل غير هذا.

وبالجملة فالذنوب التي يتاب منها إما كفر، أو غيره: فتوبة الكافر إيمانه مع ندمه على سالف كفره^(٢)، وليس مجرد الإيمان نفس توبته^(٣)، وغير الكفر إما حق لله وإما حق لغيره، فحق الله تعالى يكفي في^(٤) التوبة منه [١٩/١] الترك، غير أن منها ما لم يكتف الشرع فيها^(٥) بمجرد الترك بل أضاف إلى ذلك في بعضها قضاء: كالصلاة، والصوم، ومنها ما أضاف إليها كفارة: كالحنث في الأيمان وغير ذلك. وأما حقوق الآدميين فلا بد من إصالتها إلى مستحقها، فإن لم يوجدوا تصدق عنهم، ومن لم يجد السبيل لخروج^(٦) ما عليه لإعساره فغفر الله مأمول، وفضله مبذول: فكم ضمن من التبعات، وبدل من السيئات بالحسنات، وعليه أن يكثر من الأعمال الصالحات، ويستغفر^(٧) لمن ظلمه من المؤمنين والمؤمنات. فهذا الكلام في حقيقة التوبة.

وقد روي مرفوعاً في صفة الثائب من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في جماعة من أصحابه: «أندرون من الثائب؟ قالوا: اللهم لا، قال:

(١) (هي): ليست في (ظ). (٢) في (ظ): على ما سلف من كفره.

(٣) في (الأصل): توبه، والتصويب من (ع، ظ).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الكافر إذا أسلم فإن إسلامه يتضمن التوبة من الكفر، فيغفر له بالإسلام الكفر الذي تاب منه، وهل تغفر له الذنوب التي فعلها في حال الكفر وتم يتب منها في الإسلام؟ هذا فيه قولان معروفان، أحدهما: يغفر له الجميع لإطلاق قوله صلى الله عليه وسلم: «الإسلام يهدم ما كان قبله» رواه مسلم ١/١١٢، ح ١٢١ مع قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

والقول الثاني: أنه لا يستحق أن يغفر له بالإسلام إلا ما تاب منه، فإذا أسلم وهو مصر على كبائر دون الكفر فحكمه في ذلك حكم أمثاله من أهل الكبائر، وهذا القول هو الذي تدل عليه الأصول والنصوص. ا.هـ. مجموع الفتاوى ١٠/٣٢٣ - ٣٢٤، ولمزيد من البيان، انظر: المرجع السابق، وشرح النووي على صحيح مسلم ٢/١٣٦.

(٤) في (الأصل): فيه، والتصويب من (ع، ظ).

(٥) في (ع): منه. (٦) في (ع): إلى خروج.

(٧) في (ع، ظ): ويستغفر.

إذا تاب العبد ولم يرض خصماؤه فليس بتائب، ومن تاب ولم يغير لباسه فليس بتائب، ومن تاب ولم يغير مجلسه فليس بتائب^(١)، ومن تاب ولم يغير نفقته، وزينته فليس بتائب، ومن تاب ولم يغير فراشه ولباسه ورداءه^(٢) فليس بتائب، ومن تاب ولم يوسع خلقه فليس بتائب^(٣)، ومن تاب ولم يوسع قلبه وكفه فليس بتائب، ثم قال [النبي] ﷺ^(٤): فإذا تاب على هذه الخصال فذاك^(٥) تائب حقا^(٦).

قال علماؤنا^(٧) رحمة الله عليهم^(٨): إرضاء الخصوم يكون بأن يرد عليهم ما غصبتهم^(٩) من مال، أو^(١٠) خانهم، أو غلبهم^(١١)، أو اغتابهم، أو خرق أعراضهم، أو شتمهم، أو سبهم، فيرضيهم بما استطاع ويتحللهم من ذلك، فإن انقضوا فإن كان لهم قبله^(١٢) مال رده إلى الورثة، وإن لم يعرف الورثة تصدق به عنهم، ويستغفر لهم بعد الموت، ويدعو لهم^(١٣) عوض الذم والغيبة لا خلاف في هذا، وأما تغيير اللباس فهو أن يستبدل ما عليه من الحرام بالحلal، وإن كانت ثياب كبر وخيلاء استبدلها بأظمار^(١٤) متوسطة. وتغيير المجلس هو بأن يترك مجلس^(١٥)^(١٦) اللهو، واللعب، والجهال، والأحداث^(١٧)

(١) (ومن تاب ولم يغير مجلسه فليس بتائب): ليست في (ع، ط).

(٢) في (ع): فراشه ووساده.

(٣) (ومن تاب ولم يوسع خلقه فليس بتائب): ليست في (ط).

(٤) ما بين المعقولتين من (ع، ط). (٥) في (ط): فذلك.

(٦) لم أجد هذا الحديث في شيء من دواوين السنة الصحيحة أو الضعيفة.

(٧) لم أقف على القائل. (٨) في (ع، ط): العلماء.

(٩) في (ط): برد ما غصبتهم عليه.

(١٠) في (الأصل): و، والتصويب من (ع، ط) وذلك عليه أن العطف في الجميع ب(أو).

(١١) في (ع، ط): غلبهم. (١٢) في (ع): وكان لهم قبله.

(١٣) من هذا الموضع قطع في (ع).

(١٤) انظر: الثوب الخنق، أو الكساء البالي من غير الصوف، القاموس المحيط

لنفيروزآبادي ص (٥٥٤)

(١٥) في (ط): مجالس.

(١٦) نهاية القطع في (ع).

(١٧) جمع خذت، وهو الشاب، الصحاح ٢٧٨/١.

ويجالس العلماء^(١)، ومجالس^(٢) الذكر، والفقراء، والصالحين، ويتقرب إلى قلوبهم بالخدمة^(٣)، وبما يستطيع ويصافيهم. وتغيير الطعام بأن يأكل الحلال، ويجانب ما كان من شبهة أو شهوة، ويغير أوقات أكله، ولا يقصد اللذيذ من الأطعمة. وتغيير النفقة هو بترك^(٤) الحرام، وكسب الحلال، والزينة^(٥) بترك الزين^(٦) في الأثاث، والبناء، واللباس، والطعام، والشراب. وتغيير الفراش بالقيام بالليل عوض ما^(٧) كان يشغله بالبطالة^(٨)، والغفلة، والمعصية كما قال تعالى: ﴿تَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦]. وتغيير الخُلُقِ هو بأن ينقل خلقه من الشدة إلى اللينة، ومن الضيق إلى السعة، ومن الشكاسة^(٩) إلى السماحة. وتوسيع القلب يكون^(١٠) بالإنفاق ثقة بالقسام على كل حال، والكف بالسخاء والإيثار بالعطاء هذا يُبدل ما كان فيه كُثْرُب الخمر بكسره، ويسقي^(١١) اللبن والعسل، والزنا^(١٢) بكفالة الأرملة واليتيمة وتجهيزها ويكون مع ذلك نادماً على ما سلف منه ومتحسراً على ما ضيَّع من عمره. وإذا^(١٣) كملت التوبة على هذه الخصال التي^(١٤) ذكرنا^(١٥)، والشروط^(١٦) التي

(١) في (ظ): واستبدالها بمجالس العلماء.

(٢) يصح العطف هنا على تقدير فعل محذوف وهو: يحضر، ويصح العطف على ما ورد في (ظ) من غير تقدير.

(٣) هذه الجملة فيها نَفَسٌ صوفي، فمجالس الفقراء يعنون بها مجالس الصوفية، إذ ليس للمحتاجين من فقراء المسلمين ومساكينهم مجالس خاصة يُحَضُّ على حضورها، كما يكثر التقرب والخدمة من المرئيين إلى مشايخ الصوفية بشئ أنواع القرب إلى مشايخهم كما هو معروف.

(٤) في (ع): ترك.

(٥) التقدير: وتغيير الزينة. وفي (ظ): وترك الزينة.

(٦) كذا في (الأصل) و(ع)، و(ظ): قرية منهما، والمراد ترك التزين في الأشياء المذكورة.

(٧) في (ظ): عما. (٨) في (ظ): من البطالة.

(٩) رجل شكس بالتسكين: صعب الخُلُقِ، الصحاح ٣/٩٤٠.

(١٠) في (ظ): بأن يكون. (١١) في (ع): وسقي.

(١٢) أي استبدال الزنا. (١٣) في (ع): فإذا.

(١٤) في (ع): الذي. (١٥) في (ظ): ذكرناها.

(١٦) هذه شروط متكلفة، والحديث الذي بُنيت عليه في ثبوته نظر، والمشهور من الشروط ما تقدم ص(٢١٤).

بيناً^(١) يقبلها^(٢) الله [١٩/ب] بكرمه، وأنسى حافظيه وبقاع الأرض خطاياها وذنوبه، [قال الله تعالى]^(٣): ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَآمَلَ صَالِحًا ثُمَّ أَهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢].

والأصل في هذه الجملة حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الرجل الذي قتل مائة نفس وسأل^(٤) هل له من توبة^(٥)، فقال له العالم: «من يحول بينك وبينها^(٦) انطلق إلى أرض بني فلان فإن بها ناساً صالحين يعبدون الله، فاعبد الله^(٧) معهم ولا تعد إلى أرضك فإنها أرض سوء» الحديث^(٨) خرجه مسلم^(٩) في الصحيح.

وفي مسند^(١٠) أبي داود الطيالسي^(١١) حدثنا زهير بن معاوية عن عبد الكريم الجزري عن زيادة وليس بابن أبي مريم عن عبد الله بن مغفل قال: كنت مع أبي وأنا إلى جنبه عند عبد الله بن مسعود فقال له أبي: أسمعت رسول الله ﷺ يقول: [«الندم توبة؟» قال: نعم سمعت رسول الله ﷺ]^(١٢).

وفي صحيح مسلم^(١٣)، والبخاري^(١٤) عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه»^(١٥).

- (١) في (ظ): بينها.
- (٢) في (ع): تقبلها.
- (٣) ما بين المعقوفين من (ع).
- (٤) في (ع، ظ): ثم سأل.
- (٥) في (ظ): ثم سأل عن التوبة.
- (٦) في صحيح مسلم: بينه وبين التوبة.
- (٧) لفظ الجلالة ليس في (ع).
- (٨) (الحديث): ليست في (ع، ظ).
- (٩) في صحيحه ٢/٤، ٢١١٩، ح ٢٧٦٦.
- (١٠) ص (٥٠)، ح ٣٨١؛ وأخرجه ابن ماجه في سنته ٢/١٤٢٠، ح ٤٢٥٢؛ والبخاري في مسنده ٥/٣١٢، ح ١٩٢٧؛ قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح ابن ماجه ٢/٤١٨، ح ٣٤٢٩.
- (١١) سليمان بن داود بن الجارود، الحافظ الكبير صاحب المسند أبو داود الفارسي مؤلف آل الزبير بن العوام توفي سنة ٢٠٣هـ، السير ٩/٣٧٨.
- (١٢) ما بين المعقوفين من (مسند أبي داود الطيالسي)، وفي كل النسخ: تقديم وتأخير في لفظ الحديث.
- (١٣) في صحيحه ٢/٢١٢٩، ح ٢٧٧٠.
- (١٤) في صحيحه ٢/٩٤٢، ح ٢٥١٨.
- (١٥) لفظ الجلالة، ليس في (ظ).

وروى أبو حاتم البستي^(١) في المسند الصحيح^(٢) له عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر ثم قال: «والذي نفسي بيده ثلاث مرات، ثم سكت، فأكب كل رجل منا يبكي حزينا ليمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: ما من عبد يؤدي الصلوات الخمس، ويصوم رمضان، ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له ثمانية أبواب في الجنة يوم القيامة حتى إنها لتصفق، ثم تلا: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُهَوَّنُ عَنْهُ لُكُفْرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١].

قال المؤلف: فدل^(٣) القرآن على أن في الذنوب كبائر وصغائر، خلافاً لمن قال كلها كبائر حسب ما^(٤) بيناه في سورة النساء^(٥)، وأن الصغائر كاللمسة والنظرة تُكْفَرُ باجتنب الكبائر قطعاً بوعده الصدوق، وقوله الحق، لا^(٦) أنه يجب عليه ذلك، لكن بضميمة أخرى إلى الاجتناب وهي إقامة الفرائض كما نص عليه الحديث، ومثله ما رواه مسلم^(٧) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»، على هذا جماعة أهل التأويل، وجماعة الفقهاء وهو الصحيح في الباب. وأما الكبائر فلا يكفرها إلا التوبة منها والإقلاع عنها كما بينا، وقد اختلف في تعيينها ليس هذا موضع ذكرها،

(١) محمد بن حبان بن أحمد بن حبان النعيمي أبو حاتم البستي، الإمام الحافظ العلامة، صاحب التصانيف منها: المسند الصحيح والتاريخ والضعفاء، مات سنة ٣٥٤هـ، تذكرو الحفاظ للذهبي ٩٠/٣.

(٢) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ٤٣/٥، ح ١٧٤٨؛ قال الأرنؤوط: في إسناده صهيب مولى العنّواريين لم يذكر فيه جرح، وبإفي رجائه ثقات رجال الصحيح، انظر: تعليقه على الحديث في المرجع السابق ٤٤/٥؛ وأخرجه النسائي باختلاف يسير ٨/٥، ح ٤٣٨؛ وابن خزيمة في صحيحه ١/١٦٣، ح ٣١٥؛ والحاكم في المستدرک ١/٣١٦ رقم ٧١٩.

(٣) في (ع): قد دل، وفي (ظ): يدل. (٤) في (ظ): كما.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن للمؤلف ١٠٤/٥.

(٦) في (ع، ظ): إلا. (٧) في صحيحه ١/٢٠٩، ح ٢٣٣.

وسياتي^(١) في القصاص وأبواب النار جملة منها إن شاء الله تعالى.

باب لا تخرج روح عبد مؤمن أو كافر حتى يُبشّر وأتته يصعد بها

ابن المبارك^(٢) قال أخبرنا حيوة قال أخبرني أبو صخر عن محمد بن كعب القرظي قال: إذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك الموت فقال: السلام عليك يا^(٣) ولي الله [أ/٢٠]، الله يقرأ عليك^(٤) السلام، ثم نزع^(٥) بهذه الآية: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّئُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [النحل: ١٢٢].

وقال ابن مسعود^(٦): إذا جاء ملك الموت لقبض^(٧) روح المؤمن قال: ربك يقربك السلام^(٧).

وعن البراء بن عازب في قوله تعالى: ﴿يَحْيَتُهُمْ يَوْمَ يَقُومَةُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤] فيسلم ملك الموت على المؤمن عند قبض روحه، لا يقبض روحه حتى يُسلم عليه^(٨).

وقال مجاهد: إن المؤمن يُبشّر بصلاح^(٩) ولده من بعده لتقر عينه^(١٠).

ابن ماجه^(١١) عن أبي هريرة^(١٢) عن رسول الله ﷺ قال: «تحضر

(١) ص (٦٣٩).

(٢) في الزهد له ص (١٤٩)، ح ٤٤٢؛ وانظري في تفسيره ١٠١/١٤.

(٣) (بنا) لبست في (ع، الزهد).

(٤) (٤) في (ع): يقربك.

(٥) في (الأصل): ينع، والتصويب من (ع، ظ، الزهد)، والمعنى: استدل أو استشهد، والله أعلم.

(٦) في (ع): يُقبض.

(٧) ذكره السيوطي في الدرر المنتورة ٣٩٠/٥.

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٣٤/٧، ح ٣٤٧٦٧ بلفظ: «يوم يلقون ملك الموت،

ليس من مؤمن يقبض روحه إلا سلم عليه»، والبيهقي في شعب الإيمان ١/٣٦١، ح ٤٠٣.

(٩) في (ع): بصلاح. (١٠) لم أجد هذا الأثر.

(١١) في سننه ١٤٢٣/٢، ح ٤٢٦٢؛ وأحمد ٣٦٤/٢، ح ١٨٧٥٤؛ والنسائي في الكبرى ٦/

٤٤٣، ح ١١٤٤٢؛ عنهم من حديث أبي هريرة^(١٢)، قال الأنسائي: صحيح، انظر:

صحيح ابن ماجه ٢/٤٢٠، ح ٣٤٣٧.

(١٢) في (ع، ظ): النبي.

الملائكة فإذا كان الرجل صالحاً قالوا: اخرجني أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجني حميدة، وابشري بروح وريحان، ورب راضٍ غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يُعرج بها إلى السماء فيُفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان بن فلان فيقال: مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي^(١) حميدة، وابشري بروح وريحان، ورب راضٍ غير غضبان^(٢)، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله تعالى، فإذا كان الرجلُ السوء قال: اخرجني أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجني ذميمة، وابشري بحميم وغساق، وأخر من مشكله أزواج، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يُعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة فإنه^(٣) لا يُفتح لك^(٤) أبواب السماء، فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر، خرَّجه^(٥) عن أبي بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا شيبان بن سوار^(٦) عن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة. وهذا إسناد صحيح ثابت اتفق عليه رجاله^(٧) البخاري ومسلم ما عدا ابن أبي شيبة فإنه لمسلم وحده، وخرَّجه^(٨) عبد بن حميد^(٩) أيضاً عن أبي ذئب، قال محمد بن عمرو: فحدثني^(١٠) سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن

(١) في (ع): اخرجني.

(٢) من قوله: تخرج ثم يعرج بها إلى السماء... إلى هذا لموضع سقط في (ظ).

(٣) في (ع، ظ): فإنها.

(٤) في (ع): لها، والأصل متوافق مع (م، وابن ماجه).

(٥) أي ابن ماجه.

(٦) في (ظ): ابن يسار، وفي ابن ماجه: شيبان من غير ذكر اسم أبيه، وفي تذكرة الحفاظ

١/٣٦١ رقم ٣٥٢؛ ولسان الميزان ٧/٢٤١ رقم ٣٢٦٦: شيبان بن سوار الفزاري أبو

عمرو المدائني.

(٧) في (ع، ظ): اتفق عليه رجال البخاري ومسلم، والأصل متوافق مع (م).

(٨) في (ع، ظ): أخرجه.

(٩) في مسنده بنحوه، انظر: ص (٤٤٤)، ح ١٥٣٧.

(١٠) في (ع): وحدثني، وفي (ظ): حدثني.

النبي ﷺ قال: «إن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل المصالح قال: اخرجي أيتها الروح الطيبة»، فذكره.

مسلم^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إذا خرجت روح العبد المؤمن^(٢) تلقاها ملكان يصعدان بها، قال حماد: فذكر من طيب ريحها، وذكر المنك، قال: ويقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعميرته، فينطلق به إلى ربه^(٣)، ثم يقول: انطلقوا به إلى آخر الأجل، وأن الكافر إذا خرجت روحه قال حماد: وذكر من نتنها، وذكر لعنأ، ويقول أهل السماء: روح خبيثة جاءت من قبل الأرض، قال: ^(٤) فيقال انطلقوا به إلى آخر الأجل، قال أبو هريرة: فرد رسول الله ﷺ ريطة^(٥) كانت عليه على أنفه هكذا».

البخاري^(٦) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، فقالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت [٢٠/ب]، فقال: «ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّرَ برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بُشِّرَ بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره^(٧) الله لقاءه»، أخرجه مسلم^(٨) وابن ماجه^(٩) من حديث عائشة، وابن المبارك^(١٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

(١) في صحيحه ٢/٢٢٠٢، ح ٢٨٧٢.

(٢) في (ع، صحيح مسلم): روح المؤمن. (٣) في (صحيح مسلم): ربه رضي الله عنه.

(٤) (قال): ليست في (ع، ظ)، والأصل يتوافق مع (صحيح مسلم).

(٥) الريطة: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لففتين، الصحاح ٣/١١٢٨.

(٦) في صحيحه ٥/٢٣٨٦، ح ٦١٤٢.

(٧) في (ع): فكره والأصل متوافق مع (م، ظ)، و(ع) تتوافق مع صحيح البخاري.

(٨) في الصحيح ٤/٢٠٦٦، ح ٢٦٨٤.

(٩) في سننه ٢/١٤٢٥، ح ٤٢٦٤؛ والترمذي في السنن ٣/٣٧٩، ح ١٠٦٦؛ والنسائي في

المجتبى ٩/٤، ح ١٨٣٤.

(١٠) في الزهد له ص (٣٤٥)، ح ٩٧١.

فصل

هذا الحديث وإن كان مفسراً مبيناً فقد روي عن عائشة رضي الله عنها في تفسير هذا الحديث أنها قالت لشريح بن هانئ^(١) وقد سأنها عما سمعه من أبي هريرة: «وليس بالذي تذهب إليه، ولكن إذا شخص البصر، وحشر^(٢) الصدر، واقشعر الجلد، وتشنجت الأصابع، فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، خرّجه مسلم^(٣).

وروي عنها أيضاً في تفسيره أنها قالت: «إذا أراد الله بعبيد خيراً قيض له قبل موته بعام ملكاً فسدده ووقفه حتى يقول الناس: مات فلان خير ما كان، فإذا حُضِرَ ورأى ثوابه تهوَّع^(٤) نفسه، [أو قال تهوَّعت نفسه]^(٥) فذلك حين أحب لقاء الله، وأحب الله لقاءه، وإذا أراد الله بعبيد شراً قيض له قبل موته بعام شيطاناً فأضله وفتنه، حتى يقول الناس: مات فلان شر ما كان، فإذا حُضِرَ ورأى ما ينزل به من العذاب تُثَلِّغُ^(٦) نفسه فذلك حين يكره لقاء الله وكره الله لقاءه»^(٧).

وخرّج الترمذي^(٨) في أبواب القدر عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:

- (١) أبو المقدم الحارثي الفقيه، صاحب علي رضي الله عنه، حدّث عن أبيه، وعلي، وعمرا، وعائشة، وغيرهم، توفي سنة ٥٩٨هـ، سير أعلام النبلاء ١٠٧/٤.
- (٢) الحشرجة: الغرغرة عند الموت، وتردد النفس، الصحاح ٣٠٦/١.
- (٣) في الصحيح ٢٠٦٦/٤، ح ٢٦٨٥.
- (٤) التهوُّع: التقيُّوء، الصحاح ١٣٠٩/٣، وفي لسان العرب ٣٧٧/٨: يقال: تهوَّع نفسه إذا فاء بنفسه، كأنه يخرجها.
- (٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م).
- (٦) الثلغ: الثلج، انظر: الصحاح ١٣١٧/٤.
- (٧) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده ٩٠٥/٣، ح ١٥٩١.
- (٨) في جامعه ٤٥٠/٤، ح ٢١٤٢؛ وأخرجه أحمد ١٠٦/٣، ح ١٢٠٥٥؛ وابن حبان في صحيحه ٥٣/٢، ح ٣٤١؛ والحاكم في مستدركه ٤٩٠/١، ح ١٢٥٧ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وله شاهد بإسناد صحيح؛ قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح الترمذي ٢٢٦/٢، ح ١٧٤١.

«إِنَّ اللَّهَ رَجَّكَ إِذَا أَرَادَ^(١) بَعْدَ خَيْرٍ أَنْ يَسْتَعْمَلَهُ، فَقِيلَ: كَيْفَ يَسْتَعْمَلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ»، قَالَ أَبُو عَيْسَى: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ^(٢).

قلت: ومنه الحديث الآخر: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ أَنْ يَسْتَعْمَلَهُ^(٣)»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا يَسْتَعْمَلُهُ^(٤)؟ فَقَالَ: يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ مِنْ حَوْلِهِ^(٥).

وعن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿فَرَجَحْ وَرَّيْحَانٌ﴾ [الواقعة: ٨٩].

قال: الرِّيحُ، الرَّحْمَةُ^(٦)، وَالرَّيْحَانُ تَتَلَقَّاهُ بِهِ عِنْدَ الْمَوْتِ.

وروى ابن جريج^(٧) عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِعَائِشَةَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَقِّقْ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩]: «إِذَا عَابِنَ الْمُؤْمِنِ الْمَلَائِكَةُ قَالُوا: نَرْجِعُكَ إِلَى الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: إِلَى دَارِ الْهَمُومِ، وَالْأَحْزَانِ؟ وَيَقُولُ: قَدْ مَأَى إِلَى اللَّهِ وَرَجَّكَ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَقَالُ^(٨): نَرْجِعُكَ؟ فَيَقُولُ: ﴿ارْجِعُونِ﴾^(٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا^(١٠)» [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠] آيَةَ^(١١).

وأما قوله في الحديث: «حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ تَعَالَى»

(١) في (الترمذي): إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ.

(٢) في (الترمذي) حسن صحيح.

(٣) في (الأصل) و(ظ): غَسَلَهُ، وَفِي (ع): غَسَلَهُ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ: (م) وَصَحِيحُ ابْنِ حِبَّانَ، وَأَحْمَدَ، وَالطَّبْرَانِي فِي الْكَبِيرِ، وَفِي غَرِيبِ الْأَثَرِ لابن الأثير: الْعَسَلُ طَيْبُ النَّعْنَاعِ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ أَنْ يَسْتَعْمَلَهُ فِي النَّاسِ أَي طَيْبُ نَعْنَاعِهِ فِيهِمْ ٢٣٧/٣».

(٤) يقال فيها ما قيل في العائشة السابقة بالإضافة إلى مجيئها في (ظ): عَسَلَهُ.

(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٥٤/٢، ح ٣٤٢٢؛ و٥٥/٢، ح ٣٤٣، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح عن شرط مسلم ٥٤/٢؛ وأحمد ٢٠٠/٤، ح ١٧٨١٩؛ والطبراني في الكبير ١١٠/٨، ح ٧٥٢٢.

(٦) في (ع): وَالرَّحْمَةُ، وَإِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ ذَكَرَهُ الْبَغَوِيُّ عَنْ قَتَادَةَ فِي تَفْسِيرِهِ ٢٩١/٤.

(٧) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، الإمام الحافظ، أبو الوليد الأموي، مات سنة ١٤٩هـ، سير أعلام النبلاء ٦/٣٢٥.

(٨) في (ع): فَيَقُولُ.

(٩) في (ظ): ﴿رَبِّ ارْجِعُونِي﴾.

(١٠) في (ظ): ﴿صَلِّمَا يَمَّا رَجَّكَ﴾.

(١١) أخرجه الطبراني في تفسيره ١٨/٥٢.

فالمعنى: التي فيها^(١) أمر الله وحكمه^(٢)، وهي السماء السابعة التي عندها سدرة المنتهى^(٣) التي إليها يصعد ما يعرج به من الأرض، ومنها يهبط ما يُنزل به منها، كذا في صحيح مسلم من حديث الإسراء، وفي حديث البراء أنه يُنتهى بها^(٤) إلى السماء السابعة، وسيأتي إن شاء الله تعالى^(٥).

وقد كنت تكلمت مع بعض^(٦) أصحابنا القضاة ممن له علم وبصر^(٧) ومعنا جماعة من أهل النظر فيما ذكر أبو عمر ابن عبد البر من^(٨) قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، فذكرت له^(٩) الحديث، فما كان إلا أن بادر إلى عدم^(١٠) [١/٢١] صحته، ولعن رواته^(١١) وبين أيدينا^(١٢) رطب نأكله^(١٣)، فقلت له: الحديث صحيح خرج ابن ماجه في السنن^(١٤)، ولا تُرد

(١) (التي فيها): ليست في (ع، ظ).

(٢) لم يثبت المصنف صفة العلو والرفوقية لله تعالى، فعمد إلى تأويلها على منهج الأشاعرة الذين يؤولون صفات الله ولا يثبتون لله تعالى إلا سبع صفات - زعموا أن العقل دلهم عليها دون غيرها - وقد خالف المصنف منهج السلف الصالح في ذلك مع معرفته لمتنهجهم حيث يقول في تفسيره: «وقد كان السلف الأول ﷺ لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة، وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء، فإنه لا تعلم حقيقته، قال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، وكذا قالت أم سلمة رضي الله عنها. ١.٠.١. هـ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/١٤٠ - ١٤١، وسيأتي مزيد بيان إن شاء الله تعالى لهذه الصفة وأقوال أئمة السلف وخيار هذه الأمة فيها بعد عدة أسطر، عند الحديث على صفة الاستواء.

(٣) في (ع، ظ): السدرة المنتهى.

(٤) في (ع): به.

(٥) ص (٣٥٩).

(٦) في (ع): تبصر، وفي (ظ): بصيرة.

(٧) في (ع، ظ): له هذا.

(٨) في (ع): يعلم.

(٩) لعن عدول هذه الأمة لا يكون ممن له علم وبصر.

(١٠) في (ع): وبين أيدينا طبق.

(١١) في (ع): نأكل منه.

(١٢) الحديث المشار إليه هو: حديث النزول الذي فيه: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل...»، فقد أخرجه البخاري ١/٣٨٤، ح ١٠٩٤، ٥/٢٣٣٠، ح ٥٩٦٢، ٦/٢٧٢٣، ح ١٣٦٦، ومسلم ١/٥٢١، ح ٧٥٨، والترمذي =

٥٢٦/٥، ح ٣٤٩٨؛ وأبو داود ٣٤/٢، ح ١٣١٥؛ وابن ماجه ٤٣٥/١، ح ١٣٦٦. وقد وقفت على سبعين طريقاً لهذا الحديث.

وأما قول ابن عبد البر المشار إليه هو تعليقه على حديث النزول حيث يقول: وفيه دليل على أن الله ﷻ في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة، وهو من حجنتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم إن الله ﷻ في كل مكان، وليس على العرش... ثم سرد الأدلة التي تبين صحة ما ذهب إليه، التمهيد ١٢٨/٧ - ١٢٩، وهو الحق الذي فرره أئمة الإسلام وهم الجماعة الذين ذكروهم ابن عبد البر في قوله، فقد سلك ابن عبد البر طريق السلف الصالح ومنهجهم في فهم آيات الصفات، وهذه طائفة من أقوال أولئك الأئمة الذين اقتدى بهم ابن عبد البر رحمهم الله تعالى جميعاً:

- قال الأوزاعي: «كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله ﷻ فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته». العلو للعلوي الغفار للذهبي ص (١٣٠).

- وقد سئل الإمام أبو حنيفة النعمان: أين إلهك الذي تعبد؟ فسكت، ثم وضع كتاباً: الله تبارك وتعالى في السماء دون الأرض، فقال له رجل: رأيت قول الله ﷻ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾؟ قال: هو كما تكتب إلى الرجل إني معك وأنت غائب عنه. الأسماء والصفات للبيهقي ص (٤٢٩)، باختصار.

- وقد سئل الإمام مالك بن أنس عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى؟ فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرضاء، ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً، فأمر به أن يُخرج. الأسماء والصفات للبيهقي ص (٤٠٨)، والعلو للذهبي ص (١٣٩). وهذا الأثر مشهور أيضاً عن ربيعة الرأي شيخ الإمام مالك، انظر: الأسماء والصفات للبيهقي ص (٤٠٨ - ٤٠٩)، والدر المشور للسيوطي ٩١/٣.

- وقال ابن أبي حاتم الرازي: حدثنا أبو شعيب وأبو نور عن أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي قال: القول في السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها: أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما، الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف يشاء، وأن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كيف يشاء. اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص (١٦٥).

- وقال الإمام أحمد بن حنبل: هو على العرش وقد أحاط علمه بما دون العرش، ولا يخلو من علم الله مكان. انظر: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص (٤٩).

- وقد سئل الإمام عبد الله بن المبارك: كيف نعرف ربنا ﷻ؟ قال: «في السماء السابعة»

الأخبار بمثل هذا القول، بل تُتأول وتحمل على ما يليق من التأويل^(١)، والذين رووها هم الذين رووا لنا الصلوات الخمس وأحكامها، فإن صدقوا هنا صدقوا هناك، وإن كذبوا هنا كذبوا هناك، ولا تحصل الثقة بأحد منهم فيما يرويه.

وقد خرج البزار في مسنده^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن المؤمن إذا حُضر^(٣) أتته الملائكة بحريرة فيها مسك، وضباير^(٤) ريحان، فتُسل روحه كما تُسل الشعرة من العجين، فيقال^(٥): أيتها النفس المظمئة اخرجي ارضية مرضياً عنك إلى رُوحِ الله وكرامته، فإذا خرجت روحه وضعت إلى ذلك^(٦) المسك والريحان وطويت عليه الحريرة، وذهب به إلى

= على عرشه، ولا نقول كما قالت الجهمية: إنه ما هنا في الأرض. فقليل لأحمد بن حنبل، فقال: هكذا هو عندنا. العلو للذهبي ص(١٤٩)؛ وخلق أفعال العباد للإمام البخاري ص(٣١).

- وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي وأبا زرعة رحمهما الله عن مذهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركنا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان في ذلك؟ فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار: حجازاً وعراقاً ومصرأ وشاماً ويمناً فكان مذهبهم: أن الله تبارك وتعالى على عرشه بائن من خلقه كما وصف به نفسه بلا كيف. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي ١٧٦/١.

وبعد: فهذا نزر يسير من أقوال أئمة الإسلام في هذه المسألة، ولكن العجب كل العجب من أناس يتبعون هؤلاء الأئمة في فروع الدين والمسائل الفقهية ويخالفونهم في أصول الدين والمسائل العقديّة.

(١) لكن طريقة سلف الأمة وأئمتها: أنهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكليف ولا تمثيل. فيثبتون ما ثبت من الصفات بلا تمثيل وينزهونه تعالى بلا تعطيل، فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رد على الممثلة، وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رد على المعطلة. انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٥٣٢/٢.

(٢) لم أجد الحديث في مسند البزار المطبوع.

(٣) في (ظ): احتضر.

(٤) الضبايرة: الخُزْمة، القاموس المحيط ص(٥٤٩).

(٥) في (ع): ويقال لها. (٦) في (ع، ظ): على ذلك.

عليين، وإن الكافر إذا حضر^(١) أنه الملائكة بمسح فيه جمرة، فتنزع^(٢) روحه انتزاعاً شديداً، ويقال أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى هوان الله وعذابه^(٣)، فإذا خرجت روحه وضعت على تلك الجمرة، ويطوى عليها المسح، ويذهب بها إلى سجين^(٤).

قلت: وقوله في روح المؤمن: «الذهب^(٥) به إلى عليين»، هو معنى ما جاء^(٦) في حديث أبي هريرة المتقدم إلى السماء التي فيها الله، [و] الأحاديث يفسر بعضها بعضاً ولا إشكال^(٧).

وأما قوله في حديث محمد بن كعب أول الباب: «إذا استنقعت نفس المؤمن»، فقال شمر: لا أعرفه، وقال^(٨) الأزهري: يعني^(٩) إذا اجتمعت في فيه حين^(١٠) تريد أن تخرج كما يستنقع الماء في قراره^(١١)، والنفس: الروح ها هنا، حكاه الهروي^(١٢) والله أعلم^(١٣).

باب ما جاء في تلاقي الأرواح في السماء

والسؤال عن أهل الأرض وفي عرض الأعمال

ابن المبارك^(١٤) عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: إذا قبضت نفس

(١) في (ظ): احتضر.

(٢) في (ع): عقابه.

(٣) أورد هذا الحديث أبو الحجاج المزني في ترجمة قسامة بن زهير المازني إذ ان حديث من طريقه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، انظر: تهذيب الكمال ٦٠٢/٢٣ رقم ٤٨٧٩.

(٤) في (ع): يذهب.

(٥) في (ظ): وهو ما جاء.

(٦) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).

(٧) جاء في هذا الموضوع من الأصل تكرارٌ لما ذكره عن حديثه مع القاضي الذي لعن رواة الحديث الصحيح الذي سبق الحديث عنه، مع اختلاف في بعض العبارات.

(٨) في (ع، ظ): وسمعت.

(٩) في (الأصل): حتى، ونصويبه من (ع، ظ).

(١٠) انظر: تهذيب اللغة للأزهري ٢٦٥/١.

(١١) في التريبيين في القرآن والحديث له ١٨٨١/٦.

(١٢) جملة: والله أعلم، ليست في (ع، ظ).

(١٣) في الزهد له ص ١٤٩ - ١٥١، ح ١٤٤٣ قال ابن المبارك بعد إيراده للرواية: قال =

المؤمن تلقاه أهل الرحمة من عباد الله كما يتلقون^(١) البشير في الدنيا، فيقبلون عليه فيسألونه^(٢)، فيقول بعضهم لبعض: انظروا أحاكم حتى يستريح؛ فإنه كان في كرب شديد، قال: فيقبلون عليه فيسألونه ما فعل فلان؟ ما [٢١/ب] فعلت فلانة هلى تزوجت؟ فإذا سألوه عن الرجل قد مات قبله فيقول: إنه قد^(٣) هلك، فيقولون: إن لله وإنا إليه راجعون، ذهب به إلى أمه الهاوية فينست الأم، وينست المريية، قال: فتعرض^(٤) عليهم أعماله^(٥)، فإن^(٦) رأوا حسناً فرحوا،

= ابن صاعد: رواه سلام الطويل عن ثور فرعه. ١. ه؛ قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، وسلام هو الطويل، وقد أجمعوا على تضعيفه. ١. ه. العلل المتأهبة ٢/٩١٠ - ٩١١، ح ١٥٢٢.

قلت: وإن كان سند ابن المبارك متكلاً فيه، فقد وردت الجملة محل الشاهد - سؤال الموتى عن أخبار الأحياء - من طريق صحيح، فقد أخرج النسائي في المجتبى ٨/٤، ١٨٣٣ واللفظ له؛ وابن حبان في صحيحه ٧/٢٨٣، ح ٣٠١٣ كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «فيأتون به أرواح المؤمنين، فلهم أشد فرحاً به من أحدكم بغائبه يقدم عليه، فيسألونه ماذا فعل فلان؟ ماذا فعلت فلانة؟ فيقولون: دعوه فإنه كان في غم الدنيا، فإذا قال: أما أناكم؟ قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية»، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح سنن النسائي ٢/٣٩٥، ح ١٧٢٩. وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية: أرواح الموتى هل تجتمع بعضها ببعض أم لا؟ فأجاب رضي الله عنه: أرواح الأحياء إذا قبضت تجتمع بأرواح الموتى، وسأل الموتى القادم عليهم عن حال الأحياء، ثم ذكر الحديث السابق، قال: وصحح الحديث أبو محمد عبد الحق صاحب الأحكام، وأما أرواح الموتى فتجتمع الأعلى ينزل إلى الأدنى، والأدنى لا يصعد إلى أعلى، انظر: مجموع الفتاوى ٢٤/٣٠٣، ٣٦٨؛ وكتاب الروح لابن القيم، المسألة الثانية ص (١٧) وما بعدها.

- (١) في (ظ، الزهد): يلقون.
- (٢) في (ع، ظ): يسألونه، وفي (الزهد): ليسألوه.
- (٣) (قد): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع الزهد.
- (٤) في (م): فيعرض.
- (٥) في (ع، ظ، الزهد): أعمالهم، والأصل متوافق مع (م)، والصواب ما في الأصل؛ لأن الميت هو الذي تعرض أعماله عليهم، بدليل الجملة التي بعدها: «فإذا رأوا حسناً».
- (٦) في (ظ، الزهد): فإذا.

واستبشروا، وقالوا: اللهم هذه نعمتك على عبدك فأتمها، وإن رأوا شراً^(١)
قالوا: اللهم راجع بعبدك».

قال ابن المبارك^(٢): وحدثنا^(٣) صفوان بن عمرو قال: حدثني
عبد الرحمن بن جبير بن نفير^(٤): أن أبا الدرداء كان يقول: «إن أعمالكم
تعرض على موتاكم فيسرون، ويساؤون»، قال: يقول أبو الدرداء: اللهم إني
أعوذ بك أن أعمل عملاً يُخزى به عبد الله بن رواحة.

وفي رواية^(٥): «اللهم إني أعوذ بك من عمل تُخزيني به عند عبد الله بن
رواحه»^(٦).

قال ابن المبارك^(٧): وأخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الثقفي
قال: أخبرني عثمان بن عبد بن أوس أن سعيد بن جبير قال له: استأذن لي
على بنت^(٨) أخي، وهي زوجة عثمان، وهي ابنة عمرو بن أوس، فاستأذنت^(٩)
له عليها، فدخل عليها ثم قال: كيف^(١٠) يفعل^(١١) بك زوجك؟ قالت: إنه
إني^(١٢) لمحسن^(١٣) فيما استطاع، فالتفت إلي ثم قال: يا عثمان أحسن إليها
فإنك لا تصنع بها شيئاً إلا جاء عمرو بن أوس، فقلت^(١٤): وهل يأتي
الأموات أخبار الأحياء؟ قال: نعم ما [من]^(١٥) أحد له حميم إلا ويأتيه أخبار

(١) اللهم هذه نعمتك على عبدك فأتمها، وإن رأوا شراً: ليست في (ع).

(٢) في الزهد (الزوائد) ص(٤٢)، ح ١٦٥. (٣) في (ع): وأخبرنا.

(٤) في (الأصل): نصير، والتصويب من (ع)، ظ، م، والزهد، وتقريب التهذيب رقم (٩٠٤).

(٥) هذه الرواية ليست في (ظ). (٦) لم أجد هذه الرواية.

(٧) في الزهد (ص ١٥١)، ح ٤٤٧؛ وقوام السنة في الحجة في بيان المحجة ٣١١/٢.

(٨) في (ع، ظ): ابنة، والأصل متوافق مع الزهد.

(٩) في (الأصل): واستأذنت، وما ثبته من (ع، ظ، الزهد).

(١٠) كيف: ليست في (ع). (١١) في (الزهد): فعل.

(١٢) (إني): ليست في (ظ، الزهد).

(١٣) في (الأصل): المحسن، والتصويب من (ع، ظ، الزهد).

(١٤) في (ظ): فقال.

(١٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، الزهد).

أقاربه، فإن كان خيراً سرّ به وفرح وهنئ به، وإن كان شراً ابتأس وحزن به، حتى إنهم يسألون^(١) عن الرجل قد مات فيقال: ألم^(٢) يأتكم؟ فيقولون: لا^(٣) خولف به إلى أمه الهاوية.

وعن الحسن البصري رضي الله عنه قال: إذا^(٤) قبض^(٥) روح العبد المؤمن عُرج به إلى السماء فتلقاه أرواح المؤمنين فيسألونه فيقولون: ما فعل فلان؟ فيقال^(٦): أو لم يأتكم؟ فيقولون: لا والله ما جاءنا ولا مر بنا سئلك به إلى أمه الهاوية فبئست^(٧) الأم، وبئست العربية^(٨).

وقال وهب بن منبه^(٩): «إن لله في السماء السابعة داراً يقال لها البيضاء فيجتمع^(١٠) فيها أرواح المؤمنين، فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح فيسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل^(١١) الغائب أهله إذا قدم إليهم. ذكره أبو نعيم^(١٢) رحمته الله.

فصل

هذه الأخبار وإن كانت موقوفة فمثلها^(١٣) لا يقال من جهة الرأي، وقد

(١) في (ع): ليسألون.

(٢) في (ع): لم، وفي (ظ): أو لم، والأصل متوافق مع الزهد.

(٣) (لا): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م).

(٤) (إذا): ليست في (ظ). (٥) في (ع): قبض الله.

(٦) في (ع): فيقول. (٧) في (ظ): بئست.

(٨) أخرجه الحاكم في مستدركه ٥٨١/٢، ح ٣٩٦٨ وقال بعده: هذا حديث مرسل صحيح الإسناد.

(٩) وهب بن منبه بن كامل الصنعاني، العلامة الأخباري، مات سنة ١١٤هـ، سير أعلام النبلاء ٥٤٤/٤.

(١٠) في (ع، ظ): تجتمع.

(١١) في (ع): يسائل.

(١٢) في الحلبة ٦٠/٤.

(١٣) في (ع): فمنها، والأصل متوافق ع (م).

خرَجَ النسائي^(١) بسنده^(٢) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال الحديث وفيه: «فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحاً من أحدكم بغائبه، يقدم عليه^(٣) فيسألونه ما فعل فلان، ما فعلت فلانة؟ فيقولون: دعوه فإنه كان في غم الدنيا، فإذا قال: ما أتاكم؟ فيقولون^(٤): ذهب به إلى أمه الهاوية» وذكر الحديث، وسيأتي^(٥) بكما إن شاء الله تعالى.

وخرج الترمذي الحكيم في نوادر الأصول^(٦) [قال]^(٧): حدثنا أبي ﷺ قال: حدثنا قبيصة عن سفيان عن أبان بن أبي عيَّاش عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من الموتى، فإن كان خيراً استبشروا، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا [٢٢/أ] تمتهم حتى تهديهم لما هديتنا».

وخرج^(٨) من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «تعرض الأعمال يوم الاثنين ويوم^(٩) الخميس على الله تعالى، وتعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة، فيفرحون بحسناتهم، وتزداد وجوههم بياضاً ونشْرِقة^(١٠)، فاتقوا الله ولا تؤذوا أمواتكم^(١١)».

(١) في المجتبى ٨/٤، ح ١٨٣٣، وصححه الألباني: انظر: صحيح سنن النسائي ٢/٣٩٥؛ وابن حبان في صحيحه ٧/٢٤٨، ح ٣٠١٤ كلاهما من حديث أبي هريرة ﷺ باختلاف يسير.

(٢) في (ع): وأسنده.

(٣) في (ظ): عليهم.

(٤) في (ع): قالوا.

(٥) ص (٢٣٤).

(٦) ٢/٢٦٠، قال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف الجامع الصغير ص (٢٠١)، ح ١٣٩٦.

(٧) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٨) أي الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ٢/٢٦٠، قال الألباني: موضوع، انظر:

ضعيف الجامع الصغير ص (٣٦٠)، ح ٢٤٤٦.

(٩) (يوم): ليست في (ع).

(١٠) في (الأصل): شرقه، والتصويب من (ع، ض، م). وفي (نوادير الأصول): ونزهة.

(١١) في (ع): موتاكم.

(١٢) في (الأصل): ولا تؤذوا أمواتكم بأعمالكم، وما أثبتته من (ع، ض، م، نوادر الأصول).

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن أرواحكم إذا مات أحدكم تعرض على عشايركم وموتاكم، فيقول بعضهم لبعض: دعوه يستريح^(١) فإنه كان في كرب، ثم يسألونه ما عمل^(٢) فلان و^(٣) ما عملت^(٤) فلانة؟ فإن ذكر خيراً حمدوا الله واستبشروا، وإن كان شراً قالوا: اللهم اغفر له، حتى إنهم يسألونه^(٥) هل تزوج فلان هل تزوجت فلانة؟ قال: يسألونه عن رجل مات قبله فيقول: ذاك^(٦) مات قبلي أما مرّ بكم؟ فيقولون: لا والله، فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب به إلى أمه الهاوية، فبئست الأم، وبئست المربية، حتى إنهم يسألونه عن هر البيت^(٧)، ذكره الثعلبي^(٧).

وقد قيل في قوله ﷺ: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»^(٨) إنه هذا التلاقي، وقد قيل: تلاقي أرواح النيام والموتى^(٩)، وقد قيل^(١٠): غير ذلك^(١١)، والله تعالى أعلم بالصواب.

باب منه

روي من حديث ابن لهيعة عن بكر بن الأشج عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «الميت يؤذيه في قبره ما يؤذيه في بيته»^(١٢).

(١) في (ظ): ليستريح.

(٢) (الواو): ليست في (ع، ظ).

(٣) في (ظ): ليسألون.

(٤) في (ع): ذلك، وليست في (ظ).

(٥) أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق المفسر، كان أحد أوعية العلم، له كتاب التفسير الكبير، وكتاب المعرائس في قصص الأنبياء، توفي الثعلبي سنة ٤٢٧هـ، السير ٤٣٥/١٧.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/١٢١٣، ح ٣١٥٨؛ ومسلم ٤/٢٠٣١، ح ٢٦٣٨.

(٧) انظر: شواهد تلاقي أرواح النيام مع أرواح الموتى في كتاب الروح لابن القيم ص (٢٠).

(٨) في (ع، ظ): وقيل.

(٩) في (ع): أن.

(١٠) ذكره الغزالي بلفظ قريب من هذا في كشف علوم الآخرة ص (٤١)، ولم أجده في

دواوين السنة، قال السخاوي: يشهد له ما أخرجه أبو داود وابن ماجه مرفوعاً: كسر

عظم الميت ككسر عظمه حياً، المقاصد الحسنة ص (١٤٥)، ح ٢٥٨.

قيل: يجوز أن يكون الميت يُبلغ من أفعال الأحياء وأقوالهم ما يؤذيه^(١) في قبره^(٢) بلطفة يحدثها الله لهم^(٣) من ملك يبلغ، أو علامة، أو دليل، أو ما شاء الله، وهو القادر على ما يشاء^(٤).

وروي عن عروة^(٥) قال: وقع رجل في علي^(٦) ﷺ عند عمر بن الخطاب ﷺ، فقال له^(٧) عمر ﷺ: ما لك قبحك الله لقد آذيت رسول الله ﷺ في قبره^(٨).

قال العلماء^(٩): ففي هذا الحديث زجر عن سوء القول في الأموات^(١٠)، وفي الحديث أنه: نهى عن سب الأموات^(١١)، وزجر عن فعل ما كان يسؤوهم في حياتهم، وفيه أيضاً زجر عن عقوق الآباء والأمهات بعد موتهم بما يسؤوهم من فعل الحي.

فقد روي في الحديث أن رسول الله^(١٢) ﷺ كان يهدى لصدائق خديجة ﷺ صلة منها لها^(١٣)، وبراً^(١٤)، وإذا كان الفعل صلة وبراً

(١) في (الأصل): ما يؤذيه، والتصويب من (ع، ظ).

(٢) في قبره: ليست في (ع، ظ). (٣) لهم: ليست في (ظ).

(٤) الجواز المذكور ضمن هذا القول إن كان مبنياً على قدرة الله تعالى، فالله تعالى لا يعجزه شيء، وإن كان مبنياً على أنه جاء في الشريعة ما يدل عليه، فلا أعلم فيه إلا اختصاص به النبي ﷺ من تبليغ الملائكة له سلام المسلم من أمته، انظر: صحيح ابن حبان ١٩٥/٣، ح ١٩١٤؛ والحاكم في مستدركه ٤٥٦/٢، ح ٣٥٧٦، وأما غيره ﷺ فلم أقف على من قال به من سلف الأمة المحققين فضلاً عما يدل عليه.

(٥) ابن الزبير. (٦) في (ع): على بن أبي طالب.

(٧) له: ليست في (ظ).

(٨) روى الحاكم في المستدرک ١٣١/٣، ح ٤٦١٨ نحوه عن ابن عباس ﷺ.

(٩) في (ع): علماؤنا، ولم أقف على من قال به.

(١٠) في (ظ): زجر رسول الله ﷺ القول في الأموات.

(١١) انظر: صحيح البخاري ١/٤٧٠، ح ١٣٢٩.

(١٢) في (ع، ظ): النبي.

(١٣) في (ع): لهما، والصواب ما بالأصل؛ لأن الضمير يعود على مفرد.

(١٤) انظر: الحديث في صحيح البخاري ٣/١٣٨٨، ح ٣٦٠٥.

كان ضده عقوبة^(١) وقطعة، وعقوباً.

وقيل: يجوز أن يكون معنى الحديث: الميت يؤذيه في قبره ما كان يؤذيه في بيته إذا كان حياً، فتكون (ما) بمعنى (من)، وتكون كان مضمراً^(٢) في الكلام، والإشارة إلى الملك الموكل بالإنسان فقد ورد^(٣) في الخبر عن النبي ﷺ: «أن الملك يتباعد من^(٤) الرجل عند الكذبة يكذبها ميلين من تن ما جاء به^(٥)» [٢٢/ب]، وكذلك كل معصية لله تؤذي^(٦) الملك الموكل به، فيجوز أن يموت العبد وهو مُصر على معاصي الله غير تائب منها، ولا مكفر له عنه^(٧) خطاياها فيكون تمحيصه وتطهيره^(٨) بما^(٩) يلحقه من الأذى^(١٠) من تغليظ الملك إياه، أو تقريعه له، والله أعلم.

باب^(١١) في شأن الروح وأين تصير حين تخرج من الجسد

قال أبو الحسن القاسمي رحمه الله: الصحيح من المذهب والذي عليه أهل^(١٢) السنة^(١٣) أنها ترفعها الملائكة حتى توقفها بين يدي الله تعالى، فيسألها فإن

(١) (عقوبة): ليست في (ع، ظ).

(٢) في (ع): روي.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه ٣٤٨/٤، ح ١٩٧٢ وقال الترمذي: هذا حديث حسن جيد غريب، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير ٩٧/٢، ح ٨٥٣، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق ص (٥٣)، قال الألباني: ضعيف جداً، انظر: ضعيف الترمذي ص (٢٢٢ - ٢٢٣)، ح ٣٢٧.

(٤) في (ظ): يؤذى بها.

(٥) في (ظ): تطهره.

(٦) في (ع): الأذى.

(٧) وفي (م): باب منه في شأن الروح وأين تصير حين تخرج من الجسد.

(٨) (أهل): ليست في (ظ).

(٩) بحث الإمام ابن قيم الجوزية عليه رحمة الله مسألة استقرار الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة بتوسع في كتابه الروح (ص ٩٠) وما بعدها، فذكر اختلاف الأقوال فيها بأدلتها، وتفنيدها بالباطل منها، والجمع والربط بين أقوال أهل العلم في ذلك، ثم قال: فإن قيل فقد ذكرت أقوال الناس في مستقر الأرواح وما أخذهم فما هو الراجح من هذه الأقوال حتى نعتقد؟ قال رحمه الله: قيل: الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوتاً =

- فمئتا أرواح في أعلى عيين في الملاء الأعلى وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء، ومنها أرواح في حواصل طير خضر نسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم، بل من الشهداء من يحبس عن دخول الجنة لذنبٍ عليه أو غيره كما في المسند أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لي إن قُتلت في سبيل الله؟ قال: الجنة، فلما وثى قال: إلا اللذين سألني به جبريل آنفاً - أحمد في المسند ٤/ ٣٥٠، ح ١٩١٠٠، ومسلم ٣/ ١٥٠٢، ح ١٨٨٦ - ومنهم من يكون محبوساً على باب الجنة كما في الحديث الآخر: «رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة» - أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٣، ح ٢٠١٦٩، والطبراني في الكبير ٧/ ١٧٨، ح ٦٧٥١ - ومنهم من يكون محبوساً في قبره كحديث صاحب الشملة التي عليها ثم استشهد فقال الناس: هينئاً له الجنة، فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده إن الشملة التي عليها لتشتعل عليه ناراً في قبره - أخرجه البخاري ٤/ ١٥٤٧، ح ٣٩٩٣، ومسلم ١/ ١٠٨، ح ١١٥ - ومنهم من يكون مقره باب الجنة كما في حديث ابن عباس: الشهداء على نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية. رواه أحمد - في المسند ١/ ٢٦٦، ح ٣٩٠؛ والطبراني في الكبير ١٠/ ٣٣٣، ح ١١٠٨٢٥، والحاكم في المستدرک ٢/ ٨٤، ح ٢٤١٣، وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب حيث أبدله الله من يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء. ومنهم من يكون محبوساً في الأرض لم تمل روحه إلى الملاء الأعلى فإنها كانت روحاً سفلية أرضية، فإن النفس الأرضية لا تجامع الأنفس السماوية كما لا تجامعها في الدنيا، والنفس التي لم تكتسب في الدنيا معرفة ربها ومحبة والأنس به والتقرب إليه، بل هي أرضية سفلية لا تكون بعد المفارقة لبدينها إلا هناك، كما أن النفس العلوية التي كانت في الدنيا عاكفة على محبة الله وذكره والتقرب إليه والأنس به تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها، فالمرء مع من أحب في البرزخ ويوم القيامة، والله تعالى يزوج النفوس بعضها ببعض في البرزخ ويوم المعاد، ويجعل روحه يعني المؤمن مع النسم الطيب أي الأرواح الطيبة المشاكلة لروحه، فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وأخوانها وأصحاب عملها فتكون معهم هناك. ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزواني، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلثم الحجارة. فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد، ولا تظن أن بين الآثار الصحيحة في هذا الباب تعارضاً فإنها كلها حق بصدق بعضها بعضاً، ولكن الشأن في فهمها ومعرفة النفس وأحكامها وأن لها شأناً غير البدن وأنها مع كونها في الجنة فهي في السماء وتتصل بفناء القبر ويبدن فيه وهي أسرع شيء حركة وانتقالاً وصعوداً وهبوطاً، وأنها تنقسم إلى مرسله ومحبوسة، وعلوية وسفلية ولها بعد المفارقة =

كانت من أهل السعادة قال لهم: سيروا بها وأروها مقعدها^(١) من الجنة، فيسيروا^(٢) بها في الجنة على قدر ما يغسل الميت، فإذا غسل الميت^(٣)، وكفن ردت، وأدرجت^(٤) بين كفنه وجسده، فإذا حُمِلَ على النعش فإنه يسمع كلام الناس من تكلم بخير، ومن تكلم بشر، فإذا وصل إلى قبره وصلي عليه ردت^(٥) فيه الروح، وأقعد ذا روح وجسد، ودخل عليه الملكان الفتانان على ما يأتي^(٦).

وعن عمرو بن دينار^(٧) قال: ما من ميت يموت إلا وروحه^(٨) في يد^(٩) ملك ينظر إلى جسده كيف^(١٠) يُغسل، وكيف يكفن، وكيف يمشى به، فيجلس في قبره. قال داود^(١١): وزاد في هذا الحديث قال: يقال له وهو على سريره: اسمع ثناء الناس عليك، ذكره أبو نعيم الحافظ^(١٢) في باب عمرو.

وقال أبو حامد في كتاب كشف علم الآخرة^(١٣): فإذا قبض الملك النفس السعيدة تناولها ملكان^(١٤) حسان الوجوه، عليهما أثواب حسنة، ولهما رائحة طيبة فيلقونها في حريرة من حرير الجنة وهي^(١٥) على قدر النحلة شخص إنساني

= صحة ومرضى ولذة ونعيم وألم أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن. وانظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٥٨٩/٢.

- (١) في (ظ): فأروها مقعده.
- (٢) في (الأصل): فيسير، والتصويب من (ع، ظ، م).
- (٣) (الميت): ليس في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م).
- (٤) (وأدرجت): ليست في (ظ). (٥) في (ع): ردت.
- (٦) انظر: ص (٣٤٨).
- (٧) الحافظ، أبو محمد الجُمَحي مولاهم المكي، سمع من ابن عباس وجابر بن عبد الله وابن عمر وغيرهم، توفي سنة ١٢٦هـ، تذكرة الحفاظ للذهبي ١١٣/١ رقم ٩٨.
- (٨) في (ع، ظ): روحه.
- (٩) في (ظ): يدي.
- (١٠) في (الأصل، ظ): وكيف، وما أثبت من (ع، ومصدر المؤلف).
- (١١) هو: داود بن عبد الرحمن العطار، الراوي عن عمرو بن دينار.
- (١٢) في حلية الأولياء ٣/٣٤٩.
- (١٣) الدررة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، لأبي حامد الغزالي ص (٢٣ - ٣٤).
- (١٤) في (ع): ملكين، وهو خطأ نحوي، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.
- (١٥) في (ع، ظ): وهو، والأصل متوافق مع المصدر.

ما فقد من عقله، ولا من علمه^(١) المكتسب^(٢) في^(٣) دار الدنيا [شيئاً]^(٤)، فيعرجون^(٥) به^(٦) في الهواء فلا يزال يمر^(٧) بالأمم السائفة، والقرون الخالية كأمثال الجراد المنتشر، حتى تنتهي إلى سماء^(٨) الدنيا، فيقرع الأمين الباب، فيقال للأمين: من أنت؟ فيقول: أنا صلصائيل، وهذا فلان معي بأحسن أسمائه، وأحبها إليه، فيقولون^(٩): نعم الرجل فلان^(١٠) وكانت عقيدته غير شاك^(١١)، ثم ينتهي إلى السماء الثانية فيقرع الأمين الباب فيقال له^(١٢): من أنت؟ فيقول مقالته الأولى، فيقولون: أهلاً وسهلاً بفلان^(١٣) كان محافظاً على صلواته^(١٤) بجميع فرائضها، ثم يمر^(١٥) حتى تنتهي إلى السماء الثالثة فيقرع الأمين فيقال له: من أنت؟ فيقول الأمين مقالته الأولى والثانية، فيقال: مرحباً بفلان كان يراعي الله في حق ماله، ولا يتمسك منه بشيء، ثم يمر حتى تنتهي إلى السماء الرابعة فيقرع الأمين الباب فيقول: من أنت؟ فيقول كدأبه في مقالته، فيقال: أهلاً بفلان كان يصوم فيحسن الصوم، ويحفظه من أدران الرقت، وحرام الطعام، ثم تنتهي^(١٦) إلى السماء الخامسة فيقرع الأمين الباب فيقال: من أنت؟ فيقول كعادته، فيقال: أهلاً وسهلاً بمن^(١٧) أدى حجة الله [٢٣/أ] الواجبة من غير سمعة، ولا رياء، ثم ينتهي إلى السماء السادسة فيقرع الأمين الباب فيقال: من

- (١) في (ظ): علمه.
 (٢) في (ع)، ومصدر المؤلف: له في.
 (٣) ما بين المعقوفين من (مصدر المؤلف) فقط.
 (٤) في (مصدر المؤلف): فيعرجان. (٦) في (ع): بها.
 (٧) في (ع، ظ): فلا يزال تمر، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.
 (٨) في (الأصل): السماء، وما أثبتته من (ع، ظ، ومصدر المؤلف).
 (٩) في (ع): فيقول.
 (١٠) في (ع، ومصدر المؤلف): كان فلان.
 (١١) يكثر أشك عند أهل الكلام ومن سلك سبيل الفلاسفة.
 (١٢) (له): ليست في (ظ). (١٣) (بفلان): ليست في (ع).
 (١٤) في (ظ، ومصدر المؤلف): صلواته. (١٥) في (ظ): تمر.
 (١٦) في (ع): ينتهي.
 (١٧) (بمن): ليست في (ع)، وفي مصدر المؤلف: بفلان أدى.

أنت؟ فيقول الأمين كذابه في مقالته، فيقال: مرحباً بالرجل الصالح، والنفوس الطيبة كان كثير البر بوالديه، فيفتح له الباب ثم ينتهي^(١) إلى السماء السابعة فيقرع الباب فيقال: من أنت؟ فيقول الأمين مقالته^(٢) فيقال: مرحباً بفلان كان كثير الاستغفار بالأسحار، ويتصدق في السر، ويكفل الأيتام، ثم يفتح له^(٣) حتى تنتهي إلى سرادقات الجلال فيقرع الباب فيقال له: من أنت فيقول الأمين مثل قوله، فيقال: أهلاً وسهلاً بالعبد الصالح، والنفوس الطيبة كان كثير الاستغفار، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويكرم المساكين، ويمر بملاً من الملائكة كلهم يبشرونه بالخير، ويصافحونه حتى تنتهي إلى سدرة المنتهى فيقرع الباب فيقال له: من أنت؟ فيقول الأمين كذابه في مقالته، فيقال: أهلاً وسهلاً بفلان كان عمله عملاً صالحاً لوجه الله تعالى، ثم يفتح له فيمر في بحر من نار، ثم يمر في بحر من نور، ثم يمر في بحر من ظلمة، ثم يمر في بحر من ماء، ثم يمر في بحر من ثلج، ثم يمر في بحر من برد طول كل بحر منها ألف عام ثم تخترق الحجب المضروبة على عرش الرحمن وهي ثمانون ألفاً من الشَّرادِقِ^(٤) لكل سرادق ثمانون ألف شرافة^(٥) على كل شرافة ثمانون ألف قمر يهليل الله ويسبحه ويقده، لو برز منها قمر واحد إلى سماء^(٦) الدنيا لعبد من دون الله ولأحرقها نوراً^(٧)، فحينئذ يُنادى من^(٨) الحضرة القدسية^(٩) من وراء أولئك السرادقات^(١٠) من هذه النفوس التي جثتم بها؟ فيقال: فلان بن فلان،

(١) في (ج، ومصدر المؤلف): ثم يمر حتى ينتهي.

(٢) في (ظ): مثل مقالته. (٣) في (ظ): يفتح له الباب.

(٤) في (ظ): السرادقات، وفي مصدر المؤلف: ثمانون ألف سرادق، والشَّرادِق: كل ما أحاط بشيء، انظر: لسان العرب ١٥٧/١٠.

(٥) الذي يظهر أن الشرافة هي الشرفة، وهي أعلى الشيء، وشرفة القصر: أعاليه، ومكان مشرف: عالٍ، انظر: الصحاح ١٣٨٠/٤؛ ولسان العرب ١٧٠/٩ - ١٧١.

(٦) قمر واحد إلى سماء الدنيا: ليست في (ع).

(٧) في (ظ): قال. (٨) (من): ليست في (ظ).

(٩) القدسية: ليست في (ظ).

(١٠) في (ع): الشرافات، وفي (ظ): تلك السرادقات، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.

فيقول الجليل عليه السلام: قريوه فنعم العبد كنت يا عبدي، فإذا أوقفه بين يديه الكريمتين أحجله ببعض اللوم والمعاتبة حتى يظن أنه قد هلك، ثم يعفو عنه^(١).

كما روي عن يحيى بن أكنم^(٢) القاضي وقد رثي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه^(٣) ثم قال: يا شيخ السوء^(٤)، فعلت كذا وفعلت كذا؟ فقلت: يا رب ما بهذا^(٥) حدثت عنك، قال: فبماذا^(٦) حدثت عني يا يحيى؟ فقلت: حدثني الزهري عن معمر عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ عن جبريل عنك، سبحانك إنك قلت: إنني لاستحيي أن أعذب شيبة^(٧) شابت في الإسلام^(٨)، فقال^(٩): يا يحيى صدقت، وصدق الزهري، وصدق معمر، وصدق عروة، وصدق عائشة، وصدق محمد، وصدق جبريل^(١٠)، وقد^(١١) غفرت لك^(١٢).

(١) هذا الذي ذكره أبو حامد لا وجود له في شيء من دواوين السنة النبوية: الصحيحة منها والضعيفة، وما ذكره من الغيبات التي فيه لا نعتقد إلا بدليل صحيح يدل عليها، وقد سبق تعليق ابن حجر على ما يورده الغزالي في كشف علوم الآخرة ص(١٥٧).

(٢) يحيى بن أكنم بن محمد بن قطن التميمي المروزي. وولي القضاء في عهد المأمون، توفي سنة ٢٤٢هـ، السير ٥/١٢.

(٣) في (ع، ومصدر المؤلف): يديه الكريمتين.

(٤) ينزه الله تبارك وتعالى عن مثل هذا القول، وهذا يدل على وضع وكذب مثل هذه المنامات.

(٥) في (الأصل): ما كذا، وما أثبتته من (ع، ظ، ومصدر المؤلف).

(٦) في (ع): فما، وفي (ظ): فيما، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.

(٧) في (ع، ظ): أعذب ذا شيبة، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.

(٨) في (ظ): فضحك.

(٩) في (ظ): فقال سبحانه.

(١٠) في (ظ، من الهامش): عليه الصلاة والسلام وصدقت أنت، وصدقت أنا، اذهب.

(١١) في (ظ): فقد.

(١٢) لم أجد هذا الحديث، وهو من مرويات أبي حامد الغزالي في كشف علوم الآخرة ص(٢٧ - ٢٨)، وتشتمل هذه الرواية على أمور غيبية لا تثبت إلا بخير الله تعالى أو خير رسوله ﷺ عنها بالسند الصحيح، ورواية الغزالي هذه ليست كذلك، بل علامات الرضع يادية عليها.

وعن ابن نباتة^(١) وقد رثي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال^(٢): أوقفني بين يديه الكريمتين وقال: أنت الذي تلخص^(٣) كلامك حتى يقال ما أفصحه، قلت: سبحانك، إني^(٤) كنت أصفك، قال: قل كما كنت تقول [في دار الدنيا]^(٥)، قلت: أبادهم الذي خلقهم، وأسكتهم الذي أنطقهم، وسيجمعهم كما فرقهم^(٦)، قال لي: صدقت اذهب^(٧) فقد غفرت لك^(٨).

وعن منصور بن عمار^(٩) أنه رثي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال^(١٠): أوقفني بين يديه وقال لي: بماذا جتني يا منصور^(١١)؟ قلت [٢٣/ب]: بست^(١٢) وثلاثين حجة، قال: ما قبلت منها شيئاً، ولا واحدة، ثم قال: بماذا جتني^(١٣)؟ قلت^(١٤): بثلاثمائة وستين ختمة للقرآن، قال: ما قبلت منها واحدة، قال: فبماذا جتني يا منصور^(١٥)، قلت: جئتك بك، قال سبحانه:

(١) الخطيب بن نباتة الحذاء، وقيل إياد الفارقي، خطيب حلب في أيام سيف الدولة بن حمدان، البداية والنهاية لابن كثير ٣٢٣/١١.

(٢) في (ظ): قال.

(٣) في (ع، ظ، ومصدر المؤلف): تلخص، والأصل متوافق مع نسخة من نسخ مصدر المؤلف.

(٤) (أني): لست في (ظ).

(٥) ما بين الممقوتين من (ع، ظ، مصدر المؤلف).

(٦) من قوله: أبادهم الذي خلقهم.. إلى هذا الموضع ذكره عنه ابن كثير في البداية والنهاية ٣٢٣/١١.

(٧) (اذهب): لست في (ظ).

(٨) ذكره الغزالي في كشف علوم الآخرة ص(٢٨).

(٩) منصور بن عمار بن كثير، الخراساني، الواعظ، قال الذهبي: لم أجد وفاة لمنصور، وكأنها في حدود المتبين، سير أعلام النبلاء ٩٣/٩.

(١٠) في (ع): فقال. (١١) في (ظ): يا عمار.

(١٢) في (ع، ظ): ستة، وهو خطأ نحوي؛ لأن المعدود مؤنث فيذكر معه العدد من ثلاثة إلى عشرة، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف وقواعد العربية.

(١٣) في (ظ): يا عمار. (١٤) في (ظ): فقلت.

(١٥) في (ظ): يا عمار.

الآن^(١) جتني اذهب فقد غفرت لك^(٢).

ومن الناس من إذا انتهى إلى الكرسي سمع النداء ردوه^(٣) فمنهم من يُرد من الحجب، وإنما^(٤) يصل إلى الله عارفوه^(٥).

فصل

وأما الكافر فتؤخذ نفسه عتقاً^(٦) فإذا وجهه كأكل الحنظل والمَلَك يقول:
أخرجي أيتها النفس الخبيثة من الجسد الخبيث، فإذا له صراخ أعظم^(٧) ما

(١) (الآن): ليست في (ظ).

(٢) ذكره الغزالي في كشف علوم الآخرة ص(٢٨).

(٣) في (ظ): رد.

(٤) في (ظ): إنما.

(٥) جملة: (إنما يصل إلى الله عارفوه)، من كلام الغزالي، وهي من مصطلحات ومنازل السير الصوفي عند أهل وحدة الوجود والاتحاد بالله تعالى وذلك من خلال التدرج في السلم الصوفي من مريد إلى أن يصل الواحد منهم إلى مرحلة قوله للشيء: كن فيكون، كما زعموا، وهي مرحلة الوصول عندهم إلى ذات الله تعالى أو انقناء فيها، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وهي عقيدة خبيثة مصدرها الفلاسفة القديمة التي تزعم أن الوجود كله صادر أو منبعث عن الله تعالى، ثم تلقاها عنهم من انتسب إلى الإسلام من الفلاسفة كابن سينا، وابن سبعين، وابن عربي صاحب الفصوص، وعبد الكريم الجيني، والحلاج وغيرهم، ولكي تنظلي هذه العقيدة الخبيثة على المسلمين وضعوا لها أحاديث التور المحمدي الذي زعموا أنه مخلوق من نور الله تعالى، وأن الوجود كله بعد ذلك خُلِق من النور المحمدي، فلما نأصل عندهم أنهم مخلوقون من النور المحمدي وأن النور المحمدي مخلوق من نور الله تعالى، وأنهم بذلك جزء من الذات الإلهية سلكوا مسلك النطهر وانتخض من كثافة البدن، عن طريق المجاهدات والرياضات والزهد الصوفي، بالجوع والسهر والانقطاع في الخلوات والقلوات لتكون نفوسهم مهينة للرجوع إلى الذات الإلهية بزعمهم، فلما زعم بعضهم الوصول إلى ذات الله تعالى صدر عنهم نتيجة لذلك دعوى الألوهية والربوبية: كقول أبي يزيد البسطامي: ما في الحجة إلا الله، وقوله: سبحاني سبحاني أنا ربي الأعلى، وقول الحلاج: أنا أنت بلا شك فسبحانك سبحاني، وتوحيدك توحيدتي وعصيانك عصياني، إلى غير ذلك من أنواع الكفر والضلال. انظر هذا الموضوع بشيء من التوسع في كتاب: خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجهلاء لمقيد ص(٩٣ - ١١٩).

(٦) (عتقاً): ليست في (ظ).

(٧) في (ظ): صراخ عظيم أعظم.

يكون كصراخ الحمير فإذا قبضها عزرائيل^(١) ناولها^(٢) زبانية قباح الوجوه، سود الثياب، منتنو الرائحة، بأيديهم مسوح من شعر، فيلقونها فتستحيل شخصاً إنسانياً على قدر الجراة، فإن الكافر أعظم جرمًا من المؤمن، يعني في الجسم في الآخرة.

وفي الصحيح: «أن ضرس الكافر في النار مثل أحد»^(٣)، فيعرج به حتى ينتهي إلى سماء الدنيا، فيقرع الأمين الباب، فيقال من أنت؟ فيقول^(٤): أنا دقيانيل؛ لأن اسم الملك الموكل على زبانية العذاب دقيانيل، فيقال: من معك؟ فيقول: فلان بن فلان بأقبح أسمائه وأبغضها إليه في دار الدنيا، فيقال: ^(٥): لا أهلاً ولا سهلاً ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمُ^(٦) أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فإذا سمع الأمين^(٧) هذه المقالة طرحه من يده^(٨) فتهوي به الريح في مكان سحيق، أي: بعيد، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفُهَا الطَّيْرُ أَوْ نَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيحٍ﴾ [الحج: ٣١]، فإذا انتهى إلى الأرض ابتدرته الزبانية، وسارت به إلى سجين وهي: صخرة عظيمة تأوي إليها أرواح الفجار، وأما النصارى واليهود فمردودون من الكرسي

(١) تسمية ملك الموت بعزرائيل تسمية إسرائيلية، فقد وقفت على أثرين إسرائيليين الأول: رواه أبو محمد عبد الله بن محمد الأصبهاني في كتابه العظمة ٣/٩٠٨ - ٩٠٩، ح ٤٤٣، دار العاصمة بالرياض ط. سنة ١٤٠٨هـ؛ والثاني: ذكره السيوطي عن وهب بن منبه في كتابه الديباج ٥/٣٥٨، ح ٣٢٧٢، دار ابن عفان بالخبر ط. سنة ١٤١٦هـ. أما الذي ورد في الكتاب والسنة فسميته: بملك الموت، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتُوفَنكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، أما في السنة فأكثر من أن يحصر.

(٢) في (ع): تناولها.

(٣) في صحيح مسلم باختلاف يسير ٤/٢١٨٩، ح ٢٨٥١.

(٤) في (الأصل): فيقال، والتصويب من (ع)، ظ، مصدر المؤلف.

(٥) في (ع): فيقال له.

(٦) في (الأصل، ظ، مصدر المؤلف): ولا تفتح له، وفي (ع)، ونسخة أخرى من مصدر المؤلف): ولا تفتح لهم، والتصويب من المصحف.

(٧) في (ظ): الأمين سمع.

(٨) في (ع): من يده في الهواء، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.

إلى قبورهم، هذا ممن كان^(١) على شريعته، ويشاهد غسله، ودفنه، وأما المشرك فلا يشاهد^(٢) شيئاً من ذلك؛ لأنه قد هوي به، وأما المنافق فمثل^(٣) الثاني يُرد ممقوتاً، مطروداً إلى حفرته، وأما المقصرون المؤمنون فتختلف أنواعهم: فمنهم من ترده صلاته؛ لأن العبد إذا قصر في صلاته سارقاً لها تُلف كما يُلف الثوب الخلق، ويضرب^(٤) بها وجهه، ثم تعرج وهي تقول: ضيعك الله كما ضيعتني، ومنهم من ترده زكاته؛ لأنه إنما يزكي ليقال فلان متصدق، وربما وضعها عند النسوان [فاستجلب بها محبتهن]^(٥)، ولقد رأينا عاقانا الله مما حلّ به، ومن الناس من يرده صومه؛ لأنه صام عن الطعام ولم يصم عن الكلام فهو روث وخسران فخرج الشهر [عنه]^(٦) وقد بهرجه^(٧)، ومن الناس من يرده حججه؛ لأنه إنما حج ليقال فلان حج، أو يكون حج بمال خبيث، ومن الناس من يرده العقوق وسائر أحوال البر كلها لا يعرفها إلا العلماء بأسرار المعاملات، وتخليص^(٨) العمل للملك الوهاب، فكل هذه المعاني جاءت بها الآثار، والأخبار كالخبر الذي رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه في رد الأعمال وغيره، فإذا زدت النفس إلى الجسد ووجدته قد أخذ في غسله إن كان قد غسل فتقعد عند رأسه حتى يغسل فإذا^(٩) أدرج الميت في أكفانه صارت [٢٤/أ]^(١٠)

(١) في (ع): كان منهم.

(٢) في (الأصل): فمثل، والتصويب من (ع، ط، و) مصدر المؤلف.

(٣) في (ع): فيضرب.

(٤) ما بين المعقوفين من (ط، و) مصدر المؤلف.

(٥) ما بين المعقوفين من (ع، و) مصدر المؤلف.

(٦) في (الأصل): هرجه، والتصويب من (ع، ط، و) مصدر المؤلف. وفي الصحاح ٣٠٠/١:

التهزج: الباطل والبردي من الشيء. والكلمة مُعْرَبَةٌ من الفارسية، وقيل من الهندية، انظر:

النهاية في غريب الحديث ١/١٦٦. قلت: والعمامة نستعمل الآن كلمة: بهرج بمعنى

التزيين، فنقول: شيءٌ مُتَهَزَّجٌ أي مُزَيَّنٌ، ويهرجه إذا زينه، والمعنى لا يبعد عن الاستعمال

الأول؛ فلولا أن الشيء كان باطلاً أو رديئاً لما احتاج إلى أن يُزَيَّنَ ويُحَسَّنَ.

(٨) في (ع): يحصل العمل الذي.

(٩) في (الأصل): وإذا، والتصويب من (ع، ط، و) مصدر المؤلف.

(١٠) في (ط): صارت الروح.

ملتصقة^(١) بالصدر من خارج الصدر ولها خوار^(٢)، وعجيج^(٣) تقول: أسرعوا بي إلى أي رحمة^(٤) لو علمتم^(٥) ما أنتم حاملوني إليه، وإن كان بشر بالشقاء تقول: رويداً إلى [أي]^(٦) عذاب^(٧) لو علمتم^(٨) ما أنتم حاملوني إليه، فإذا أدخل^(٩) إلى القبر، وهيل عليه التراب ناداه القبر: كنت تفرح على ظهري فالיום^(١٠) تحزن في بطني: كنت تأكل الألوان على ظهري فالآن^(١١) تأكلك الديدان في بطني، ويكثر عليه مثل^(١٢) هذه الألفاظ الموبخة حتى يسأوى^(١٣) عليه التراب، ثم يناديه ملك يقال له رومان وهو أول ما يلقي الميت إذا دخل^(١٤) قبره^(١٥) على ما يأتي^(١٦) بيانه إن شاء الله تعالى.

باب كيفية التوفي للموتى واختلاف أحوالهم في ذلك

ذكر الله تعالى التوفي في كتابه مجماً ومفصلاً، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ نَوَّوْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٢]، وقال: ﴿قُلْ بِرَبِّكُمْ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، وقال: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، وقال: ﴿الَّذِينَ نَوَّوْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النحل: ٢٨]، فهذا كله مجمل وقد

- (١) في (الأصل): ملتصقة، والتصويب من (ع، ظ).
- (٢) في (الأصل): خوار، والتصويب من (ع، ظ)، والكلمة ليست في مصدر المؤلف. قال الجوهري: خار الثور إذا صاح، الصحاح ٦٥١/٢.
- (٣) المعج: رفع الصوت، الصحاح ٣٢٧/١.
- (٤) في (ظ): أسرعوا بي إلى رحمة ربي.
- (٥) في (ع، ظ): لو تعلمون، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.
- (٦) ما بين المعقوفين من (ع، ظ، مصدر المؤلف).
- (٧) في (ظ): العذاب.
- (٨) في (ع، مصدر المؤلف): لو تعلمون.
- (٩) في (ظ): أدخل الميت.
- (١٠) في (ع، مصدر المؤلف): فالיום، وفي (ظ) والآن.
- (١١) في (ع، ظ): يكثر عليه من مثل، والأصل متوافق مع مصدر المصنف.
- (١٢) في (ع): يسأوى.
- (١٣) في (ظ): أدخل.
- (١٤) انتهى هنا النقل أنطويل من كتاب كشف علوم الآخر.
- (١٥) ص(٣٥٣).

بينه النبي ^(١) ﷺ على ما يأتي إن شاء الله تعالى ^(٢)، وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَصْرُخُونَ وَجُوهُهُمْ وَأُذُنُهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٠] ^(٣)، قالوا: وهذا مخصوص ^(٤) بمن قُتل من الكفار يوم بدر باتفاق أهل التأويل فيما قاله بعض علمائنا ^(٥)، وقد ذكر المهدي ^(٦) وغيره في ذلك خلافاً ^(٧)، وأن الكفار حتى الآن يتوفون بالضرب والهوان، والله أعلم.

وروى مسلم ^(٨) من ^(٩) حديث فيه طول قال أبو زُمَيْل ^(١٠) فحدثني ابن عباس قال: «بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذا سمع ضربة بالسوط فوفه ^(١١)، وصوت الفارس يقول: أقدم خَيْرُوم، إذ نظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه ^(١٢)، وشق وجهه كضربة ^(١٣) السوط فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت ذلك من مدد السماء الثانية»، فقتلوا يومئذ سبعين، وأسروا سبعين»، وذكر ^(١٤) الحديث.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ أُنزِلَتِ فِي عَمَزَاتِ النَّوَىٰ وَالْمَلَائِكَةُ بِأَيْسُلُوا

- (١) في (ع): رسول الله ﷺ.
- (٢) (إن شاء الله تعالى): ليست في (ظ) وانظر حديث مسلم التالي.
- (٣) في (ع): زيادة هذه الآية: وقال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُ الْمَلَائِكَةُ يَصْرُخُونَ وَجُوهُهُمْ وَأُذُنُهُمْ﴾.
- (٤) قاتوا: ليست في (ع، ظ).
- (٥) في (ع): العلماء، انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٨٩/٨، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.
- (٦) لم أقف على تعيينه.
- (٧) في (ع): اختلافاً كثيراً.
- (٨) في الصحيح ٣/١٣٨٣، ح ١٧٦٣.
- (٩) في (ع): في.
- (١٠) يسمك بن الوليد الحنفي الكوفي، أبو زُمَيْل، روى عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما، السير ٥/٢٤٩.
- (١١) (فوفه): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م، و) صحيح مسلم.
- (١٢) من خطمت البعير: إذا رسمته بالكني بخط من الأنف إلى أحد خديه، انظر: الفائق في غريب الحديث ١/٣٨٢.
- (١٣) في (ع): بضربة، والأصل متوافق مع (م، و) صحيح مسلم.
- (١٤) في (الأصل): وذكروا، والتصويب من (ع، ظ، م).

أَيُّدِيهِمْ ﴿ أَيُّ بِالْعَذَابِ ﴾ ﴿ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وقد زادت السنة هذا النوع بياناً على ما يأتي^(١).

فصل

إن قال قائل: كيف الجمع بين هذه الآي، وكيف يقبض ملك الموت في زمن واحد أرواح من يموت بالمشرق والمغرب؟ قيل له: اعلم أن التوفي مأخوذ من توفيت الدين واستوفيته إذا قبضته ولم تدع منه شيئاً، فتارة يضاف إلى ملك الموت لمباشرته ذلك، وتارة إلى أعوانه من الملائكة؛ لأنهم قد يتولون^(٢) ذلك أيضاً، وتارة إلى الله تعالى وهو المتوفي على الحقيقة كما قال الله^(٣) ﴿ إِنَّكَ أَتَى اللَّهُ بِمُوسَى الْوَيْلَ مِنَ الْمَلَأِكِمْ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [الأنعام: ٢٥]، وقال: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مَدْيَنَ إِلَى مِصْرَ ﴾ [الأنعام: ٦٦]، وقال: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ [الملك: ٢]، فكل مأمور من الملائكة فإنما يفعل ما يفعل بأمره.

قال الكلبي^(٧): يقبض ملك الموت الروح والجسد ثم يُسلمها إلى ملائكة الرحمة إن كان مؤمناً وإلى ملائكة العذاب إن كان كافراً^(٨). وهذا المعنى منصوص في حديث البراء وسيأتي^(٩).

وفي الخبر^(١٠) عن النبي ﷺ: «أن ملك الموت ليهيب بالأرواح كما يهيب أحدكم بقلوه أو فصيله ألا هلُمَّ ألا هلُمَّ»، يهيب: يدعوه، يقال: أهاب

(١) انظر الفصل التالي.

(٢) في (الأصل): يتناولون والتصويب من (ع، ظ).

(٣) لفظ انجلالة ليس في (ع، ظ).

(٤) في (ظ): زيادة: ﴿ وَالَّذِي لَمْ يَكُنْ فِي مَنَابِعِهَا ﴾.

(٥) في (الأصل): (ع): هو، وتصويبها من المصحف (و(ظ)).

(٦) في جميع النسخ بما فيها المسودة: يحييكم، وتصويبها من المصحف.

(٧) أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي، الأختياري المفسر، توفي سنة ١٤٦هـ، سير أعلام النبلاء ٢٤٨/٦.

(٨) لم أقب على توثيق لقوله. (٩) انظر: ص(٣٥٢).

(١٠) لم أجد هذا الخبر عند غير المؤلف، حيث أورده في تفسيره ٧/٧ ققرة ٧.

الرجل بغنمه: أي صاح بها لتقف، أو لترجع، وأهاب بالبعير.

قال^(١) طرفة^(٢) يصف ناقته:

لتريع^(٣) إلى صوت المهيّب وتقي بذى خصل^(٤) روعات أكلف^(٥) ملبدي

تريع معناها: تعود وترجع، وقال الشاعر^(٦):

طمعت بلبلي أن تريع وإنما تُقَطِّعُ أعناقَ الرجالِ المطامعِ

الخصل: أطراف الشجر المتدلّية، والروعات: جمع روعة وهي

الفرعة^(٧).

- (١) في (م)، والصحاح للجوهري ١/٢٤٠: قال الشاعر طرفة.
- (٢) هو: طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك، البكري الثوالبلي، شاعر جاهلي، أشهر شعره معلقته، وجمع المحفوظ من شعره في ديوان، قتل وهو ابن عشرين سنة، انظر: طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجعفي ١/١٣٧؛ والشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري ص(١٠٣)؛ والأعلام للزركني ٣/٢٢٥.
- (٣) في (الأصل، ع، ظ): ترفع، والتصويب من (م)، والصحاح للجوهري، وديوان طرفة؛ ولأن الريع معناها: التوقد والرجوع، وأهاب الرجل بغنمه أي صاح بها لتقف أو ترجع، هذا المعنى ذكره الجوهري في الصحاح ١/٢٤٠ ثم ذكر البيت السابق نفسه.
- (٤) الخصل: شعر الذنب، والأكلف: يشوب حمرة سواد، وملبد أي ضرب بذنبه من انهياج على ظهره. والمعنى: إذا أتى القفل فراعها بهديرة اتقته بذنبها ورفعته نريه أنها لافح، تدفعه بذلك، انظر: ديوان طرفة ابن العبد شرح الأعلام الششمري ص(١٤).
- (٥) في (ظ، م، وديوان طرفة بن العبد) والصحاح للجوهري مصدر المؤلف ١/٢٤٠: أكلف، وفي الأصل (ع): أكلب، وهذا تحريف سببه والله أعلم أن المصنف كتب كتابه بالخط المغربي حيث يضع الفاء من أسفل فيكون قد ظنها من نَسَخَ بين نسخة المصنف أن الفاء باء، والله أعلم.
- (٦) ذكره أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني ٢/٣٣ ونسبه إلى مجنون بني عامر.
- (٧) الخصل: أطراف الشجر المتدلّية، والروعات: جمع روعة وهي الفرعة: ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م).
- (٨) في (الأصل): وأكلب الرجل إذا كلبت إبله واكتنبت: شبيه بالجنون، وقال جميعه الجوهري. وهذه الجملة ليست في النسخ الأخرى بما فيها (م)، ويبدو أنها إدراج مبني على تصحيف الكلمة من (أكلف) إلى (أكلب) وشرحت الكلمة على أنها (أكلب) من الصحاح ١/٢١٤، وباقي الشرح أيضاً من كلام الجوهري كما في الصحاح ٣/١٢٢٣، ١٦٨٥/٤.

وقال القتال^(١) الكلبي^(٢):

أهابوا به فأزداد بُعداً

عن القرب منهم ضوء برق ووابله^(٣) وصدّه

يعني: نصل السهم.

فأخبر رسول الله^(٤) ﷺ أنه يدعو الأرواح التي يتوفاها الله^(٥)،

ويقبضها.

وفي الخبر^(٦): «أن ملك الموت جالس وبين يديه صحيفة تُكتب له في ليلة النصف من شعبان»، وهي الليلة التي فيها يُفارق^(٧) كل أمر حكيم من الأرزاق والآجال في قول بعض العلماء: عكرمة^(٨) وغيره، والصحيح أن الليلة [التي]^(٩) يفارق فيها كل أمر حكيم ليلة القدر من شهر رمضان^(١٠)، وهو قول قتادة، والحسن، ومجاهد^(١١)، وغيرهم يدل^(١٢) عليه قوله تعالى: ﴿حَمَّ ۝ وَالْكِتَابِ ۝ الْيُسْبِي ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ۝ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ ۝﴾ [الدخان: ١ - ٣] يعني ليلة القدر، وهذا أبين^(١٣).

وقال ابن عباس^(١٤) : إن الله تعالى يقضي الأفضية في ليلة^(١٥) النصف

(١) القتال الكلبي، من بني بكر بن طلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، انظر: الشعر والشعراء ص (٤٧١).

(٢) في (ظ): الكلبي.

(٣) لم أجد هذا البيت في ديوان القتال الكلبي.

(٤) (رسول الله): ليست في (ع، ظ).

(٥) في (ظ): الله تعالى، ولفظ الجلالة ليس في (ع، م).

(٦) لم أقف على هذا الخبر.

(٧) في (ع): التي يفارق فيها.

(٨) ذكر الطبري قوله في تفسيره ٢٦٣/١١. (٩) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).

(١٠) ورجح الطبري أيضاً هذا الرأي.

(١١) انظر: هذه الأقوال في تفسير الطبري ٢٢٣/١.

(١٢) في (ظ): ويدل.

(١٣) في (ع): بين.

(١٤) (ليلة): ليست في (ظ).

من شعبان ويسلمها إلى أربابها في ليلة القدر^(١)، وكان هذا جمع بين القولين والله أعلم.

فإذا انقضى عُمر ذلك الشخص الذي حان قبض روحه سقطت ورقة من السدرة^(٢) المنتهى التي فيها اسمه على اسمه^(٣) في الصحيفة فعرف أن قد فرغ أجله، وانقطع أكله^(٤).

وفي خبر آخر^(٥): «أن ملك الموت تحت العرش تسقط عليه صحائف من يموت من تحت العرش».

الصحف هنا^(٦): ورق السدر والله أعلم كما في الخبر^(٧) قبله، فإذا نظر إلى الإنسان قد نفذ رزقه، وانقطع أكله، ألقى عليه سكرات الموت فغشيت كبرأته، وأدركته عززاته^(٨).

وفي خبر الإسراء^(٩) عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مررت على منك [٢٥/أ] آخر جالس^(١٠) على كرسي إذا جميع الدنيا ومن^(١١) فيها بين ركبتيه، وبين يديه لوح^(١٢) مكتوب فيه لا يلتفت عنه يمينا ولا شمالا، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا منك الموت، فقلت: يا ملك الموت كيف تقدر على قبض أرواح^(١٣) من في الأرض برها، وبحرها؟ قال: ألا ترى أن الدنيا

(١) حكى ابن جوير في تفسيره قول ابن عباس في كون الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم هي ليلة النصف من شعبان ١٠٩/٢٥. ولم أقف بعد البحث في عدد من كتب التفسير على نص المصنف عن ابن عباس، وأعاد القرطبي نص رواية ابن عباس هذه تفسيره ٨٩/٢٠ فقرة ١٣٠.

(٢) في (ظ): سدرة. (٣) (على اسمه): ليست في (ظ).

(٤) ذكره أبو الشيخ بمعناه في طبقات المحدثين بأصبهان ٧٦/٢.

(٥) في (ع، ظ): وفي الخبر. (٦) في (ظ): ها هنا.

(٧) في (ع): كما جاء في خبر، ولم أقف عليه.

(٨) في (الأصل): عكراته، وما أثبتته من (ع، ظ).

(٩) جزء من حديث طويل، قال ابن عراق: رواه ابن مردويه في تفسيره من طريقين فيها منتهمان، انظر: تنزيه الشريعة ١٥٥/١ - ١٦٩ بتصرف يسير.

(١٠) في (ظ): جالسا.

(١١) في (ظ): وما.

(١٢) في (ع، ظ): ويبدأ لوح. (١٣) في (ع، ظ): جميع من.

كلها بين رُكبتَي، وجميع الخلق^(١) بين عيني، ويدي تبلغان المشرق والمغرب، فإذا نفذ أجل عبد نظرت إليه، فإذا نظرت إليه عرف أعواني من الملائكة أنه مقبوض عَدَوًا فبطشوا به يعالجون نزع روحه فإذا بلغوا بالروح الحلقوم علمت ذلك فلم يخف علي شيء من أمره^(٢) مددت يدي فأنزعه من جسده وإلي قبضه^(٣).

وفي الخبر أنه ينزل عليه^(٤) أربعة من الملائكة: ملك يجذب النفس من قدمه اليمنى، وملك يجذبها من قدمه اليسرى^(٥)، وملك يجذبها من يده اليمنى^(٦)، وملك يجذبها من يده اليسرى^(٧)، ذكره أبو حامد^(٨).

وقال^(٩): وربما كشف للميت عن الأمر الملكوتي قبل أن يغرغر فعابن^(١٠) الملائكة على حقيقة عمله^(١١) على ما يتحيزون إليه من عالمهم، فإن كان لسانه منطلقاً حدث بوجودهم، وربما أعاد على [نفسه]^(١٢) الحديث بما رأى، وظن^(١٣) أن ذلك من فعل الشيطان [به]^(١٤) فيسكت حين يعقل لسانه^(١٥) وهم يجذبونها من أطراف البنان، ورؤوس الأصابع، والنفس تنسل انسلال

(١) في (ع، ظ): الخلائق.

(٢) في (الأصل): قبضته، والتصويب من (ع، ظ).

(٣) في (ظ): على الميت.

(٤) في (ظ): الشمال.

(٥) في (ظ): الشمال.

(٦) من قوله: وملك يجذبها.. إلى هذا الموضع ليس في (ع).

(٧) في (ظ): الشمال.

(٨) في كشف علوم الآخرة ص(١٦)، ولا يعتقد مثل هذا إلا بدليل صحيح، فالغزالي لم يستدده، ولم أجده في شيء من دواوين السنة.

(٩) أي أبو حامد.

(١٠) في (ظ): فيعابن.

(١١) في (ع، ومصدر المؤلف): علمه.

(١٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، ومصدر المؤلف)، وفي الأصل: على تغير الحديث، والمعنى يقتضي ما أثبتته.

(١٣) في (ع): فظن.

(١٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، ومصدر المؤلف).

(١٥) في (ع): فيسكت لسانه، وفي (ظ): حتى يعقل لسانه، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.

الغداة من السماء، والكافر^(١) تسل روحه كانسفود من الصوف المبلول، هكذا حكى صاحب الشرع عليه السلام، والميت يظن أن بطنه ملئت شوكاً، وكأنما^(٢) نفسه تخرج من ثقب إبرة، وكأنما^(٣) السماء انطبقت على الأرض وهو بينهما، فإذا حضرت^(٤) نفسه إلى القلب مات لسانه عن النطق، وما أحد ينطق، والنفس مجموعة في صدره لسرين^(٥):

أحدهما: أن الأمر عظيم قد ضاق صدره بالنفس المجتمعة فيه، ألا ترى أن الإنسان إذا أصابته ضربة في الصدر بقي مدهوشاً، فتراه^(٦) لا يقدر على الكلام، وكل مطعون يطعن^(٧) بصوت إلا مطعون الصدر فإنه يخرم ميتاً من غير تصويت.

وأما السر الآخر: فلأن الذي فيه حركة الصوت المندفعة من الحرارة الغريزية فصار نفسه متغير الحالين حال الارتفاع، والبرودة^(٨)؛ لأنه فقد الحرارة، فعند هذا^(٩) الخبر^(١٠) تختلف أحوال الموتى: فمنهم من يطعنه الملك حينئذ بحربة مسمومة قد سقيت سماً من نار فتفر، وتفيض خارجة فيأخذها^(١١) في يده وهي ترعد أشبه شيء بالزئبق على قدر الجراد^(١٢) شخصاً إنسانياً، ثم يناولها الزبانية.

ومن الموتى من تجذب نفسه رويداً حتى تنحصر في الحنجرة، وليس

(١) في (ع، ومصدر المؤلف): انفاجر.

(٢) في (ع): كأنما.

(٣) في (ظ): كأن.

(٤) في (ع، ظ): احتضرت.

(٥) هذا من استنباط الغزالي.

(٦) في (الأصل، ع، ظ): فتارة، ولا يستقيم بها المعنى، والتصويب من مصدر المؤلف.

(٧) (يطعن): ليست في (ظ).

(٨) في (ع): وحال البرودة، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.

(٩) في (ع): ذلك.

(١٠) في (ع): الحيز، وفي (ظ): الثحبر، وفي (مصدر المؤلف): الحين، والأصل متوافق مع نسخة أخرى من نسخ مصدر المؤلف.

(١١) في (ع): فيأخذها الملك.

(١٢) في (ظ): الجراد.

يبقى في الحنجرة إلا شعبة متصلة بالقلب، فحينئذ يطعن بها بتلك الحربة الموصوفة^(١).

قال المؤلف: ولم^(٢) أجد لهذه الحربة في الأخبار ذكراً إلا ما ذكره أبو نعيم^(٣) الحافظ قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن محمود قال: حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى قال: حدثنا [سلمة بن شبيب]^(٤) قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل قال: «إن لملك الموت عليه السلام لحربة^(٥) يبلغ بها^(٦) ما بين المشرق والمغرب، فإذا انقضى أجل عبد^(٧) من [٢٥/ب] الدنيا ضرب رأسه بتلك الحربة، فقال^(٨): الآن يُزار بك عسكر الأموات».

وروى سليمان بن مهير^(٩) الكلبي^(١٠) قال: حضرت مالك بن أنس وأتاه رجل فسأله: أبا عبد الله البراغيث أملك الموت يقبض أرواحها؟ فأطرق^(١١) ملياً^(١٢) ثم قال: ألهما نفس؟ قال: نعم، قال: ملك الموت يقبض أرواحها **﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾** [الزمر: ٤٢]، ذكره الخطيب أبو بكر رحمته الله.

باب ما جاء في صفة ملك الموت عند قبض روح المؤمن والكافر

قال علماؤنا^(١٣): رحمهم الله تعالى: وأما مشاهدة ملك الموت عليه السلام وما

- (١) إلى هنا انتهى نقل المصنف من كتاب أبي حامد: كشف علوم الآخرة ص(١٦ - ١٩).
- (٢) في (ع): لم.
- (٣) الحلبي ٢١٤/٥، قال الشوكاني: لا يصح، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص(٢٣٩)، ح ٨٢٦.
- (٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، والحلية).
- (٥) في (ع، ظ): حربة.
- (٦) (بها): ليست في (ع).
- (٧) في (ظ): انعبد.
- (٨) في (ع، ظ): وقال.
- (٩) لم أقف له على ترجمة.
- (١٠) في (ظ): قال فأطرق مالك.
- (١١) (ملياً): ليست في (ظ، وي (ع): طويلاً.
- (١٢) تم أعرف القائل.

يدخل على القلب منه من الرُّوع والفرع فهو^(١) أمر لا يعبر عنه؛ لعظم^(٢) هوله، وفضاعة رؤيته، ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الذي يتبدى له ويطلع عليه، وإنما^(٣) أمثال تضرب وحكايات تروى.

روي عن عكرمة أنه قال: رأيت في بعض صحف شيث أن آدم ﷺ قال: رب^(٤) أرني ملك الموت حتى أنظر إليه؟ فأوحى الله تعالى إليه: أن له صفات لا تقدر على النظر إليها، وسأنزله عليك^(٥) في الصورة التي يأتي فيها الأنبياء والمصطفين^(٦)، فأنزل الله عليه جبريل وميكائيل، وأناه ملك الموت في صورة كبش أملح قد نشر من أجنحته أربعة آلاف جناح منها جناح جاوز السماوات، وجناح جاوز الأرضين، وجناح جاوز أقصى المشرق، وجناح جاوز أقصى المغرب، وإذا بين يديه الأرض بما اشتملت عليه من الجبال والسهول والغياض والجن والإنس والدواب وما أحاط بها من البحار وما علاها^(٧) من الأجواء في ثغرة نحره كالخردلة في فلاة من الأرض، وإذا له عيون لا يفتحها إلا في مواضع فتحها، وأجنحة لا ينشرها إلا^(٨) مواضع نشرها، وأجنحة للبشرى^(٩) ينشرها للمصطفين، وأجنحة للكفار فيها سفافيد وكلايب ومقاريض، فصعق آدم صعقة لبث فيها إلى مثل^(١٠) الساعة من اليوم السابع، ثم أفاق، وكان في عروقه الزعفران. ذكر هذا الخبر ابن ظفر الواعظ المكي أبو هاشم محمد بن محمد في كتاب النصائح^(١١).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أن إبراهيم خليل الرحمن سأل ملك الموت أن يريه كيف يقبض روح المؤمن؟ فقال له: اصرف وجهك عني، فصرف، ثم

(١) في (ع، ظ): فهذا.

(٢) في (ع، ظ): وإنما هي.

(٣) في (ع، ظ): وإنما هي.

(٤) (عليك): ليست في (ظ).

(٥) في (الأصل): أعلاها، والتصويب من (ع، ظ).

(٦) في (ع، ظ): في مواضع.

(٧) في (ع): تلك الساعة.

(٨) في (ع): تلك الساعة.

(٩) لم أجد الكتاب، وانظر: المقدمة الدراسية ص(٦٢).

نظر إليه فرآه في صورة شاب حسن الصورة^(١)، حسن الثياب، طيب الرائحة، حسن البشر، فقال له: والله لو لم يلق المؤمن من السرور شيئاً سوى وجهك لكفاه^(٢)، ثم قال له^(٣): أرني كيف تقبض روح الكافر؟ فقال^(٤): لا تطيق ذلك، قال: بل^(٥) أرني، قال: اصرف وجهك عني، فصرف وجهه عنه، ثم نظر إليه فإذا صورة إنسان أسود رجلاه في الأرض، ورأسه في السماء كأقبح ما أن يرى^(٦) من الصور، تحت كل شعرة من جسده لهيب نار، فقال له: والله لو لم يلق الكافر^(٧) سوى [٢٦٦/أ] نظره إلى شخصك^(٨) لكفاه^(٩).

قلت: وسيأتي هذا المعنى^(١٠) مرفوعاً إلى النبي ﷺ في الملائكة في حديث البراء وغيره إن شاء الله تعالى.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً: كان إبراهيم عليه السلام رجلاً غيوراً، وكان له بيت يتعبد فيه، فإذا خرج أغلقه، فرجع ذات يوم فإذا هو برجل في^(١١) جوف البيت، فقال: من أدخلك داري؟ فقال: أدخلنيها^(١٢) ربها، فقال إبراهيم^(١٣): أنا ربها، فقال: أدخلنيها من هو أملك لها^(١٤) منك، قال: فمن أنت من الملائكة؟ قال: أنا ملك الموت، قال: هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن^(١٥)؟ قال: نعم، ثم التفت إبراهيم فإذا^(١٦) هو

(١) (حسن الصورة): ليست في (ع)، والأصل متوافق مع (م).

(٢) في (ع، ظ): كفاه، والأصل متوافق مع (م).

(٣) (له): ليست في (ع)، والأصل متوافق مع (م).

(٤) في (ع): فقال له. (٥) في (ع): بلى.

(٦) في (ع): ما أنت رائي، وفي (ظ): ما أنت ترى.

(٧) في (ظ): الكفار.

(٨) في (ع): إليك، والأصل متوافق مع (م).

(٩) ذكره أبو محمد عبد الحق في العاقبة ص(١١٥)، والغزالي في الإحياء ٤/٣٩٥.

(١٠) ص(٣٥٩) وما بعدها. (١١) في (ع): إبراهيم الخليل.

(١٢) في (ع): من. (١٣) في (ظ): أدخلني.

(١٤) (إبراهيم): ليست في (ع). (١٥) في (ظ): بها.

(١٦) في (ظ): أرواح المؤمنين.

(١٧) في (ظ): قال التفت يا إبراهيم، فالتفت إبراهيم فإذا.

بشباب، فذكر^(١) من حسن وجهه، وحسن ثيابه، وطيب رائحته، فقال: يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك لكان حسبه، ثم قبض روحه ﷻ^(٢).

فصل

قال علماؤنا^(٣) رحمة الله عليهم^(٤): لا يُتعجب من كون ملك الموت يُرى على صورتين لشخصين، فما ذلك^(٥) إلا مثل ما يصيب الإنسان بتغير الخلقة في الصحة، والمرض، والصغر، والكبر، والشباب، والهرم، وكصفاء اللون بملازمة الحمّام، وشحوبه الوجه بتغير اللون بلفح الهواجر في السفر، غير أن قضية الملائكة ﷻ يجري ذلك منهم في اليوم الواحد^(٦) والساعة الواحدة، وإن لم يجر هذا على الإنسان إلا في الأوقات المتباعدة، والسنين المتطاولة، وهذا بين فتأمله.

باب ما جاء أن ملك الموت [ﷻ] هو القابض لأرواح الخلق^(٧) وأنه يقف على كل بيت في كل يوم خمس مرات وعلى كل ذي روح كل ساعة وأنه ينظر في وجوه العباد كل يوم سبعين نظرة

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّنَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ٦١]، وروي^(٨) عن ابن^(٩) عمر قال: إذا قبض ملك الموت روح المؤمن قام على

(١) في (ظ): قال فذكر.

(٢) ذكره أبو محمد عبد الحق في كتابه العقابة ص(١٤٠).

(٣) ثم أتعرف على القائل.

(٤) (رحمة الله عليهم) ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م).

(٥) في (ع): ذلك، والأصل متوافق مع (م).

(٦) بل للملائكة قدرة على التشكل، وحديث جبريل الطويل في الإسلام والإيمان يدل على ذلك.

(٧) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ). (٨) في (ظ): ويروي.

(٩) (ابن): ليست في (ظ).

عتبة الباب، ولأهل البيت ضجة، فمنهن^(١) الصائغة وجهها، ومنهن^(٢) الناشرة شعرها، ومنهن^(٣) الداعية بويلها، فيقول ملك الموت ﷺ: فيم هذا الجزع؟ فوالله ما أنقصت^(٤) لأحد منكم عمراً، ولا ذهبت لأحد منكم برزق، ولا ظلمت أحداً^(٥) منكم شيئاً، فإن كانت شكايتم وسخطكم علي فإني والله مأمور، وإن كان ذلك علي ميتكم فإنه في ذلك مقهور، وإن كان ذلك علي ربكم فأنتم به كفرة، وإن لي فيكم عودة ثم عودة، فلو أنهم يرون مكانه، ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم، ولبكوا علي أنفسهم. خرجه أبو مطيع مكحول بن الفضل^(٦) النسفي^(٧) في كتاب اللؤلؤيات^(٨) له.

وروي معناه مرفوعاً في الخبر المشهور^(٩) المروي في الأربعين^(١٠) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من بيت إلا وملك الموت يقف علي بابه في كل يوم خمس مرات، فإذا وجد الإنسان قد نفذ أكله، وانقطع أجله ألقى عليه غمرات الموت فغشيت كربات، وغمرته غلزاته^(١١)، فمن أهل بيته الناشرة شعرها، والضاربة وجهها، والباكية [ب/٢٦] شجوها^(١٢)، والصارخة بويلها، فيقول ملك الموت ﷺ: ويلكم مم الجزع، وفيم^(١٣) الجزع؟ ما أذهبت^(١٤) لواحد منكم رزقاً، ولا قربت له^(١٥) أجلاً، ولا أتيت

(١) في (ع، ظ): منهم.

(٢) في (ع، ظ): منهم.

(٣) في (ع، ظ): لأحد.

(٤) في (الأصل): الفضيل، والتصويب من (ع، ظ)، وسير أعلام النبلاء.

(٥) الحافظ أبو مطيع مكحول بن الفضل النسفي، صاحب كتاب (اللؤلؤيات) في الزهد والأدب والمواعظ، توفي سنة ٢١٨هـ، سير أعلام النبلاء ٣٣/١٥؛ وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ١٥٧١/٢.

(٦) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين ٤٠٧/٤.

(٧) في (ظ): الشهير.

(٨) لم يتبين لي مراد المؤلف بهذه الأربعين، فالكتب المؤلفة في الأحاديث الأربعين كثيرة.

(٩) في (الأصل): عكراته، وما أثبت من (ع، ظ).

(١٠) في (ظ): لشجوها.

(١١) في (ع): فوالله ما أذهبت.

(١٢) في (ع، ظ): ومم.

(١٣) في (ظ): لكم.

حتى أمرت، ولا قبضت روحه حتى استأمرت^(١)، وإن لي فيكم عودة ثم عودة^(٢)، حتى لا أبقى منكم أحداً، قال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده لو يرون مكانه، ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم، وليكوا على أنفسهم^(٣)، حتى إذا حمل الميت على التعثر زفر^(٤) روحه فوق التعثر وهو ينادي^(٥): يا أهلي، ويا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي، جمعت المال من حله ومن غير حله ثم خلّفته لغيري، فالمهناة له، والتبعة علي، فاحذروا مثل ما حلّ بي.

وروى جعفر بن محمد عن أبيه قال: نظر رسول الله ﷺ إلى ملك الموت عند رأس^(٦) رجل من الأنصار، فقال له النبي ﷺ: «ارفق بصاحبي فإنه مؤمن، فقال ملك الموت ﷺ: يا محمد طيب نفساً، وقر عيناً، فإني بكل مؤمن رفيق، واعلم أن ما من أهل بيت مدر، ولا شعر في بر ولا بحر إلا وأنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات، حتى لأنا^(٧) أعرف بصغيرهم، وكبيرهم منهم بأنفسهم، والله يا محمد لو أني أردت أن أبيض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الأمر بقبضها»^(٨).

قال جعفر بن علي^(٩): بلغني أنه يتصفحهم عند مواقيت الصلاة،

(١) (ولا أتيت حتى أمرت، ولا قبضت روحه حتى استأمرت): ليست في (ع، ظ).

(٢) في (ع، ظ): عودة، ثم عودة، ثم عودة.

(٣) في (ع): نفوسهم. ذكر هذا النص أبو محمد عبد الحق في العاقبة له ص (١١٦).

(٤) في (ظ): ترزف. (٥) في (ع، ظ): وهي نادي.

(٦) (رأس): ليست في (ظ). (٧) في (ظ): لأنني.

(٨) أخرجه الطبراني في الكبير ٤/٢٢٠، ح ٤١٨٨، وأخرجه ابن أبي عاصم الشيباني في الأحاد والمثنائي له ٤/٢٥١، ح ٢٢٥٤، دار الراية، ط. سنة ١٤١١هـ؛ وأورده الجرجاني في تاريخ جرجان ١/٧١ رقم ١٧، وأورده ابن حجر العسقلاني في الإصابة في ترجمة: خزرج الأنصاري، وفي إسناده: عمرو بن شمر، قال عنه ابن حجر: متروك الحديث، الإصابة ٢/٢٧٧ رقم ٢٢٥١، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ٣/٥٢٠ وقال: هذا حديث لا يصح.

(٩) ذكر قوله الماوردي في تفسيره ٤/٣٥٧، وفيه: قال جعفر الصادق، وهو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ الإمام الصادق أبو عبد الله، وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ﷺ، وأم أمه: أسماء بنت =

ذكره الماوردي^(١).

قال المؤلف: وفي هذا الخبر ما يدل على أن ملك الموت هو الموكل بقبض^(٢) كل ذي روح، وأن تصرفه كله بأمر الله ﷻ، [و] ^(٣) بخلقه، واختراعه.

قال ابن عطية^(٤): وروي في الحديث أن البهائم^(٥) يتوفى الله^(٦) أرواحها دون ملك^(٧) كأنه يعدم حياتها، قال: وكذلك الأمر في بني آدم إلا أنه^(٨) شرف بتصرف^(٩) ملك وملائكة معه في قبض أرواحهم، فخلق الله^(١٠) ملك الموت^(١١)، وخلق على يديه قبض الأرواح، وانسلالها من الأجسام، وإخراجها منه، وخلق جنداً يكونون معه يعملون عمله بأمره فقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ﴾ [الأنفال: ٥٠]، وقال: ﴿تَوَفَّنَا رُسُلَنَا﴾ [الأنعام: ٦١]، والباري سبحانه خالق^(١٢) الكل، الفاعل حقيقة لكل فعل، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وقال^(١٣): ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [المك: ٢]، وقال^(١٤): ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾

- عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ﷺ، ولهذا كان يقول جعفر الصادق: ولدني أبو بكر الصديق مرتين، وكان يغضب من الرافضة ويمقتهم إذا علم أنهم تعرضوا لجده أبي بكر الصديق ﷺ، توفي الإمام جعفر الصادق سنة ١٤٨هـ، السير ٢٥٥/٦.

(١) الإمام العلامة، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، الشافعي، له تصانيف منها: الحاوي، وتفسير سماه التكت، والأحكام السلطانية، وغير ذلك، سير أعلام النبلاء ٦٤/١٨.

(٢) في (ظ): بقبض روح. (٣) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).

(٤) أبو محمد عبد الحق ابن الحافظ أبي بكر بن غالب بن عطية الغرناطي، كان إماماً في التفسير والعربية، من مؤلفاته: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، توفي سنة ٥٤٢هـ، انظر: السير ٥٨٧/١٩. قلت: وهو غير أبي محمد عبد الحق الإشبيلي صاحب العاقبة في ذكر الموت والآخرة.

(٥) في (ع، ظ): البهائم كلها. (٦) في (ظ): الله تعالى.

(٧) في (ع): ملك الموت. (٨) في (ع): نوع شرف.

(٩) في (ع): بتصرف. (١٠) في (ع، ظ): الله تعالى.

(١١) في (ظ): ملكاً. (١٢) في (ع): خلق.

(١٣) (وقال): ليست في (ع). (١٤) (وقال): ليست في (ع).

[البقرة: ٢٥٨]. فملك^(١) الموت يقبض الأرواح، والأعوان يعالجون، والله يزهق الروح، وهو^(٢) الجمع بين الآي والحديث، لكنه لما كان ملك الموت يتولى^(٣) ذلك بالوساطة^(٤) والمباشرة أضيف التوفي إليه كما أضيف المخلق للملك^(٥).

وقال المؤلف: كما^(٦) في حديث ابن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم ليجمع^(٧) خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك^(٨) علقة، مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل^(٩) الملك فيفتح فيه الروح» الحديث، خرجه مسلم^(١٠) وغيره^(١١).

وقوله: «يجمع خلقه في بطن أمه»، قد جاء مفسراً عن ابن مسعود ﷺ رواه الأعمش عن خيشمة قال: قال عبد الله^(١٢): «إن النطفة إذا وقعت في الرحم فأراد الله سبحانه [٢٧/١] أن يخلق منها بشراً طارت في بشر المرأة تحت كل ظفر وشعر^(١٣)، ثم يمكث أربعين ليلة، ثم ينزل دماً في الرحم فذلك جمعها»^(١٤).

- (١) في (ظ): وملك.
 (٢) في (ع): متولي، وهو خطأ نحوي؛ لأن موقع الكلمة الإعرابي خير كان منصوب، ولما كانت الكلمة نكرة كان لا بد من إظهار التنوين عليها، وأما ما في (ظ): المتولي؛ فصواب؛ لأن الكلمة جاء معرفة بالأنف واللام، فهي وما بعدها جملة اسمية في محل نصب خبر كان، وأما ما في (الأصل) فصواب أيضاً؛ لأنها فعل، فهي وما بعدها جملة فعلية في محل نصب خبر كان.
 (٣) في (ع): بالوساطة.
 (٤) رجعت إلى تفسير الآيات الموجودة في هذا النفل في كتاب المحرر الوجيز لابن عطية، ولم أجد نص ابن عطية الذي ساقه المؤلف.
 (٥) في (ع): كما جاء.
 (٦) في (ع): في (ظ): ليست في (ظ).
 (٧) في (ع): يجمع.
 (٨) في (ظ): ثم يرسل الله.
 (٩) في (ظ): ثم يرسل الله.
 (١٠) في الصحيح ٢٠٣٦/٤، ح ٢٦٤٣.
 (١١) وأخرجه البخاري ١١٧٤/٣، ح ٣٠٣٦؛ والترمذي في سننه ٤٤٦/٤، ح ٢١٣٧؛ وأبو داود في سننه ٢٢٨/٤، ح ٤٧٠٨؛ وابن ماجه ١٨/١، ح ٤٦.
 (١٢) (عبد الله): ليس في (ظ)، وهو ابن مسعود ﷺ.
 (١٣) في (ظ): شعرة وظفر.
 (١٤) أخرجه نحوه البيهقي في مسنده ٢٨٠/٤، ح ١٤٤٧؛ والطبراني في الكبير ١٧٧/٣، ح ٣٠٤٢.

وفي صحيح مسلم^(١) أيضاً عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مر بالتنطفة ثنتان وأربعون^(٢) ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها، وخلق سمعها، وبصرها، وجلدها، ولحمها، وعظامها، ثم يقول^(٣): أي رب أذكر أم أنسى...» وذكر الحديث، وما قبله يفسره ويبيّنه؛ لأن التنطفة لا يبعث الملك إليها لتمام^(٤) [ثنتين]^(٥) وأربعين ليلة فتأمله، ونسبة الخلق والتصوير للملك نسبة مجازية لا حقيقية^(٦)، وإنما صدر عنه فعل ما في

(١) رواه من حديث ابن مسعود بهذا اللفظ ٢٠٣٧/٤، ح ٢٦٤٥، ورواه عن حذيفة بن أسيد وليس في روايته لفظة: فصورها وخلق سمعها... وإنما هي نص في رواية ابن مسعود رضي الله عن الجميع.

(٢) في (الأصل) (أربعين)، وهو تصحيف نحوي، تصويبه من (ع، ظ، و) صحيح مسلم.

(٣) في (ظ): الملك.

(٤) هكذا في جميع النسخ، ولعل الضواب (إلا لتمام).

(٥) ما بين المعقوفتين من (ظ)، وفي الأصل: ثنتان، وهو تصحيف، وفي (ع): لتمام ثنتان وأربعون.

(٦) مصطلح الحقيقة والمجاز من المصطلحات التي كثر الخوض فيها خاصة ممن تأثروا بما يُسمى بعلم الكلام، وأخذ مطية لتعطيل نصوص الصفات بصرفها عما دلت عليه من المعاني من مدخل التنزيه، فالعاقل لا يحتاج إلى الاستدراك عليه ببيان أن نسبة الخلق والتصوير للملك مجازية لا حقيقية؛ لأنه يعلم أنه لا يوجد مخلوق يدعي أنه خالق، أو أن له قدرة كقدرة الخالق. فالأصل في هذا الباب أن الصفة بحسب من تضاف إليه، فمثلاً صفة القدرة إذا أضيفت إلى المخلوق عُلم منها أنها قدرة تليق بضعفه، فهي قدرة محدودة يطرأ عليها العجز والتعب، أما قدرة الخالق فهي قدرة مطلقة تليق بجلاله ﷻ لا يطرأ عليها عجز أو يلحقها نصب، وعلى هذا يقاس باقي الصفات؛ ولأن بعدم هذا التفريق في إضافة الصفة وقع خلط بين صفات وُصِف بها الله تعالى ووصف بها المخلوق، فبين الصفتين اشتراك في مجرد اللفظ، يفترق هذا الاشتراك بالإضافة كصفة البعد مثلاً، فتوهم قوم التشبيه أولاً ثم عطفوا ثانياً بحجة التنزيه، فبالإضافة نعلم التباين في الصفات كما نعلم التباين بين ذات الخالق وذات المخلوق، بل التباين يظهر بالإضافة حتى بين المخلوقات: فمعلوم أن يد الإنسان ليست كيد البعير، وليست كيد الهر. وهذه قاعدة جليلة لدفع وساوس التشبيه ومن ثم التعطيل، ويراجع في ذلك كتب شيخ الإسلام ابن تيمية خاصة العقيدة التدمرية والواسطية والفتوى الحموية حيث قرّب وأجلى الفهم لنصوص وأدلة السلف الصالح في هذا الباب، وكذلك كتاب الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة واجتماع

المضغفة كان عنه^(١) التصوير والتشكيل بقدرة الله تعالى وخلقه واختراعه، ألا تراه سبحانه قد أضاف إليه الخلقة الحقيقية وقطع عنها نسب جميع الخليقة فقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١١]، إلى غير ذلك من الآيات مع ما دلت عليه قاطعات البراهين ألا خالق لشيء من المخلوقات إلا رب العالمين، وهكذا القول في قوله: «ثم يرسل^(٢) الملك فينفخ فيه الروح»، أي أن النفخ فيه سبب يخلق الله فيها^(٣) الروح والحياة، وكذلك القول في سائر الأسباب المعتادة فإنه بإحداث الله تعالى لا بغيره، فتأمل هذا الأصل وتمسك به فيه النجاة من مذاهب أهل الضلال الطباع^(٤) وغيرهم، وأن الله هو القابض لأرواح جميع الخلق على الصحيح، وأن ملك الموت وأعوانه وسائط، وقد سئل مالك بن أنس عن البراغيث^(٥): «ملك الموت يقبض أرواحها؟ فأطرق ملياً^(٦)» ثم قال: ألهها نفس؟ قال: نعم، قال: ملك الموت يقبض أرواحها، ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]^(٧).

وفي الخبر: «أن ملك الموت وملك الحياة تناظرا، فقال ملك الموت:

= الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية كلاهما لاين قيم الجوزية.

(١) في (الأصل): عند، والتصويب من (ع، ظ).

(٢) في (ظ): يرسل له. (٣) في (ع): فيه.

(٤) هم الفلاسفة وبعض المعتزلة الذين يقولون: بأن الجواهر أجناس متضادة من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، وأن الأعراض فاعلة للأفعال كفعل النار للإحراق والشراب للشكر. انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصنفين لأبي الحسن الأشعري ص(٣٠٩، ٣٨٢)، وكتاب تمهيد الأوائل وتنخيص الدلائل لأبي بكر الباقلاني ص(٦٢)، وكتاب الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ص(٣٤٦).

قلت: تلك المضغفة دليل على ضعف عقول من يقصدون العقل وجهلهم بربهم ﷻ، فتلك الأعراض ما كان لها أن تعمل عملها مستقلة عن سنة الله تعالى فيها، ألم يسمعوا إلى قوله تعالى: ﴿يَنفُخُ كُوفِي بَرْقًا وَسَلْمًا عَلَيَّ إِزْهِيْرًا﴾، فالله تعالى هو الذي جعل النار حارقة وإن شاء جعلها باردة، فلو لم يقل الله تعالى للنار: ﴿وَسَلْمًا﴾ لأصاب إبراهيم ﷺ الأذى من بردها.

(٥) (عن البراغيث): ليست في (ظ). (٦) في (ع): ملياً مالك.

(٧) لم أجد هذا الأثر.

أنا أميت الأحياء، وقال ملك الحياة: أنا أحيي الموتى، فأوحى الله تعالى إليهما كونا على عملكما وما سخرتما له من الصنع، وأنا المميت والمحيي لا مميت ولا محيي سواي». ذكره أبو حامد في الإحياء^(١).

وذكر أبو نعيم^(٢) عن ثابت البناني قال: الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ليس منها ساعة تأتي على ذي روح إلا وملك الموت قائم عليها فإن أمر بقبضها قبضها^(٣) وإلا ذهب. وهذا عام في كل ذي روح.

وفي خبر الإسراء عن ابن عباس: «فقلت: يا ملك الموت كيف تقدر على قبض أرواح جميع من في الأرض برها، وبحرها...» الحديث، وقد تقدم^(٤).

وروى أبو هدية إبراهيم بن هدية قال: حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ملك الموت لينظر في وجوه العباد كل يوم سبعين نظرة»^(٥): فإذا^(٦) ضحك العبد الذي بعث إليه قال: يقول: عجبا، بعثت إليه لأقبض روحه وهو يضحك»^(٧).

باب ما جاء في سبب قبض ملك الموت أرواح الخلق [٢٧/ب]

روى الزهري^(٨) ووهب بن منبه وغيرهما ما معناه: «أن الله أرسل جبرائيل عليه السلام ليأتيه من تربة الأرض فأتاها ليأخذ منها»^(٩)، فاستعادت بالله من

(١) ٢٥٧/٤.

(٢) في (ع، ط): أبو نعيم الحافظ، وهو في الحلية ٣٢٦/٢.

(٣) قبضها: لبست في (ط).

(٤) في (ط): المتقدم، انظر: ص (٢٥١). (٥) في (ع، ط): قال.

(٦) في (ع، ط): إذا.

(٧) ذكره ابن عراقي في تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ٣٧٥/٢، وفيه أبو هدية قد تقدم الكلام فيه ص (١٥٠).

(٨) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب القرشي الزهري، الإمام العلم الحافظ، روى عن ابن عمر وجابر بن عبد الله، توفي سنة ١٢٤هـ، سير أعلام النبلاء ٣٢٦/٥.

(٩) في (ع): من تربتها.

ذلك فأعادها، فأرسل^(١) ميكائيل فاستعادت منه فأعادها، فأرسل^(٢) عزرائيل فاستعادت منه فلم يعدها وأخذ منها، فقال^(٣) الرب تبارك وتعالى: أما استعادت بي منك؟ قال: نعم، قال: فهلاً رحمتها كما رحمتها صاحبك؟ فقال: يا رب طاعتك أوجب علي من رحمتي إياها، قال الله ﷻ: اذهب فأنت ملك الموت سلطتك على قبض أرواحهم، فبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقال^(٤): يا رب إنك تخلق من هذا الخلق أنبياء، وأصفياء، ومرسلين، وأنت لم^(٥) تخلق خلقاً أكره إليهم من الموت، فإذا عرفوني بغضوني^(٦) وشتموني، قال الله ﷻ: إني سأجعل للموت عدلاً^(٧) وأسباباً ينسبون الموت إليها ولا يذكرونك معها، فخلق الله الأوجاع وسائر الحتوف^(٨).

وقد روي عن ابن عباس هذا الخبر^(٩) قال: «رُفعت تربة^(١٠) آدم من ستة أرضين وأكثرها من السادسة ولم يكن فيها من الأرض السابعة شيء؛ لأن فيها نار جهنم، قال: فلما أتى^(١١) ملك الموت بالتربة قال له ربه: أما استعادت بي منك»، الحديث بلفظه ومعناه ذكره^(١٢) القتيبي^{(١٣)(١٤)} وزاد: «فقال الأرض: يا

(١) في (ظ): فأرسل إليها.

(٢) في (ع): فقال له.

(٣) في (ع): لن.

(٤) في (ع): عدلاً وأمراضاً.

(٥) لم أقف على هذا الأثر في كثير من المطان، والذي يظهر أنه من الإسرائيليات، التي لا تصدق ولا تكذب.

(٦) في (ع، ظ): وقد روي هذا الخبر عن ابن عباس، والذي يظهر أن الحديث من الإسرائيليات.

(٧) في (ظ): طينة.

(٨) في (الأصل): ذكر، والتصويب من (ع، ظ).

(٩) في (الأصل): القتيبي، والتصويب من (ع، ظ). ومصادر الترجمة.

(١٠) لعنه: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد، الكاتب صاحب التصانيف، التي منها: «غريب القرآن» «غريب الحديث» «أعلام النبوة» وكتاب «الرد على من يقول بخلق القرآن» ومشكل الحديث و«عيون الأخبار» وغير ذلك، توفي ٢٧٦هـ، وقد جاء في ترجمته من سماه: القتيبي، انظر: السير ١٣/٢٩٦، ٢٩٩، وقد نقل المصنف من كتاب «عيون الأخبار» ونسبه إلى القتيبي، لكن تلك النصوص جميعها ليست في عيون=

رب خلقت السماوات فلم تنقص^(١) منها شيئاً، وخلقنتي فنقصتني؟ فقال لها الرب: وعزتي وجلالي لأعبدنهم إليك برهم وفاجرهم، فقالت: وعزتك وجلالك^(٢) لأنتقم ممن عصاك.

قال: ثم دعا بمياه^(٣) الأرض مالحها^(٤) وعذبها، ومرها وحلوها^(٥)، وطيبها ومنتنها، فصقى منه تربة آدم، فأقام بخمره أربعين صباحاً، وقال آخر^(٦): أربعين سنة لم ينفخ فيه الروح، فكانت الملائكة تمر به فيبقون^(٧) ينظرون إليه، ويقول بعضهم لبعض: إن ربنا لم يخلق خلقاً أحسن من هذا، وأنه خلق لأمر كائن، ويمر به إبليس اللعين فيضرب بيده عليه ويسمع^(٨) له صلصلة، وهو الصلصال الفخار^(٩)، فقال إبليس: إن أفضل هذا علي لم أطمعه، وإن أفضلت عليه أهلكته^(١٠)، هذا من طين وأنا من نار^(١١).

وقد قيل: إن الذي أتى بتربة الأرض إبليس، وإن الله بعثه بعد ملكين فاستعادت بالله منه فقال^(١٢): إني أعوذ بالله منك، ثم أخذ منها وصعد إلى ربه فقال: ألم تستعد بي منك؟ فقال: بلى يا رب، فقال^(١٣): وعزتي^(١٤) لأخلقن مما جنت يداك خلقاً يسوؤك^(١٥).

= الأخبار لابن قتيبة الدينوري المطبوع.

(١) في (الأصل): تقبض، والتصويب من (ع، ظ) بدليل: فنقصني، التي في جميع النسخ.

(٢) (وجلالك): ليست في (ع، ظ).

(٣) في (ع): ملحها.

(٤) في (ع): ملحها.

(٥) في (ع): آخرون.

(٦) في (ع، ظ): فيسمع.

(٧) في (ظ): لأهلكته.

(٨) ذكر الطبري في تفسيره ٢١٤/١ قطعة من هذا الحديث.

(٩) في (ظ): فقالت.

(١٠) في (ع): فقال.

(١١) في (ظ): وعزتي وجلالي.

(١٢) هذه روايات إسرائيلية، ولم أقف على من ذكرها.

باب ما جاء أن الروح إذا قبض تبعه البصر

ابن ماجه^(١) عن أم سلمة قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»، أخرجه^(٢) مسلم أكمل من هذا، وقد تقدم^(٣).

وروى^(٤) مسلم^(٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تروا الإنسان^(٦) إذا مات شخص بصره؟ قالوا: بلى، قال [١/٢٨]: فذلك حين يتبع بصره نفسه»^(٧).

في غير الصحيح: عن النبي ﷺ: «إن الميت أول ما يشق بصره لرؤية المِعْرَاج»^(٨)، وهو سلم بين السماء والأرض من زمردة خضراء أحسن ما رثي [قط]^(٩)، فذلك حين يمد بصره إليه.

فصل

في قوله ﷺ: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»، وقوله: «فذلك حين يتبع بصره نفسه» ما يستغني به عن قول كل قائل في الروح والنفس، وأنها اسمان لمسمى واحد^(١٠)،

(١) في سننه ١/٤٦٧، ح ١٤٥٤، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح ابن ماجه ١/٢٤٥، ١١٨٩.

(٢) في (ع): أخرجه.

(٣) انظر: ص (١٨٣).

(٤) في (ظ): وقد روى.

(٥) في الصحيح ٢/٦٣٥، ح ٩٢١.

(٦) في (الأصل): أن الإنسان، وما أثبتته من (ع، ظ: صحيح مسلم).

(٧) في (ظ): خروج نفسه.

(٨) هذا الحديث بحث عنه في أغلب دواوين السنة فلم أجده، ووجدت نحوه في غريب الحديث لابن سلام ٤/١٠٠.

(٩) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).

(١٠) قال ابن القيم: قول الجمهور أن مسماهما واحد، ثم قال: والفرق بينهما فرق بالصفات لا فرق بالذات، ثم ذكر الإطلاقات المشتركة بين النفس والروح، وما يخص كل واحد منهما، انظر كتابه الروح ص (٢١٨)؛ وقال ابن أبي العز الحنفى: فالنفس تُطلق على الروح، ولكن غالب ما تُسمى نفساً إذا كانت متصلة بالبدن، وأما إن أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها، شرح العقيدة الطحاوية ٢/٥٦٧.

وسياتي^(١)، لهذا مزيد بيان إن شاء الله تعالى.

باب ما جاء في تزاور الأموات في قبورهم واستحسان الكفن لذلك

مسلم^(٢) عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه»^(٣).

وخرج أبو نصر عبيد الله بن سعيد^(٤) بن حاتم الوائلي السجستاني^(٥) الحافظ في كتاب الإبانة^(٦) أنه عن مذهب السلف الصالح في القرآن وإزالة شبه الزائغين بواضح البرهان: حدثنا^(٧) هبة الله بن إبراهيم بن عمر قال: حدثنا علي بن الحسين بن بندار قال: حدثنا أبو عروبة قال: حدثنا محمد بن المصفي قال: حدثنا^(٨) معاوية قال: حدثنا^(٩) إبراهيم بن معاوية عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم»^(١٠)»^(١١).

وقال ابن المبارك: أحب أن يكفن في ثيابه التي كان يصلي فيها^(١٢).

(١) ص (٣٦٧).

(٢) في صحيحه ٦٥١/٢، ح ٩٤٣.

(٣) في الأصل زيادة جملة: (إن استطاع)، وما أثبتته من (ع، ظ، صحيح مسلم).

(٤) في (الأصل): سعد، والتصويب من (ع، ظ، مصدر الترجمة).

(٥) الإمام العالم الحافظ شيخ السنة أبو نصر السجزي، الوائلي البكري السجستاني، مصنف كتاب الإبانة الكبرى في أن القرآن غير مخلوق، وهو مجلد كبير دال على سعة علم، توفي سنة ٤٤٤هـ، سير أعلام النبلاء ٦٥٤/١٧.

(٦) هذا الكتاب مفقود، يشر الله العثور عليه.

(٧) في (ع، ظ): أخبرنا.

(٨) في (ع): أخبرنا.

(٩) في (ظ): حدثني.

(١٠) قال ابن القيم: الأرواح قسمان: أرواح معذبة، وأرواح متعمة، فالمتعذبة في شغل مما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي، والأرواح المتعمة هي المرسلّة غير المحبوسة تتلاقى وتزاور وتتذاكر ما كان بينها في الدنيا، فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على عملها. الروح لابن القيم ص (١٧).

(١١) قال ابن حجر العسقلاني: أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد حسن، فتح الباري ٣٨٦/١١.

(١٢) ذكره الترمذي في جامعه ٣١٩/٣، والزمخشري في ربيع الأبرار ١٧٩/٤.

باب الإسراع بالجنزة وكلامها

البخاري: (١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال (٢): كان النبي ﷺ يقول: «إذا وضعت الجنزة واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدّموني، قدّموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين تذهبون بها، فيسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعه صعق» (٣). وقد تقدم (٤) من حديث أنس [أنها تقول] (٥): «يا أهلي، ويا ولدي» الحديث.

البخاري (٦) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أسرعوا بالجنزة فإن تك (٧) صالحة فخير تقدّمونها عليه، وإن يك (٨) سوى ذلك فشرّ تضعونه عن رقابكم»، أخرجه مسلم (٩) أيضاً.

فصل

صعق: مات (١٠)، والإسراع قيل معناه: الإسراع بحملها إلى قبرها في المشي، وقيل: تجهيزها بعد الموت (١١) نثلاً تغير (١٢)، والأول أظهر (١٣)؛ لما رواه النسائي (١٤) قال: حدثنا (١٥) محمد بن عبد الأعلى قال: حدثنا خالد قال:

(١) في صحيحه ١/٤٤٢، ح ١٢٥١. (٢) (قال): ليست في (ظ).

(٣) في (ع، ظ): لصعق، والأصل متوافق مع صحيح البخاري.

(٤) ص (٢٥٨). (٥) ما بين المعقوتين من (ع، ظ).

(٦) في الصحيح ١/٤٤٢، ح ١٢٥٢ واللفظ له.

(٧) في (الأصل): تكن، وفي (ظ): كانت، والتصويب من (ع، م، صحيح البخاري).

(٨) في (الأصل): تكن، والتصويب من (ع، ظ، م، صحيح البخاري).

(٩) في صحيحه ٢/٦٥١، ح ٩٤٤.

(١٠) في (ظ): قوله: ولو سمعه صعق أي مات.

(١١) في (ع، ظ): موتها. (١٢) في (ع، ظ): تغير.

(١٣) في (الأصل): الأظهر، والتصويب من (ع، ظ، م).

(١٤) في المعجمي ٤/٤٢، ح ١٩١٢ وأحمد في المسند ٥/٣٨، ٢٠٤١٦ والبيهقي في

السنن الكبرى ٤/٢٢، ح ٦٦٣٨، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح سنن النسائي

٢/٤١٢، ح ١٨٠٤.

(١٥) في (ع): أخبرنا.

حدثنا عيينة^(١) بن عبد الرحمن قال: حدثني أبي قال: شهدت جنازة عبد الرحمن بن سمرة وخرج زياد يمشي بين يدي السرير فجعل رجال من أهل عبد الرحمن ومواليهم يستقبلون السرير ويمشون على أعقابهم ويقولون رويداً [رويداً]^(٢) بارك الله فيكم، فكانوا [ب/٢٨] يدبون^(٣)، حتى إذا كنا ببعض الطريق^(٤) لحقنا أبو بكر^(٥) ﷺ يمشي على بغلة، فلما رأى الذين^(٦) يصنعون حمل عليهم ببغلة وأهوى إليهم بالسوط وقال^(٧): خلوا فوالذي كرم وجه أبي القاسم لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ وإنا لنكاد نرمل بها رملاً، فانبط القوم، صححه أبو محمد عبد الحق^(٨).

وروى أبو داود^(٩) من حديث أبي ماجدة^(١٠) عن ابن مسعود قال: سألتنا نبينا ﷺ عن المشي مع الجنازة فقال: «دون الخبب، إن يك^(١١) خيراً تُعجل إليه، وإن يك^(١٢) غير ذلك فبعداً لأهل النار»، ذكره أبو عمر [ابن عبد البر]^(١٣)، وقال: والذي عليه جماعة أهل العلم في ذلك: الإسراع فوق

(١) في (الأصل): عتيبة، والتصويب من (ع، ظ، م، سنن النسائي).

(٢) ما بين المعقوفين من (ع، ظ، م، النسائي).

(٣) في (سنن النسائي): يدبون ديبياً.

(٤) في (سنن النسائي): بعض طريق المربرد.

(٥) في (الأصل، ع، ظ): أبو بكر، والتصويب من (م، سنن النسائي).

(٦) هكذا في جميع النسخ، وفي سنن النسائي: رأى الذي.

(٧) في (الأصل): فقالوا، والتصويب من (ظ، سنن النسائي) وفي (ع، م): فقال.

(٨) ذكر أبو محمد عبد الحق طرفاً من الحديث في أحكامه الشرعية الصغرى، ٢/٣٣٤، والحكم عليه بالصحة مستفاد من شرطه ذلك في مقدمة كتابه، انظر: مقدمته ٧١/١.

(٩) في سننه ٣/٢٠٦، ح ٣١٨٤، والترمذي في جامعه ٣/٣٣٢، ح ٤١٠١١، وأحمد في مسنده ١/٣٩٤، ح ٣٧٣٤، قال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف سنن أبي داود ص (٣٢١ - ٣٢٢)، ح ٦٩٨.

(١٠) في (الأصل): ابن ماجه، والتصويب من (ع، م، سنن أبي داود)، وهو: علي بن ماجدة السهمي، أبو ماجدة، انظر: تهذيب التهذيب ٧/٣٢٨.

(١١) في (ع، ظ): أن يكون، والتصويب من (ع، ظ، سنن أبي داود).

(١٢) في (الأصل): تكن، والأصل متوافق مع (سنن أبي داود).

(١٣) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).

السجدة قليلاً، والعجلة أحب إليهم من الإبطاء، ويكره الإسراع الذي يشق على ضعفة من يتبعها^(١).

وقال إبراهيم النخعي: بطنوا ولا تدبوا ذيب اليهود والنصارى^(٢).
السجدة: العادة.

بابُ بَسْطِ الثَّوْبِ عَلَى الْقَبْرِ عِنْدَ الدَّفْنِ

أبو هذبة إبراهيم بن هذبة^(٣) قال: حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ: «تبع جنازة، فلما صلى عليها دعا بثوب فبسط على القبر وهو يقول: لا تطلعوا في القبر فإنها أمانة، فلعمري يحل العقد فترى حية سوداء مطوقة في عنقه فإنها أمانة ولعله يؤمر به فيسمع صوت السلسلة، فإنها أمانة^(٤)».

وذكر عبد الرزاق^(٥) عن ابن جريج^(٦) عن الشعبي عن رجل أن سعد بن مالك قال: «أمر النبي ﷺ بثوب فستر على القبر حين^(٧) دفن^(٨) سعد بن معاذ فيه^(٩) قال: وقال سعد: إن النبي ﷺ نزل في قبر سعد بن معاذ وستر على القبر بثوب فكنت فيمن أمسك الثوب^(١٠)».

(١) التمهيد ٣٣/١٦ - ٣٤.

(٢) ذكره ابن عبد البر في التمهيد ٣٤/١٦.

(٣) تقدمت ترجمته وأقوال العلماء في تركه وتكذيبه ص (١٥٠)، والحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ٥٤٧/٣ وقال: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، أكثر رواته مجاهيل.

(٤) (فإنها أمانة): ليست في (ع، ظ).

(٥) عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعائي، الحافظ عالم اليمن حدث عن سفيان الثوري ومالك بن أنس، توفي سنة ٢١١هـ، سير أعلام النبلاء ٥٦٣/٩.

(٦) (عن ابن جريج): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع مصنف عبد الرزاق.

(٧) في (الأصل): حتى، والتصويب من (ع، ظ، المصنف).

(٨) في المصنف: دلى.

(٩) (فيه): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع المصنف.

(١٠) في مصنفه ٥٠٠/٣، ح ٦٤٧٧، مع شيء من الاختلاف، وذكر نحوه ابن سعد في الطبقات الكبرى ١٦٩/٦، وفي سند عبد الرزاق راو مجهول، وفيه عبد الملك بن جريج =

فصل

اختلف العلماء في هذا الباب: فكان عبد الله بن يزيد^(١)، وشريح^(٢)، وأحمد بن حنبل يكرهون مد الثوب على الرجل، وكان أحمد وإسحاق^(٣) يختاران أن يفعل ذلك بقبر المرأة، وكذلك قال أصحاب الرأي^(٤)، ولا يضر^(٥) عندهم أن يفعلوا ذلك بقبر الرجل^(٦).

وقال أبو ثور^(٧): لا بأس ذلك بقبر الرجل^(٨) والمرأة^(٩)، وكذلك قال الشافعي: وستر المرأة عنده أكد من ستر الرجل^(١٠).

= مكثر من التندليس وقد عنعن، انظر: التبيين في أسماء المدلسين ص (١٣٩) محمد بن إبراهيم بن سبط العجمي.

(١) عبد الله بن يزيد بن زيد بن حصن الأنصاري الخطمي، له ولأبيه صحبة، شهد بيعة العقبة وهو صغير، انظر: الإصابة لابن حجر ٢٦٧/٤ رقم ٥٠٣٦. وفي سنن البيهقي أن عبد الله بن يزيد حضر جنازة الحارث الأعور فأبى عبد الله بن يزيد أن يسطوا عليه ثوباً. وقال: إنه رجل. سنن البيهقي ٥٤/٤، ح ٦٨٤١.

(٢) هو الفقيه: أبو أمية، شريح بن الحارث بن قيس الكندي، ويقال: شريح بن شراحيل، يقال: له صحبة، ولم تصح، بل هو ممن أسلم في حياة النبي ﷺ، وانتقل من اليمن زمن الصديق ﷺ، توفي سنة ٧٨هـ، سير أعلام النبلاء ١٠٠/٤.

(٣) إسحاق بن راهويه أبو يعقوب، الإمام الحافظ شيخ المشرق، كتب عن خلق من كبار التابعين، توفي سنة ٢٣٨هـ، سير أعلام النبلاء ٣٥٨/١١.

(٤) الحنفية.

(٥) في (ع): ولا يضير.

(٦) الذي وقفت عليه في كتاب الأحناف: يُستجى قبر المرأة بثوب حتى يجعل اللبن على اللحد ولا يُستجى قبر الرجل؛ لأن مبنى حائلين على الستر ومبنى حال الرجل على الانكشاف. انظر: شرح فتح القدير لابن الهمام الحنفي ١٣٩/٢؛ والبحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم الحنفي ٢٠٩/٢.

(٧) إبراهيم بن خالد الكلبي البغدادي، الإمام الحافظ الفقيه مفتي العراق، سمع من سفيان بن عيينة والشافعي وطبقتهم، مات سنة ٢٤٠هـ، سير أعلام النبلاء ٧٢/١٢.

(٨) في (ظ): لا بأس بذلك في قبر الرجل.

(٩) لا يوجد هذا القول في الكتاب المجموع في فقه الإمام أبي ثور، الذي جمعه سعدي

جبر.

(١٠) كتاب الأم، للإمام الشافعي ٤٦٢/١.

وذكره^(١) ابن المنذر^(٢).

قلت: ستر^(٣) الرجل والمرأة للعللة التي جاءت في حديث أنس، واقتداء بفعله ﷺ في ستر سعد بن معاذ رضي الله عنه^(٤).

ولقد أخبرني بعض أصحابنا أنه سمع صوت جر السلسلة في القبر^(٥)، ولقد أخبرني أيضاً^(٦) صاحبنا الفقيه الإمام العالم شيخ الطريقة^(٧) أبو عبيد الله^(٨) محمد بن أحمد القصري^(٩) أنه توفي بعض الولاة^(١٠) بسطنطينية فحُفِرَ له، فلما فرغوا من الحفر وأرادوا أن يُدخلوا الميت في القبر إذا بحية سوداء داخل القبر فهابوا أن يدخلوه فيه^(١١)، فحفروا له قبراً آخر فلما أرادوا أن يدخلوه [٢٩/١] إذا بتلك الحية فيه، فحفروا له قبراً آخر فإذا بتلك الحية فيه، فحفروا له قبراً آخر فإذا بتلك الحية^(١٢)، فلم يزالوا يحفرون^(١٣) له نحواً من ثلاثين قبراً وإذا بتلك الحية تتعرض لهم في القبر الذي يريدون أن يدفنوه فيه، فلما أعياهم ذلك سألوا ما يصنعون؟ فقبل لهم: ادفنوه معها، نسأل الله السلامة والستر في الدنيا والآخرة^(١٤).

(١) أي ذكر ما سبق من أقوال العلماء من قوله: فكان عبد الله بن يزيد. . . إلى قول الإمام الشافعي، ذكر ذلك ابن المنذر في كتابه الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف ٥/ ٤٥٧ - ٤٥٨.

(٢) الإمام الفقيه محمد بن إبراهيم بن المنذر، أبو بكر النيسابوري، صاحب التصانيف، منها: الإشراف في اختلاف العلماء، وكتاب الإجماع، والمبسوط، وله تفسير كبير، وغير ذلك، توفي سنة ٣١٨هـ، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٩٠.

(٣) في (ع، ظ): فستر.

(٤) في (ع، ظ): والله أعلم.

(٥) من قوله: ولقد أخبرني بعض. . . إلى هذا الموضع ليس في (ع، ظ).

(٦) (أيضاً): نبئت في (ع، ظ).

(٧) (الفقيه الإمام العالم شيخ الطريقة): ليس في (ع، ظ).

(٨) في (ع، ظ): عبد الله. (٩) ثم أفف له على ترجمة.

(١٠) في (الأصل): أولاده، والتصويب من (ع، ظ).

(١١) في (ع): أن يدخلوا الميت في القبر، وفي (ظ): أن يدخلوا فيه.

(١٢) من جملة: فحفروا له قبراً آخر، الثانية إلى هذا الموضع ليس في (ع، ظ).

(١٣) في (الأصل): يحفروا، نصوبه من (ع، ظ).

(١٤) في (ع): بمحمد ﷺ. وهو من التوسل بالذات، وهو ممنوع، وأما التوسل بالإيمان به ﷺ ومحبه وطاعته، فمشروع.

باب ما جاء في قراءة القرآن عند القبر حالة الدفن
[وبعده] ^(١) وأنه يصل للميت ^(٢) ما يقرأ ويدعا ويستغفر
له ويتصدق عليه

ذكر أبو حامد في كتاب ^(٣) الإحياء ^(٤)، وأبو محمد عبد الحق في كتاب
العاقبة ^(٥) له: قال محمد بن أحمد المرورذي ^(٦): سمعت أحمد بن حنبل رضي الله عنه
يقول: إذا دخلتم المقابر فاقرؤوا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد،
واجعلوا ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم ^(٧).

وقال علي بن موسى الحداد ^(٨) كنا ^(٩) مع أحمد بن حنبل في جنازة،
ومحمد بن قدامة هو ^(١٠) الجوهري ^(١١) يقرأ، فلما دفنا الميت جاء رجل
ضرب ^(١٢) يقرأ فقال له أحمد: يا هذا إن القراءة على القبر بدعة، فلما خرجنا
من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد ^(١٣): يا أبا عبد الله ما تقول في مبشر بن
إسماعيل؟ قال: ثقة، قال هل كتبت عنه شيئاً؟ قال: نعم، قال: أخبرني
مبشر بن إسماعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج ^(١٤) عن أبيه أنه
أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها وقال: سمعت

(١) ما بين المعقوفين من (ع، ظ)، (٢) في (ع، ظ): ثواب ما يقرأ.

(٣) (كتاب): ليست في (ع)، (٤) ٤٢٨/٤.

(٥) لا يوجد النص المشار إليه في كتاب العاقبة لأبي محمد.

(٦) ذكره ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة ٢٦٤/١ وقال: ذكره أبو بكر الخلال فقال:

روى عن أبي عبد الله مسائل لم تقع إلى غيره، ثقة، من أهل مرو الروذ.

(٧) ذكره ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة ٢٦٤/١.

(٨) لم أقف له على ترجمة، (٩) في (ع، ظ): كنت.

(١٠) (هو): ليست في (ع، ظ).

(١١) ترجم له صاحب كتاب المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ٤٨٧/٢ رقم

١٠٤٣، وذكر له هذه الرواية في ١٩٦/٢.

(١٢) في (ع): بين الضرارة، (١٣) (لأحمد): ليست في (ظ).

(١٤) في جميع النسخ بما فيها الأصل: الحجاج، والتصويب من التاريخ الكبير للبخاري ٦/

٥٠٧ رقم ٣١٣٧، والثقات لابن حبان ٣٦٠/٣ رقم ١١٨٩.

ابن عمر رضي الله عنهما يوصي بذلك، قال أحمد: فارجع إلى الرجل فقل له يقرأ^(١). قلت: وقد استدلل بعض علمائنا^(٢) على قراءة القرآن على القبر^(٣) بحديث

(١) قال الألباني: في ثبوت هذه القصة عن أحمد نظر، أحكام الجنائز ص (١٩٢). وجاءت رواية أخرى عن الإمام أحمد في مسأله التي رواها عنه أبو داود السجستاني، صاحب السنن بالمنع من القراءة عند القبر. قال أبو داود سمعت أحمد سئل عن القراءة عند القبر فقال: لا. انظر: مسائل الإمام أحمد التي رواها عنه أبو داود صاحب السنن ص (١٥٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ذكر طائفة من العلماء من أصحاب أحمد وغيرهم ونقلوه عن أحمد وذكروا فيه آثاراً: أن الميت يتألم بما يفعل عنده من المعاصي، فقد يقال أيضاً: إنه ينعم بما يسمعه من قراءة وذكر. وهذا لو صح لم يوجب استحباب القراءة عنده فإن ذلك لو كان مشروعاً لسنه رسول الله ﷺ؛ وذلك لأن هذا وإن كان نوع مصلحة ففيه مفسدة راجحة كما في الصلاة عنده، وتعم الميت بالدعاء له والاستغفار والصدقة عنه وغير ذلك من العبادات بحصل به من النفع أعظم من ذلك وهو مشروع ولا مفسدة فيه؛ ولهذا لم يقل أحد من العلماء بأنه يستحب فصد القبر دائماً للقراءة عنده إذ قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن ذلك ليس مما شرعه النبي ﷺ لأمته، لكن اختلفوا في القراءة عند القبور هل تكره أم لا تكره، والسألة مشهورة وفيها ثلاث روايات عن أحمد:

إحداها: أن ذلك لا بأس به، وهي اختيار الخلال وصاحبه وأكثر المتأخرين من أصحابه وقالوا: هي الرواية المتأخرة عن أحمد، وقول جماعة من أصحاب أبي حنيفة، واعتمدوا على ما نقل عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه أوصى أن يقرأ على قبره وقت الدفن بفواتيح البقرة وخواتيمها، ونقل أيضاً عن بعض المهاجرين قراءة سورة البقرة. الثانية: أن ذلك مكروه، حتى اختلف هؤلاء هل تقرأ الفاتحة في صلاة الجنائز إذا صلي عليها في المقبرة، وهذه الرواية هي التي رواها أكثر أصحابه عنه وعليها قدماء أصحابه الذين صحبوه كعبد الوهاب الوراق وأبي بكر المروزي ونحوهما، وهي مذهب جمهور السلف كأبي حنيفة ومالك وهشيم بن بشير وغيرهم، ولا يحفظ عن الشافعي نفسه في هذه المسألة كلام؛ وذلك لأن ذلك كان عنده بدعة.

الثالثة: أن القراءة عنده وقت الدفن لا بأس بها كما نقل عن ابن عمر رضي الله عنهما وبعض المهاجرين، وأما القراءة بعد ذلك مثل الذين يتناوبون القبر للقراءة عنده فهذا مكروه، فإنه لم ينتقل عن أحد من السلف مثل ذلك أصلاً، وهذه الرواية نعلها أقوى من غيرها؛ لما فيها من التوفيق بين الأدللة. اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٤١ - ٧٤٤ ومجموع الفتاوى ٢٤/ ٢٩٨، ٣٠٠، ٣١٧. نشيخ الإسلام.

(٢) لم أعرفهم. (٣) (على القبر): ليست في (ع، ظ).

العسيب الرطب الذي شقه النبي ﷺ باثنين ثم غرس على هذا واحداً وعلى هذا واحداً وقال^(١): لعله يخفف عنهما ما لم يببسا، خرَّجه البخاري^(٢) ومسلم^(٣) وسيأتي^(٤).

وفي مسند أبي داود الطيالسي^(٥): «فوضع على أحدهما نصفاً وعلى الآخر نصفاً»^(٦) وقال: إنه يهون عليهما ما دام فيهما من بلولتهما شيء». قال علماؤنا^(٧) رحمة الله عليهم^(٨): ويستفاد من هذا غرس الأشجار، وقراءة القرآن على القبور، وإذا خفف عنهم^(٩) بالأشجار فكيف بقراءة الرجل المؤمن القرآن^(١٠).

وخرج^(١١) السلفي^(١٢) وغيره^(١٣) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مرَّ على المقابر»^(١٤) وقراً: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إحدى عشر مرة ثم وهب أجره للأموات أعطي من الأجر بعدد الأموات»^(١٥).

(١) في (ع، ظ): ثم قال.

(٢) في الصحيح ٢٤٠/١، ح ٢٩٢.

(٣) (وسياتي): ليست في (ع، ظ). انظر: ص (٣٩٤).

(٥) مسند أبي داود ص (١١٧)، ح ٨٦٧؛ وأحمد في المسند ٣٩/٥، ح ٢٠٤٢٧، قال الأرنؤوط: حديث قوي، انظر: مسند أحمد ط. مؤسسة الرسالة ٥٢/٣٤، ح ٢٠٤٦١.

(٦) في (الأصل): فوضع على قبر نصفاً وعلى الآخر نصفاً، وما أثبتته من (ع، ظ، ومسند أبي داود الطيالسي).

(٧) ثم أقف على القائل.

(٨) في (ع): عليهم.

(٩) يجاب عن هذا القياس بأن ما فعله النبي ﷺ يعتبر من خصائصه؛ لأنه لم يفرس أحد من الصحابة العسيب على القبور لتخفيف العذاب عن أصحابها من بعده ﷺ، ولو كان مشروعاً في حق الأمة لسبقونا إليه.

(١٠) في (ع): وقد خرج.

(١١) هو الإمام المحدث أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد الأصبهاني البجرواني، ويلقب جده أحمد ببلغة، وهو بالفارسية الغليظ الشفة، له مصنفات منها: الأربعين البلدية، والسفينة الأصبهانية، وغير ذلك، توفي سنة ٥٧٦هـ، سير أعلام النبلاء ٥/٢١.

(١٢) (وغيره): ليست في (ع، ظ).

(١٣) في (ج): بالمقابر.

(١٤) قال الألباني: حديث باطل موضوع، انظر: أحكام الجنائز ويدعها ص (١٩٣).

وروي من حديث أنس خادم رسول الله ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ المؤمن آية الكرسي وجعل ثوابها لأهل القبور أدخل الله تعالى في كل قبر من المشرق إلى المغرب أربعين نوراً ووسع الله ﷻ عليهم مضاجعهم وأعطى الله للقارئ ثواب ستين [ب/٢٩] نبياً ورفع له بكل ميت درجة وكتب له بكل ميت عشر حسنات»^(١).

وقال الحسن^(٢): من دخل المقابر فقال: اللهم رب^(٣) الأجساد البالية، والمعظام النخرة^(٤) التي^(٥) خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة فأدخل عليهم^(٦) روحاً منك وسلاماً مني إلا كتبت^(٧) له بعددهم حسنات^(٨).

وأسند الثعلبي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال^(٩): «خير الناس وخير من مشى^(١٠) على جديد الأرض المعلمون كلما خلق الدين جددوه أعطوهم ولا تستأجروهم فتخرجوهم»^(١١) فإن المعلم إذا قال للصبى قل بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله له براءة للصبى وبراءة للمعلم وبراءة لأبويه من النار» ذكره الثعلبي^(١٢).

قلت: أصل هذا الباب: الصدقة التي لا اختلاف فيها، فكما يصل إلى الميت^(١٣) ثوابها فكذلك تصل قراءة القرآن^(١٤)، والدعاء، والاستغفار إذ كل

(١) من قوله: وروي من حديث أنس، إلى هذا الموضع ليس في (ع، ظ)، ولم أجد هذا الحديث.

(٢) البصري. (٣) في (ظ): رب هذه.

(٤) في (ع، ظ): النخرة، والأصل يتوافق مع التمهيد لابن عبد البر.

(٥) (التي) ليست في (ع، ظ، التمهيد). (٦) في (ع، ظ، التمهيد): عليها.

(٧) في (ظ): كتب الله.

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٨٨/٧، ح ٣٥٢٠٨؛ وأورده ابن عبد البر في التمهيد ٢٤١/٢٠.

(٩) في (ع، ظ): وروي عن النبي ﷺ من حديث ابن عباس أنه قال.

(١٠) في (ع، ظ): يمشى. (١١) (فتخرجوهم): ليست في (ظ).

(١٢) الحديث موضوع، انظر: الموضوعات لابن الجوزي ١/٣٥٧، ح ٤٣٩.

(١٣) في (ع): للميت.

(١٤) وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية: عن يقرأ القرآن العظيم أو شيئاً منه، هل الأفضل =

= أن يهدي ثوابه لوالديه ولموتى المسلمين أو يجعل ثوابه لنفسه خاصة؟ فأجاب: أفضل العبادات ما وافق هدي رسول الله ﷺ وهدى الصحابة... إلى قوله: فإذا عرف هذا الأصل فالأمر الذي كان معروفاً بين المسلمين في القرون المفضلة أنهم كانوا يعبدون الله بأنواع العبادات المشروعة فرضها وتفلها: من الصلاة والصيام والقراءة والذكر وغير ذلك، وكانوا يدعون للمؤمنين والمؤمنات كما أمر الله بذلك لأحيائهم وأمواتهم في صلاتهم على الجنائز وعند زيارة القبور وغير ذلك. وروي عن طائفة من السلف عند كل ختمة دعوة مجابة، فإذا دعا الرجل عقيب الختم لنفسه ولوالديه ولمشائخه وغيرهم من المؤمنين والمؤمنات كان هذا من جنس المشروع، وكذلك دعاؤه لهم في قيام الليل وغير ذلك من مواطن الإجابة، وقد صح عن النبي ﷺ أنه أمر بالصدقة على الميت وأمر أن يصام عنه الصوم، فالصدقة عن الموتى من الأعمال الصالحة، وكذلك ما جاءت به السنة في الصوم عنهم، وبهذا وغيره احتج من قال من العلماء: إنه يجوز إهداء ثواب العبادات المالية والبذنية إلى موتى المسلمين كما هو مذهب أحمد وأبي حنيفة وطائفة من أصحاب مالك والشافعي. فإذا أهدى لميت ثواب صيام أو صلاة أو قراءة جاز ذلك. وأكثر أصحاب مالك والشافعي يقولون: إنما يشرع ذلك في العبادات المالية. ومع هذا فلم يكن من عادة السلف إذا صلوا تطوعاً وصاموا وحجوا أو قرأوا القرآن يهدون ثواب ذلك لموتاهم المسلمين ولا لخصوصهم، بل كان عادتهم ما تقدم، فلا يتبني المدول عن طريق السلف فإنه أفضل وأكمل. مجموع الفتاوى ٢٤/٣٢١ - ٣٢٣.

وقال ابن القيم: وبالجملة فأفضل ما يهدى إلى الميت العتق والصدقة والاستغفار له والدعاء له والحج عنه، وأما قراءة القرآن وإهداؤها له تطوعاً بغير أجره فهذا يصل إليه كما يصل ثواب الصوم والحج، فإن قبل فهذا لم يكن معروفاً في السلف ولا يمكن نقله عن واحد منهم مع شدة حرصهم على الخير لأرشدهم النبي ﷺ وقد أرشدهم إلى الدعاء والاستغفار والصدقة والحج والصيام، فلو كان ثواب القراءة يصل لأرشدهم إليه، ولكانوا يفعلونه؟

فالجواب: أن مورد هذا السؤال إن كان معترفاً بوصول ثواب الحج والصيام والاستغفار قيل له: ما هذه الخاصية التي منعت وصول ثواب القرآن واقتضت وصول ثواب هذه الأعمال؟ وهل هذا إلا تفريق بين المتماتلات؟ وإن لم يعترف بوصول تلك الأشياء إلى الميت فهو محجوج بالكتاب والسنة والإجماع وقواعد الشرع، وأما السبب الذي لأجله لم يظهر ذلك عن السلف فهو إنهم لم يكن لهم أوقاف على من يقرأ ويهدي إلى الموتى ولا كانوا يعرفون ذلك البتة، ولا كانوا يقصدون القبر عند القراءة كما يفعل الناس اليوم، ولا كان أحدهم يُشهد من حضره من الناس على أن ثواب هذه القراءة لفلان الميت، بل ولا ثواب الصدقة والصوم، ثم يقال لهذا السائل لو =

ذلك صدقة؛ فإن الصدقة لا تختص بالمال، قال عليه السلام وقد سئل عن قصر الصلاة حالة الأمن قال: «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته»^(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «يصبح على كل سلامي^(٢) من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تهليلة صدقة^(٣)، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وتجزئي من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى» خرج الحديثين مسلم^(٤)؛ ولهذا استحب العلماء زيارة القبور؛ لأن القراءة والدعاء^(٥) تحفة الميت من زائره.

روي عن النبي صلى الله عليه وآله^(٦) أنه قال: «ما الميت في قبره إلا كالغريق المغوث

- كُلبت أن تنقل عن واحد من السلف أنه قال: اللهم اجعل ثواب هذا الصوم لفلان نعيمته؛ فإن القوم كانوا أحرص شيء على كتمان أعمال البر، فلم يكونوا يشهدوا على الله ببيصال ثوابها إلى أمواتهم. فإن قيل: فرسوك الله صلى الله عليه وآله أرشدهم إلى الصوم والصدقة والحج دون القراءة؟ قيل هو صلى الله عليه وآله لم يبتدئهم بذلك بل خرج ذلك منه مخرج الجواب لهم، فهذا سأله عن الحج عن ميتة فأذن له، وهذا سأله عن الصيام عنه فأذن له، هذا سأله عن الصدقة فأذن ولم يمنعهم مما سوى ذلك. والقائل أن أحداً من السلف ثم يفعل ذلك قائل ما لا علم له به؛ فإن هذه شهادة على نفي ما لم يعلمه، فما يدريه أن السلف كانوا يفعلون ذلك ولا يشهدون من حضرهم عليه بل يكفي اطلاع على الغيوب على نياتهم ومقاصدهم لا سيما والتلفظ بنية الإهداء لا يشترط. وسر المسألة: أن الثواب ملك العوامل فإذا تبرع به أو أهده إلى أخيه المسلم أو صله الله إليه، فما الذي خص من هذا ثواب قراءة القرآن وحجر على العبد أن يوصله إلى أخيه؟ الروح لابن القيم ص(١٤٢) وما بعدها.

(١) أخرجه مسلم ٤٧٨/١، ح ٦٨٦.

(٢) السلامي: جمع سلامية، وهي الأنملة من الأصابع، ويجمع على سلاميات، وهي التي بين كل مفصلين من مفاصل أصابع الإنسان، وقيل: كل عظم مجوف من صغار العظام، والمعنى على كل عظم من عظام ابن آدم صدقة، النهاية في غريب الحديث ٣٩٦/٢.

(٣) (وكل تهليلة صدقة): ليست في (ط).

(٤) (خرج الحديثين مسلم): ليست في (ع، ط). وانحديث أخرجه مسلم ٤٩٨/١، ح ٧٢٠.

(٥) (والدعاء): ليست في (ع، ط). (٦) تم أجده هذه الرواية.

ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق له فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها^(١)، وإن هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار.

وقد^(٢) حُكي أن امرأة جاءت إلى الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقالت: إن ابنتي ماتت وقد أحببت أن أراها في المنام فعلمني صلاة أصليها لعلني أراها، فعلمها^(٣) صلاة^(٤) فرأت بنتها^(٥) وعليها لباس القطران، والغل في عنقها، والقيد في رجلها^(٦) فارتاعت لذلك وأخبرت الحسن فاغتم^(٧) عليها فلم تمض^(٨) مدة حتى رآها الحسن في المنام وهي في الجنة على سرير، وعلى رأسها تاج فقالت له^(٩): يا شيخ أما تعرفني؟ فقال^(١٠): لا، فقالت: أنا تلك المرأة التي علّمت أمي الصلاة فرأيتني في المنام، قال: فما سبب أمرك؟ قالت: مرّ بمقبرتنا رجل فصلى على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان في المقبرة خمسمائة وستون إنساناً في العذاب، فنودي: ارفعوا العذاب عنهم ببركة^(١١) صلاة هذا الرجل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال بعضهم: مات أخ لي فرأيتني في المنام فقلت^(١٢): ما كان^(١٣) حالك حين وضعت في قبرك؟ قال: أتاني آتٍ بشهابٍ من نار فلولاً أن داعياً دعا لي لرأيت^(١٤) أنه سيضربني به، والحكايات عن الصالحين بهذا المعنى كثيرة ذكرها أبو محمد عبد الحق في كتاب العاقبة^(١٥) له.

(١) إلى هنا ذكره أبو محمد عبد الحق في كتابه العاقبة ص(٢١٦)؛ وابن حجر في لسان الميزان في ترجمة محمد بن جابر بن عياش وقال: لا أعرفه، وخبره منكر جداً، لسان الميزان ٩٩/٥.

(٢) (قد): ليست في (ظ). (٣) في (ع): فعلتها.

(٤) لا يعلم في العبادات صلاة أو دعاء بعينه لرؤية الأموات، وهذا ما يبطل صحة نسبة هذه الحكاية إلى الإمام الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) في (ع، ظ): ابنتها. (٦) في (ع): رجلها.

(٧) في (ظ): فاغتم لذلك. (٨) في (ظ): تمر.

(٩) (له): ليست في (ظ). (١٠) في (ع، ظ): قال.

(١١) في (ظ): ببركات. (١٢) في (ع): فقال.

(١٣) (كان): ليست في (ظ). (١٤) في (ظ): رأيت.

(١٥) في ص(٢٢١) وما بعدها.

وقد [٣٠/أ] ذكر في هذا المعنى أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة^(١) في كتاب عيون الأخبار له^(٢) حكاية فيها طول رأينا ذكرها؛ لاشتمالها على وعظ وتذكير^(٣) وتخويف وتحذير، وتضرع وابتهاال، ودعاء بالموت وانتقال.

روي عن الحارث بن نبهان^(٤) أنه قال: كنت أخرج إلى الجبانات^(٥) فأترحم^(٦) على أهل القبور وأفكر وأعتبر، وأنظر إليهم سكوتاً لا يتكلمون وجيراناً لا يتزاورون، وقد صار لهم من بطن الأرض وحاء، ومن ظهرها غطاء، وأنادي يا أهل القبور: محيت من^(٧) الدنيا آثاركم وما محيت عنكم أوزاركم، وسكنتم دار البلى فتورمت أقدامكم، قال: ثم بكى بكاءً شديداً، ثم يميل إلى قبة فيها قبر^(٨) فينام في ظلها، قال: فبينما أنا نائم إلى جانب القبر إذا أنا بحس مقمعة يضرب بها صاحب القبر وأنا أنظر إليه والسلسلة في عنقه وقد ازرق عيناها واسود وجهه وهو يقول: يا ويلى ماذا حلّ بي؟ لو رأوني^(٩) أهل الدنيا^(١٠) لما^(١١) ركبوا معاصي الله أبداً، طولبت والله باللذات فأوثقتني^(١٢) وبالخطايا فأغرقتني، فهل من شافع لي؟ أو مخبر أهلي بي^(١٣)؟ قال الحارث: فاستيقظت مرعوباً، وكاد أن يخرج قلبي من هول ما رأيت، فمضيت إلى داري وبت ليلتي وأنا متفكر فيما رأيت، فلما أصبحت قلت: دعني أعود إلى

(١) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تقدمت ترجمته ص (٢٦٥).

(٢) ثم أجد هذه الفصّة في عيون الأخبار المطبوع لابن قتيبة.

(٣) في (الأصل): تذكر، وتصويبه من (ع، ظ).

(٤) راوي هذه الحكاية الحارث بن نبهان، متروك الحديث عند أهل الحديث، قال النسائي عنه: متروك الحديث، الضعفاء والمتروكين له ص (٢٩) رقم ١١٦؛ وقال: يحيى بن معين عنه: ليس بشيء، تاريخ يحيى بن معين رواية الدورى ٨٧/٤ رقم ٣٢٨٥.

(٥) الجبانة: المقبرة، القاموس المحيط ص (١٥٣٠).

(٦) في (ع): فأرحم.

(٧) في (ظ): عن.

(٨) فيها قبر: ليست في (ع).

(٩) في (ظ): رأني.

(١٠) هذه لغة أكلوني البراغيث.

(١١) في (ع، ظ): فأوثقتني.

(١٢) في (ع، ظ): بأمرى.

الموضع^(١) لعلي أجد به^(٢) أحداً من زوار القبور فأعلمه بالذي رأيت، قال^(٣): فمضيت^(٤) إلى المكان الذي كنت فيه بالأمس فلم أر أحداً، فأخذني النوم فتمت، فإذا أنا بصاحب القبر وهو يسحب علي وجهه ويقول: وا ويلناه^(٥) ماذا حلّ بي ساء في الدنيا عملي، وطال فيها أجلي حتى غضب علي رب الأرباب، فالويل لي إن لم يرحمني ربي، قال الحارث: فاستيقظت وقد تولّه^(٦) عقلي مما رأيت وسمعت، فمضيت إلى داري، وبت ليلتي، فلما أصبحت أتيت القبر لعلي أجد أحداً من زوار القبور فأعلمه بما رأيت، ثم نمت فإذا أنا بصاحب القبر قد قرن بين قدميه وهو يقول: ما أغفل أهل الدنيا عني، ضوعف علي العذاب، وتقطعت عني الحيل والأسباب، وغضب علي رب الأرباب وغلّق في وجهي كل باب فالويل لي إن لم يرحمني ربي العزيز الوهاب، قال الحارث: فاستيقظت من منامي مرعوباً، وهممت بالانصراف، فإذا بثلاث جوارٍ قد أقبلن فتباعدت لهن^(٧) عن القبر وتواريت لكي أسمع كلامهنّ، فتقدمت الصغرى ووقفت على القبر وقالت: السلام عليك يا أبتاه، كيف هدوءك في مضجعك؟ وكيف قرارك في موضعك، ذهبت عنا بودك، وانقطع عنا سؤالك، فما أشدّ حزننا^(٨) عليك، ثم بكت بكاء شديداً، ثم تقدمت الابنتان فسألن علي القبر، ثم قالتا هذا قبر أبينا الشفيق علينا، والرحيم بنا أنسك الله بملائكة رحمته، وصرف عنك عذابه ونقمته، يا أبتاه جرت بعدك أمورٌ لو عايتها لأهمتك، ولو اطلعت عليها لأحزنتك، كشف الرجال وجوهنا وقد كنت أنت سترتها [٣٠٦/ب]. قال الحارث: فبكيت لما سمعت كلامهن، ثم قمت مسرعاً إليهن فسلمت عليهن، وقلت لهن: أيها الجوارٍ إن الأعمال ربما قُبلت وربما رُدت علي صاحبها، فما كان عمل أبيكن المخلد في هذا القبر الذي عاينت من أمره ما

(١) في (ع، ظ): إلى الموضع الذي كنت فيه.

(٢) (به): لست في (ع، ظ).

(٣) (قال): لست في (ظ).

(٤) في (ظ): فلما مضيت.

(٥) في (ع، ظ): يا ويلناه.

(٦) التولّه: ذهاب العقل والتخير من شدة الوجد أو الحزن أو الخوف، لسان العرب ١٣/٥٦١.

(٧) (لهن): لست في (ظ).

(٨) في (ع): حسرتنا.

أحزنني، واطلعت من حاله علي ما ألمني؟ قال الحارث: فلما سمعت كلامي كشفني^(١) وجوههن^(٢) وقلن: أيها العبد الصالح وما الذي رأيت؟ قلت لهن: لي ثلاثة أيام وأنا^(٣) أختلف إلى هذا القبر أسمع صوت المقمعة والسلسلة فيه، قال: فلما سمعت ذلك مني قلن لي: بشارة ما أضرها، ومصيبة ما أحزنها، نحن نقضي الأوطار، ونعمر الديار وأبونا يحترق بالنار، فوالله لا قر لنا قرار ولا ضمنا للذة العيش دار أو نتضرع إلى الجبار فلعله أن يعتق أبانا وينقذه من النار، ثم مضين يتعثرن في أذيالهن. قال الحارث: فأتيت^(٤) إلى داري وبت^(٥) ليلتي، فلما أصبحت أتيت القبر فجلست عنده فغلبنني النوم فتمت^(٦) فإذا أنا بصاحب القبر له حسن وجمال، وفي رجليه نعل من ذهب، ومعه حور وغلما^(٧). قال الحارث فسلمت عليه وقلت له: رحمك الله من أنت؟ فقال: أنا الرجل الذي عاينت من أمره ما أحزنك، واطلعت منه علي ما أفجعك، فجزاك الله خيراً فما أيمن طلعتك علي، فقلت له: وكيف حالك؟ فقال لي^(٨): لما اطلعت علي وأخبرت بناتي بالأمس بحالي، أعرين أبدانهن، وأسبلن شعورهن^(٩)، وتضرعن لمولاهن، ومرغن خدودهن في التراب وأهملن دموعهن بالانسكاب، واستوهبني^(١٠) من العزيز الوهاب^(١١)، فغفر لي الذنوب

(١) في (ظ): كشفني عن.

(٢) من عجائب هذه القصة التي لم يحسن ناسجها حياكتها أن هؤلاء الجواري كن يستترن بغطاء الوجه وليس بينهن أحد من الرجال فلما رأين الحارث بن نبهان وهو أجنبي عنهن كشفن وجوههن، ألا يصل إليه كلامهن من وراء غطاء الوجه وقد يصل إليه من وراء جدار؟! والأعجب من ذلك أنهم اشتكين إلى أبيهن أن الرجال قد كشفوا وجوههن، فدل ذلك على كذب هذه القصة ووضعها.

(٣) (وأنا): ليست في (ع).

(٤) في (ع، ط): فمضيت.

(٥) في (ع): فبت.

(٦) فتمت: في (ع).

(٧) في (ع): حور وخدم وغلما.

(٨) في (ظ): فقال له.

(٩) هذه القصة اشتملت على بعض المنكرات مثل كشف الوجه، والتعري بين يدي الله تبارك وتعالى مما أفسد الغاية التي ساق المصنف القصة من أجلها وهي النوع والتذكير.

(١٠) في (ع، ط): واستوهبوني.

(١١) في (الأصل): الغفار، وما أثبت من (ع، ط) لمناسبة الاسم لما قبله.

والأوزار، واستنقذني^(١) من النار، وأسكنني دار القرار بجوار محمد المختار، فإذا رأيت بناتي فأعلمهن بأمر^(٢) وما كان من قصتي؛ ليذول عنهن روعهن، ويفارقن حزنهن، وتعلمهن أنني قد صرت إلى جنات وحوار ومسك وكافور وعندى غلمان وسرور، وقد عفا عني العزيز الغفور^(٣) قال الحارث: فاستيقظت فرحاً مسروراً بما رأيت وسمعت^(٤)، ثم مضيت إلى داري وبيت ليأتي، فلما أصبحت أتيت القبر^(٥) فوجدتهن حافيات الأقدام، فسلمت عليهن وقلت لهن: أبشرن فقد رأيت أباكن في خير عظيم، وملك مقيم، وقد أعلمني أن الله تعالى أجاب دعاكن ولم يخيب مسعاكن، وقد وهب لكن أباكن فاشكرنه على ما أولاك. قال: فقالت الصغرى: اللهم يا مؤنس القلوب، ويا ساتر العيوب، ويا كاشف الكروب، ويا غافر الذنوب، ويا عالم الغيوب، ويا مبلغ الأمل المطلوب^(٦) قد علمت ما كان من مسكنتي^(٧) ورغبتني واعتذاري في خلوتي وإشفاقي^(٨) من زلتي، وتنصلي من خطيئتي، وأنت اللهم تعلم همتي والمطلع على نيتي، والعالم بطويتي^(٩)، ومالك رقبتي، والآخذ بناصيتي، وغايتي في طلبتي، ورجائي^(١٠) عند شدتي، ومؤنسي في وحدتي، وراحم عبرتي، ومقبل عثرتي ومجيب دعوتي، فإن كنت قصرت عما أمرتني، وركنت إلى^(١١) ما عنه نهيتني فيحلمك A/311 حملتني، وبسترك سترتني فبأي لسان أذكرك، وعلى أي نعمة^(١٢) أشكرك، ضاق بكثرتها ذرعِي، فيا أكرم الأكرمين، ومنتهى غاية

(١) في (ع): استنقذوني، وفي (ظ): أنقذني.

(٢) في (ع): من حاني. (٣) أيسجج أهل القبور!؟

(٤) في (ع): لما سمعت ورأيت. (٥) (القبر): ليست في (ظ).

(٦) في (ع): للمطلوب. (٧) في (ظ): مسألتي.

(٨) في (ع، ظ): استقامتي، ولا يستقيم المعنى بما في (ع، ظ)؛ لأن السياق سياق تنصل واستفالة من الذنوب؛ ولأن الاستقامة تكون بعد الزلة.

(٩) في (الأصل): وطيتي، وتصويبه من (ع، ظ).

(١٠) في (الأصل): رجاء، وهو خطأ تصويبه من (ع، ظ).

(١١) في (ع): ركبت على. (١٢) في (ع): نعمك.

الطالبيين، ومالك يوم الدين الذي يعلم ما يُخفى^(١) في الضمير^(٢) وتدبر في الصغير والكبير^(٣)، فإن كنت قضيت الحاجة بفضلك، وشفعتني في عبدك فاقبضني إليك إنك^(٤) على كل شيء قدير، ثم صرخت صرخة فارقت الدنيا، رحمة الله عليها، قال: ثم قامت الثانية فنادت بأعلى صوتها: يا رب يا رب فرج كربتي^(٥) وخلص من الشك قلبي، يا من أقامني من صرعتي، وأقاني من عثرتي^(٦)، وأعانني في شدتي فإن^(٧) كنت قبلت دعوتي، وقضيت حاجتي، وأنجحت طلبتي فألحقني بأختي، ثم صاحت صيحة فارقت الدنيا، رحمة الله عليها، قال: ثم قامت^(٨) الثالثة فنادت بأعلى صوتها: يا أيها الجبار الأعظم، والملك الأكرم، والعالم بمن سكت وتكلم، لك الفضل العظيم، والملك القديم، والوجه الكريم، العزيز من أعززه، والذليل من أذلته، والشريف من شرفته، والسعيد من أسعدته، والشقي من أشقته، والقريب من أدنيه^(٩)، والبعيد من أبعدته، والمحروم من أحرمته^(١٠)، والرايح من أوهبته^(١١)، والخاسر من عذبتة، أسألك باسمك العظيم، ووجهك الكريم، وعلمك المكنون الذي بعد عن إدراك الأفهام وعمض عن مُناوَلِه الأوهام، باسمك الذي جعلته على الليل فُدجِي، وعلى النهار فأضاء، وعلى الجبال فدكدكت^(١٢)، وعلى الرياح فسارت^(١٣)، وعلى السماوات فارتفعت، وعلى الأصوات

(١) في (ع، ظ): أخفي.

(٢) في (ظ): ما في الصدور والضمير.

(٣) في (ع، ظ): تدبر من الصغير والكبير، وفي ظني أن ما بكل النسخ يحتاج إلى تقدير لكي يستقيم المعنى، فنقدر ما في الأصل: تدبر الإنسان في الأمر الصغير والكبير، وعلى نسخني (ع، ظ) يكون التقدير: تدبر أم الصغير والكبير. وهذا الاحتمال مبني على أن حرف الجر (من) تحرف من كلمة (أمر).

(٤) في (ع): وأنت.

(٥) في (ع): كربتي.

(٦) في (ع، ظ): ودلني من حيرتي.

(٧) في (ع، ظ): إن.

(٨) في (ظ): تقدمت.

(٩) في (ظ): قرنته.

(١٠) في (ظ): حرمته.

(١١) في (ظ): وهبته.

(١٢) في (ع): فدكدكت.

(١٣) في (ع): فثارت.

فخشعت، وعلى الملائكة فسجدت، اللهم إن أسألك إن كنت قضيت حاجتي، وأنجحت طلبتي فألحقني بصواحيبي^(١)، ثم صاحت صيحة فارقت الدنيا رحمة الله عليها وعليهن^(٢) وعلى جميع المسلمين^(٣).

وروي من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال: «من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف عنهم وكان له بعدد من فيها حسنات»^(٤).

ويروى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ؓ أنه أمر أن يقرأ عند قبره سورة البقرة^(٥).

وقد روي إباحة [قراءة]^(٦) القرآن عند القبر عن العلاء بن عبد الرحمن^(٧).

وذكر النسائي^(٨) وغيره^(٩) من حديث معقل بن يسار المدني ؓ عن النبي ﷺ أنه قال: «اقرأوا سورة^(١٠) يس عن موتاكم». وهذا يحتمل أن تكون

(١) في (ظ): بصويحباتي.

(٢) (وعلينهن): ليست في (ع).

(٣) في (ع): آخر الحكاية والحمد لله رب العالمين.

(٤) قال الألباني: موضوع، أخرجه الثعلبي في تفسيره، السلسلة الضعيفة ٣/٢٩٧، ح ١٢٤٦.

(٥) ذكره أبو محمد عبد الحق في الأحكام الشرعية الصغرى ٢/٣٤٠.

(٦) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).

(٧) هو العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحُرَقي، صدوق ربما وهم، تقريب التهذيب ص (٤٣٥) رقم ٥٢٤٧، وأخرجه عنه الطبراني في المعجم الكبير ١٩/٢٢٠، ح ٤٩١، ويحيى بن معين في تاريخه رواية الدوري ٤/٤٤٩ رقم ٥٢٣٨.

(٨) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ٦/٢٦٥، ح ١٠٩٣.

(٩) (وغيره): ليست في (ع، ظ)، والحديث أخرجه وأبو داود في السنن ٣/١٩١، ح ٣١٢١؛ وابن ماجه ١/٤٦٦، ح ١٤٤٨؛ وابن حبان في صحيحه ٧/٢٦٩، ح ٣٠٠٥؛ وأحمد في المسند ٥/٢٦، ح ٢٠٣١٦. كلهم من طريق أبي عثمان وليس بالنهدي عن أبيه عن معقل بن يسار، قال ابن حجر: أعله ابن القطان بالاضطراب والوقف، وبجهاة حال أبي عثمان وأبيه، تلخيص الحبير للمحافظ ابن حجر العسقلاني ٢/١٠٤، ح ٧٣٤، وقال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته ص (١٥١)، ح ١٠٧٢.

(١٠) (سورة): ليست في (ع، ظ)، ولفظ النسائي: «اقرأوا على موتاكم يس».

هذه القراءة عند الميت في حال موته، ويحتمل أن يكون عند قبره.

قال أبو محمد عبد الحق^(١): حدثني أبو الوليد إسماعيل بن أحمد عُرف بابن أفرند وكان هو وأبوه صالحين معروفين^(٢)، مات أبي ﷺ فحدثني بعض إخوانه ممن يوثق بحديثه، قال لي: زرت قبر أبيك فقرأت عليه حزياً من القرآن، ثم قلت: يا فلان هذا قد أهديته لك، فماذا لي؟ قال: فهبت علي نضحة مسك غشيتني، وأقامت معي ساعة، ثم انصرفت وهي معي فما فارقتني إلا وقد مشيت نصف الطريق.

قال أبو محمد^(٣) [٣١/ب]: ورأيت لبعض من يوثق بحديثه قال: ماتت لي امرأة فقرأت في بعض الليالي آيات من القرآن فأهديتها لها ودعوت الله ﷻ، واستغفرت لها وسألت، فلما كان في اليوم التالي حدثني امرأة تعرفها وتعرفني قالت لي: رأيت البارحة فلانة في النوم يعني الميتة المذكورة، في مجلس حسن، في دار حسنة، وقد أخرجت [لي]^(٤) أطباقاً من تحت سرير كان في البيت والأطباق مملوءة^(٥) قوارير^(٦)، فقالت لي:

يا فلانة هذا^(٧) أهداها لي صاحب بيتي، قال: وما كنت أعلمت بما أهديت من^(٨) ذلك أحداً.

قلت: في هذا^(٩) حديث مرفوع^(١٠) من حديث أنس يأتي^(١١) في باب ما

(١) العاقبة لأبي محمد عبد الحق ص(٢١٩).

(٢) في (ع): فقال، وفي العاقبة لأبي محمد: قال.

(٣) في العاقبة له ص(٢١٧).

(٤) ما بين المعقوفين من (ع، ظ، العاقبة). (٥) في (ظ): ملائحة.

(٦) في (ع): من قوارير.

(٧) يا فلانة هذا: ليست في (ع).

(٨) بما أهديت من: ليست في (ع، ظ)، والأصل يتوافق مع مصدر المؤلف.

(٩) في (ع): وفي هذا المعنى، وفي (ظ): في هذا المعنى.

(١٠) في (ع، ظ): مرفوع من حديث أنس.

(١١) انظر: ص(٢٩٧).

يتبع الميت إلى قبره، وبعد موته وما يبقى معه فيه^(١).

وقد قيل: إن ثواب القراءة للقارئ وثواب الاستماع للميت^(٢)، وكذلك^(٣) تلحقه الرحمة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

قلت: ولا يبعد في كرم الله تعالى أن يلحقه ثواب القراءة والاستماع جميعاً، ويلحقه ثواب ما يهدى إليه من قراءة القرآن وإن لم يسمعه كالصدقة والدعاء والاستغفار لما ذكرنا؛ ولأن القرآن دعاء واستغفار وتضرع وابتهاك، وما تقرب المتقربون إلى الله تعالى بمثل القرآن، قال النبي ﷺ^(٤): «يقول الرب^(٥) تبارك وتعالى: من شغله قراءة^(٦) القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»، رواه الترمذي^(٧) وقال فيه: حديث حسن غريب^(٨).

وقال ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله^(٩) إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له^(١٠)». والقراءة في معنى الدعاء، وذلك صدقة من الولد ومن الصاحب والصديق والمؤمنين حسب ما ذكرنا والله أعلم^(١١).

(١) (وبعد موته وما يبقى معه فيه): ليست في (ع، ظ).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن قال إن الميت ينتفع بسماع القرآن ويؤجر على ذلك فقد غلط؛ لأن النبي ﷺ قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»، فالميت بعد الموت لا يثاب على سماع ولا غيره، وإن كان الميت يسمع قرع نعالهم، ويسمع سلام المسلم عليه، ويسمع غير ذلك، لكن لم يبق له عمل غير ما استثنى. مجموع الفتاوى ٣١٧/٢٤؛ واقتضاء الصراط المستقيم ٧٤١/٢.

(٣) في (ع، ظ): ولذلك. (٤) (النبي): ليست في (ع، ظ).

(٥) (الرب): ليست في (ع). (٦) (قراءة): ليست في (سنن الترمذي).

(٧) في السنن ١٨٤/٥، ح ٢٩٢٦؛ والدارمي في السنن ٥٣٣/٢، ح ٣٣٥٦؛ والبخاري في خلق أفعال العباد ص (١٠٩)، قال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف سنن الترمذي ص (٣٥٣)، ح ٥٦٢.

(٨) (حسن): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع الترمذي.

(٩) في (ع): انقطع عنه عمله. (١٠) أخرجه مسلم ١٢٥٥/٣، ح ١٦٣١.

(١١) في (ع): وبالله التوفيق، وفي (ظ): وبالله توفيقنا.

فإن قيل: فقد قال الله^(١) تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]، وهذا يدل على أنه لا ينفع أحداً^(٢) عمل أحد، قيل له: هذه الآية اختلف^(٣) في تأويلها، فروي عن ابن عباس أنها منسوخة^(٤) بقوله تعالى: [والذين آمنوا واتبعتهم ذريبتهم بإيمانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ] [الطور: ٢١]^(٥) فجعل الولد الطفل يوم القيامة في ميزان أبيه ويشفع الله تعالى الآباء في الأبناء والأبناء من الآباء، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ءَأَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ [النساء: ١١].

وقال الربيع بن أنس^(٦): ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ يعني الكافر، وأما المؤمن فله ما سعى وما سعى^(٨) له غيره^(٩).

(١) (الله): ليست في (ع).

(٢) (٢) في (ع): أحد، وهو خطأ.

(٣) (٣) في (ع، ظ): وقد اختلف أهل التأويل. (٤) تفسير الطبري ١١/٥٣٤.

(٥) (٥) سورة الطور من الآية (٢١)، وهذه الآية عنى قراءة أبي عمرو البصري، وهي قراءة سبعة متواترة، انظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، لعبد الفتاح القاضي ٣٠٣/١.

(٦) (٦) (أباؤكم وأبناؤكم): ليست في (ع، ظ).

(٧) (٧) الربيع بن أنس بن زياد البكري المروزي، سمع أنس بن مالك وأبا العالية الرياحي والحسن البصري، وحديثه في السنن الأربعة، يقال: توفي سنة ١٣٩ هـ، سير أعلام النبلاء ١٦٩/٦.

(٨) (٨) في (ظ): وما يُسعى له. (٩) (٩) (غيره): ليست في (ظ).

(١٠) (١٠) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ظن قوم أن انتفاع الميت بالعبادات البدنية من الحي يتأفي قوله: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾، فليس الأمر كذلك، فإن انتفاع الميت بالعبادات البدنية من الحي بالنسبة إلى الآية كانتفاعه بالعبادات المالية، بل ذلك بالنسبة إلى الآية كانتفاعه بالدعاء والاستغفار والشفاعة، وقد بينا في غير هذا الموضع نحواً من ثلاثين دليلاً شرعياً يبين انتفاع الإنسان بسعي غيره، إذ الآية إنما نفت استحقات السعي ومنه وليس كل ما لا يستحقه الإنسان ولا يملكه لا يجوز أن يحسن إليه مالكة ومستحقته بما ينتفع به منه، فهذا نوع وهذا نوع، وكذلك ليس كل ما لا يملكه الإنسان لا يحصل له من جهته منفعة. فقد ثبت بالنصوص المتواترة وإجماع سلف الأمة أن المؤمن ينتفع بما ليس من سعيه كدعاء الملائكة واستغفارهم له كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الصَّلَاةَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَمِعُونَ لِلَّذِينَ اللَّيْلِ مَأْتُوا﴾ الآية، ودعاء النبيين والمؤمنين واستغفارهم كما في قوله تعالى: ﴿وَسَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ =

قلت: وكثير^(١) من الأحاديث تدل على هذا القول^(٢)، وأن المؤمن يصل إليه ثواب العمل الصالح من غيره، وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه»^(٣)، وقال عليه السلام للرجل الذي حج عن غيره قبل أن يحج عن نفسه: «حج عن نفسك ثم حج عن شيرمة»^(٤)، وروي أن^(٥) عائشة ؓ اعتكفت عن أخيها عبد الرحمن بعد موته، وأعتقت عنه، وقال سعد^(٦) للنبي ﷺ: «إن أمي توفيت [أ/٣٢] أفأصدق عنها؟ قال: نعم، قال: فأي الصدقة أفضل؟ قال: سقي الماء»^(٧)، وفي الموطأ^(٨) عن عبد الله بن أبي بكر عن عمته^(٩) أنها حدثته عن جدته أنها جعلت على نفسها مشياً إلى مسجد قباء فماتت ولم تقضه، فأفتى عبد الله بن عباس ابتتها^(١٠) أن تمشي^(١١) عنها.

= وقوله سبحانه: ﴿وَمِنَ الْأَمْثَارِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَانًا عَبْدَ اللَّهِ وَصَلَاتِ الرَّسُولِ﴾، وقوله ﷺ: ﴿وَأَسْتَعْمُرُ لِدُنْيَاكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، وكدهاء المصلين للميت ولمن زاروا قبره من المؤمنين، فالآية ليست في ظاهرها إلا أنه ليس له إلا سعيه وهذا حق فإنه لا يملك ولا يستحق إلا سعي نفسه، وأما سعي غيره فلا يملكه ولا يستحقه لكن هذا لا يمنع أن ينفعه الله ويرحمه به كما أنه دائماً يرحم عباده بأسباب خارجة عن مقدورهم، انظر: مجموع الفتاوى ١٨/١٤٣، ٧/٤٩٩ - ٥٠١، ٢٤/٣٠٦ - ٣١٣، ٢٤/٣٦٦ (بتصرف يسير).

- (١) قلت: وكثير: ساقطة من (ظ).
- (٢) في (ع، ظ): وتشهد له.
- (٣) أخرجه البخاري ٢/٦٩٠، ح ١٨٥٦، ومسلم ٢/٨٠٣، ح ١١٤٧.
- (٤) أخرجه أبو داود في السنن ٢/١٦٢، ح ١٨١١؛ وابن ماجه ٢/٩٦٩، ح ٢٩٠٣؛ وابن حبان في صحيحه ٩/٢٩٩، ح ٣٩٨٨، صحيحه الألباني، انظر: صحيح ابن ماجه ٢/١٥١، ح ٢٣٤٧.
- (٥) في (ظ): عن. (٦) سعد بن معاذ ؓ.
- (٧) أخرجه النسائي في المجتبى ٦/٢٥٤، ح ٣٦٦٥؛ وابن ماجه ٢/١٢١٤، ح ٣٦٨٤؛ وابن حبان في صحيحه ٨/١٣٥، ح ٣٣٤٨، حسنه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/٢٩٨، ح ٢٩٧١.
- (٨) موطأ مالك ٢/٤٧٢، ح ١٠٠٨.
- (٩) عمرة بنت حزم الأنصارية، انظر: شرح الزرقاني على الموطأ ٣/٧٥.
- (١٠) (ابتتها): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع الموطأ.
- (١١) في (ع، ظ): يمشي.

قلت: ويحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(١) خاصاً بالسيئة^(٢)، بدليل ما في صحيح مسلم^(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «قال ﷺ: إذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبها له حسنة، فإن عملها كتبها عشر حسنات^(٤)» إلى سبعمائة ضعف، فإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه، فإن عملها كتبها سيئة واحدة^(٥)، والقرآن دال على هذا، قال الله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وقال تعالى^(٦): ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَلْبَنَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبًّا﴾ [البقرة: ٢٦١]، وقال في الآية الأخرى^(٧): ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وهذا كله تفضلاً^(٨) من الله ﷻ، وطريق العدل ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٩)، فإذا تصدق عنه غيره فليس يجب له شيء^(١٠) إلا أن الله ﷻ متفضل^(١١) عليه بما لم يجب له، كما أن زيادة الإضعاف في الحسنة^(١٢) فضل منه كتب له بالحسنة الواحدة عشراً^(١٣) إلى سبعمائة ضعف إلى ألف ألف حسنة كما قيل لأبي هريرة: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله ليجزي بالحسنة^(١٤) الواحدة ألف ألف حسنة؟ فقال: سمعته يقول: «إن الله ليجزي على الحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة^(١٥)». فهذا تفضل، وقد تفضل الله على الأطفال بإدخالهم الجنة بغير

- (١) في (ع، ظ): في السيئة. (٢) في الصحيح ١/١١٧، ح ١٢٨.
 (٣) في (ع، ظ): كتبها عشراً. (٤) (تعالى): ليست في (ع، ظ).
 (٥) في (ع، ظ): وقال في الآية الأخرى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَلْبَنَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾ وقال.
 (٦) في (ع، ظ): تفضل، والأصل على تقدير كان محذوفة مع اسمها، تقديرها: إنما كان هذا تفضلاً، وما في (ع، ظ) بصح على أنه خبر للمبتدأ هذا.
 (٧) (فإذا تصدق عنه غيره فليس يجب له شيء): ليست في (ع، ظ).
 (٨) في (ع): يتفضل. (٩) (في الحسنة): ليست في (ع، ظ).
 (١٠) في (ع): عشر، على أن كتب مبنية للمجهول.
 (١١) في (ع، ظ): على الحسنة.
 (١٢) أخرجه أحمد في المسند ٢/٢٩٦، ح ٧٩٣٢؛ و٢/٥٢١، ح ١٠٧٧٠، إسناده ضعيف، انظر: حاشية مسند أحمد ١٣/٣٢٨، ح ٧٩٤٥، ط. م. الرسالة.

عمل^(١١)، وقد ذكر الخرائطي في كتاب القبور^(١٢) قال: سنة في الأنصار إذا حملوا الميت أن يُقرأ^(١٣) معه سورة البقرة.

ولقد أحسن بعض الفضلاء حيث يقول^{(١٤)(١٥)}:

زر والديك وقف على قبريهما فكأنتي بك قد حملت إليهما
وفي أبيات يقول فيها^(١٦):

وقرأت من أي الكتاب يقدر ما تستطيعه وبعثت ذاك إليهما

وإنما طولنا النفس في هذا الباب؛ لأن الشيخ الإمام^(١٧) الفقيه القاضي^(١٨) عبد العزيز بن عبد السلام^{(١٩)(٢٠)} كان يفتي بأنه لا يصل إلى الميت ثواب ما يُقرأ، ويحتج بقوله: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾، فلما توفي كلفته رآه بعض أصحابه ممن^(٢١) يجالسه ويسأله عن ذلك فقال له: إنك كنت تقول: لا^(٢٢) يصل إلى الميت ثواب ما يُقرأ ويهدى إليه فكيف الأمر؟ فقال له: كنت^(٢٣) أقول ذلك في دار الدنيا والآن قد رجعت عنه^(٢٤) لما رأيت من

(١) يشير إلى آية سورة الطور: ﴿لَقَدْ أَنبَأَهُمُ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

(٢) في (الأصل، ع): الثبور، وما أثبتته من (ظ)، الكتاب مفقود، انظر: ص (٥٧).

(٣) في (ع، ظ): أن يقرأوا. (٤) في (ع، ظ): ولقد أحسن من قال.

(٥) لم أقف على القائل.

(٦) في (ع، ظ): في أبيات يقول في آخرها.

(٧) تأخرت كلمة: الإمام في (ع، ظ) إلى ما بعد كلمة: القاضي.

(٨) في (ع، ظ): مفتي الأنام.

(٩) عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن، أبو محمد السلمي الشافعي شيخ المذهب، غير كثيراً من البدع مثل: صلاة الرغائب، ونصف شعبان ومنع منها، له مصنفات منها: التفسير، والقواعد الكبرى والصغرى، وكتاب الصلاة، والفنارى الموصلية، وغير ذلك، توفي سنة ٦٦٠هـ، طبقات الشافعية لعبد الوهاب بن علي السبكي ٢٠٩/٨، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٣٥/١٣.

(١٠) في (ع، ظ): كلفته. (١١) في (ع): ممن كان.

(١٢) في (ع، ظ): إنه لا. (١٣) في (ع): إني كنت.

(١٤) بغض النظر عن صحة ما ذهب إليه الإمام ابن عبد السلام، فالآخرة ليست محل تكليف، وإنما يقبل الرجوع عما خالف أو أخطأ فيه الإنسان أو أذنب في دار الدنيا، فلا تبنى أحكام أو معاملات على المنامات.

كرم الله في ذلك، وأنه يصل إليه ذلك [٣٢١/ب.١].

باب يدفن العبد في الأرض التي خلق منها

أبو عيسى الترمذي^(١) عن مطر بن عُكَّامس^(٢) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة». قال أبو عيسى: وفي الباب^(٣) عن أبي عزة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قضى الله لعبد^(٤) أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة^(٥) أو قال بها حاجة^(٦)». قال: هذا حديث صحيح، وأبو عزة له صحبة، واسمه يسار بن عُبيد. وأنشدوا^(٧):

إذا ما جِئنا المراء كان ببلدة دعته إليها حاجة فيطير

وروى الترمذي الحكيم أبو عبد الله في نوادر الأصول^(٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ يطوف ببعض نواحي المدينة فإذا بقبر يُحفر فأقبل حتى وقف عليه، فقال: لمن هذا؟ قيل: لرجل من

(١) في جامعه ٤/٤٥٢، ح ٢١٤٦؛ وابن ماجه ٢/١٤٢٤، ح ٤٢٦٣؛ وأحمد في المسند ٥/٢٢٧، ح ٢٢٠٣٥؛ وابن حبان في صحيحه ١٤/١٩، ح ٦١٥١، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح الترمذي له ٢/٢٢٧، ح ١٧٤٥.

(٢) في (الأصل): عكاش، وتصويبه من (ع. ظ، جامع الترمذي، تفريب التهذيب ص ٥٣٤ رقم ٦٧٠١).

(٣) في (الأصل): وفي الباب الثاني، والتصويب من (ع، ظ، جامع الترمذي).

(٤) في (ظ): للعبد. (٥) في (ظ): جعل له حاجة إليها.

(٦) الترمذي في جامعه ٤/٤٥٣، ح ٢١٤٧؛ وأحمد في مسنده ٣/٤٢٩، ح ١٥٥٧٨؛ وابن حبان في صحيحه ١٤/١٩، ح ٦١٥١؛ والبخاري في الأدب المفرد ص (٢٧٣)، ح ٧٨٠، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح الترمذي ٢/٢٢٧، ح ١٧٤٦.

(٧) ذكره صاحب المستطرف في كل من مستطرف ٢/٥٧٥، ولم ينسبه إلى أحد.

(٨) نوادر الأصول ١/٢٦٦ - ٢٦٧، ولم يذكر له سنداً، وأخرجه الحاكم في مستدرکه ١/٥٢١، ح ١٣٥٦؛ ونسبه في شعب الإيمان ٧/١٧٣، ح ٩٨٩١، قال أبو عبد الله الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ولهذا الحديث شواهد، وأكثرها صحيحة. ثم سرد بعضها.

الحبشة، فقال: لا إله إلا الله سبق من أرضه وسمائه حتى دُفن في الأرض التي خُلق منها».

وعن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ: «أنه قال: إذا كان أجل العبد بأرض أوئبته الحاجة إليها حتى إذا بلغ أقصى أثره قبضه الله، فتقول الأرض يوم القيامة: رب هذا ما استودعني»، خرَّجه ابن ماجه^(١).

فصل

قال علماؤنا^(٢) رحمة الله عليهم: فائدة هذا الباب تنبيه العبد على التيقظ للموت والاستعداد له بحسن الطاعة، والخروج عن المظلمة، وقضاء الدين، وإثبات الوصية بما له وعليه في الحضر فضلاً عن أوان الخروج عن وطنه^(٣) إلى سفر؛ فلا يدري^(٤) أين كُتبت منيته من بقاع الأرض، أنشد^(٥) بعضهم^(٦):

مشينا في خطأ كُتبت علينا ومن كُتبت عليه خطأ مشاها
وأرزاق لنا متفرقات فمن تأته منا أتاها
ومن كُتبت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها

وقد روي في الآثار القديمة^(٧): أن سليمان عليه السلام كان عنده رجل يقول^(٨): يا نبي الله إن لي حاجة بأرض الهند فأسألك يا نبي الله^(٩) أن تأمر

(١) في سننه ١٤٢٤/٢، ح ٤٢٦٣؛ والطبراني في المعجم الكبير ١٠/١٨٦، ح ١١٠٤٠٣ والحاكم في المستدرک ١/١٠١، ح ١٢٣، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح ابن ماجه ٢/٤٢٠، ح ٣٤٣٨.

(٢) لم أقف على القائل.

(٣) من قوله: والخروج عن المظلمة.. وإلى هذا الموضع سقط في (ظ).

(٤) في (ع، ظ): فإنه لا يدري. (٥) في (ع، ظ): وأنشد.

(٦) ذكره صاحب المستطرف ٢/٥٥٣، ولم ينسبه لأحد.

(٧) ذكر هذا الأثر النسفي في تفسيره ٣/٢٨٨ وأبو السعود في تفسيره المسمى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٧/٧٨.

(٨) في (ظ): يقول له.

(٩) في (يا نبي الله): ليست في (ع، ظ).

الريح أن تحملني إليها في هذه الساعة، فنظر سليمان إلى ملك الموت فرآه تبسم، فقال: مم تبسم؟! قال: تعجباً، أمرت^(١) بقبض روح هذا الرجل في بقية هذه الساعة بالهند، وأنا أراه عندك، فروي أن الريح حملته تلك الساعة إلى الهند فقبض [١/٣٣] روحه^(٢)، والله أعلم^(٣).

باب ما جاء أن كل عبد يُذُرُّ^(٤) عليه من تراب حفرتة وفي الرزق والأجل^(٥) وبيان قوله تعالى: ﴿مُخَلَّقَةٌ وَعَبْرٌ مُخَلَّقَةٌ﴾

أبو نعيم^(٦): عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا وقد ذُرَّ عليه من تراب حفرتة»^(٧).

قال أبو عاصم النبيل^(٨): ما نجد لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فضيلة مثل هذه؛ لأن طينتهما طينة رسول الله ﷺ، أخرجه^(٩) في باب ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه وقال: هذا حديث غريب من حديث ابن عون^(١٠)، ولم نكتبه إلا من حديث أبي عاصم النبيل وهو أحد الثقات الأعلام من أهل البصرة.

وروي مرة عن ابن مسعود رضي الله عنه: «أن الملك الموكل بالرحم يأخذ النطفة من الرحم فيضعها على كفه ثم يقول: يا رب مخلقة أو غير مخلقة؟ فإن قال: مخلقة، قال: يا رب ما الرزق، ما الأثر، ما الأجل^(١١)؟ فيقول: انظر في أم

(١) في (ع، ظ): إني أمرت. (٢) في (ع، ظ): قبض روحه بها.

(٣) (والله أعلم): ليست في (ظ).

(٤) في (ع، ظ): يذُرُّ، وفي (م): يذرى.

(٥) (الأجل): ليست في (ظ). (٦) في الحلية ٢/٢٨٠.

(٧) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومثل هذا لا يجزم به، ولا يحتج به، مجموع الفتاوى ٣٦٩/٢٤.

(٨) الضحاك بن مخلد بن الضحاك، شيخ المحدثين الأثبات، أبو عاصم الشيباني، حدث عن شعبة، والأوزاعي، وسفيان، ومالك وغيرهم، وهو أجل وأكبر شيوخ البخاري، توفي سنة ٢١٢هـ، سير أعلام النبلاء، ٤٨٠/٩.

(٩) أي أبو نعيم في الحلية ٢/٢٨٠.

(١٠) في (ع، ظ): عون، والأصل متوافق مع الحلية.

(١١) في (ع): ما الأجل، ما الأثر.

الكتاب، فينظر في اللوح المحفوظ فيجد فيه رزقه وأثره وأجله وعمله، ويأخذ من التراب الذي يدفن في بقعته ويعجن به نطفته، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَّا خَلَقْنَاكُمْ وَمِثْلَ نَفْسِكُمْ﴾، أخرجه الترمذي الحكيم^(١) في نوادر الأصول^(٢) أيضاً^(٣). وذكر^(٤) عن علقمة^(٥) عن عبد الله^(٦) قال: إن النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها الملك بكفه فقال: أي رب مخلقة^(٧) أو غير مخلقة، فإن قال غير مخلقة لم تكن نسمة وقدفها الأرحام دماً، وإن قال مخلقة قال: أي رب أذكر^(٨) أم أنثى، أشقي أم سعيد؟ وما الأجل^(٩)، وما الأثر^(١٠)، وما الرزق، وبأي أرض يموت؟ فيقول: اذهب إلى أم الكتاب فإنك ستجد هذه النطفة^(١١)، فيقال للنطفة من ربك؟ فتقول: الله، فيقال: من رازقك؟ فتقول: الله، فتخلق فتعيش أجلها^(١٢)، وتأكل رزقها، وتطأ أثرها، فإذا جاء أجلها ماتت، فدفنت^(١٣) في ذلك المكان^(١٤). فالأثر^(١٥): التراب الذي يؤخذ فيعجن^(١٦) به ماؤه.

وقال محمد بن سيرين: لو حلفت حلفت صادقاً بارأ غير شك ولا مستثن أن الله تعالى ما خلق نبيه محمداً^(١٧) ولا أبا بكر ولا عمر إلا من طينة واحدة ثم ردهم إلى تلك الطينة^(١٨).

(١) في (ع، ظ): أبو عبد الله.

(٢) نوادر الأصول ١/١٦٩.

(٣) (أيضاً): ليست في (ع، ظ).

(٤) علقمة بن قيس، أبو الأشبال، تقدمت ترجمته ص(١٤٨).

(٥) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٦) في (ع): أي رب مخلقة، وفي (ظ): يا رب مخلقة.

(٧) في (ظ): ذكر.

(٨) في (ع): ما الأثر.

(٩) في (ع، ظ): في أجلها.

(١٠) في (ع، ظ): ليست في (ظ).

(١١) (١٣) (دفنت): ليست في (ظ).

(١٢) (١٤) نوادر الأصول ١/١٦٩؛ قال ابن حجر: وإسناده صحيح، وهو موقوف لفظاً مرفوع حكماً، انظر: فتح الباري لابن حجر ١/٤١٩.

(١٣) في (ع، ظ): فالأثر هو التراب.

(١٤) في (ع، ظ): ليست في (ظ).

(١٥) ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ١/١٧٠.

قلت: ومن خلق من تلك الطينة^(١) عيسى ابن مريم عليه السلام على ما يأتي^(٢) بيانه آخر الكتاب إن شاء الله، وهذا الباب يبين لك معنى قوله تعالى: ﴿بَنَّاكُمْ مِنَ التُّرَابِ إِنَّكُمْ فِي رَبِّ مِنْ الْبَعَثِ فَأِنَّآ خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ [الأنعام: ٢]، وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا نَسْلَهُمْ مِنْ سُلَآلَةٍ مِنْ مَّآوٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٨]، ولا تعارض في شيء من ذلك على ما بيناه^(٣) في كتاب جامع أحكام القرآن والمبين^(٤) لما تضمن من السنة وآي الفرقان^(٥)، وهذا الباب يجمع لك ذلك^(٦) كله فتأمله^(٧) [٣٣/ب].

باب^(٨) ما يتبع الميت إلى قبره وبعد موته وما يبقى معه فيه

مسلم^(٩) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يتبع الميت ثلاثة^(١٠)، فيرجع اثنان^(١١) ويبقى واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله».

وروى^(١٢) أبو نعيم^(١٣) من حديث قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سبع يجري أجرها^(١٤) تلعبد بعد موته وهو في قبره: من علم عالماً، أو أجرى^(١٥) نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجداً،

(١) في (ع): التربة.

(٢) في (ع): على ما يأتي.

(٣) في (ع، ظ): القرآن.

(٤) (ذلك): ليست في (ظ).

(٥) انظر: تفسير القرطبي ٢٤٩/٦ - ٢٥٠.

(٦) من هذا الموضع توجد كلمات وأحرف غير واضحة في الأصل أكملتها من (ع، ظ،

ومصادر المؤلف) وينتهي بنهاية ل/٣٤ أ.

(٧) في الصحيح ٢٢٧٣/٤، ح ٢٩٦٠، والبخاري في الصحيح ٢٣٨٨/٥، ح ٦١٤٩.

(٨) في (ع، ظ): ثلاث، والأصل متوافق مع صحيح مسلم.

(٩) في (ظ): اثنان.

(١٠) من قوله: يتبع الميت... إلى هذا الموضع توجد بعض الكلمات غير واضحة، ثم

توضيحها من (ع، ظ، ومصدر المؤلف).

(١١) في الحلبة ٣٤٣/٢ - ٣٤٤.

(١٢) في (جميع النسخ): أجره، والتصويب من مصدر المصنف.

(١٣) في (ع، ظ): كرى، والأصل متوافق مع الحلبة.

أو ورث مصحفاً، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته^(١)، هذا حديث غريب من حديث قتادة تفرد به أبو نعيم عبد الرحمن بن هانئ النخعي عن المعزومي محمد بن عبد الله عن قتادة^(٢)، وخرجه ابن ماجه^(٣) من حديث [الزهري]^(٤):
 حدثني أبو عبد الله الأغر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً علمه ونشره، أو ولداً صالحاً تركه، أو مصحفاً ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه^(٥)»، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته^(٦) تلحقه من^(٧) بعد موته.

وروى أبو هذبة إبراهيم بن هذبة قال: حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنك لتصدق عن ميتك بصدقة فيجيء بها ما لك من الملائكة في أطباق من نور^(٨) فيقوم على رأس القبر فينادي: يا صاحب القبر الغريب أهلك قد أهدوا إليك هذه الهدية فاقبلها، قال: فيدخلها إليه في قبره، ويفسح له في مداخله، وينور له فيه، قال^(٩): فيقول: جزى الله أهلي عني خير الجزاء^(١٠)»، قال: فيقول لزيق ذلك القبر أنا لم أخلف لي ولداً ولا أحداً يذكرني بشيء، فهو مهموم، الآخر يفرح بالصدقة^(١١).

(١) حسنه الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته ١/٦٧٤، ح ٣٦٠٢.

(٢) يوجد في هذا الموضع من الأصل كلمة غير واضحة، ولا توجد في بقية النسخ.

(٣) في (ع، ظ): وخرجه الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني في سننه والحديث في سنن ابن ماجه ١/٨٨، ح ٤٢٤٢ وابن خزيمة في صحيحه ٤/١٢١، ح ٢٤٩٠، قال الألباني: حسن، انظر: صحيح ابن ماجه ١/٤٦، ح ١٩٨.

(٤) ما بين المعقوفين من (ع، ظ، سنن ابن ماجه)، وفي الأصل: الترمذي.

(٥) في (ظ): أو نهراً أجراه، أو بئراً حفرها.

(٦) في (ظ): صحة، والأصل متوافق مع سنن ابن ماجه.

(٧) (من): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع سنن ابن ماجه.

(٨) في (ع): النور. (٩) (قال): ليست في (ع، ظ).

(١٠) (خير الجزاء): ساقطة من (ظ).

(١١) تقدم ص (١٥٠)، أن أبا هذبة كذاب، ولا يصح سماعه من أنس بن مالك رضي الله عنه، ولم أجد هذه الرواية.

وقال بشار بن غالب^(١): رأيت رابعة العدوية^(٢)، يعني العابدة^(٣) في المنام وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي: بشار^(٤) هديتك تأتينا في أطباق من نور عليها^(٥) مناديل الحرير، وهكذا يا بشار دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا لإخوانهم الموتى استجيب لهم^(٦) يقال: هذه هدية فلان إليك، وقد مضى^(٧) لهذا المعنى^(٨) ما فيه كفاية والحمد لله.

وقال إسماعيل بن رافع^(٩): ما من ذي رحم أوصل لذي رحمه من رجل أتبع ذا رحم بحج أو عتق أو صدقة^(١٠).

باب ما جاء في هول المطلع^(١١)

تقدم^(١٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تمنوا الموت فإن هول المطلع شديد»، ولما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له رجل: إني لأرجو أن لا يمس جلدك النار فنظر إليه ثم قال: إن من غررتموه^(١٣) لمغرور، والله لو أن لي ما على الأرض لافتديت [١/٣٤] به من هول المطلع^(١٤).

- (١) ثم أوقف له على ترجمة، أو ذكر.
- (٢) رابعة بنت إسماعيل، أم عمرو، البصرية الزاهدة، توفيت سنة ١٨٠هـ، سير أعلام النبلاء ٢٤١/٨.
- (٣) (يعني العابدة): ليست في (ظ).
- (٤) في (ع، ظ): يا بشار.
- (٥) في (ظ): وعليها.
- (٦) ذكر هذه الحكاية أبو محمد عبد الحق في كتابه العاقبة ص(٢١٧).
- (٧) في (ع، ظ): تقدم.
- (٨) في (ع، ظ): لهذا الباب.
- (٩) إسماعيل بن رافع، مدني، ضعفه أحمد ويحيى وجماعة، وقال النسائي والدارقطني: متروك الحديث، وأحاديثه كلها مما فيه نظر، انظر: الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٢٨٠/١ رقم ١١٩؛ وميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ٣٨٤/١ رقم ٨٧٣.
- (١٠) ثم أعثر على هذا الأثر.
- (١١) في الغريب لابن سلام ٢٣٧/٣: المطلع هو موضع الاطلاع من إشراق إلى انحسار، فشيء ما أشرف عليه من أمر الآخرة بذلك.
- (١٢) تقدم ص(١١١).
- (١٣) في (ع): أغررتموه.
- (١٤) سير الخلفاء الراشدين ص(٩١)، ملحق بسير أعلام النبلاء للذهبي.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث، أضحكني مؤمل دنيا والموت يطلبه، وغافل ليس بمغفول عنه، وضاحك بملء^(١) فيه لا يدري أرضى^(٢) الله أم^(٣) أسخطه، وأبكاني فراق الأحبة محمد صلى الله عليه وسلم [وحزبه]^(٤)، وأحزني^(٥) هول المطلع عند غمرات الموت، والوقوف بين يدي الله تبارك وتعالى يوم تبدو السريرة علانية، ثم لا يدري إلى الجنة أو إلى النار، خرّجه ابن المبارك^(٦) قال: أخبرنا غير واحد عن معاوية بن قرة قال: قال أبو الدرداء فذكره.

قال^(٧) وحدثنا^(٨) محمد^(٩) بلغ به أنس بن مالك قال: ألا أحدثكم بيومين وليلتين لم تسمع الخلائق بمثلهن: أول يوم يجيئك البشير من الله تعالى إما برضاه وإما بسخطه، ويوم تقف فيه^(١٠) على ربك^(١١) آخذاً كتابك إما بيمينك وإما بشمالك، وليلة تستأنف فيها المبيت في القبور ولم تبت فيها [ليلة]^(١٢) قط، وليلة تمخص صبيحتها يوم القيامة^(١٣).

(١) في (ع): ملء.

(٢) في (ع): أرضى.

(٣) وفي (الأصل): و(ظ): أو، والتصويب من (ع)، والزهد لابن المبارك.

(٤) ما بين المعقوفين من (ع، ظ، والزهد لابن المبارك).

(٥) (أحزني): ليست في (ع، ظ، الزهد لابن المبارك).

(٦) في الزهد له ص (٨٤)، ح ٢٤٩.

(٧) هذه الرواية ليست في الزهد لابن المبارك.

(٨) في (ع، ظ): أخبرنا.

(٩) لعنه محمد بن شهاب الزهري، كما في شعب الإيمان.

(١٠) في (الأصل): يوم وليلة تقف فيها، وما أثبت من (ع، ظ، شعب الإيمان).

(١١) (ربك): ليست في (ظ).

(١٢) ما بين المعقوفين من (ع، ظ، شعب الإيمان).

(١٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٣٨٨/٧، ح ١٠٦٩٧، قال البيهقي: هكذا روي موقوفاً.

باب ما جاء أن القبر أول منازل الآخرة وفي البكاء عنده وفي حكمه والاستعداد له

ابن ماجه^(١) عن هانئ [مولي] ^(٢) عثمان بن عفان^(٣) قال: ^(٤) كان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى ^(٥) حتى يبيل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار [و] ^(٦) لا تبكي وتبكي من هذا؟ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أسير منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد [منه] ^(٧)، قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما رأيت منظرأ قط إلا والقبر أفتح منه»، خرجه الترمذي^(٨)، وزاد رزين قال: وسمعت عثمان ينشد على قبر ^(٩):

فإن تنج منها تنج من ذي عزيمة
وإلا فإنني لا أخالك ناجياً
ابن ماجه^(١٠) عن البراء قال: «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس

- (١) في سننه ١٤٢٦/٢، ح ٤٢٦٧، قال الألباني: حسن، انظر: صحيح ابن ماجه ٢/٤٢١، ح ٣٤٤٢.
- (٢) ما بين المعقوفين من (سنن ابن ماجه)، وفي جميع النسخ: هانئ بن عثمان.
- (٣) (ابن عفان): ليست في (ع، ط).
- (٤) في (ط): قال: قال.
- (٥) في (سنن ابن ماجه): يبكي.
- (٦) ما بين المعقوفين من (ع، ط، سنن ابن ماجه).
- (٧) ما بين المعقوفين من (ع، ط، سنن ابن ماجه).
- (٨) في جامعه ٥٥٣/٤، ح ٢٣٠٨، وأحمد في المسند ٦٣/١، ح ٤٥٤؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٥٦/٤، ح ٦٨٥.
- (٩) هذه الزيادة ليست في جامع الترمذي، والبيت ورد في عدد من المصادر ولم ينسب لعثمان رضي الله عنه، فقد ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى ١٥٣/٧، وابن المبارك في الزهد ص (٧٨ - ٧٩) وابن حجر في الإصابة ٤٩٩/٤ كلهم أن المنشد: عسعر بن سلامة، وفي التحلية لأبي نعيم ٢٤١/٢، وصفوة الصفوة لابن الجوزي ٣/٢١٩، والزهد لابن أبي عاصم ٢٠٧/١، أن المنشد: صلوة بن أشيم.
- (١٠) في سننه ١٤٠٣/٢، ح ٤١٩٥؛ والحاكم في المستدرک ٩٧/١، ح ١١٤، وقال الألباني: حسن، انظر: صحيح ابن ماجه ٢/٤٠٨، ح ٣٣٨٣.

على شفير القبر فيكي، وأبكي من حوله حتى بلّ الثرى ثم قال: يا إخواني
لمثل هذا فأعدّوا^(١).

فصل

القبر واحد القبور في الكثرة، وأقبر في القلة، ويقال للمدفن مقبرة^(٢).
قال الشاعر^(٣):

لكل أناس مقبر بفنائهم فهم ينقصون والقبور تزيد
واختلف في أول من سنّ القبر فقيل: الغراب لما قتل قابيل هابيل^(٤)،
وقيل: بنو إسرائيل وليس بشيء، وقيل: كان قابيل يعلم الدفن، ولكن ترك
أخاه بالعراء استخفافاً به، والأول أصح والله أعلم^(٥)، فبعث الله غراباً يبحث
في التراب^(٦) على هابيل ليدفنه، فقال عند ذلك: ﴿يَوَيْلٌ لَّي [ب/٣٤] أَعَجَزْتُ أَنْ
أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغَرَابِ فَأُورَى سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِينَ﴾ [المائدة: ٣١] حيث
رأى إكرام الله لهابيل بأن قبض الله الغراب حتى واره، ولم يكن ذلك ندم
توبة، وقيل: ندمه إنما كان على فقدته لا على قتله، قال ابن عباس: ولو^(٧)
كانت ندامته على قتله لكانت الندامة توبة^(٨)، ويقال: إنه لما قتله قعد بيكي
عند^(٩) رأسه إذا أقبل غرابان فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر، ثم حفر له حفرة
فدفنه، ففعل القتال بأخيه كذلك، فبقي ذلك سنة لازمة في بني آدم، وفي
التنزيل: ﴿ثُمَّ أَنَاذِرْ قَوْمَهُمْ﴾، أي جعل له قبراً يوارى فيه إكراماً له^(١٠)، ولم

(١) في (الأصل): فاعتدوا، تصويبه من (ع، ظ، وابن ماجه).

(٢) في (ع، ظ): مقبر.

(٣) ذكره أبو تمام في ديوان الحماسة ص (٣٦٨)، ونسبه إلى عبد الله بن ثعلبة.

(٤) في (الأصل): هابيل قابيل، والتصويب من (ع، ظ، تفسير الطبري ١٩٨/٦).

(٥) (والأول أصح والله أعلم): ليست في (ع، ظ).

(٦) البحث في التراب: الرمي به إلى الخلف، لسان العرب ١١٥/٢.

(٧) في (ع): لو. (٨) لم أقف على مصدر لقوله.

(٩) في (ظ): على.

(١٠) (له): ليست في (ع).

يجعله مما يلقي على وجه الأرض تأكله الطير والعوافي، قاله^(١) الفراء^(٢)، وقال أبو عبيدة^(٣): أقيره: جعل له قبراً، وأمر أن يقبر، قال أبو عبيدة: ولما قتل عمر بن هبيرة صالح بن عبد الرحمن قالت بنو تميم ودخلوا عليه: أقبرنا صالحاً، فقال: دونكموه^(٤).

وحكم القبر أن يكون مستمماً^(٥) مرفوعاً على وجه الأرض قليلاً غير مبني بالطين والحجارة والجص فإن ذلك منهي عنه.

وروى مسلم^(٦) عن جابر^(٧) قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يُجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يُبنى عليه»، وخرجه^(٨) الترمذي^(٩) أيضاً عن جابر^(١٠) قال: نهى رسول الله ﷺ «أن تُجصص القبور، وأن يُكتب عليها، وأن يُبنى عليها، وأن توطأ»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

قال علماؤنا^(١١) رحمهم الله^(١٢): كره^(١٣) مالك تجصيص القبور؛ لأن ذلك من المباهاة وزينة الدنيا^(١٤) وتلك منازل الآخرة وليس بموضع الزينة، وإنما يزين الميت في قبره^(١٥) عمله.

وأشددوا^(١٦):

- (١) في (الأصل): قال، والتصويب من (ع، ظ).
- (٢) معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ٢٣٧/٣.
- (٣) معمر بن المثنى التيمي مولاهم البصري، النحوي، صاحب التصانيف، منها: مجاز القرآن، غريب الحديث، وغيرها، حدث عنه: أبو عبيد القاسم بن سلام، وغيره، مات سنة ٢٠٩هـ، سير أعلام النبلاء ٤٤٥/٩.
- (٤) مجاز القرآن لأبي عبيد معمر بن المثنى ٢٨٦/٢.
- (٥) تسنيم القبر خلاف تسطيحه، الصحاح للجوهري ١٩٥٥/٥.
- (٦) في الصحيح ٢/٦٦٧، ح ٩٧٠.
- (٧) في (ع): وخرج.
- (٨) في جامعه ٣/٣٦٨، ح ١٠٥٢؛ والنسائي في المجتبى ٤/٨٦، ح ٢٠٢٧؛ وابن ماجه ١/٤٩٨، ح ١٥٦٢، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ١/٣٠٧، ح ٨٤١.
- (٩) لم أقف على القائل، وكرهية الإمام مالك لذلك في مدونه الكبرى ١/١٨٩.
- (١٠) في (ع، ظ): رحمة الله عليهم.
- (١١) في (ع): وكره.
- (١٢) في (ع): الحياة الدنيا.
- (١٣) في (ظ): إنما يزين المؤمن في القبر.
- (١٤) لم أقف على القائل.

إذا وليت أمور قوم ليلة فاعلم بأنك بعدها مسؤول
وإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم بأنك بعدها محمول
يا صاحب القبر المنقش سطحه ولعله من تحته مغلول^(١)

وفي صحيح مسلم^(٢) عن أبي الهيثاج الأسدي^(٣) قال: قال لي^(٤) علي بن
أبي طالب عليه السلام: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألا تدع تمثالاً
إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته.

وقال أبو داود في المراسيل^(٥) عن عاصم عن [ابن أبي صالح]^(٦): رأيت
قبر النبي صلى الله عليه وسلم شبراً، أو نحواً من شبر. يعني في الارتفاع.

قال علماؤنا^(٧): يسلم القبر ليعرف كي يحترم، ويمنع من الارتفاع الكثير
الذي كانت الجاهلية تفعله فإنها^(٨) كانت تعلي عليها، وتبني فوقها تفخيماً لها،
وتعظيماً، وأنشدوا^(٩):

أرى أهل القصور^(١٠) إذا أميتوا بنوا فوق المقابر^(١١) بالصخور [أ/٣٥]
أبوا إلا مباهاة وفخراً على الفقراء حتى في القبور
لعمرك لو كشفت التراب عنهم^(١٢) فما تدري^(١٣) الغني من الفقير

(١) في (ع): مغلول.

(٢) حبان بن حصين أبو الهيثاج الأسدي، كوفي ثقة، روى عن عمر وعلي، وغيرهم،
التاريخ الكبير للبخاري ٥٣/٣ رقم ٢٠٣، والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب
السة للذهبي ٣٥٩/١ رقم ١٢٨٧.

(٤) (ل): ليست في (ع).

(٥) المراسيل مع الأسانيد لأبي داود السجستاني ص (٢١١).

(٦) في (الأصل): بن صالح، (ع): أبي صالح، والتصويب من (ظ)، والمراسيل.

(٧) لم أتعرف على القائل.

(٨) (فإنها): ليست في (ع)، وفي الأصل: وكأنها، وتصويبه من (ظ).

(٩) ذكره صاحب نفع الطيب ٧٣٣/٢، ونسبه إلى الأمير الشاعر محمد بن عبد الرحمن بن
الحكم.

(١٠) في نفع الطيب: أهل أيسار.

(١١) في نفع الطيب: لعمر أبيهم لو أبصروهم.

(١٢) في نفع الطيب: لما عرف.

ولا الجلد المباشر ثوب صوف من الجلد المباشر للحريير
 إذا أكل الشسرى هذا وهذا فما فضل الغني على الفقير
 يا هذا أين الذي: جمعته من الأموال^(١)، وأعدته للشدائد والأهوال،
 لقد أصبحت كفك عنه^(٢) عند الموت خالية صفرأ، وبدلت من بعد غناك عزك
 ذلاً وفقراً^(٣)، فكيف أصبحت يا رهين أوزاره، ويا من سئب من أهله وداره ما
 كان أخفى عليك سبيل الرشاد، وأقل اهتمامك بحمل^(٤) الزاد إلى سفرك
 البعيد، وموقفك الصعب الشديد، أو ما عنمت يا مغرور أن^(٥) لا بد من
 الارتحال إلى يوم شديد الأهوال، وليس ينفعك ثم قيل^(٦) ولا قال، بل يُعدّ
 عليك بين يدي الملك الديان ما بطشت اليدان، ومشت القدمان، ونطق به
 اللسان، وعملت الجوارح والأركان، فإن رحمك فإلى الجنان، وإن كانت
 الأخرى فإلى النيران، يا غافلاً عن هذه الأحوال إلى كم هذه الغفلة والتوان،
 أتحسب أن الأمر صغير أو تزعم أن الخطب يسير، أو تظن^(٧) أن سينفك
 حالك إذا آن ارتحالك، أو ينقذك^(٨) مالك حين توبقك أعمالك أو يغني عنك
 ندمك إذا زلت بك قدمك، أو يعطف عليك معشرك حين يضمك محشرك، كلا
 والله ساء ما تتوهم، ولا بد لك أن ستعلم لا بالكفاف تقنع، ولا من الحرام
 تشيع، ولا للعظة تسمع، ولا بالوعيد تردع^(٩)، دأبك أن تتقلب مع الأهواء،
 وتخبط خبط العشواء، يعجبك التكاثر بما لديك، ولا تذكر ما بين يديك، يا
 نائماً في غفلة^(١٠) وفي خبطه يقظان، إلى كم هذه الغفلة والتوان؟ أتزعم أن
 ستترك سدى وأن لا تحاسب غداً، أم تحسب أن الموت يقبل الرشا أم يميز
 بين الأسد والرشا؟ كلا والله لا يدفع الموت عنك^(١١) مال ولا بنون، ولا ينفع

(١) في (ع): المال.

(٢) في (ع): من بعد غناك فقراً.

(٣) في (أن): ليست في (ظ).

(٤) في (ظ): ونظن.

(٥) في (ع): تردع.

(٦) في (ع): غفلته.

(٧) في (ع): لن يدفع عنك الموت، وفي (ظ): لن يدفع المنون عنك.

(٨) في (ع): غفلته.

(٩) في (ع): غفلته.

(١٠) في (ع): غفلته.

(١١) في (ع): غفلته.

أهل القبور سوى الحمل المبرور، فطوبى لمن سمع ووعى وحقق ما أذعى، ونهى النفس عن الهوى، وعلم أن الفائز من ارعوى ﴿وَأَنْ لِّنَفْسٍ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (٣٦) ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ (٣٧) [النجم: ٣٩، ٤١]. فانتبه من هذه الرقعة، واجعل (١) العمل الصالح لك عِدة، ولا تمنى منازل الأبرار (٢) وأنت مقيم على الأوزار، و (٣) عامل بعمل الفجار، بل أكثر من الأعمال الصالحات، وراقب (٤) في الخلوات رب الأرض والسماوات، ولا يغرنك (٥) الأمل فتزهد عن (٦) العمل، أو ما سمعت الرسول حيث يقول لما جلس على القبور (٧): «إخواني (٨) لمثل هذا فأعدوا» (٩).

أو ما سمعت الذي خلقك (١٠) فسؤى (١١) يقول: ﴿وَتَكَزَّوْذُوا فَبَاتَ خَيْرٌ أَزْرًا أَلْتَقَوْنَا﴾ [البقرة: ١٩٧] [٣٥/ب].
وأنشدوا (١٢):

تزود من معاشك للمعاد
ولا تجمع من الدنيا كثيراً
أترضى أن تكون رفيق قوم
وقال آخر (١٣):

وقم لله واعمل خير زاد
فإن المال يُجمع للنفاد
لهم زاد وأنت بغير زاد
ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
وأنت لم ترصد كما كان أرصدا
وقال آخر (١٤):

- (١) في (ع): واعمل.
(٢) (الواو): ليس في (ع).
(٣) في (ع، ظ): بفرك.
(٤) في (ع، ظ): القبر.
(٥) في (ع، ظ): خلق.
(٦) في (ع، ظ): وانشد.
(٧) في (ع): فسواك.
(٨) في (ع): فسواك.

(٩) ذكره أحمد المقيري في نفع الطبيب ٦/٣٣٣.

(١٠) لم أجد من ذكر هذه الأبيات.

تذهب فيه حينئذ السابح
مقالة من مشفق ناصح^(١)
غير التقى والعمل الصالح

الموت بحر طافح موجه
يا نفس إنني قائل فاسمعي
لا ينفع الإنسان في قبره
وقال آخر^(٢):

وانصرفوا عني فيا وحشتا
ما بيدي اليوم إلا البكا
وكل ما حذرته قد أتى
قد صار في كفي مثل الهبا
غير فجور موحش^(٧) أو ثقى^(٨)
بكيت لي يا صاح^(٩) مما ترى^(١٠)

أسلمني الأهل ببطن الثرى
وغادروني معدماً بئساً^(٣)
وكل ما^(٤) كان كأن نم يكن
وذاكم^(٥) المجموع والمقتنى
ولم أجد لي^(٦) مؤنساً ها هنا
فلو تراني وتري حالتي
وقال آخر^(١١):

والقوم حولك يضحكون سروراً
في يوم موتك ضاحكاً مسروراً

ولدتك إذ ولدتك أمك باكياً
فاعمل ليوم أن تكون إذا بكوا

وروي عن محمد القرشي^(١٢) أنه قال: سمعت شيخنا يقول: أيها الناس
إنني لكم ناصح، وعليكم شفيق، فاعملوا في ظلمة الليل لظلمة القبر، وصوموا
في الحر قبل يوم النشور، وحجوا يحط عنكم عظام الأمور، وتصدقوا مخافة
يوم عسير.

(١) في (ع): تأخر هذا البيت إلى الأخير، وهو خطأ، فالمعنى لا يدل عليه.

(٢) ثم أقف على القائل.

(٣) في كتاب العاقبة: يائساً.

(٤) في (ع): ذاكم.

(٥) في (ع): فكلما.

(٦) (لي): ليست في (ع).

(٧) في (ع): موتق، وفي (ظ): غير فجور وثقي. في كتاب العاقبة: غير فجور كان لي.

(٨) في (ع، ظ): تقي.

(٩) أي: يا صاحبي، وهو من الترخيم.

(١٠) أورد هذه الأبيات أبو محمد عبد الحق في كتابه العاقبة ص(١٠٣).

(١١) ثم أقف على القائل.

(١٢) ثم أقف على ترجمة تعينه.

وكان يزيد الرقاشي يقول في كلامه: أيها المقبور في حفرتي، المتخلى^(١) في القبر بوحدته، المستأنس في بطن الأرض بأعماله، ليت شعري بأي أعمالك [١/٣٦] استبشرت، وبأي إخوانك^(٢) اغتبطت، ثم يبكي حتى تبتل^(٣) عمامته، ويقول: استبشر والله بأعماله الصالحة، واغبط بالله بإخوانه المعاونين له على طاعة الله، وكان إذا نظر إلى القبور^(٤) صرخ كما يصرخ الثور^(٥). وسيأتي أن القبر يكنم العبد إذا وضع فيه^(٦)، وما فيه من الموعظة إن شاء الله تعالى.

باب ما جاء في اختيار البقعة للدفن

أبو داود الطيالسي^(٧) قال: حدثنا سوار بن ميمون أبو الجراح العبدي قال: حدثني رجل من آل عمر عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من زار قبري أو قال: من زارني كنت له شهيداً أو شفيعاً، ومن مات بأحد الحرمين بعثه الله ﷻ من الآمين يوم القيامة». و^(٨)خرجه أبو الحسن علي بن عمر^(٩) الدارقطني^(١٠) عن حاطب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «[من]^(١١) زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي، ومن مات بأحد الحرمين بُعث من الآمين يوم القيامة».

(١) في (ع، ظ): المستخلى، والأصلي متوافق مع إحياء علوم الدين.

(٢) في (الأصل): أحوالك، والتصويب من (ع، ظ، الإحياء) وما بعده يدل عليه.

(٣) في (ع، ظ): يبل. (٤) في (ع): القبر.

(٥) ذكره الغزالي في الإحياء ٤/٤٨٦. (٦) انظر: ص (٣١٨).

(٧) في مسنده ص (١٢)، ح ٦٥، وقال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته ص (٨٠٨)، ح ٥٦٠٨.

(٨) (الواو): ليست في (ع، ظ).

(٩) (أبو الحسن علي بن عمر): ليست في (ظ، ع).

(١٠) في سنه ٢/٢٧٨، ح ١٩٣، البيهقي في السنن الكبرى ٥/٢٤٦، ح ١١٠٠٥٤ والطبراني في المعجم الأوسط ١/٢٠١، ح ٢٨٩، وقال الحافظ ابن حجر: في إسناده مجهول، وطرقه ضعيفة، انظر: التلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير ٢/٢٦٦، ح ١٠٧٥، ومثل هذا الفضل الوارد في زيارة قبر النبي ﷺ لا يصح لضعف الأحاديث التي بنيت عليه.

(١١) ما بين المعقوفين من (ع، ظ، سنن الدارقطني).

وخرَج البخاري^(١) ومسلم^(٢) عن أبي هريرة قال: «أُرسل ملك الموت إلى موسى ﷺ فلما جاءه^(٣) صكه^(٤) فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: فرد [الله]^(٥) عليه^(٦) عينه، وقال: ارجع إليه فقل^(٧) له يضع يده على متن ثور^(٨) فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، قال: أي رب ثم مه، قال: ثم الموت^(٩)، قال: فالآن، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر^(١٠)، وقال^(١١) ﷺ: لو كنت مُّ لأربتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكتيب الأحمر».

وفي رواية قال: «جاء ملك الموت إلى موسى ﷺ فقال له^(١٢): أجب ربك، فلطم^(١٣) موسى عين ملك الموت ففقاها^(١٤)»، وذكر نحوه الترمذي^(١٥) عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفق لمن مات بها»، صححه أبو محمد عبد الحق^(١٦).

وفي الموطأ^(١٧) أن عمر ﷺ كان يقول: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ووفاة في بلد نبيك^(١٨).

- (١) في الصحيح ي ٤٤٩/١، ح ١٢٧٤. (٢) في الصحيح ٤/١٨٤٢، ح ٢٣٧٢.
 (٣) (فلما جاءه): ليست في (ظ). (٤) في (ظ): فصكه.
 (٥) ما بين المعقوفين من (ع، ظ، والبخاري ومسلم).
 (٦) في (ع): إليه. (٧) في (ع): وقل.
 (٨) في (ع، ظ): جلد ثور، والأصل متوافق مع صحيح البخاري ومسلم.
 (٩) (ثم الموت): ليست في (ظ). (١٠) في (ظ): حجر.
 (١١) في (ع، ظ): قال رسول الله. (١٢) (له): ليست في (ظ).
 (١٣) في (ع): قال فلطم.
 (١٤) (أخرجها مسلم ٤/١٨٤٣، ح ٢٣٧٢).
 (١٥) في جامعه ٥/٧١٩، ح ٣٩١؛ وابن ماجه ٢/١٠٣٩، ح ٣١١٢؛ وأحمد في المسند ٢/٧٤، ح ٥٤٣٧؛ وابن حبان في صحيحه ٩/٥٧، ح ٣٧٤١، صححه الألباني، انظر: صحيح الترمذي له ٣/٢٤٩، ح ٣٠٨٦.
 (١٦) ثم أفب على إيراده للحديث في كتبه الآتية: الأحكام الشرعية الكبرى، والصفري، والعاque.
 (١٧) الموطأ ٢/٤٦٢، ح ٩٨٩؛ وأخرجه البخاري ٢/٦٦، ح ١٧٩١.
 (١٨) في (ظ): نبيك ﷺ.

وكان سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد رضي الله عنهما قد عهدا أن يحملا من العقيق إلى البقيع مقبرة المدينة فدفنا بها؛ وذلك والله أعلم لفضل علموه هناك فإن فضل المدينة غير منكور، ولا مجهول، ولو لم يكن إلا مجاورة الصالحين، والفضلاء من الشهداء وغيرهم^(١).

وروي عن كعب الأحبار رضي الله عنه أنه قال لبعض أهل مصر لما قال له هل لك من حاجة؟ فقال: نعم جراب من تراب سفح المَقَطَم^(٢)، يعني جبل مصر، قال: فقلت له يرحمك الله وما تريد منه؟ قال: أضعه في قبري، فقال له: تقول هذا وأنت في المدينة^(٣) وقد قيل في البقيع ما قيل؟! قال: إنا نجد في الكتاب الأول أنه مقدس ما بين القَصِير^(٤) [٣٦/ب] إلى اليحموم^(٥).

فصل

قال علماؤنا^(٦) رحمة الله عليهم: البقاع لا تقُدس^(٧) أحداً، ولا تطهر^(٨) [ه]، وإنما الذي يقُدسه من وَضِر^(٩) الذنوب وودنسها: التوبة النصوح مع

(١) جواب (نو) غير مذكور في جميع النسخ، وتقديره: لكفى.

(٢) جبل يشرف على مقبرة فسطاط مصر والقاهرة، يمتد من أسوان وبلاد الحبشة على شاطئ النيل الشرقي حتى يكون منقطعه طرف القاهرة، معجم البلدان لباقوت الحموي ١٧٦/٥.

(٣) في (ع، ط): بالمدينة.

(٤) بالتصغير يطلق على عدة مواضع: قُصِير معين الدين بالغور من أعمال الأردن. والقُصِير ضيعة أول منزل لمن يريد حمص من دمشق. والقُصِير موضع قرب عيذاب بينه وبين قوص قصبة الصعيد خمسة أيام، معجم البلدان ٣٦٧/٤، والذي ترجح عندي أنه هذا الأخير؛ لأننا علمنا أن جبل المقطم يشمل منطقة أسوان وهي من مناطق صعيد مصر.

(٥) هي جبال متفرقة مطلة على القاهرة بمصر من جانبها الشرقي وتنتهي هذا الجبال ببعض طريق الحب، معجم البلدان ٤٣١/٥.

(٦) لم أتعرف على القائل.

(٧) القُدُسُ والقُدُسُ: الظاهر، والتفديس التطهير، الصحاح ٩٦٠/٣.

(٨) ما بين المعقوفين من (ع، ط). (٩) الوضِر: الدرر، الصحاح ٨٤٦/٢.

الأعمال الصالحة، أما أنه قد يتعلق بالبقعة تقديس ما وهو إذا^(١) عمل العبد فيها عملاً صالحاً ضوعف له بشرف البقعة مضاعفة تكفر سيئاته، وترجع ميزانه، وتدخله الجنة، وكذلك تقدسه إذا مات على معنى النفع لصالح العمل لا أنها توجب التقديس ابتداءً.

وقد روى مالك^(٢) عن هشام بن عروة عن أبيه قال: ما أحب أن أدفن في البقيع^(٣)، لأن أدفن في غيره أحب إلي، ثم بين العلة فقال^(٤): مخافة أن تنيش لي عظام رجل صالح^(٥)، أو نجاور فاجراً^(٦). وهذا يستوي فيه سائر البقاع فدل على أن الدفن بالأرض المقدسة ليس بالمجتمع عليه، وقد يستحسن الإنسان أن يدفن بموضع قرابته وإخوانه وجيرانه لا لفضل ولا لدرجة^(٧).

فصل

إن قال قائل: كيف جاز لموسى عليه السلام أن يُقدِّم على ضرب ملك الموت حتى فقا عينه؟ فالجواب من وجوه ستة:

الأول: أنها كانت عيناً متخيلة لا حقيقة لها، وهذا القول باطل؛ لأنه يؤدي إلى ما يراه الأنبياء عليهم السلام من صورة^(٨) الملائكة لا حقيقة لها، وهو^(٩) مذهب السالمية^(١٠).

(١) في (ع، ظ): إن.

(٢) ذكر هذه الرواية عنه ابن عبد البر في كتابه التمهيد ٢١٨/٢١.

(٣) في (ع، ظ): بالبقيع، والأصل متوافق مع التمهيد.

(٤) من قوله: لأن أدفن... إلى هذا الموضع ليس في (ظ).

(٥) (صالح): ليست ي (ع، ظ)، والأصل متوافق مع التمهيد.

(٦) في (ظ، و التمهيد): يجاور فاجراً، في (ع): أو يجاورني فاجر.

(٧) من قوله ثم بين العلة إلى هنا نص كلام ابن عبد البر في التمهيد ٢١٨/٢١.

(٨) في (ع): صور. (٩) في (ع، ظ): وهذا.

(١٠) في (الأصل): السائنية، وفي (ظ): السالمية، هم أتباع محمد بن أحمد بن سالم البصري، صاحب سهل بن عبد الله التستري وراوي كلامه. طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي ص (٤١٤).

الثاني: أنها^(١) كانت^(٢) معنوية وإنما^(٣) فقأها بالحجة، وهذا مجاز لا حقيقة له.

الثالث: أنه لم يعرفه، فظنه^(٤) رجلاً دخل منزله بغير إذنه يريد نفسه فدافع عنها فلطم عينه^(٥) فقأها^(٦) وتجب المدافعة في مثل هذا بكل ممكن، وهذا وجه حسن؛ لأنه حقيقة في العين والصك، قاله الإمام أبو بكر ابن خزيمة^(٧)، إلا أنه اعترض بما في الحديث نفسه وهو أن ملك الموت لما رجع إلى الله تعالى قال: يا رب أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فلو لم يعرفه موسى لما صدر هذا القول من ملك الموت^(٨).

الرابع: أن موسى ﷺ كان سريع الغضب، وسرعة غضبه كان سبباً لصكه ملك الموت، قاله^(٩) ابن العربي في الأحكام^(١٠)، وهذا فاسد؛ لأن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون أن يقع منهم ابتداء مثل هذا في الرضى والغضب^(١١).

(١) (أنها): ليست في (ظ).

(٢) (وإنما): ليست في (ع، ظ).

(٣) (في (ع، ظ): فلطمه.

(٤) (في (ع، ظ): فقأ عينه.

(٥) محمد بن إسحاق بن خزيمة، إمام الأئمة، أبو بكر السلمي النيسابوري. صاحب التصانيف: منها كتاب التوحيد، والصحيح، حدث عنه البخاري ومسلم في غير الصحيحين، توفي سنة ٢١١هـ، سير أعلام النبلاء ١٤/٣٦٥.

(٦) قال النووي: وهذا جواب الإمام أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين، واختاره المازري والقاضي عياض، قالوا: وليس في الحديث تصريح بأنه تعمد فقه عينه، فإن قيل: فقد اعترف موسى حين جاءه ثانياً بأنه ملك الموت، فالجواب: أنه أتاه في المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت فاستسلم بخلاف المرة الأولى، والله أعلم، شرح صحيح مسلم ١٥/١٢٩ - ١٣٠.

وقال ابن حجر: وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط في صورة آدميين فلم يعرفاهم، ولو عرفهم إبراهيم ﷺ لما قدم لهم المأكول، ولما خاف عليهم لوط من قومه، كما أن الشارع أباح فقه عين الناظر في دار المسلم بغير إذنه، فتح الباري ٦/٤٤٢ (بتصرف).

(٧) (في (ع): قال، والتصنيف من (ع، ظ).

(٨) (١٠) أحكام القرآن لابن العربي ٢/٧٩٣. (١١) (في (ظ): في الغضب والرضى.

الخاص: ما قاله ابن مهدي^(١): أن عينه المستعارة ذهبت لأجل أنه جعل له أن يتصور بما شاء، فكان موسى ﷺ لطمه وهو متصور بصورة غيره بدلالة أنه رأى بعد ذلك معه عينه.

السادس: وهو الصحيح^(٢) وذلك أن موسى ﷺ كان عنده ما أخبر نبينا ﷺ من [أن]^(٣) الله لا يقبض روح نبي^(٤) حتى يخير. خرجه البخاري^(٥) وغيره^(٦)، فلما جاءه ملك الموت على غير الوجه الذي أعلم بادر بشهامته، وقوة نفسه إلى أدبه فلطمه ففقت عينه امتحاناً لملك الموت^(٧) إذ لم يصرح نه بالتخيير^(٨)، ومما يدل على صحة هذا أنه لما رجع إليه ملك الموت [٢٧/أ] فخيرته بين الحياة والموت، اختار الموت واستسلم، والله بغيبه أعلم وأحكم، وذكره ابن العربي في كتاب القبس^(٩) بمعناه والحمد لله.

وقد ذكر الترمذي^(١٠) الحكيم^(١١) حديث أبي هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ

- (١) ثم أقف على ترجمة تعيينه.
- (٢) في (ع، ظ): وهو أصحها إن شاء الله. (٣) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).
- (٤) في (ع، ظ): روحه. (٥) في صحيحه ٤/١٦١٢، ح ٤١٧١.
- (٦) مسلم في صحيحه ٤/١٨٩٣، ح ٢٤٤٤؛ وابن حبان في صحيحه ١٤/١٦١٢، ح ٦٥٩٢.
- (٧) هذا التعليل فيه نظر؛ لأن الملائكة غير مكلفين وبالتالي لا يمتحنون، فلا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.
- (٨) قال ابن حجر: قيل وهذا أولى الأقوال بالنصواب؛ وفيه نظر؛ لأنه يعود أصل السؤال: بِمَ أقدّم ملك الموت على قبض نبي الله وأخل بالشرط أي بشرط التخيير، فتح الباري ٦/٤٤٢. ثم قال: وقيل على ظاهره، أي فقرأ العين ورد الله إلى ملك الموت عينه البشرية، أي التي يأتي بها البشر؛ ليرجع إلى موسى على كمال الصورة، فيكون ذلك أقوى في اعتباره، وهو المتمد. فتح الباري ٦/٤٤٣.
- (٩) كتاب القبس في شرح موطأ مالك بن أنس لابن العربي ٢/٤٣٤.
- (١٠) في نوارد الأصول ١/١٧٨، وأحمد في المسند ٢/٥٣٣، ح ١٠٩١٧؛ والحاكم في المستدرک ٢/٦٣٢، ح ٤١٠٧، وسكت عنه الذهبي كما في التلخيص، وفي تعليق الأرنؤوط على الحديث: رجائه رجال الصحيح، وفي أوله نكارة وهي: فكان ملك الموت يأتي الناس عياناً؛ وهذه اللفظة تفرد بها عمار بن أبي عمار وعنه حماد بن سلمة، ولكل منهما مناكير، ثم إن الحديث مختلف في رفعه ووقفه، انظر: مسند الإمام أحمد ١٦/٥٢٥ - ٥٢٦، ح ١٠٩٠٤، ط. مؤسسة الرسالة.
- (١١) في (ع، ظ): الترمذي الحكيم أبو عبد الله في نوارد الأصول.

قال: «كان ملك الموت عليه السلام يأتي الناس عياناً حتى أتى موسى عليه السلام فلطمه وفقاً عينه» الحديث بمعناه، وفي آخره: «فكان يأتي الناس بعد ذلك في ^(١) خفية».

باب يُختار للميت قوم صالحون يدفن ^(٢) معهم

خرَّج أبو سعيد ^(٣) الماليني ^(٤) في كتاب المختلف والمؤتلف ^(٥)، وأبو بكر محمد بن جعفر ^(٦) الخرائطي في كتاب القبور من حديث سفيان الثوري عن عبد الله بن عقيل عن محمد بن الحنفية عن علي عليه السلام أنه ^(٧) قال: «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ندفن موتانا وسط قوم صالحين، فإن الموتى يتأذون بالجار السوء كما يتأذى به الأحياء» ^(٨).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا مات لأحدكم الميت فحسنوا كفته، وعجلوا إنجاز وصيته، وأعمقوا له في قبره، وجنبوه جار السوء، قيل: يا رسول الله وهل ينفع الجار الصالح في الآخرة؟ قال: هل ينفع في الدنيا؟ قالوا: نعم، قال: كذلك ينفع في الآخرة»، ذكره الزمخشري ^(٩) في كتاب ربيع

(١) (في): ليست في (ع، ظ). (٢) في (ع، ظ): يكون.

(٣) هكذا في جميع النسخ: أبو سعيد، وكذا في لسان الميزان لابن حجر ١/١٥٦؛ وكشف الظنون لحاجي خليفة ١/٥٣؛ وفي سير أعلام النبلاء وميزان الاعتدال للذهبي ٦/٢٩٠: أبو سعد.

(٤) أحمد بن محمد بن أحمد الأنصاري الهروي، أبو سعد الماليني الصوفي، المنقب بطاوس الفقراء، حدث عنه البيهقي والخطيب البغدادي، توفي سنة ٤١٢هـ، السير ١٧/٣٠١.

(٥) في (ع، ظ): المؤلف والمختلف، ولم ينقل المؤلف عنه غير هذا النص، ولم أقف على معلومات عن الكتاب.

(٦) (محمد بن جعفر): ليست في (ع، ظ).

(٧) (أنه): ليست في (ع، ظ).

(٨) ذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة بنحو ٢/٣٧٣.

(٩) كبير المعتزلة في زمانه، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، الخوارزمي النحوي، كان داعية إلى الاعتزال، له تصانيف منها: الكشاف، ربيع الأبرار، وغيرها، مات سنة ٥٣٨هـ، السير ٢٠/١٥١.

الأبرار^(١)، وخرجه^(٢) أبو نعيم الحافظ^(٣) بإسناده من حديث مالك بن أنس عن عمه نافع بن مالك عن أبيه^(٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين فإن الميت يتأذى بالجوار السوء».

فصل

قال علماؤنا^(٥): ويستحب لك رحمك الله أن تقصد بميتك قبور الصالحين، ومدفن أهل الخير، فتدفنه معهم، وتنزله بإزانتهم، وتسكنه في جوارهم تبركاً بهم^(٦)، وتوسلاً إلى الله ﷻ بقربهم^(٧)، وأن تتجنب به قبور من سواهم ممن يخاف التأذي بمجاورته، والتألم بمشاهدة حاله حسب ما جاء في الحديث.

وروي^(٨) أن امرأة دفنت بقرطبة^(٩) فأتت أهلها في النوم فجعلت تعتبهم وتشكوهم وتقول: ما وجدتم أن تدفوني إلا إلى^(١٠) قرن الجير، فلما أصبحوا نظروا

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري ١٧٩/٤.

(٢) في (ع): وأخرجه.

(٣) في الحلية ٣٥٤/٦. قال أبو نعيم: غريب من حديث مالك، لم نكتبه إلا من حديث شعيب، وقال ابن عراق: لا يصح، تنزيه الشريعة ٣٧٣/٢ وقال الألباني: موضوع، ضعف الجامع الصغير وزيادته ص (٣٨)، ح ٢٦٣.

(٤) (عن أبيه): ليست في (ظ)، وفي الحلية: مالك عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة.

(٥) الفائل هو: أبو محمد عبد الحق في كتابه العافية ص (٢١٩).

(٦) التبرك بالمخلوقين من ذرائع الشرك، فالذي يبارك في الأشياء هو الله رب العالمين، فيطلب حصول البركة منه ﷻ، وما ورد من تبرك الصحابة بآثار النبي ﷺ فهو من خصائصه ﷻ بدليل أن التابعين لم يتركوا بآثار الخلفاء الراشدين أو بأحد من الصحابة رضوان الله عليهم.

(٧) إن أراد بالتوسل إلى الله تعالى بقربهم أي بمحبتهم لكونهم يتوسم فيهم الصلاح فهذا توسل مشروع. وأما إن أراد به أنهم يقربونه إلى الله ﷻ فهذا التوسل ممنوع.

(٨) في (ع، ظ): وروى.

(٩) في (ع): بقرطبة أعادها الله.

(١٠) في (ظ): إلا في.

فلم يروا في ذلك الموضوع كله ولا بقبره فرن جبر، فبحثوا وسألوا عمن كان مدفوناً بإزائها فوجدوه رجلاً سيفاً^(١) كان لابن عامر^(٢) وقبره إلى قبرها، فأخرجوها من جواره. ذكر هذا أبو محمد عبد الحق في كتاب العقابة له^(٣).

وعن أعرابي أنه قال لولده: ما فعل الله بك؟ قال: ما ضرني إلا أنني دفنت بإزاء فلان وكان فاسقاً، قد روعني ما يعذب به من أنواع العذاب.

وروى أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم بن محمد الختلي^(٤) في كتاب [٣٧/ب] الديباج^(٥) له، وحدثني^(٦) أبو الوليد رباح بن الوليد الموصلي قال: وحدثت^(٧) عن عبد الملك بن عبد العزيز عن طاووس بن ذكوان اليماني^(٨) أنه أخبرهم أنه قدم حاجاً فمرّ بالأبطح عند المقابر مع رفقاء^(٩) له، فقال: بينما أنا أصلي في جوف الليل وعلتي برد لي أحرش^(١٠) أخذته باليمن بسبعين ديناراً^(١١) وقبر قريب مني محفور إذ رأيت شمعاً قد أقبل به مع^(١٢) جنازة، فإذا قائل يقول

(١) في (ظ): فوجدوا سيفاً.

(٢) كذا في جميع النسخ ومصدر المصنف، وأما مصادر الترجمة ففيها: محمد بن أبي عامر، أبو عامر، الملقب بالمنصور، أمير الأندلس في زمانه، وإليه تنسب الدولة العامرية، توفي سنة ٣٩٣هـ، انظر: جذوة المقتبس للحميدي ص (٧٣ - ٧٤)؛ والبيان المُتَّرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي ٢/٢٥٤.

(٣) العقابة ص (٢٢٠).

(٤) المحدث إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن خازم الختلي، نزيل بغداد، صنف كتاب الديباج وفيه أشياء منكرة، توفي سنة ٢٨٣هـ، السير ١٣/٣٤٢.

(٥) الكتاب المطبوع ناقص، وثم أجد فيه هذا النص، انظر ص (٥٨).

(٦) من هذا الموضوع يياض في بعض الكلمات والأحرف في الأصل.

(٧) في (ظ): وحدثني.

(٨) في جميع النسخ: طاووس بن ذكوان اليماني، والصحيح أنه: طاووس بن كيسان اليماني، فقيه اليمن سمع من زيد بن ثابت وعائشة ولازم ابن عباس، توفي سنة ١٠٦هـ، السير ٥/٣٨.

(٩) في (ظ): رفاق.

(١٠) فيه خشونة، الصحاح للجوهري ٣/١٠١١.

(١١) من بعد قوله: وحدثني أبو الوليد رباح... وإني هذا الموضوع يوجد يياض في بعض الكلمات، يبتها من النسخ الأخرى.

(١٢) في (ظ): أقبل معه.

في قبر قريب من القبر المحفور: اللهم إني أعوذ بك من الجار^(١) السوء، قال: فركعت ثم سجدت وسلمت، ثم خرجت حتى لقيت أصحاب الجنائز فسلمت^(٢) وقلت: لا تقربونا، وتنجوا عنا عافاكم الله. قالوا: ما نستطيع ذلك وقد حفرنا قبرنا هذا^(٣)، ولا نستطيع أن نذهب إلى غيره. فقلت: من أولى بالجنائز؟ قالوا: هذا ابنه، فقلت له: هل لك أن تتنحي عنا وتناولني ثوبك هذا الذي عليك فألبسه وأعطيك بردي هذا فإني قد أخذته باليمن بسبعين ديناراً وهو هنا خير من سبعين فإن كان على أهلك دين قضيته عنه، وإن لم يكن انتفع بذلك الورثة وتكف عنا ما نكره، قال: فأنكر القوم قولي أن يكون على رجل برد ملتحف به ثمسه سبعون ديناراً، فاحتجت إلى أن أخبرهم من أنا، فقلت: تعرفون طاووس اليماني؟ قالوا: نعم، قلت: فأنا طاووس اليماني وما قلت لكم في البرد إلا حقاً، فتناولني الرجل رداه وأخذ بردي وانصرف عنا، وأقبلت حتى وقفت على صاحب القبر فقلت: ما كان ليجاورك جار تكرهه وأنا أستطيع رده ثم عدت إلى صلاتي.

باب^(٤) ما جاء في كلام القبر كل يوم

وكلامه للعبد إذا وضع فيه

الترمذي^(٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مصلاه

(١) في (ع): جار.

(٢) (وقد حفرنا قبرنا هذا): ليست في (ظ).

(٤) جاء في هذا الموضع في الأصل تكرار لئباب: تزاور الموتى واستحسان الكفن لذلك، مع اختلاف في سياقة عنوان الباب المكرر ورد عن النحو الثاني: باب ما جاء أن الموتى يتزارون في قبورهم وتحسين الكفن لذلك، وقد تقدم هذا الباب في الأصل قبل باب: الإسراع بالجنائز، وبعد باب: ما جاء أن الروح إذا قبض تبعه البصر، ومما يؤكد تكرار هذا الباب في هذا الموضع في الأصل عدم وروده في النسخ الأخرى في هذا الموضع، والذي يظهر أن النسخ حدث له نقل نظر، بدليل أنه بدأ الباب المكرر بعبارة: الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وهذه العبارة لئباب ما جاء في كلام القبر كل يوم، الآتي ذكره، ولا توجد هذه العبارة في الموضع المتقدم ص(٢٦٨) من الباب المكرر.

(٥) في جامعه ٤/٦٣٩، ح ٢٤٦٠، قال الألباني: ضعيف جداً، انظر: ضعيف الترمذي ص(٢٨٠)، ح ٤٣٧.

فرأى ناساً يكثيرون^(١) فقال: أما أنكم لو أكثرتم ذكر هادم اللذات لشغلكم عما أرى [١/٣٨]، يعني الموت، فأكثروا ذكر هادم اللذات الموت فإنه لم يأت على القبر يوم^(٢) إلا تكلم فيه فيقول: أنا بيت الغربية، وأنا بيت الوحدة، وأنا بيت التراب، وأنا بيت الدود. فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر: مرحباً وأهلاً أما إن كنت لأحب من يمشي على ظهري إذا وليتكَ اليوم وصرت إلي فستري صنيعي بك، قال^(٣): فيتسع له مد بصره، ويفتح له باب إلى الجنة. وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر: لا مرحباً ولا أهلاً أما إن كنت لأبغض من يمشي على ظهري إلي فإذا وليتكَ اليوم وصرت^(٤) إلي فستري صنيعي بك، قال: فيلتمن عليه حتى تلتقي وتختلف أضلعه، قال: قال رسول الله ﷺ بأصابعه فأدخل بعضها في جوف بعض، قال: ويُقبض له تسعين^(٥) تيناً أو قال: تسعة وتسعين^(٦) لو أن واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئاً ما بقيت الدنيا^(٧) حتى يفضي به إلى الحساب.

قال: وقال^(٨) رسول الله ﷺ: «إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب^(٩).

- (١) في (ع): يكثرون، وفي (ظ): بكثرون الضحك، وفي جامع الترمذي: يكثررون، والكثُر: ظهور الأستان للضحك، النهاية في غريب الأثر ١٧٦/٤.
- (٢) في (الأصل): لم يأت يوم على القبر، وما أثبت من (ع، ظ، والترمذي).
- (٣) (قال): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع جامع الترمذي.
- (٤) في (الأصل): فصرت، وما أثبت من (ع، ظ، الترمذي).
- (٥) في (ع، ظ): تسعون تيناً، على تقدير أن يقبض مبنية للمجهول، وفي جامع الترمذي: ويقبض الله له تسعين تيناً، والبناء على المعلوم، وأما ما في الأصل بالنصب (تيناً) لبناء الفعل (يقبض للمعلوم، والفاعل ضمير مستتر، والتقدير: ويقبض الله له تسعين تيناً)، وقد جاء التصريح بالفاعل (لفظ المجالة في سنن الترمذي) كما مر.
- (٦) في (ع، ظ): تسعة وتسعون، وعبرة: (أو قال تسعة وتسعين): ليست في جامع الترمذي.
- (٧) في (ع، والترمذي): فيهنهته، وفي (ع): فتنهته.
- (٨) في (سنن الترمذي): قال: قال.
- (٩) وفي سنن الترمذي زيادة: لا نعرفه إلا من هذا الوجه، قال الشوكاني: في إسناده ضعف، انظر: الفوائد المجموعة له ص (٢٤٢)، ح ٨٤٤.

وخرَج: هناد^(١) بن السري^(٢) قال: حدثنا حسين الجعفي عن مالك بن مغول عن عبد الله بن عبيد بن عمير [عن أبيه]^(٣) قال: يجعل^(٤) الله للقبر لساناً ينطق به فيقول: ابن آدم كيف نسيتني، أما علمت أنني بيت الأكلة، وبيت الذود، وبيت الوحدة، وبيت الوحشة.

قال^(٥): وحدثنا وكيع عن مالك بن مغول عن عبد الله بن عبيد بن عمير [عن أبيه]^(٦) قال: إن القبر ليبيكي^(٧) يقول^(٨) في بكائه: أنا بيت الوحشة، أنا بيت الوحدة^(٩)، أنا بيت الذود.

وذكر أبو عمر بن عبد البر: روى^(١٠) يحيى بن جابر الطائي عن ابن عائذ^(١١) الأزدي عن غضيف بن الحارث قال: أتيت بيت المقدس أنا

(١) هناد بن السري بن مصعب بن أبي بكر، أبو السري التميمي الدارمي، الإمام القدره الحافظ، روى عنه مسلم والأربعة، ثقة، توفي سنة ٢٤٣هـ، انظر: الكاشف للذهبي ٣٣٩/٢ رقم ٥٩٨٧، والسير له ٤٦٥/١١؛ وتقريب التهذيب ص (٥٧٤) رقم ٧٣٢٠.

(٢) رواه في كتابه الزهد ٢٠٩/١، ح ٣٤١. بسند رجاله ثقات، أما الجعفي فهو: حسين بن الوليد الكوفي، وثقه يحيى بن معين وغيره، انظر: سير أعلام النبلاء ٣٩٧/٩ - ٣٩٨. وأما مالك فهو ابن مغول بن عاصم، قال أحمد ويحيى بن معين: ثقة، انظر: سير أعلام النبلاء ١٧٤/٧. وأما عبد الله: فهو ابن عبيد بن عمير النخعي المكي، وثقه أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان، انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١٠١/٥ رقم ٤٦٧. وأما عبيد: فهو ابن عبيد بن قتادة النخعي أبو عاصم المكي، مجمع على ثقته، التقريب ص (٣٧٧) رقم ٤٣٨٥.

(٣) ما بين المعقوفين من (الزهد لهناد).

(٤) في (ع): فجعل.

(٥) أي هناد في الزهد ٢٠٩/١، ح ٣٤٢ وإسناده صحيح، والسند كسابقه عدا وكيع بن الجراح بن مليح، أبو سفيان الكوفي فهو ثقة حافظ عابد، انظر: تهذيب الكمال لأبي الحجاج المزني ٤٦٢/٣٠، ٤٦٦ رقم ٦٦٩٥؛ والتقريب ص (٥٨١) رقم ٧٤١٤.

(٦) ما بين المعقوفين من (الزهد لهناد). (٧) في (ظ): بيكي.

(٨) في (ظ): ويقول. (٩) (أنا بيت الوحدة): ليست في (ظ).

(١٠) (روى): ليست في (ظ).

(١١) في (الأصل): ابن عابد، وفي (ع، ظ): أبي عابد، والتصويب من التمهيد ومصدر الترجمة.

وعبد الله بن عبيد بن عمير قال: فجلسنا إلى عبد الله بن عمرو بن العاص فسمعتة يقول: إن القبر يكلم العبد إذا وضع فيه فيقول: يا ابن آدم ما غرّك [بي] (١)؟ ألم تعلم أنني بيت الوحدة؟ ألم تعلم أنني بيت المظلمة؟ ألم تعلم أنني بيت الحق؟ يا ابن آدم ما غرّك بي؟ لقد كنت تمشي حولي فدأداً، قال ابن عابد: قلت لغضيف: ما الفداد يا أبا أسماء؟ قال: كيعض مشيتك يا ابن أخي، قال غضيف: فقال صاحبي وكان أكبر مني لعبد الله بن عمرو: فإن كان مؤمناً فماذا له (٢)؟ قال: يوسع له في قبره، ويجعل منزله أخضر، ويعرج بروحه إلى السماء. ذكره في كتاب التمهيد (٣).

وذكر أبو محمد عبد الحق في كتاب العاقبة (٤) (٥): عن أبي الحجاج الشمالي (٦) قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول القبر للميت إذا وضع فيه: ويحك (٧) يا ابن آدم ما غرّك بي؟ ألم تعلم أنني بيت الفتنة، وبيت الظلمة، وبيت الدود؟ ما غرّك [بي] (٨) إذ كنت تمر بي فدأداً؟ قال: فإن كان مصلحاً أجاب عنه مجيب القبر فيقول: رأيت إن كان ممن يأمر المعروف وينهى عن المنكر؟ قال: فيقول القبر: فإني أعود عليه خضراً، ويعود جسده نوراً، وتصعد روحه (٩) إلى رب العالمين. ذكر هذا الحديث أبو أحمد الحاكم (١٠) في كتاب

(١) ما بين المعقوفين من (ع، ظ، و) والتمهيد.

(٢) (فماذا له): ليست في (ع، ظ).

(٣) ١٤٥/١٨ بسند حسن، فيحيى بن جابر الطائي: صدوق، قاله الذهبي في الكاشف ٢/ ٣٦٣ رقم ٦١٤٣، وابن عائد هو عبد الرحمن بن عائد الأزدي الشمالي الحمصي، وثقه النسائي، انظر: الكاشف ١/ ٦٢٢ رقم ٣٢٣٢، وغضيف ويقال غطيف بن الحارث بن زعيم السكوني الكندي، مختلف في صحته، وثقه الدارقطني والعجلي، انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ٨/ ٢٢٣ رقم ٤٦٠.

(٤) في (ع، ظ): العاقبة له. (٥) العاقبة ص (١٨٩).

(٦) هو: عبد الله بن عبيد، ويقال ابن عابد، ويقال عبد بن عبد الشمالي، أبو الحجاج، وثمانية بطن من الأزدي، له صحبة، الإصابة لابن حجر ٤/ ١٦٣ رقم ٤٨٠٩.

(٧) (ويحك): ليست في (ظ). (٨) ما بين المعقوفين من (العاقبة).

(٩) في (ع، ظ): ويصعد بروحه.

(١٠) المحافظ محدث خراسان، محمد بن محمد بن أحمد النيسابوري الكرابيسي، أبو أحمد =

الكني^(١)، وذكره أيضاً قاسم [٣٨/ب] بن أصبغ^(٢) قال: قيل لأبي الحجاج ما الفداد؟ قال: الذي يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، يعني الذي يمشي مشية المتبخر.

وذكر ابن المبارك^(٣): حدثنا^(٤) داود بن نافذ^(٥) قال: سمعت عبد الله بن عبيد^(٦) بن عمير^(٧) يقول: بلغني أن الميت يقعد في حفرة وهو^(٨) يسمع وخط مشيعه ولا يكلمه شيء أول من حفرة^(٩) فتقول: ويحك يا ابن آدم أليس قد حذرتني^(١٠) وحذرت ضيقي^(١١) وظلماتي^(١٢) وتنتني وهولي، هذا [ما]^(١٣) أعددت لك فما^(١٤) أعددت لي؟.

الوخط والوخذ: سرعة السير في المشي.

= الحاكم الكبير، مؤلف كتاب الكنى، توفي سنة ٣٧٨هـ، السير ١٦/٣٧٠.

- (١) كتاب الأسامي والكنى لأبي أحمد الحاكم ٨٦/٤ - ٨٧.
- (٢) قاسم بن أصبغ بن محمد بن ناصح، المحافظ محدث الأندلس، أبو محمد القرطبي، له كتاب: مسند مالك، والمنتقى في الآثار، والأنساب، وبر الوالدين، توفي سنة ٣٤٠هـ، السير ١٥/٤٧٢.
- (٣) زوائد الزهد لابن المبارك ص (٤١)، ح ١٦٣.
- (٤) في (ع): أخيراً، وفي (ظ): قال حدثنا.
- (٥) في (الأصل، ظ): نافذ، وفي (ع): ناقد، والتصويب من زوائد الزهد ومصادر الترجمة، قال البخاري في التاريخ الكبير ٢٣٧/٣ رقم ٨٠٥، وأبو حاتم في الجرح والتعديل ٤٢٦/٣ رقم ١٩٤٠: سمع عبد الله بن عبيد بن عمير ١٠٠هـ. ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.
- (٦) ما بين السعوفتين من (ع، ظ، زوائد الزهد).
- (٧) في (ع، ظ، وزوائد الزهد): عبد الله بن عبيد بن عمير.
- (٨) (وهو): ليست ي (ظ).
- (٩) في (ظ): ولا يكلمه شيء إلا حفرة.
- (١٠) في (ظ): يا ابن آدم أنتيتني ما قد حذرتني.
- (١١) في (ع): صنيعي.
- (١٢) كذا في جميع النسخ، وفي (زوائد الزهد): ظمتمني.
- (١٣) ما بين المعقوفتين من (ع، وزوائد الزهد).
- (١٤) في (الأصل): كما، والتصويب من (ع، ظ، زوائد الزهد).

وقال سفيان الثوري: من أكثر^(١) ذكر القبر^(٢) وجده روضة من رياض الجنة، ومن غفل عن ذكره وجده حفرة^(٣) من حفر النار^(٤).

وقال أحمد بن حرب^(٥): تتعجب الأرض ممن يمهد مضجعه، ويسوي فراشه للنوم، وتقول: يا ابن آدم ألا تذكر طول رقائك^(٦) في جوفي وما بيني وبينك شيء^(٧).

وقيل لبعض الزهاد: ما أبل العظائم؟ قال: النظر إلى محلة^(٨) الأموات^(٩).

ولقد أحسن أبو العتاهية^(١٠) حيث يقول:

وعظمتك أجدات صمت ونعتك أزمنة خفت
وتكلمت عن أوجه تبلى^(١١) وعن صور سببت^(١٢)
وأرتك نفسك في القبور وأنت حي لم تمت

وروي عن الحسن البصري أنه قال: كنت خلف جنازة فاتبعتها حتى وصلوا^(١٣) به إلى حفرة، فنادت امرأة فقالت: يا أهل القبور لو عرفتم من نقل إليكم لأعزرتموه، قال الحسن: فسمعت صوتاً من الحفرة وهو يقول: قد

(١) في (ع): من أكثر من. (٢) في (ظ): الموت.

(٣) في (ظ): وجد حفرة.

(٤) ذكره أبو محمد في العاقبة ص (١٩٥ - ١٩٦).

(٥) أحمد بن حرب بن فيروز، أبو عبد الله شيخ نسابور، سمع من سفيان بن عيينة وغيره، له كتاب: الزهد، وعيال الله، والدعاء، والحكمة، وغير ذلك، مات سنة ٢٣٤هـ، السير ٣٢/١١.

(٦) في (ع، ظ): زمانك.

(٧) ذكره أبو محمد في العاقبة ص (١٩٦). (٨) (محلة): ليست في (ع، ظ).

(٩) ذكره أبو محمد في العاقبة ص (١٩٤).

(١٠) ديوان أبي العتاهية ص (٩٢).

(١١) في (ظ): وتكلمت أوجه تبكي.

(١٢) المسبوت: الميت والمغشي عليه، الصحاح ٢٥١/١. وفي الديوان: شنت.

(١٣) في (ظ): وصلنا.

والله^(١) نقل إلينا بأوزار كالجبال، وقد أذن لي أن أكله حتى يعود رميمًا، قال: فاضطربت الجنازة فوق النعش، وخرّ الحسن مغشياً عليه^(٢).

باب ما جاء في ضغطة القبر على صاحبه وإن كان صالحاً

النسائي^(٣) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «هذا الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء وشهده^(٤) سبعون ألفاً من الملائكة لقد ضُمَّ ضمة ثم فُرِّج^(٥) عنه. قال أبو عبد الرحمن النسائي: يعني سعد بن معاذ.

ومن حديث شعبة بن الحجاج بإسناده إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ»^(٦).

وذكر هناد بن السري^(٧): حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن ابن [أبي]^(٨) مليكة قال: ما أجبر من ضغطة القبر أحد ولا سعد بن معاذ الذي منديل من مناديله خير من الدنيا وما فيها.

- (١) في (ع): لقد والله.
(٢) لم أعثر على هذا الأثر.
(٣) في المجتبى ١٠٠/٤، ح ٢٠٥٥؛ وابن حبان في صحيحه ٥١٥/١٥، ح ٧٠٢٣؛ وأحمد في المسند ٣٢٧/٣، ح ١٤٥٤٥؛ والطبراني في الكبير ١٠/٦، ح ٥٣٣٣، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن النسائي ٤٤١/٢، ح ١٩٤٢.
(٤) في (ع): شهد له.
(٥) في الأصل: فرج الله، وما أثبتته من (ع)، ظ. المجتبى.
(٦) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٣٧٩/٧، ح ٣١١٢؛ وأحمد ٥٥/٦، ح ٢٤٣٢٨؛ والطبراني في الكبير ١٠/٣٣٤، ح ١٠٨٢٧، قال الهيثمي: رواه أحمد عن نافع عن عائشة، وإسناده صحيح، وقال أيضاً: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجال موثوقون، انظر: مجمع الزوائد ٤٦/٣، ٤٧.
(٧) في الزهد له ٢١٥/١، ح ٣٥٦.
(٨) ما بين المعقوفين من (ع)، ظ. الزهد لهناد.

قال: وحدثناه عبدة عن عبد الله^(١) بن عمر^(٢) عن نافع قال: لقد بلغني أنه شهد جنازة سعد بن معاذ سبعون ألف ملك لم ينزلوا إلى الأرض قط.

قال^(٣): ولقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «لقد ضُم صاحبكم في القبر ضمة»^(٤).

وخرَج علي بن معبد^(٥) في كتاب الطاعة [١/٣٩] والمعصية^(٦) عن نافع قال: أتينا صفية بنت أبي عبيد امرأة عبد الله بن عمر وهي فزعة فقلنا: ما شأنك؟ قالت: جئت من عند بعض نساء النبي ﷺ فحدثتني أن رسول الله ﷺ قال: «إن كنت لأرى^(٧) أن أحداً أعفي^(٨) من عذاب القبر لعفي منه سعد بن معاذ لقد ضُم فيه ضمة».

وخرَج أيضاً عن زاذان^(٩) أبي عمر قال: لما دفن رسول الله ﷺ ابنته زينب جلس عند^(١٠) القبر فتربّد^(١١) وجهه ثم سُري عنه فقال له أصحابه: رأينا وجهك يا رسول الله أنفأ ثم سُري عنك، فقال النبي ﷺ: ذكرت ابنتي وضعفها وعذاب القبر، فدعوت الله ففرج^(١٢) عنها وأيم الله لقد ضمت ضمة سمعها ما بين الخافقين^(١٣).

(١) في (ع، ظ): عبيد الله.

(٢) في (ع): عمير.

(٣) (قال): ليست في (ع).

(٤) الزهد لتهاد ١/٢١٧، ح ٣٥٨.

(٥) لم أقف على من ترجم له، أو ذكره.

(٦) الذي يبدو أن الكتاب مفقود، فلم أقف على ما ذكره في عدد من الفهارس المطبوعة والمخطوطة.

(٧) في (ظ): لو أرى.

(٨) في (ع): لو أعفي.

(٩) في (ع، والأصل): زاذان، وتصحف، والتصويب من (ظ) وتقريب التهذيب ص (٣٣٣).

(١٠) في (ظ): على.

(١١) أحمر حُمْرة فيها سواد، انظر: لسان العرب ٣/١٧٠.

(١٢) في (ع): يفرج.

(١٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٢/٤٣٣، ح ١٠٥٥، قال ابن الجوزي: هذا الحديث لا يصح من جميع طرقه، انظر: الموضوعات له ٣/٥٤٢، ح ١٧٧٠.

وخرَج^(١) أيضاً بسنده عن إبراهيم الغنوي عن رجل قال: كنت عند عائشة رضي الله عنها فمرت جنازة صغير فبكيت فقلت لها: ما يبكيك يا أم المؤمنين؟ فقالت: هذا الصبي بكيت شفقة عليه من ضمة القبر.

قلت: وهذا الخبر وإن كان موقوفاً على عائشة رضي الله عنها فمثله لا يقال من جهة الرأي، وقد روى عمر بن شبة^(٢) في كتاب المدينة على ساكنها السلام في ذكر وفاة فاطمة ابنة أسد أم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بينما هو رضي الله عنه في أصحابه أتاه آت فقال: إن أم علي وجعفر وعقيل قد ماتت، قال^(٣): قوموا بنا إلى أمي، فقال: فقمنا كأن على رؤوسنا الطير، فلما انتهينا إلى الباب نزع قميصه وقال: إذا كفتموها فأشعروه إياها تحت أكفانها، فلما خرجوا بها جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة يحمل ومرة يتقدم ومرة يتأخر حتى انتهينا بها إلى القبر، فتمعك في اللحد ثم خرج وقال: أدخلوها بسم الله وعلى اسم الله، فلما دفنوها قام قائماً^(٤) وقال: جزاك الله من أم وربيبة خيراً. وسألناه عن نزع^(٥) قميصه^(٦)، وتمعكه في اللحد، فقال: أردت أن لا تمسها النار أبداً إن شاء الله، وأن يوسع الله عليها قبرها^{(٧)(٨)}، وقال: ما عفي أحد

(١) الضمير في (خرج) الأولى والثانية يعود إلى علي بن معبد.

(٢) وفي (الأصل): عمرو بن شبة، والتصويب من (ع، ظ، مصدر الترجمة)، وهو عمر بن شبة بن عينة بن زيد بن راتطة، أبو زيد الشيمري البصري، الأخباري صاحب التصانيف منها: أخبار المدينة، وأخبار مكة، وأخبار الكوفة، وغيرها، مات سنة ٢٦٢هـ، السير ٣٦٩/١٢، والنص في تاريخ المدينة له ١٢٤/١.

(٣) في (ظ): بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي (تاريخ المدينة): قال بينما نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٤) قال: ليست في (ظ)، وفي (ع): فقال.

(٥) في (ع): قائم بالرفع، والتصواب ما في الأصل؛ لأن موقع الكلمة الإعرابي هنا: حال، والحال منصوب.

(٦) في (ع، ظ): نزع.

(٧) في تاريخ المدينة: فلما بنزع قميصك وتمعك في اللحد.

(٨) في (ع): قبورها، وهو مخالف للسياق؛ لأن المقبرة مفردة.

(٩) إلى هذا الموضع انتهى النقل من كتاب تاريخ المدينة لابن شبة.

من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد، قيل: يا رسول الله، ولا القاسم ابنك؟ قال: ولا إبراهيم وكان أصغرهما.

ورواه^(١) أبو نعيم الحافظ^(٢) عن عاصم الأحول عن أنس بمعناه وليس فيه السؤال عن تمعكه إلى آخره.

قال أنس: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب [صلى الله عليه وسلم]^(٣) دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس^(٤) عند رأسها فقال: رحمك الله يا أمي كنت أمي بعد أمي تجوعين وتشبعيني، وتعرين وتكسونني، وتمنعين نفسك طيب الطعام وتطعميني، تريدن بذلك وجه الله^(٥) والدار الآخرة، ثم أمر أن تغسل ثلاثاً، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكب رسول الله ﷺ بيده، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه وألبسها إياه وكفنها فوقه، ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم وغلاماً أسود يحفرون قبرها، فلما بلغوا اللحد حفروه [٣٩/ب] رسول الله ﷺ وأخرج^(٦) ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه، ثم قال: الحمد لله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجبها، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي^(٧) إنك أرحم

(١) في (ع): رواه.

(٢) الحلية ١٢١/٣، وقال فيه أبو نعيم: غريب من حديث عاصم والثوري لم نكتبه إلا من حديث روح بن صلاح، تفرد به.

(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٤) في (ظ): أتى رسول الله ﷺ فجلس. (٥) في (ع، ظ): وجه الله تعالى.

(٦) (رسول الله): ليست في (ع).

(٧) من هذا الموضع توجد كلمات وأحرف غير واضحة في الأصل، تم توضيحها من النسخ الأخرى ومصادر المؤلف.

(٨) هذا الحديث رواه أيضاً الحاكم في مستدرکه ١٠٨/٣ عن علي بن أبي طالب، وليس فيه لفظ: «بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي»، ورواه ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب ١٨٩١/٤، وابن الأثير في كتابه أسد الغابة ٢١٧/٧ كلاهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وليس فيه لفظ: «بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي»، وقد تقدمت رواية عمر بن شبة وليس فيها ذلك اللفظ المخالف، علماً بأن رواية أنس التي رواها أبو نعيم =

الراحمين، وكبر عليها أربعاً، وأدخلوها اللحد: هو والعباس^(١) وأبو بكر الصديق رضي الله عنه.

باب منه وما جاء أن الميت يعذب ببكاء أهله وهم من شر الناس له

روى أبو هذبة إبراهيم بن هذبة قال: حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ قال: العبد الميت إذا وضع في قبره وأقعد، قال: يقول أهله: واسيداء واشريفاء وأميراء، قال: يقول الملك: اسمع ما يقولون، أنت^(٢) كنت سيداً؟ أنت كنت أميراً؟ أنت كنت شريفاً، قال: يقول الميت: يا ليتهم^(٣) يسكتون، قال: فيضط ضغطة تختلف فيها أضلاعه^(٤).

فصل^(٥)

قال علماؤنا^(٦) رحمة الله عليهم: قال بعض العلماء، أو أكثرهم: إنما يعذب الميت ببكاء الحي^(٧) إذا كان البكاء من^(٨) سنة الميت واختياره كما قال الشاعر^(٩):

إذا مت فانعني بما أنا أهله وشقي عليّ الحبيب يا ابنة معبد

- تفرد بها راوٍ ضعيف هو: روح بن صلاح، قال فيه الدارقطني: ضعيف في الحديث، انظر: نسان الميزان لابن حجر ٤٤٦/٢، وقال ابن عدي: في بعض حديثه نكرة، الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ١٠٠٥/٣، وقال ابن الجوزي: تفرد به روح بن صلاح وهو في عداد المجهولين، العزل المنتهية ١/٢٧٠، ح ٤٢٣.
- (١) في (ع، ظ): عباس.
- (٢) (همزة الاستفهام): ليست في (ظ) في المواضع الثلاثة.
- (٣) في (ع): باليتي ليتهم، وفي (ظ): يا ليتهم.
- (٤) ثم أجد هذا الحديث، وقد تقدم ص (١٥٠) أن أبا هذبة كذاب وضاع.
- (٥) (كلمة فصل): ليست في (ظ).
- (٦) القائل هو أبو محمد في العاقبة ص (١٦٤).
- (٧) في (ظ): ببكاء الحي عليه.
- (٨) (من): ليست في (ظ).
- (٩) (الشاعر): ليست في (ع، ظ)، والبيت ذكره الحموي في خزنة الأدب ١/٤٢١.

وكذلك إذا وصى به عذب^(١).

وقد روي ما يدل على أن الميت يصيبه عذاب ما يبكاء الحي عليه وإن لم يكن من سته ولا من اختياره، ولا مما أوصى به^(٢)، واستدلوا عليه^(٣) بحديث أنس رضي الله عنه المذكور، وبما روي من حديث قبلة بنت مخزوم وذكرت عند رسول الله ﷺ ولدأ لها مات ثم بكث، فقال رسول الله ﷺ: أيلغب أحيديكم^(٤) أن يصاحب صويحبه في الدنيا معروفاً، فإذا حال بينه وبينه من هو أولى به منه استرجع، ثم قال: اللهم أثبتي فيما أمضيت وأعني على ما أبقيت، فوالذي نفس محمد بيده إن أحيديكم ليكي فيستغفر له صويحبه. يا عباد الله لا تعذبوا موتاكم، ذكره ابن أبي خيثمة^(٥) وأبو بكر بن أبي شيبة، وغيرهما^(٦). وهو حديث معروف، إسناده لا بأس به^(٧)، وسياقه يدل على أن بكاء هذه لم يكن^(٨) اختيار ابنها؛ لأن ابنها من أصحاب^(٩) رسول الله ﷺ، ولا كان هذا البكاء^(١٠) المعروف في الجاهلية الذي كان من اختيار الميت ومما يوصي^(١١) به^(١٢).

وذكر أبو عمر^(١٣) في كتاب^(١٤) الاستذكار^(١٥) من حديث أبي موسى

(١) (عذب): ليست في (ع، ظ).

(٢) (به): ليست في (ظ).

(٣) (عليه): ليست في (ع، ظ).

(٤) (في): أحيديكم.

(٥) أحمد بن أبي خيثمة صاحب التاريخ الكبير، سمع من أحمد بن حنبل وسليمان بن حرب، وغيرهم، مات سنة ٢٧٩هـ، السير ١١/٤٩٢.

(٦) رواه الطبراني في الكبير ٧/٢٥، ح ١١ وابن سعد في الطبقات الكبرى ١/٣١٦.

(٧) هذا التحكم على الحديث من كلام أبي محمد عبد الحق في العاقبة ص (١٦٥).

(٨) (ظ): لم يكن من.

(٩) (ع، ظ): صاحب من أصحاب.

(١٠) (ظ): ولا كان هذا البكاء المعروف.

(١١) من قوله: وسياقه يدل. إلى هذا الموضع من كلام أبي محمد عبد الحق في العاقبة ص (١٦٥).

(١٢) (به): ليست في (ع).

(١٣) (ع، ظ): أبو عمر بن عبد البر.

(١٤) (كتاب): ليست في (ظ).

(١٥) (في الأصل): الاستيعاب، والتصويب من (ع، ظ) والحديث في الاستذكار ٨/٣٢٣

الأشعري رحمته عن النبي ﷺ قال: «الميت^(١) يعذب ببيكاه الحي عليه، إذا قالت النائحة: وا عضدها، وا ناصراه وا كاسباه^(٢) جُبد الميت^(٣) وقيل^(٤): أنت عضدها؟ أنت ناصرها؟ أنت كاسبها^(٥)»^(٦).

وذكر البخاري^(٧) من حديث النعمان بن بشير رضي قال: أغمي على عبد الله بن رواحة رضي فجعلت أخته غمرة^(٨) [٤٠/أ] تكي عليه^(٩): واجبلاه، وا كذا وا كذا تُعدد عليه، فقال حين أفاق: ما قلت لي^(١٠) شيئاً إلا قيل لي أنت كذلك؟ فلما مات لم تيك عليه. وهذا أيضاً لم يكن من سنة عبد الله بن رواحة ولا من اختياره ولا مما وصى^(١١) به، منصبه^(١٢) في الدين أجل وأرفع من أن كان يأمر بهذا أو يوصي به.

وزوى أبو محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ^(١٣) من حديث منصور بن زاذان عن الحسن بن عمران بن حصين^(١٤) رضي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليعذب الميت بصباح أهله عليه»، فقال له^(١٥) رجل يموت^(١٦) بخراسان ويناح عليه هاهنا، فقال عمران: صدق رسول الله ﷺ وكذبت^(١٧).

- (١) في (ظ): إن الميت.
 (٢) (النواو): ليست في (ع).
 (٣) في (ع): أنت عضدها؟ أنت ناصرها؟ أنت كاسباها، وفي (الاستذكار): أنت كاسبها.
 (٤) رواه أحمد في المسند ٤/٤١٤، ح ١٩٧٣١، صحيح لغيره، انظر: حاشية مستد أحمد ٣٢/٤٨٨، ح ٩٧١٦، ظ. م. الرسالة.
 (٥) في صحيحه ٤/١٥٥٥، ح ٤٠١٩.
 (٦) نهاية الكلمات والأحرف التي ليس بها وضوح في الأصل.
 (٧) (عليه): ليست في (ع، ظ).
 (٨) (١٠) (لي): ليست في (ع، ظ).
 (٩) في (ظ): أوصى.
 (١٠) في (١٢) (ع، ظ): فنصابه.
 (١١) عبد الغني بن سعيد بن علي، محدث الديار المصرية، أبو محمد الأزدي، صاحب كتاب المؤلف والمختلف، توفي سنة ٤٠٩ هـ، انسير ١٧/٢٦٨.
 (١٢) في (الأصل): الحصين، والتصويب من (ع، ظ)، انسير ٢/٥٠٨.
 (١٣) (له): ليست في (ع).
 (١٤) في (ع): يموت رجل.
 (١٥) ذكره ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ٢/٣٢٠ رقم ٤٥١، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٧/٢٩٠ رقم ٣٧٩.

قال المؤلف: وهذا بظاهره أن بنفس الصباح يقول^(١) يقع التعذيب^(٢)، وليس كذلك^(٣).

وإنما^(٤) هو محمول على ما ذكرنا، والله أعلم.

وقال الحسن: إن من شر الناس للميت أهله ليكون عليه ولا يقضون دينه^(٥).

باب ما يُنجي من ضغطة القبر وفتنته

ذكر^(٦) أبو نعيم^(٧) من حديث أبي العلاء يزيد^(٨) بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال: قال^(٩) رسول الله^(١٠) ﷺ: «مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مِنْ مَرَضِهِ الَّذِي يَمُوتُ فِيهِ لَمْ يَفْتَنَّ فِي قَبْرِهِ، وَأَمِنَ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ، وَحَمَلْتَهُ الْمَلَائِكَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(١١) بِأَكْفِهَا حَتَّى تَجِيزَهُ مِنْ^(١٢) الصَّرَاطِ إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ يَزِيدَ تَفَرَّدَ بِهِ نَصْرُ بْنُ حَمَادِ الْبَجَلِيِّ^(١٣).

(١) (يقول): ليست في (ع، ظ).

(٢) (التعذيب): ليست في (ظ).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما تعذيب الميت فهو لم يقل: إن الميت يعاقب ببيكاه أهله عليه بل قال: يعذب، والعذاب أعم من العقاب، فإن العذاب هو الألم، وليس كل من تألم بسبب كان ذلك عقاباً له على ذلك السبب، فإن النبي ﷺ قال: «السفر قطعة من العذاب». فسمى السفر عذاباً وليس هو عقاباً، والإنسان يعذب بالأمور المكروهة التي يشعر بها، مثل الأصوات الهائلة، والأرواح الخبيثة، والصور القبيحة، فهو يتعذب بسماع هذا وشم هذا، ولم يكن ذلك عملاً له عوقب عليه، فكيف يُنكر أن يعذب الميت بالنيحة وإن لم تكن النياحة عملاً له يعاقب عليه؟! مجموع الفتاوى ٣٧٤/٢٤.

(٤) في (ظ): إنما.

(٥) لم أقف على هذا الأثر.

(٦) في (ع، ظ): روي من حديث.

(٧) الحلية ٢/٢١٣.

(٨) (يزيد): ليست في (ظ).

(٩) (قال: قال): ليست في (ظ).

(١٠) في (ظ): عن رسول الله.

(١١) (يوم القيامة): ليست في (ظ).

(١٢) في (ظ): من.

(١٣) قال الألباني: هذا إسناد موضوع، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٣١٦/١

باب ما يقال عند وضع^(١) الميت في قبره وفي اللحد في^(٢) القبر

و^(٣) اللحد هو أن يحفر للميت في جانب القبر إن كانت الأرض صلبة، وهو أفضل من الشق؛ فإنه الذي اختاره الله لنبيه ﷺ.

روى^(٤) ابن ماجه^(٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله بعثوا إلى أبي عبيدة وكان يضرح كضريح^(٦) أهل^(٧) مكة، وبعثوا إلى أبي طلحة وكان هو الذي يحفر لأهل المدينة وكان يلحد، فبعثوا إليهما رسولين، قالوا: اللهم خر^(٨) لرسولك، فوجدوا أبا طلحة فجيء به، ولم يوجد أبو عبيدة^(٩) فلحدوا^(١٠) لرسول الله ﷺ.

وروى أبو داود^(١١) عن عباس رضي الله عنه^(١٢) قال: قال رسول الله: اللحد لنا والشق لغيرنا، أخرجه^(١٣) ابن ماجه^(١٤) والترمذي^(١٥) وقال: حديث حسن. وأنشدوا:

- (١) (وضع): ليست في (ظ).
 (٢) (في (ع): وفي.
 (٣) (النوار): ليست في (ع، ظ).
 (٤) (في (ظ): وروى.
 (٥) في سننه ١/٥٢٠، ح ١٦٢٨؛ ورواه أحمد في المسند ٨/٨، ح ٣٩؛ ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٣/٤٠٧، ح ٦٥٠٨، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف ابن ماجه ص (١٢٤) - (١٢٥)، ح ٣٥٩.
 (٦) (كضريح): ليست في (ع)، والضريح: الشق وسط القبر، واللحد في الجانب، الصحاح ١/٣٨٦.
 (٧) (في (ع): لأهل.
 (٨) (في (الأصل): ابن، تصويبه من (ع، ظ).
 (٩) (في (ظ): اختر.
 (١٠) (في (ع): ثم وجدوا أبو عبيدة، وفي (ظ): ثم وجدوا أبا عبيدة.
 (١١) (في (ع، ظ): فلحد.
 (١٢) (في سننه ٣/٢١٣، ح ٣٢٠٨.
 (١٣) (في (ع): أخرجه.
 (١٤) (في (ع): خرج.
 (١٥) في سننه ١/٤٩٦، ح ١٥٥٤، صححه الألباني، انظر: صحيح ابن ماجه ١/٢٥٩، ح ١٢٢٢.
 (١٦) في جامعه ٣/٣٦٢، ح ١٠٤٥.

ضعوا خدي على لحدي ضعوه
 وشقوا عنه^(١) أكفاناً رفاقاً
 فلو أبصرتموه إذا انقضت
 وقد سالت نواظر مقلتيه
 وناداه البلاء هذا فلان
 حبيبكم وجاركم المفدى
 وقال آخر:

وألحدوا محبوبهم وانثنوا
 وغادروه مُسَلِّماً مُفْرِداً
 ولم يزود من جميع الذي
 وهمهم تحصيل ما خلفنا
 في رمسه رهناً بما أسلفنا
 باع به أخراه إلا لفسا^(٢)

وخرَجَ أبو عبد الله الترمذي الحكيم^(٤) في نوادر الأصول^(٥) عن سعيد بن المسيب قال: حضرت ابن عمر رضي الله عنهما في جنازة فلما وضعها في اللحد قال: بسم الله وفي سبيل الله، فلما أخذ في تسوية اللحد قال: اللهم^(٦) أجرها^(٧) من الشيطان ومن عذاب القبر، فلما سوى الكُتْبَ^(٨) عليها قام جانب القبر^(٩)، ثم قال: اللهم جاف الأرض عن جنبيها^(١٠)، وصعد روحها، ولقها^(١١) منك^(١٢) رضواناً، فقلت: لابن عمر أشتيتاً سمعته من رسول الله ﷺ أم شيئاً قلته من رأيك؟ قال: إني إذا^(١٣) لقادر على القول، بل سمعته من رسول الله ﷺ. خرجه ابن ماجه^(١٤) أيضاً في سننه.

- (١) في (ع): عليه.
 (٢) في (ظ): باع به قليل أجزاءه إلا كفى.
 (٣) نوادر الأصول ٣/٢٢٧.
 (٤) (الحكيم): ليست في (ع).
 (٥) في (نوادير الأصول): أجره.
 (٦) (اللهم): ليست في (ظ).
 (٧) في (نوادير الأصول): الكتيب. وكتب الرمل: أي اجتمع، الصحاح ١/٢٠٩.
 (٨) (فلما سوى الكُتْبَ عليها قام جانب القبر): ليست في (ع).
 (٩) في (نوادير الأصول): عن الكتيب.
 (١٠) في (نوادير الأصول): ولقها.
 (١١) (منك): ليست في (ظ).
 (١٢) (إذا): ليست في (ظ).
 (١٣) في سننه ١/٤٩٥، ح ١٥٥٣، وقال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف سنن ابن ماجه ص (١١٨)، ح ٣٤١.

وقال أبو عبد الله الترمذي ^(١) كَلِمَةٌ: حدثنا أبي كَلِمَةٌ قال: حدثنا الفضل بن دكين عن سفيان عن الأعمش عن عمرو بن مرة قال: كانوا يستحبون ^(٢) إذا وضع الميت في اللحد أن يقولوا: اللهم أعذه من الشيطان الرجيم. وروي عن سفيان الثوري ^(٣) أنه قال: إذا سئل الميت من ربك، تزايا له الشيطان في صورة فيشير إلى نفسه: إني أنا ربك ^(٤).

قال أبو عبد الله ^(٥): فهذه فتنة عظيمة؛ ولذلك كان رسول الله ﷺ يدعو بالثبات فيقول: اللهم ثبت عند المسألة ^(٦) منطقه، وافتح أبواب السماء لروحه. فلو لم يكن للشيطان هناك سبيل ما كان ليدعو له رسول الله ﷺ أن يجيره من الشيطان، فهذا تحقيق لما روي عن سفيان، ذكره في الأصل التاسع والأربعين والمائتين ^(٧).

باب الوقوف عند القبر قليلاً بعد الدفن والدعاء بالثبوت له

مسلم ^(٨) عن ابن شماس المهرري قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة ^(٩) الموت الحديث، وفيه: فإذا دفنتموني فشنوا علي ^(١٠) التراب شنأ ثم أقيموا حول قبوري قدر ما تنحمر ^(١١) جزور وتقسم ^(١٢) لحمها [٤١/٤١]؛ حتى استأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به ^(١٣) رسل ربي ﷺ.

(١) نوادر الأصول ٢٢٧/٣.

(٢) في (ظ): كان يستحبون أن يقولوا. ولم أقف على من ذكر ذلك الاستحباب.

(٣) في (ظ): كان يقول النبي ﷺ.

(٤) ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الأصول ٢٢٧/٢.

(٥) الترمذي الحكيم.

(٦) في (الأصل): المسابقة، والتصويب من (ع، ظ)، وفي (نوادر الأصول): المسائل.

(٧) نوادر الأصول ٢٢٧/٣. (٨) في الصحيح ١١٢/١، ح ١٢١.

(٩) في (ظ): سياق. (١٠) (علي): ليست في (ظ).

(١١) في (ظ): بنحمر. (١٢) في (ظ): يقسم.

(١٣) (به): ليست في (ظ).

أخرجه ابن المبارك^(١) بمعنى حديث مسلم من حديث ابن لهيعة قال: حدثني يزيد بن أبي حبيب أن عبد الرحمن بن شماسه حدثه وقال فيه: وشدوا علي إزاري فإني مخاصم، وشنوا علي التراب شنأ، فإن جنبي الأيمن ليس بأحق^(٢) بالتراب^(٣) من جنبي الأيسر، [ولا]^(٤) تجعلن في قبوري خشبة ولا حجراً، وإذا واريتموني فاقعدوا عند قبوري قدر نحر جزور وتقطيعها أستأنس^(٥) بكم.

أبو داود^(٦) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه^(٧) وقال: ^(٨) «استغفروا لأخيكم واسألوا له بالتثبيت فإنه الآن يُسأل».

وخرج أبو عبد الله الترمذي الحكيم في نوادر الأصول^(٩) له عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا دفن ميتاً وقف وسأل الله^(١٠) التثبيت، وكان يقول: ما يستقبل المؤمن من هول الآخرة إلا والقبر أفضح منه.

وخرج^(١١) أبو نعيم^(١٢) الحافظ في باب عطاء بن ميسرة الخراساني إلى عطاء^(١٣) عنه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ وقف على قبر رجل

(١) في الزهد ص (١٤٧ - ١٤٨)، ح ٤٤٠.

(٢) في (ع، ظ): أحق.

(٣) في (ظ): من التراب.

(٤) ما بين المعقوفين من (ع، ظ، الزهد).

(٥) في (ظ): حتى استأنس.

(٦) في سننه ٢/٢١٥، ح ٣٢٢١، والحاكم في مستدرکه ١/٥٢٦، ح ١٣٧٢؛ والبيهقي في

السنن الكبرى ٤/٥٦، ح ٦٨٥٦، صححه الألباني، انظر: صحيح أبي داود ٢/٦٢٠، ح ٢٧٥٨.

(٧) (وقف عليه): ليست في (ظ).

(٨) في (ع): فقال، وي (ظ): قال.

(٩) نوادر الأصول ص ٣/٢٢٦، ولم يذكر له سنداً.

(١٠) في (ع، ظ): الله له.

(١١) في (ظ): وخرجه.

(١٢) الحلبي ٥/٢٠١، وروى الطبراني نحوه في معجمه الكبير ١/٢٤٤، ح ٦٨٧ موقوفاً على

أنس رضي الله عنه، وكذا ابن المبارك في الزهد له ص (٢٨ - ٢٩)، ح ١١٦٣؛ قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات، مجمع الزوائد ٣/٤٤.

(١٣) في (الأصل): إلى عثمان رضي الله عنه، وفي (ع): عن أبي عثمان، وفي (ظ): أنا عثمان، =

من أصحابه حين فرغ منه فقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم نزل بك وأنت خير منزل به، جاف الأرض عن جنبه وافتح أبواب السماء لروحه، واقبله منك بقبول حسن، وثبت عند المسايلة^(١) منطقه»، غريب من حديث عطاء.

فصل

قال الآجري^(٢)^(٣) في كتاب النصيحة^(٤): يستحب الوقوف بعد الدفن قليلاً والدعاء للميت مستقبل وجهه بالثبات فيقال: اللهم هذا^(٥) عبدك وأنت أعلم به منا ولا نعلم منه إلا خيراً وقد أجلسته لتسأله، اللهم فثبته بالقول الثابت في الآخرة كما ثبته بالقول الثابت^(٦) في الحياة الدنيا، اللهم ارحمه، والحقه بنيه محمد ﷺ ولا تزلنا بعده ولا تحرمنا أجره. وقال أبو عبد الله الترمذي^(٧): فالوقوف على^(٨) القبر وسؤال التثبيت في وقت دفنه مددٌ للميت بعد الصلاة؛ لأن الصلاة بجماعة المؤمنين كالعسكر له قد اجتمعوا بباب الملك يشفعون له، والوقوف على القبر لسؤال التثبيت مدد العسكر^(٩)، وتلك ساعة شغل للميت؛

- والنصويب من مصدر المؤلف، وفيه: حدثني ابن أبي أسيد عن عطاء عن أنس بن مالك. والذي يظهر أن عطاء تحرفت في النسخ إلى: عثمان، والله أعلم.
- (١) في (ع، ظ): المسألة، والأصل توافق مع الحلية.
- (٢) في (ع، ظ): أبو بكر محمد بن الحسين.
- (٣) الإمام المحدث أبو بكر، محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الآجري، صاحب التوالمف منها: الشريعة في السنة، وكتاب الرؤية، وكتاب الغرباء، وغير ذلك، توفي سنة ٣٦٠هـ، السير ١٦/١٣٣.
- (٤) في (ظ): له، ونسب ابن النديم الكتاب إليه أيضاً، قال: وله كتاب النصيحة ويحتوي على عدة كتب في الفقه، انظر: الفهرست ص(٣٠١)، ولم أفق على كتاب النصيحة مطبوعاً ولا مخطوطاً.
- (٥) (هنا): ليست في (ع).
- (٦) (بالقول الثابت): ليست في (ع، ظ). (٧) نوادر الأصول ٣/٢٢٦.
- (٨) في (ع): عند.
- (٩) في (ع): للعسكر، والأصل متوافق مع (ظ، نوادر الأصول) وما في (ع) أنسب لسياق.

لأنه يستقبله هول المطلق وسؤال وفتنة فتاني القبر على ما يأتي^(١).
والجزور بفتح الجيم من الإبل، والجزرة من الضأن والمعز خاصة، قاله
في الصحاح^(٢).

فصل

قول عمرو بن العاص رضي الله عنه: فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار،
توصية منه باجتناب هذين الأمرين؛ لأنهما من عمل الجاهلية، ولنهي
النبي ﷺ^(٣).

قال العلماء^(٤): ومن ذلك^(٥) الضجيج بذكر الله سبحانه أو بغير^(٦) ذلك
حول الجنائز، والبناء على المقابر^(٧) والاجتماع في الجبانات والمساجد للقراءة
وغيرها لأجل الموتى، وكذلك الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة^(٨) الطعام،
والمبيت^(٩) عندهم، كل ذلك من أمر الجاهلية [٤١/ب]، ونحو منه الطعام الذي
يصنعه أهل الميت في اليوم السابع فيجتمع له الناس يريدون بذلك القرية
للميت^(١٠) والترحم عليه. وهذا محدث^(١١) لم يكن فيما تقدم، ولا هو فيما
يحمده العلماء، قالوا^(١٢): وليس ينبغي للمسلمين أن يقتدوا بأهل الكفر، وينهى
كل إنسان أهله عن الحضور لمثل هذا أو شبهه من لطم الخدود ونشر الشعور،
وشق الجيوب، واستماع النوح، وكذلك الطعام الذي يصنعه أهل الميت كما
ذكرنا فيجتمع عليه النساء والرجال من فعل قوم لا خلاق لهم.

وقال أحمد بن حنبل: هو من فعل أهل الجاهلية، وقيل له: أليس قد

(١) ص (٣٤٨).

(٢) في (ظ): ونهي النبي ﷺ من ذلك.

(٣) لم أتوصل إلى القائل.

(٤) (ومن ذلك): ليست في (ظ).

(٥) في (ظ): وبغير.

(٦) في (ع): على الموتى.

(٧) في (ظ): والبيتوتة.

(٨) (فيجتمع الناس... للميت): ليست في (ظ).

(٩) في (ع): الحديث.

(١٠) (١٢) (قالوا): ليست في (ع، ظ).

قال رسول الله ﷺ: «اصنعوا لآل جعفر طعاماً»^(١) فقال: لم يكونوا هم اتخذوا إنما اتخذ لهم^(٢).

فهذا كله واجب على الرجل أن يمنع أهله منه، ولا يرخص لهم، فمن أباح ذلك لأهله فقد عصى الله ﷻ، وأعانهم على الإثم والعدوان، والله تعالى يقول: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: ٦]. قال العلماء^(٣): معناه أدبهم وعلموهم.

وروى ابن ماجه^(٤) في سننه عن جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا نعد^(٥) الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام من النياحة. وفي حديث شجاع بن مخلد^(٦) قال: كانوا يرون إسناده صحيح^(٧).

وذكر الخرائطي عن هلال بن حباب قال: الطعام على الميت من أمر الجاهلية.

وخرج الأجرى عن أبي موسى قال: ماتت أخت لعبد الله بن عمر رضي الله عنه فقلت لامرأتي: اذهبي فعزيهم، وبيني عندهم فقد كان بيننا وبين آل عمر الذي كان، فجاءت فقال: ألم أمرك أن تبيني عندهم؟ فقالت: أردت أن أبيت فجاء ابن عمر فأخرجنا، وقال: اخرجن لا تبينن أختي بالعذاب.

(١) أخرجه الترمذي في جامعه ٣/٣٢٣، ح ٤٩٩٨ وأبو داود في السنن ٣/١٩٥، ح ٣١٣٢؛ وابن ماجه في سننه ١/٥١٤، ح ١٦١٠، حسنه الألباني، انظر: صحيح ابن ماجه ١/٢٦٨، ح ١٣٠٦.

(٢) لم أفق على من نسب هذا القول للإمام أحمد غير المصنف.

(٣) نسبه ابن جرير الطبري في تفسيره لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ٢٨/١٦٥.

(٤) في السنن ١/٥١٤، ح ١٦١٢؛ والطبراني في الكبير ٢/٣٠٧، ح ٢٢٧٩، حسنه الألباني، ١/٢٦٩، ح ١٣٠٨.

(٥) في (ابن ماجه): ترى.

(٦) شجاع بن مخلد، أبو الفضل البغوي، وثقه ابن معين، وكان أحمد بن حنبل يقدمه، توفي سنة ٢٣٤هـ، انظر: النجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤/٣٧٩ رقم ١٦٥٥؛ ومولد العلماء ووفياتهم لمحمد بن زبير الربيعي ٢/٥١٦.

(٧) هكذا في جميع النسخ، والصواب: صحيحاً، بالنصب؛ لأنها نعت لكلمة: إسناده، أو مفعول به ثانٍ للمفعول: يرى، وفاعله واو الجماعة.

وعن أبي اليخترى^(١) قال: بينونة الناس عند أهل الميت ليست إلا من أمر الجاهلية.

قال المؤلف: وهذه الأمور كلها قد صارت عند الناس الآن سنة وتركها بدعة، فانقلب الحال وتغيرت الأحوال.

قال ابن عباس: لا يأتي على الناس عام إلا أماتوا فيه سنة وأحيوا فيه بدعة حتى تموت السنن وتحيي البدع ولن يعمل بالسنن وينكر البدع إلا من هون الله عليه إسقاط الناس يخالفهم فيما أرادوا، وينهيهم عما اعتادوا، ومن يسر لذلك أحسن الله تعويضه، قال رسول الله ﷺ: «إنك لن تدع شيئاً إلا عوضك الله خيراً منه»^(٢).

وقال ﷺ: «لا تزال في هذه الأمة عصابة يقاتلون على أمر الله»^(٣) لا يضرهم جدال من جادلهم، ولا عداوة من عاداهم»^(٤).

فصل

ومن هذا الباب ما ثبت في الصحيحين^(٥) عن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية».

وفيها^(٦) أيضاً عن أبي بردة بن أبي موسى ﷺ قال: وجع

(١) هكذا في (الأصل، ظ)، وفي (ع): أبو اليخترى، ولعله أبو اليخترى سعيد بن فيروز، الكوفي الفقيه، حدث عن ابن عباس وابن عمر وأبي سعيد الخدري، توفي سنة ٨٢هـ، السير ٢٧٩/٤.

(٢) أخرج نحوه أحمد في مسنده ٣٦٣/٥، ح ٢٣١٢٤؛ وهناد في الزهد ٤٤٦/٢، ح ٩٣٨.

(٣) في (ع): أمر الله تعالى.

(٤) هذا لفظ الطبراني في المعجم الكبير ٣٤٥/١٩، ح ٨٠١؛ والحديث مخرج في البخاري ١٣٣١/٣، ح ٣٤٤١؛ ومسلم ١٥٢٣/٣، ح ١٩٢١.

(٥) في البخاري ٤٣٥/١، ح ١٢٣٢؛ ومسلم ١٠٢٩٩/١.

(٦) البخاري ٤٣٦/١، ح ١٢٣٤؛ ومسلم ١١٠/١، ح ١٠٤.

[أبو] ^(١) موسى وجعاً فغشي عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله فصاحت امرأة من أهله فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً، فلما أفاق قال: أنا بريء مما ^(٢) برئ منه [٤٢/أ] رسول الله ﷺ، فإن رسول الله ﷺ بريء من الصالفة والحالفة والشائفة.

وفي صحيح مسلم ^(٣) عن عبد الرحمن بن يزيد وأبي بردة بن أبي موسى قالوا ^(٤): أغمي على أبي موسى وأقبلت امرأة تصيح برنة، قالوا: ثم أفاق قال: ألم تعلمي وكان يحدثها أن رسول الله ﷺ قال: «أنا بريء ممن حلق وسلق وخرق».

ابن ماجه ^(٥) عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ: «لعن الخامسة وجهها، والشائفة جيبها، والداعية بالويل والثبور»، إسناده صحيح.

وقال حاتم الأصم ^(٦): إذا رأيت صاحب المصيبة قد خرق ثوبه، وأظهر حزنه وعزيبته فقد شركته ^(٧) في إثمه، وإنما هو صاحب منكر يحتاج إلى أن تنهأه.

وقال أبو سعيد البلخي ^(٨): من أصيب بمصيبة فمزق ثوباً، أو ضرب

(١) ما بين المعفوقتين من (ظ) والصحيحين، وفي الأصل و(ع): أبي، والصواب ما أثبتته؛ لأن الكلمة من الأسماء الخمسة وهي فاعل ترفع بالواو، ولموافقها لمصدر التخريج.

(٢) في (ظ): ممن.

(٣) في الصحيح ١/١٠٠، ح ١٠٤.

(٤) قالوا: ليست في (ظ).

(٥) في السنن ١/٥١٥، ح ١٥٨٥، وابن حبان في صحيحه ٧/٤٢٧، ح ٣١٥٦، والبيهقي في السنن الكبرى ٤/٦٤، ح ٦٩١٣، والطبراني في الكبير ٨/١٣٠، ح ٧٥٩١، صححه الألباني، انظر: صحيح ابن ماجه ١/٢٦٤، ح ١٢٨٩.

(٦) أبو عبد الرحمن حاتم بن عتوان بن يوسف البلخي الواعظ، الأصم، توفي ٢٣٧هـ، السير ١١/٤٨٤.

(٧) في (ظ): شاركته.

(٨) الإمام الفقيه المحدث، خلف بن أيوب العامري، أبو سعيد البلخي، الحنفي الزاهد، مات سنة ٢٠٥هـ، السير ٩/٥٤١.

صدراً فكانما أخذ رمحاً يريد أن يقاتل^(١) به ربه ﷻ.
وأشددوا^(٢):

عجبت لجازع باكٍ مصاب بأهل أو حميم ذي اكتئاب
شقيق الحبيب داعي الويل جهلاً كأن الموت كالشيء العجاب
وسوى الله فيه الخلق حتى نبي الله منه لم يحاب
له مَلَكٌ ينادي كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب

باب ما جاء في تلقين الميت^(٣) بعد موته شهادة الإخلاص في لحده

قال^(٤) أبو محمد عبد الحق في كتاب العاقبة^(٥) له^(٦): يروى^(٧) عن أبي
إمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات أحدكم فسويتم عليه
التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول^(٨): يا فلان بن فلانة^(٩) فإنه يسمع
ولا يجيب ثم ليقل: يا فلان بن فلانة الثانية فإنه يستوي قاعداً^(١٠) ثم يقول: يا
فلان بن فلانة فإنه يقول: أرشدنا يرحمك الله^(١١)، ولكنكم لا تسمعون،
فيقول: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً
رسول الله، وأنت رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وبالقرآن
إماماً فإن منكراً ونكيراً يتأخر كل واحد منهما^(١٢) ويقول: انطلق بنا ما يقعدنا
عند هذا وقد لُقِّن حجته، ويكون الله حجيجهما دونه، فقال رجل: يا رسول الله

(١) في (ظ): أخذ رمحاً فقاتل.

(٢) في (ع): في تلقين الإنسان.

(٣) كتاب العاقبة ص (١٨٢).

(٤) في كتاب العاقبة له: لبست في (ع، ظ).

(٥) في (ظ): روي.

(٦) في (ظ): يا فلان يا فلانة.

(٧) فإنه يستوي قاعداً: لبست في (ظ)، وفي العاقبة: جالساً.

(٨) في (ظ): أرشدني رحمتك الله.

(٩) في (العاقبة): يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه.

(١٠) لم أقف على من أشده.

(١١) في (ع، ظ): ذكر.

(١٢) في (ع): ليقل.

فإن لم يعرف أمه؟ قال: ينسبه إلى أمه حواء^(١).

قلت: هكذا^(٢) ذكره^(٣) في كتاب العاقبة لم يستند إلى كتاب ولا إلى إمام، وعادته في كتبه نسبة ما يذكره^(٤) من الحديث إلى الأئمة، وهذا والله أعلم نقله من إحياء علوم الدين^(٥) للإمام أبي حامد، فنقله كما وجدته^(٦) ولم يزد عليه، وهو حديث غريب خرجه [٤٢/ب] الثقفى^(٧) في الأربعين^(٨) له. وأنبأناه^(٩) الشيخ المسن الحاج الراوية أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن علي بن فتوح^(١٠) بن أبي الحسن القرشي، عُرِفَ بابن رواج بمسجده بشعر الإسكندرية حماها^(١١) الله، والشيخ الفقيه الإمام المفتي^(١٢) أبو الحسن علي بن هبة الله الشافعي بمنية ابن^(١٣) خصيب على ظهر النيل بها قالاً جميعاً:

(١) أخرجه الظيراني في الكبير ٢٤٩/٨، ح ٧٩٧٩، قال الهيثمي في المجمع ٤٥/٣: رواه الظيراني في الكبير وفي إسناده جماعة لم أعرفهم، وقال النووي في المجموع ٥/٣٠٤: إسناده ضعيف؛ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٤/٢٩٦: لا يحكم بصحته، وقال ابن القيم في زاد المعاد ١/٥٢٣: لا يصح رفعه، وقال الصنعاني في سبل السلام ٢/١١٤: ويتحصل من كلام أئمة التحقيق أنه ضعيف، والعمل به بدعة، ولا يغتر بكثرة من يفعله؛ وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٢/٦٤ - ٦٥، ح ٥٩٩: واعلم أنه ليس للحديث ما يشهد به، وكل ما ذكره البعض إنما هو أثر موقوف على بعض التابعين الشاميين لا يصلح أن يكون شاهداً للمرفوع بل هو يعنه، ثم قال: فالحديث متكرر إن لم يكن موضوعاً.

(٢) في (ظ): هذا.

(٣) في (ع، ظ): ذكره أبو محمد.

(٤) في (ظ): ما يذكر.

(٥) والحديث في إحياء علوم الدين ٤/٤٩٢.

(٦) في (ع): وجد.

(٧) في (الأصل): البيهقي، والتصويب من (ع، ظ)، مصدر الترجمة) وهو: أبو عبد الله

القاسم بن أحمد بن محمود الثقفى الأصبهاني، صاحب «الأربعين» و«الفوائد العشرة»،

حدث عنه أبو طاهر النسفي وآخرون، توفي سنة ٤٨٦هـ، السير ١٩/٨.

(٨) ثم أفت عليه، ونسبه إليه صاحب كشف الظنون ١/٥٥.

(٩) في (ع): أنبأنا.

(١٠) (بن فتوح): ليست في (ظ).

(١١) في (الأصل): حماه، والتصويب من (ع، ظ).

(١٢) في (ع، ظ): المفتي الإمام.

(١٣) في (ع، ظ): بني، ومنية ابن خصيب هي التي توفي فيها المصنف رحمه الله كما سبق ص (٣٢).

حدثنا^(١) الشيخ الإمام الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني قال: حدثنا الرئيس أبو عبد الله القاسم بن الفضل بن أحمد بن محمود^(٢) الثقفى بأصبهان، قال: ثنا أبو علي الحسين بن عبد الرحمن بن محمد بن عبدان التاجر بنيسابور، قال^(٣): حدثنا أبو العباس محمد^(٤) بن يعقوب الأصم قال: حدثنا أبو الدرداء هشام^(٥) بن يعلى الأنصاري حدثنا عتبة بن السكن الفزاري حمصي^(٦) عن أبي زكريا، عن حماد بن زيد، عن سعيد الأزدي قال: دخلت على أبي أمامة الباهلي وهو في النزع فقال لي: يا سعيد إذا مات فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله ﷺ أن تصنع بموتانا.

فقال: «إذا مات الرجل منكم فدفنتموه فليقم أحدكم عند رأسه فليقل يا فلان بن فلانة فإنه سيمع، فليقل يا فلان بن فلانة فإنه يستوي قاعداً، فليقل يا فلان بن فلانة فإنه سيقول أرشدني يرحمك^(٧) الله، فليقل: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن الساعة آتية لا ريب فيها وإن الله باعث من في القبور، فإن منكراً ونكيراً عند ذلك يأخذ كل^(٨) منهما بيد صاحبه فيقول: ما تصنع عند رجلي بلقن حجته؟! فيكون الله حجيجهما دونه»، قال الثقفى^(٩): حديث أبي أمامة في النزع غريب من حديث حماد بن زيد ما كتبناه إلا من حديث سعيد الأزدي.

وذكر^(١٠) أبو محمد عبد الحق في كتاب العاقبة^(١١) له^(١٢): قال شيبه بن أبي شيبه: أوصتني أمي عند موتها فقالت: يا بني إذا دفنتني فقم عند قبري وقل: يا أم شيبه قولني لا إله إلا الله ثم انصرف، فلما كان من الليل رأيتها في

(١) في (ع، ظ): أخبرنا.

(٢) (قال): ليست في (ع).

(٣) في (ع، ظ): أبو العباس ابن محمد.

(٤) في (ظ): الحمصي.

(٥) في (ع، ظ): كل واحد.

(٦) (قال الثقفى): ليست في (ع، ظ).

(٧) في (ع، ظ): وقال.

(٨) (في كتاب العاقبة له): ليست في (ع، ظ).

(٩) في (ع): محمد.

(١٠) في (ع، ظ): هشام.

(١١) في (ع): رحمك.

(١٢) (كتاب العاقبة ص ١٨٣).

المنام فقالت لي: يا بني لقد كدت أن أهلك لولا أن تداركتني لا إله إلا الله، فلقد حفظت وصيتي يا بني.

قال المؤلف: وقال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي^(١) ينبغي^(٢) أن يرشد الميت في قبره حيث وضعه فيه إلى جواب السؤال، ويذكر بذلك فيقال له قل: الله ربي والإسلام ديني ومحمد رسولي، فإنه عن ذلك يسأل كما جاءت به^(٣) الأخبار على ما يأتي^(٤) [إن شاء الله]^(٥)، وقد جرى العمل عندنا بقرطبة كذلك، فيقال: قل هو محمد رسول الله، وذلك عند هيل التراب، ولا يُعَارَضُ هذا بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِسَمِيعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ [النمل: ٨٠] لأن النبي ﷺ قد^(٦) نادى أهل القليب وأسمعهم وقال: «ما أنتم بأسمع منهم ولكنهم لا يستطيعون جواباً»^(٧) وقد قال في الميت: «إنه ليسمع قرع نعالهم»^(٨)، وإن هذا يكون [٤٣/أ] في حال دون حال ووقت دون وقت، وسيأتي^(٩) استيفاء هذا المعنى في باب ما جاء أن الميت يسمع ما يقال إن شاء الله تعالى.

باب^(١١) في نسيان أهل الميت ميتهم وفي الأمل والغفلة^(١٢)

أبو هذبة إبراهيم بن هذبة^(١٣) قال: حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال^(١٤) رسول الله ﷺ: «إن مشيحي الجنائز قد وكل بهم ملك فهم مهتمون»^(١٥)

- (١) (القرطبي): ليست في (ع). (٢) في (ع): فينبغي.
 (٣) (ب): ليست في (ظ). (٤) ص (٣٦٠).
 (٥) ما بين المعقوفين من (ع). (٦) (قد): ليست في (ع).
 (٧) أخرجه البخاري في صحيحه ٤٦٢/١، ح ١٣٤٠.
 (٨) في (الأصل): نعالكم، والتصويب من (ع، ظ، والصحيحين).
 (٩) أخرجه البخاري ٤٤٨/١، ح ١٢٧٣، ومسلم ٤/٢٢١٠، ح ٢٨٧٠ في صحيحهما.
 (١٠) في (ع): وقد يأتي.
 (١١) في (ع): ياب ما جاء.
 (١٢) (والغفلة): ليست في (ع، ظ). (١٣) (إبراهيم بن هذبة): ليست في (ظ).
 (١٤) في (ع، ظ): قال: قال.
 (١٥) (الاهتمام): الاعتناء، الصحاح ٢٠٦١/٥، وفي (ع): مهمومون.

محزونون حتى إذا أسلموه في ذلك القبر ورجعوا راجعين، أخذ كفاً من تراب ورمى به وهو يقول: ارجعوا إلى دياركم^(١) أنساكم الله موتاكم، أنساكم الله موتاكم، فينسون ميتهم، ويأخذون في شرائهم ويبيعهم كأنهم لم يكونوا منه ولم يكن منهم^(٢).

ويروي أن الله ﷻ لما مسح ظهر آدم ﷺ فاستخرج ذريته قالت العلائكة: رب، لا تسعهم الأرض، قال الله تعالى: «إني جاعل موتاً»، قالت: رب لا يهنهم العيش، قال: «إني جاعل أملاً»^(٣).

قال العلماء^(٤): الأمل^(٥) رحمة من الله تعالى تنتظم به أسباب المعاش، وتستحكم به أمور الناس ويتقوى به الصانع على صنعه، والعابد على عبادته، وإنما يذم من^(٦) الأمل ما امتد وطال، حتى أنسى الآخرة^(٧) وثبط عن صالح الأعمال^(٨).

قال الحسن^(٩): الغفلة والأمل نعمتان عظيمتان على ابن آدم ولولاهما ما^(١٠) مشى المسلمون في الطرق. يريد لو كانوا من التيقظ، وقصر الأمل، وخوف الموت بحيث لا ينظرون في معاشهم، وما يكون سبباً لحياتهم؛ لهلكوا، ونحوه.

(١) (إلى دياركم): ليست في (ظ).

(٢) أورده السيوطي في ذيل اللآلي المصنوعة ص(١٩٩)، الناشر العلوي سنة ١٣٠٣هـ، وذكر نحوه الفتني في كتابه تذكرة الموضوعات ص(٢١٦)، وذكره ابن عراق الكفائي في تنزيه الشريعة ٢/٣٧٤.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/١٩٠، ح ٣٥٢٢٢ عن الحسن البصري ولم يرفعه.

(٤) (قال العلماء): ليست في (ع، ظ)، ثم أوقف على القائل.

(٥) في (ع، ظ): فالأمل. (٦) (من): ليست في (ظ).

(٧) في (ع، ظ): العاقبة.

(٨) في (ع): العمل.

(٩) البصري، ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين ٤/٤٥٤.

(١٠) (ما): ليست في (ظ).

قال مطرف بن عبد الله^(١) قال^(٢): لو علمت متى أجلي لخشيت ذهاب عقلي، ولكن الله ﷻ من على عباده^(٣) بالغفلة عن الموت، ولولا الغفلة ما تهنوا بعيش ولا قامت بينهم الأسواق^(٤).

باب^(٥) في رحمة الله تعالى بعبده إذا نَحَلَ^(٦) في قبره^(٧)

قال عطاء الخراساني^(٨): أرحم ما يكون الرب بعبده إذا دخل قبره وتفرق الناس عنه وأهله^(٩)، وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً.

وقال أبو غالب^(١٠): كنت أختلف إلى أبي أمامة بالشام فدخلت يوماً على فتى مريض من جيران أبي أمامة وعنده^(١١) عم له وهو يقول: يا عدو الله ألم أمرك؟ ألم أنهك؟ فقال الفتى: يا عمّاه لو أن الله^(١٢) دفعني إلى والدتي كيف كانت تصنع^(١٣) بي؟ قال: تدخلك الجنة، قال: الله أرحم بي من والدتي، وقبض الفتى، فدخلت القبر مع عمه، فلما أن سواه صاح وفرغ، قلت له^(١٤): ما لك؟ قال: فسح له قبره، وملئ نوراً^(١٥).

- (١) مطرف بن عبد الله بن الشيخير، أبو عبد الله الحرشي العامري البصري، حدث عن أبيه وعثمان بن عفان وعلي وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم، وروى عنه الحسن البصري وثابت البناني، وغيرهم مات سنة ٨٦هـ، السير ١٨٧/٤.
- (٢) (قال): ليست في (ظ).
- (٣) في (ط): عبيده.
- (٤) ذكره الغزالي في الإحياء ٤/٤٥٤.
- (٥) في (ع): أدخل.
- (٦) في (ع، ظ): أدخل.
- (٧) (في): ليست في (ظ).
- (٨) هو عطاء بن أبي مسلم المحدث الواعظ، روى عن سعيد بن المسيب، وروى عنه مالك وسفيان وشعبة، وغيرهم، توفي سنة ١٣٥هـ، السير ١٤٠/٦.
- (٩) لم أقف على هذا الأثر.
- (١٠) صاحب أبي أمامة الباهلي، بصري، قيل اسمه: حزور، وقيل سعيد بن الحزور، وقيل غير ذلك، روى عنه ابن عيينة، وحماد بن زيد، انظر: الكنى والأسماء للإمام مسلم ١/٦٦٥، وتهذيب التهذيب لابن حجر ١٢/٢٦٥.
- (١١) في (ع): عندهم.
- (١٢) في (ع): الله تعالى.
- (١٣) في (ع، ظ): صانعة.
- (١٤) (له): ليست في (ظ).
- (١٥) ذكر هذه القصة ابن أبي الدنيا في كتابه حسن الظن بالله ص(٤٤) رقم ٣٥.

وكان أبو سليمان الداراني^(١) [٤٣/ب] يقول^(٢): يا من لا يأنس بشيء أبقاءه، ولا يستوحش من شيء أفناه، ويا أنيس كل غريب، ارحم في القبر غربتي، ويا ثاني كل وحيد، أنس في القبر وحدتي^(٣).

ولقد أحسن أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن معاود السلمي الكاتب أحد البلغاء بشرق الأندلس حيث يقول^(٤):

أيها الواقف اعتباراً بقبري استمع فيه قول عظمي الرميم
أودعوني بطن الضريح وخافوا من ذنوبي كلومها بأديم
قلت لا تجزعوا عليّ فياني حسن الظن بالرؤوف الرحيم
ودعوني بما كسبت^(٥) رهيناً علق الرهن عند مولى كريم

باب متى يرتفع ملك الموت عن العبد^(٦) وبيان قوله

تعالى^(٧): ﴿وَمَاتَ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾، وقوله

تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾

أبو نعيم^(٨) عن أبي جعفر محمد^(٩) بن علي عن جابر^(١٠) رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن ابن آدم لفي غفلة مما خلقه الله ﷻ، إن الله لا إله غيره إذا أراد خلقه قال للملك: اكتب رزقه، وأثره، وأجله، واكتب شقياً أو سعيداً، ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله ملكاً آخر فيحفظه حتى يدرك، ثم

(١) أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد، وقيل: عبد الرحمن بن عطية، من الزهاد، توفي سنة ٢١٥هـ، سير أعلام النبلاء ١٠/١٨٢.

(٢) في (ع، ظ): يقول في دعائه. (٣) ثم أقف عليه.

(٤) ذكرها صاحب نفع الطيب وعزاها للقاتل نفسه ٣/٣٣١، وزاد: أنشدها بداهة في اليوم الذي توفي فيه وهو يجود بنفسه.

(٥) في (ع، ظ): اكتسبت. (٦) (عن العبد): ليست في (ظ).

(٧) (تعالى): ليست في (ظ). (٨) الحلية ٣/١٩٠.

(٩) في (الأصل، ع، ظ): عن جعفر بن محمد، والتصويب من (الحلية لأبي نعيم، وسير أعلام النبلاء ٤/٤٠١).

(١٠) في (ظ): جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

يبعث الله ملكين يكتبان حسناته وسيئاته، فإذا جاءه الموت ارتفع ذلك الملكان، ثم جاءه ملك الموت عليه السلام فقبض^(١) روحه، فإذا أدخل حفرته رد الروح في جسده، ثم يرتفع ملك الموت، ثم جاءه ملكا القبر فامتحناه، ثم يرتفعان، فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات، وملك السيئات فأنشطا^(٢) كتاباً معقوداً في عنقه ثم حضرا معه واحد سائق، والآخر^(٣) شهيد، ثم^(٤) قال الله عليه السلام: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي عَفْوٍ مِنْ هَذَا فَكُنْتُمْ عَنْكَ بِعِظَاءَ لَكُمْ فَبَرَكْ أَلَيْمٌ حَيْدٌ﴾ [ق: ٢٢] قال: قال رسول الله عليه السلام: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾^(٥)، قال: حالاً^(٥) بعد حال، ثم قال النبي عليه السلام: إن قدامكم أمر عظيم فاستعينوا بالله العظيم.

قال أبو نعيم: هذا حديث غريب من حديث أبي جعفر، وحديث جابر تفرد به عنه جابر بن يزيد الجعفي وعنه المفضل.

قلت: جابر بن يزيد^(٦) الجعفي متروك لا يحتج بحديثه في الأحكام^(٧).
 ووجد بمدينة قرطبة على قبر الوزير الكبير أبي عامر بن شهيد^(٨) مكتوب وهو مدفون بإزاء صاحبه الوزير أبي مروان الزجاجي وكانه^(٩) يخاطبه، ودفنا في بستان كانا كثيراً ما^(١٠) يجتمعان فيه^(١١):

يا صاحبي قم فقد أظلنا أنحن طول المدى هجود [١/٤٤]
 فقال لي: لن تقوم منها ما دام من فوقنا الصعيد

(١) في (ع، ظ): فقبض.

(٢) في (الأصل): فأبسطا، والتصويب من (ع، ظ، الحطبة).

(٣) في (ظ): وآخر.

(٤) في (ظ): حال.

(٥) في (ظ): لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ.

(٦) قال النسائي: متروك، انظر: الضعفاء والمتروكين له ص (٢٨) رقم ٩٨، وقال ابن معين: كذاب، انظر: الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ١١٤/٢، وقال ابن حبان: كان سبباً من أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان يقول إن علياً عليه السلام يرجع إلى الدنيا، كتاب المجروحين ٢٠٨/١ رقم ١٧٣.

(٧) أحمد بن عبد المنك بن أحمد بن شهيد، أبو عامر، من العلماء بالأدب والبلاغة، توفي ٤٢٦هـ، بقرطبة، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس للحميدي ص (١٢٤).

(٨) في (الأصل): وكان يخاطبه، والتصويب من (ع، ظ).

(٩) في (ع، ظ): وأشدوا.

(١٠) في (ع، ظ): لست في (ظ).

تذكر كم ليلة نعمنا
لوكم سرور همى علينا
قد كان ما لم يكن^(٢) يقضى
حصّله كاتب حفيظ
يا حسرتنا إن تنكبنا
يا رب عفواً فأنت مولى
في ظلها والزمان عيد
سحابة ثرة تجود^(١)
وشؤمه حاضر عتيد
وضمه صادق شهيد
رحمة من يطشه شديد
قصر في حقه العبيد

باب في سؤال الملكين للعبد

وفي^(٣) التعوذ من عذاب القبر وعذاب النار

البخاري^(٤): عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له^(٥): انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك^(٦) الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً».

قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح^(٧) في قبره^(٨).

وقال مسلم^(٩): سبعون ذراعاً، ويملاً عليه خضراً إلى يوم يبعثون، ثم رجع إلى حديث أنس قال: «وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول كما^(١٠) يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة^(١١) بين أذنيه^(١٢) فيصبح صيحةً يسمعا من يليه إلا الثقلين».

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٢) في (ع، ظ): كلّ كأن لم يكن.

(٣) (في): ليست في (ظ).

(٤) (له): ليست في (ظ).

(٥) في (ع): يفسح له.

(٦) في (ع): في قبره أربعون ذراعاً، وليست في الأصل و(ظ) وصحيح البخاري.

(٧) في (ع، ظ): ما.

(٨) في الصحيح ٤/٢٢٠٠، ح ٢٨٧٠.

(٩) (ضربة): ليست في (ظ).

(١٠) (بين أذنيه): ليست في (ع، ظ).

قلت: ليس عند مسلم قول الملكان: ولا تليت^(١).

وقول الملكان: «ولا تليت»، قال النحويون: الأصل في هذه الكلمة الواو أي (ولا تلوت) إلا أنها قلبت ياء ليتبع بها^(٢) دريت.

وقد جاء من حديث البراء: «لا دريت^(٣) ولا تلوت»، على ما رواه الإمام أحمد بن حنبل^(٤)، أي: لم تدر، ولم تتل القرآن، فلم تتفع بدرانك ولا تلاوتك، ثم رجع إلى حديث أنس إلى آخره، وإنما هو عند البخاري فحديثه أكمل^(٥).

ابن ماجه^(٦) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الميت يصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح في قبره^(٧) غير فزع ولا [مشعوف]^(٨) ثم يقال له: فيم كنت؟ فيقول: كنت في الإسلام، فيقال: ما هذا الرجل؟ فيقول: محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه، فيقال له^(٩): هل رأيت الله؟ فيقول: ما ينبغي^(١٠) لأحد أن يرى الله، فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً فيقال له: انظر إلى ما وراك الله^(١١)، ثم يفرج له^(١٢) قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له: هذا مقعدك، ويقال له: على اليقين

(١) (قول الملكان: ولا تليت): ليست في (ع، ظ).

(٢) (بها): ليست في (ظ). (٣) (لا دريت): ساقطة من (ظ).

(٤) في المسند ٤/٢٩٥، ح ١٨٦٣٧.

(٥) تقدمت هذه العبارة: ثم رجع إلى... فحديثه أكمل في (ع، ظ) إلى بعد جملة: ليست عند مسلم.

(٦) في سننه ٢/١٤٢٦، ح ٤٢٦٨؛ وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/٤٢٢، ح ٣٤٤٣.

(٧) (في قبره): ليست في (ظ).

(٨) ما بين المعقوفين من (سنن ابن ماجه)، والشعف: شدة الفزع حتى يذهب بالقلب، انظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير ٢/٤٨١، وفي جميع النسخ: مشعوف، والشعب: تهيج الشر، الصحاح للجوهري ١/١٥٧، وهذا المعنى الأخير لا يتناسب مع سياق الحديث.

(٩) (له): ليست في (ظ).

(١٠) في (ع): لا ينبغي، وفي (ظ): لا، ما ينبغي.

(١١) في (ظ): وراك الله منه. (١٢) في (ظ): يفرج له فرجة.

كنت [٤٤/ب]، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله^(١)، ويجلس الرجل السوء في قبره فزعاً [مشعوباً]^(٢) فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري، فيقال له^(٣): ما هذا الرجل؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلت، فيفرج له فرجة قبل الجنة، فينظر إلى زهرتها، وما فيها، فيقال^(٤) له: انظر إلى ما صرفه الله عنك، ثم يفرج له فرجة إلى^(٥) النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً فيقال له^(٦): هذا مقعدك على الشك كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله^(٧).

الترمذي^(٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقبِر^(٩) الميت، أو قال: أحكمم أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر، وللآخر النكير، فيقولان^(١٠): ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول فيه: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ثم ينور له فيه^(١١) ثم يقال له: نم، فيقول أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال^(١٢): سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم^(١٣) أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التثمي

(١) في (ظ): الله تعالى.

(٢) ما بين المعقوفين من (ابن ماجه)، وفي جميع النسخ: مشعوباً.

(٣) ما بين المعقوفين من (ع، ظ، سنن ابن ماجه).

(٤) في (ع): فيقول.

(٥) في (ع): قيل.

(٦) (له): ليست في (ع، ظ).

(٧) في (ظ): الله تعالى.

(٨) في جامعه ٣/٣٨٣، ح ١١٠٧١ وابن حبان في صحيحه ٣٨٦/٧، ح ٣١١٧؛ وحسنه

الألباني، انظر: صحيح الترمذي ٣١١/١، ح ٨٥٦.

(٩) في (ظ): قبر.

(١٠) في (الأصل): فيقولان، والصواب إثبات النون كما في (ع، ظ) ولا أعلم وجهاً

لحذفها.

(١١) في (ع): ينور له في قبره.

(١٢) في (ع): فقال.

(١٣) في (ظ): لنعلم.

عليه^(١)، فتلثتم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»، قال^(٢): حديث^(٣) حسن غريب.

أبو داود^(٤) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «دخل نخلاً ليني النجار فسمع صوتاً ففرغ فقال: من أصحاب هذه القبور؟ قالوا: يا رسول الله ناس^(٥) ماتوا في الجاهلية، فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر، ومن فتنة الدجال، قالوا: ومم ذلك^(٦) يا رسول الله؟ قال: إن المؤمن إذا وضع في قبره أتاه ملك فيقول له: ما كنت تعبد؟ فإن الله هداه^(٧) قال: كنت أعبد الله، فيقال له^(٨): ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: هو^(٩) عبد الله ورسوله، فما يُسأل عن شيء غيرها^(١٠)، فينطلق به إلى بيت كان له في النار فيقال له: هذا بيتك كان في النار، ولكن الله عصمك ورحمك فأبدلك [به]^(١١) بيتاً في الجنة، فيقول: دعوني حتى أذهب فأبشر أهلي، فيقال له: اسكن، وإن الكافر إذا وضع في قبره أتاه ملك فينتهره^(١٢) ويقول له: ما كنت تعبد؟ فيقول: لا أدري، [فيقال له: لا أدري ولا تليت، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري^(١٣)] ^(١٤) كنت أقول كما يقول الناس، فيضرب^(١٥) بمطارق من حديد بين

(١) (عليه): ليست في (ظ).

(٢) أي الترمذي.

(٣) في (ظ): هذا حديث.

(٤) في سننه ٢٣٨/٤، ح ٤٧٥١، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود ٣/١٦٤ - ١٦٥، ح ٤٥١.

(٥) (ناس): ليست في (ظ).

(٦) في (ع، ظ): ذلك، والأصل متوافق مع سنن أبي داود.

(٧) في (الأصل): فإن هداه الله، وما أثبت من (ع، ظ، سنن أبي داود).

(٨) (فيقال له): ليست في (ع)، وفي (ظ): فيقال.

(٩) (هو): ليست في (ظ). (١٠) في (ع): غيرهما.

(١١) ما بين المعقوفتين من (سنن أبي داود).

(١٢) في (ظ): فينتهره.

(١٣) (لا أدري): ليس في (سنن أبي داود).

(١٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، سنن أبي داود).

(١٥) في (ع، ظ): ويضرب، وفي (سنن أبي داود): فيضربه.

أذنيه فيصبح صيحة يسمعها الخلق^(١) غير^(٢) الثقلين».

وخرج أبو داود^(٣) أيضاً^(٤) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما بلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت^(٥) به في^(٦) الأرض، فرفع رأسه فقال: استمعيدوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً، قال: وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين، حين يقال له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن^(٧) نبيك؟ قال: ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان: وما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان^(٨) له^(٩): ما هذا الرجل الذي بعث فيكم [٤٥/١] قال فيقول: هو رسول الله ﷺ^(١٠)، فيقولون له: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فأمنت [به]^(١١) وصدقت، قال: فينادي مناد من السماء أن^(١٢) صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا^(١٣) له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها قال: ويفسح له فيه مد بصره، قال: وإن الكافر^(١٤) فذكر موته قال: وتعاد روحه في

(١) في (ظ): الخلائق.

(٢) في السنن ٤/٢٣٩، ح ٤٧٥٣؛ وأحمد في المسند ٤/٢٨٧، ح ١٨٥٥٧؛ والحاكم في المستدرک ١/٩٣، ح ١٠٧؛ وصححه الألباني، انظر: صحيح أبي داود ٣/٩٠١ - ٩٠٢، ح ٣٩٧٩.

(٤) أيضاً: ليست في (ع، ظ).

(٥) في (الأصل، ع): نكت، والتصويب من (ظ، سنن أبي داود)؛ فني الصحاح ١/٢٦٩: النكت: أن تنكت في الأرض بقضيب، أي تضرب بقضيب فتؤثر فيها. وأما النكت: نقض العهد، انظر: القاموس المحيط ص (٢٢٧).

(٦) (في): ليست في (ظ). (٧) في (ع): وما.

(٨) في (ع): فيقولون، في (ظ): فيقال: والأصل متوافق مع سنن أبي داود.

(٩) (له): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع سنن أبي داود.

(١٠) (ﷺ): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع سنن أبي داود.

(١١) ما بين المعقوفين من (سنن أبي داود).

(١٢) (أن): ليست في (ظ).

(١٣) كلمة: وافتحوا، طمس في الأصل، وتوضيحها من (ع، ظ، سنن أبي داود).

(١٤) جملة: وإن الكافر، طمس في الأصل توضيحه من (ع، ظ، سنن أبي داود).

جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: ما هذا الرسول الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، قال: فينادي مناد أن كذب عبدي، فافرشوه من النار، وألبسوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار، قال: فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق^(١) عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعه، زاد في حديث جرير^(٢) قال: «ثم يقبض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل^(٣) لصار تراباً، قال: فيضربه بها^(٤) ضربة يسمعا ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير تراباً ثم تعاد فيه الروح».

[فصل^(٥)]

ذكر الإمام^(٦) أبو حامد في كتاب كشف علم الآخرة^(٧): وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله ما أول ما يلقي الميت إذا دخل قبره؟ قال: يا ابن مسعود ما سألتني عنه^(٨) أحد إلا أنت، فأول ما يناديه ملك اسمه رومان يجوس^(٩) خلال^(١٠) المقابر، فيقول: يا عبد الله اكتب عملك فيقول: ليس معي دواة ولا قرطاس، فيقول: هيهات كفنك قرطاسك، ومدادك ريقك، وقلمك إصبعك، فيقطع له قطعة من كفته ثم يجعل العبد يكتب وإن كان غير كاتب في الدنيا، فيذكر حينئذ حسناته وسيئاته كيوم واحد، ثم يطوي الملك القطعة ويعلقها في عنقه، ثم قال رسول الله ﷺ: وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه، أي

(١) في (ع): قال ويضيق.

(٢) قوله: زاد في حديث جرير، تابع لرواية أبي داود.

(٣) في (الأصل): جيلاً، وما أثبتته من (ع، ظ، سنن أبي داود).

(٤) (بها): ليست في (ظ). (٥) ما بين المعنوفتين من (ع، ظ).

(٦) (الإمام): ليست في (ع).

(٧) الدرر الفاخرة في كشف علوم الآخرة للغزالي ص (٣٤ - ٤١).

(٨) (عنه): ليست في (ظ).

(٩) في (الأصل): يجوش، وما أثبتته من (ع، ظ، كشف علوم الآخرة).

(١٠) في (ظ): حول.

عمله، فإذا فرغ من ذلك دخل^(١) عليه فتانا القبر وهما ملكان أسودان يخرقان الأرض بأنيابهما، لهما شعور مسدولة يجرانها على الأرض، كلامهما كالرعد القاصف، وأعينهما كالبرق الخاطف، ونفسهما كالريح العاصف، بيد كل واحد منهما^(٢) مقع من حديد لو اجتمع عليه الثقلان ما رفعاه^(٣)، لو ضرب به^(٤) أعظم جبل لجعله دكاً، فإذا أبصرتهما النفس ارتعدت وولت هاربة فتدخل في منحخر^(٥) الميت فيحیی الميت من الصدر ويكون كهيئته عند الغرغرة، ولا يقدر على حراك^(٦) غير أنه يسمع وينظر، قال: فيبتدأه بعنف وينتهرانه بجفاء وقد صار التراب له كالماء حيث ما تحرك انفسح فيه^(٧)، ووجد فرجة، فيقولان: له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن^(٨) نبيك؟ وما قبلك؟ فمن وفقه الله وثبته بالقول الثابت قال: من وكلكما علي؟ ومن أرسلكما إلي؟ وهذا لا يقوله إلا العلماء الأخيار، فيقول^(٩) أحدهما للآخر: صدق، كفي شرناء، ثم يضربان عليه القبر كالقبة العظيمة، ويفتحان له باباً إلى الجنة من تلقاء يمينه، ثم يفرشان له من حريرها، وريحانها^(١٠)، ويدخل عليه من نسيمها، وروحها وريحانها، ويأتيه عمله في صورة أحب الأشخاص إليه يؤنسه، ويحدثه، ويملا قبره نوراً، ولا يزال في فرح وسرور ما بقيت الدنيا [٤٥/ب] حتى تقوم الساعة، ويسأل متى تقوم الساعة؟^(١١) فليس شيء أحب إليه من قيامها، ودونه^(١٢) في المنزلة المؤمن

(١) في (الأصل) و(ع): دخلا، على لغة أكلوني البراغيث، وما أثبتته من (ظ)، وكشف علوم الآخرة.

(٢) (منهما): ليست في (ظ).

(٣) (لو اجتمع عليه الثقلان ما رفعاه): ليست في (ظ).

(٤) في (ظ): بها. (٥) في (ظ): منحخر.

(٦) في (الأصل): الحراك، وما أثبتته من (ع، ظ، كشف علوم الآخرة).

(٧) في (ع): له فيه. (٨) في (ظ): وما.

(٩) في (الأصل): يقول، وما أثبتته من (ع، ظ، كشف علوم الآخرة).

(١٠) (وريحانها): ليست في (ظ).

(١١) (ويسأل متى تقوم الساعة): ليست في (ظ).

(١٢) في (ظ): ودونها.

العامل الخير ليس معه حظ من العلم، ولا من أسرار المنكوت، يلج عليه عمله عقيب^(١) رومان في أحسن صورة، طيب الريح، حسن الثياب، فيقول له: أما تعرفني؟ فيقول: من أنت الذي من الله علي بك في غربتي؟ فيقول: أنا عمك الصالح، لا تحزن ولا توجل، فعمًا قليل يلج عليك منكر ونكير^(٢): [فيسألانك^(٣) فلا تدعش، ثم يلقيه حجته، فيبينا^(٤) هو كذلك إذا دخلا عليه^(٥) فينتهرانه، ويقعدانه مستنداً^(٦)، ويقولان: من ربك؟ نسق الأول، فيقول: الله ربي ومحمد نبيي^(٧)، والقرآن إمامي، والكعبة قبلتي، وإبراهيم أبي، وملته ملتي، غير مستعجم^(٨)، فيقولان له: صدقت، ويفعلان به كالأول إلا أنهما يفتحان له باباً إلى النار، فينظر إلى حياتها، وعقاربها، وسلاسلها، وأغلالها، وحميمها وجميع غمومها، وصديدها، وزقومها^(٩) فيفرع، فيقولان له: لا عليك سوء، هذا موضعك قد أبدله الله بموضعك هذا من الجنة، ثم سعيداً، ثم يخلقون عنه باب النار، ولم يدر ما مرّ عليه من الشهور والأعوام والدهور، ومن الناس من يحجم في مسألته: فإن كانت عقيدته مختلفة^(١٠) امتنع أن يقول: الله ربي، وأخذ غيرها من الألفاظ، فيضربانه ضربة^(١١) يشتعل منها قبره ناراً ثم تطفأ عنه أياماً، ثم تشتعل عليه أيضاً، هذا دأبه ما بقيت الدنيا، ومن الناس من يعتاص^(١٢) عليه ويعسر أن يقول: الإسلام ديني لشك كان يتوهمه، أو فتنة تقع

(١) في (ع): عقب.

(٢) في (الأصل): يلج عليك مكان، وما أثبت من (ع)، ظ، وكشف علوم الآخرة.

(٣) في (ظ): يسألانك. وفي (كشف علوم الآخرة): ويسألانك.

(٤) في (ظ): بينما.

(٥) ما بين المعقوفين من (ع)، ظ، وكشف علوم الآخرة.

(٦) في (الأصل): مستنداً، وما أثبت من (ع)، ظ، وكشف علوم الآخرة.

(٧) في (ظ): ونبي محمد.

(٨) قال الجوهري: فكل من لا يقدر على الكلام أصلاً فهو أعجم ومستعجم، الصحاح

١٩٨٠/٥.

(٩) في (ع): وزقومها.

(١٠) في (ع): مختلة.

(١١) في (ظ): ضربة واحدة.

(١٢) اعتاص عليه الأمر: أي التوى، الصحاح ١٠٤٦/٣.

به عند الموت، فيضربانه ضربة واحدة فيشتعل عليه قبره ناراً كالأول، ومن الناس من يعتاص عليه أن يقول: القرآن إمامي؛ لأنه كان يتلوه ولا يتعظ به، ولا يعمل بأوامره ولا ينتهي بنواحيه، يطوف عليه دهره ولا يعطي منه نفسه خيره فيفعل به كما^(١) يفعل بالأولين، ومن الناس من يستحيل عمله جروراً يعذب به في قبره، وعلى قدر جرمه، وفي الأخبار أن^(٢) من الناس من يستحيل عمله خصوصاً وهو: ولد الخنزير، ومن الناس من يعتاص^(٣) عليه أن يقول: نبيي محمد لأنه كان ناسياً لسنته، ومن الناس من يعتاص عليه أن يقول: الكعبة قبلتي؛ لقلّة تحريره في صلاته^(٤) أو فساد^(٥) في وضوئه، أو التفات في صلاته، أو اختلال في ركوعه وسجوده، ويكفيك ما روي في فضائلها: أن الله لا يقبل صلاة من عليه صلاة، ومن عليه ثوب حرام، ومن الناس من يعتاص عليه أن يقول: إبراهيم أبي؛ لأنه سمع كلاماً يوماً أوهمه أن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً فإذا هو شاك مرتاب فيفعل^(٦) به ما فعل^(٧) بالآخرين.

قال أبو حامد^(٨): وكل هذه الأنواع كشفناها في كتابنا الإحياء^(٩)، وأما الفاجر فيقولان له: من ربك؟ فيقول: لا أدري، فيقولان له: لا دريت، ولا عرفت، ثم يضربانه بتلك المقامع حتى يتجلجل^(١٠) في الأرض السابعة، ثم تنفضه الأرض في قبره، ثم يضربانه سبع مرات، ثم تفترق أحوالهم: فمنهم من يستحيل عمله كلياً ينهشه حتى تقوم الساعة وهم الخوارج، ومنهم من يستحيل خنزيراً يعذب به في قبره^(١١) وهم [٤٦/أ] المرتابون وهم أنواع، وأصله أن الرجل إنما يعذب في قبره بالشيء الذي كان يخافه في الدنيا، فمن الناس من

(١) في (ظ): ما.

(٢) في (ع): يستحيل.

(٣) في (ع): إفساد.

(٤) في (ع): يفعل.

(٥) في (ع): يفعل.

(٦) انظر: إحياء علوم الدين ٤/٥٠٣.

(٧) في (الأصل): يتلجج، والتصويب من (ع، ظ، كشف علوم الآخرة).

(٨) في (ظ): في القبر.

يخاف من الجرو أكثر^(١) من الأسد، وطبائع الخلق متفرقة^(٢)، نسأل^(٣) الله السلامة والغفران قبل الندامة^(٤).

فصل

جاء في حديث البخاري ومسلم: سؤال الملكين، وكذلك في حديث الترمذي ونصر على اسميهما^(٥) ونعتيهما.

وجاء في حديث^(٦) أبي داود: سؤال ملك واحد.

وفي حديثه الآخر: سؤال ملكين.

ولا تعارض في ذلك، والحمد لله، بل كل ذلك صحيح المعنى بالنسبة إلى الأشخاص^(٧)، فرب شخص يأتيانه جميعاً^(٨) في حال واحد عند انصراف الناس عنه؛ ليكون السؤال عليه^(٩) أهول، والفتنة أشد في حقه^(١٠) وأعظم وذلك بحسب ما اقترف من الآثام، واجترح من سيئ الأعمال، وآخر يأتيانه قبل انصراف الناس عنه، وآخر يأتيه أحدهما على الانفراد فيكون ذلك أخف

(١) في (ع): أكثر من خوفه. (٢) في (ع): مختلفة.

(٣) في (ع): فنسأل.

(٤) نهاية كلام الغزالي في كتابه كشف علوم الآخرة، وهو كلام أشبه ما يكون بحكايات النقصان التي ينسجونها لأجل تخويف العامة من غير دليل يدل عليها، وقد خلت منه كتب الأحاديث الضعيفة والموضوعة فضلاً عن الصحيحة، فلا أدري من أين يأتي الغزالي بمثل هذه الحكايات، ولكن كما هو شأنه فليس له باع في علم الحديث؛ لذلك كتبه مليئة بالأحاديث المكذوبة والموضوعة، ولأجل ذلك انبرى أهل العلم للتصدي لكتب الغزالي، فمن أولئك: ابن السكيت في كتابه: الأحاديث التي لا أصل لها في الإحياء، ومنهم السويدي في كتابه: موضوعات الإحياء، ومنهم الحافظ العراقي في تخريجاته على الإحياء، وغيرهم، لذلك يجب على المسلمين الحذر من كتب الغزالي، وأن لا يعتقدوا إلا ما صح فيه دليل.

(٥) في (ظ): اسميهما. (٦) في (ظ): وفي الحديث.

(٧) في (الأصل): أشخاص، والتصويب من (ع، ظ).

(٨) في (ع، ظ): وبسالانه جميعاً. (٩) (عنية): ليست في (ظ).

(١٠) في (ع، ظ): في حقه أشد.

في^(٦) السؤال، وأقل في المراجعة والعتاب والجواب^(٧) لما عمله من صالح الأعمال.

وقد يحتمل حديث أبي داود وجهاً آخر: وهو أن الملكين يأتيانه^(٨) جميعاً، ويكون السائل أحدهما وإن تشاركما في الإتيان فيكون الراوي اقتصر على الملك السائل وترك غيره؛ لأنه لم يقل في الحديث أنه لا يأتيه إلى قبره إلا ملك واحد، ولو قاله هكذا صريحاً لكان الجواب عنه ما بيناه^(٩) من أحوال الناس، والله أعلم، وقد يكون من الناس من يوقى فتنتهما، ولا يأتيه واحد منهما^(١٠) على ما يأتي^(١١) بيانه إن شاء الله تعالى.

واختلفت الأحاديث أيضاً في كيفية السؤال والجواب وذلك بحسب اختلاف أحوال الناس، فمنهم من يقتصر على سؤاله عن^(١٢) بعض اعتقاداته، ومنهم من يسأل عن كلها فلا تناقض.

وجه آخر: وهو^(١٣) أن يكون بعض الرواة اقتصر على بعض السؤال وأتى به غيره على الكمال، فيكون الإنسان مسؤولاً عن الجميع كما في حديث البراء المذكور، والله أعلم.

وقول المسؤول: هاه هاه، هي^(١٤): حكاية صوت المبهوت^(١٥) من تعب أو جري أو حمل ثقيل.

-
- (٦) في (ظ): على .
 (٧) في (ع، ظ): يأتيان .
 (٨) من هذا الموضع يوجد طمس في بعض الكلمات والأحرف في الأصل، ثم توضيحها من (ع، ظ).
 (٩) ص(٤٢٤).
 (١٠) في (ظ): على .
 (١١) (وهو): ليست في (ظ).
 (١٢) في (ظ): هو .
 (١٣) في (ع، ظ): المبهور .

باب ذكر حديث البراء المشهور الجامع لأحوال الموتى عند قبض أرواحهم وفي قبورهم

خرجه أبو داود الطيالسي^(١)، وعبد بن حميد^(٢) في مسنديهما، وعلي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية، وهناد بن السري في زهده^(٣)، وأحمد بن حنبل [في مسنده]^(٤)، وغيرهم، وهو حديث صحيح له طرق كثيرة تهتم بتخريج طريقه علي بن معبد.

فأما أبو داود الطيالسي: فقال: حدثنا^(٥) أبو عوانة عن الأعمش.

وقال هناد وأحمد: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال بن عمرو.

وقال أبو داود^(٦): وحدثنا عمرو بن ثابت سمعه من المنهال بن عمرو.

عن زاذان عن البراء يعني: ابن عازب رضي الله عنه، وحديث أبي عوانة أتمهما، قال البراء رضي الله عنه: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة [٤٦/ب] رجل^(٧) من الأنصار فانتبهنا إلى القبر ولما^(٨) يلحد، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير، قال عمرو بن ثابت: وقع، ولم يقله^(٩) أبو عوانة^(١٠)، فجعل يرفع بصره وينظر إلى السماء ويخفض بصره، وينظر إلى الأرض، ثم قال: أعوذ بالله من عذاب القبر، قالها مراراً ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في^(١١) إقبال^(١٢) من الآخرة، وانقطع من الدنيا^(١٣) جاءه ملك فجلس عند

(١) في مسنده ص (١٠٢)، ح ٧٥٣.

(٢) لم أجده في مسند عبد بن حميد المطبوع.

(٣) ٢٠٥/١، ح ٣٣٩. (٤) ٢٨٧/٤، ح ١٨٥٥٧.

(٥) في (ظ): ثنا. (٦) الطيالسي.

(٧) نهاية الطمس الذي في الأصل.

(٨) في (ع، ظ): ولم، والأصل متوافق مع الطيالسي.

(٩) في (ظ، الطيالسي): يقل.

(١٠) قوله: قال عمرو بن ثابت: وقع ولم يقله أبو عوانة، من نص حديث الطيالسي.

(١١) في (ظ): من. (١٢) في (ع، ظ، الطيالسي): قبل.

(١٣) (من الدنيا): لبست في (ظ).

رأسه فيقول: اخرجني أيتها النفس الطيبة إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج نفسه فتسيل كما يسيل قطر^(١) السماء، قال عمرو في حديثه ولم يقله أبو عوانة^(٢): وإن كنتم ترون غير ذلك، وتنزل ملائكة من الجنة^(٣)، بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم أكفان من أكفان الجنة^(٤)، وحنوط من حنوطها، فيجلسون منه مد البصر، فإذا قبضها الملك لم يدعوها في يده طرفة عين، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿تَوَفَّنَهُ رُسُلَنَا وَهُمْ لَّا يَعْطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، قال: فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت، فتخرج به الملائكة فلا يأتون على جند فيما بين السماء [والأرض]^(٥) إلا قالوا: ما هذه الروح؟ فيقال: فلان، بأحسن أسمائه حتى ينتهوا^(٦) به أبواب السماء^(٧) الدنيا، فيفتح له، ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهي بها^(٨) إلى السماء السابعة، فيقال: اكتبوا كتابه في عليين: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾^(٩) ﴿مَا عَلَّمُونَ﴾^(١٠) ﴿كَيْتَبُ رَزَقِهِ﴾^(١١) ﴿يَشْهَدُ الْقُرُونُ﴾^(١٢) [المطففين: ١٩ - ٢١]، فيكتب كتابه في عليين، ثم يقال: ردوه إلى الأرض فإني وعدتهم أنني منها خلقتهم، وفيها نعيدهم، ومنها نخرجهم تارة أخرى، قال: فترد^(١٣) إلى الأرض، وتعاد^(١٤) روحه في جسده، فيأْتِيَاهُ^(١٥) ملكان شديدا الانتهاز فينتهرانه، ويجلسانه فيقولان: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك^(١٦)؟ فيقول:

- (١) في (الأصل): فتسل كما تسل. وفي (ظ): فتسل كما تسل قطرة، وما أثبتته من (ع)، والطيايسي.
- (٢) فوله: قال عمرو في حديثه ولم يقله أبو عوانة، من نص حديث الطيايسي.
- (٣) في (ظ): من السماء.
- (٤) في (ع): معهم أكفان الجنة.
- (٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، الطيايسي).
- (٦) في (ع): ينتهون.
- (٧) في (الأصل) و(ظ): سماء، وما أثبتته من (ع)، والطيايسي وهو الصواب؛ لأن الدنيا صفة وهي معرفة، والصفة تتبع الموصوف في تعريفه وتكثيره.
- (٨) في (ع): به.
- (٩) في (الأصل): وما أدريك، وما أثبتته من (ع، ظ، الطيايسي).
- (١٠) في (ع): فيرد.
- (١١) في (ع): وترد.
- (١٢) في (ع)، الطيايسي: فيأتيه، وفي (ظ): فيأتيه.
- (١٣) (ومن نبيك): ليست في (ع، ظ، الطيايسي).

ربي الله، وديني الإسلام، فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث إليكم^(١)؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان: وما يدريك؟ فيقول: جاءنا بالبينات من ربنا فأمنت به، وصدقت، قال: وذلك^(٢) قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، قال: وينادي^(٣) منادٍ من السماء أن قد صدق عبدي، فألبسوه من الجنة، وأفرشوه من الجنة^(٤)، وأروه منزله منها، ويفسح^(٥) له مد بصره^(٦)، ويمثل له عمله في صورة رجل حسن الوجه، طيب الريح، حسن الثياب، فيقول: أبشر بما أعد^(٧) الله لك، أبشر برضوان من الله، وحنان فيها نعيم مقيم، فيقول: بشرك الله بخير، من أنت؟ فوجهك [الوجه]^(٨) الذي جاء بالخير، فيقول: هذا يومك الذي كنت توعده، أو^(٩) الأمر الذي كنت توعده، أنا عملك الصالح، فوالله ما علمتكم إلا كنت سريعاً في طاعة الله، بطيئاً عن معصية الله، فجزاك الله خيراً، فيقول: يا رب أقم الساعة كي أرجع إلى أهلي ومالي، قال: فإن كان فاجراً وكان في قبيل^(١٠) من الآخرة، وانقطع من الدنيا جاءه ملك فجلس عند رأسه فقال: أخرجني أيتها النفس الخبيثة، أبشري بسخط من الله وغضب، فتزل ملائكة سود الوجوه، معهم مسوح من نار، فإذا قبضها [أ/٤٧] الملك قاموا فلم يدعوها [في يده]^(١١) طرفه عين، قال: فتفترق في جسده فتستخرجها تقطع منها العروق والعصب^(١٢) كالسفود الكثير الشعب^(١٣) في الصوف المبلول، فتؤخذ

(١) في (ع، الطيالسي): فيكم.

(٢) في (ظ): فينادي.

(٣) (وأفرشوه من الجنة): ليست في (ظ)، وفي (الطيالسي): وأفرشوه منها.

(٤) في (الطيالسي): ويفسح.

(٥) في (ع): البصر.

(٦) في (الطيالسي): أعدده.

(٧) ما بين المعقوفين من (ع، الطيالسي). (٨) في (ظ، الطيالسي): و.

(٩) في (الأصل): قيل، والتصويب من (ع، ظ، الطيالسي).

(١٠) ما بين المعقوفين من (ع، ظ، الطيالسي).

(١١) من هذا الموضع طمس في بعض الكلمات والأحرف في الأصل، وتوضيحه من (ع، ظ، الطيالسي).

(١٢) في (الأصل): الشعب، والتصويب من (ع، ظ، الطيالسي).

من الملك فتخرج كأنتن ريح^(١) جيفة وجدت، فلا تمر على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة^(٢)؟ فيقولون^(٣): هذا فلان بأسوأ أسمائه حتى ينتهوا^(٤) به إلى سماء الدنيا^(٥) فلا يفتح له، فيقولون: ردوه إلى الأرض، إني وعدتهم أنني منها خلقتهم، وفيها نعيدهم، ومنها نخرجهم تارة أخرى، قال: فيرمى به من السماء^(٦) قال: وتلا هذه الآية: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ نَهَىٰ بِهِ الرَّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيحٍ﴾ [الحج: ٣١].

قال: فتعاد إلى الأرض، وتعاد فيه روحه، ويأتيه ملكان شديدا الانتهاز فينتهرانه، ويجلسانه فيقولان: من ربك؟ وما دينك؟ فيقول: لا أدري، فيقولان: فما^(٧) تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه، فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون ذلك، قال: فيقال: لا دريت، فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويمثل له عمله في صورة رجل قبيح الوجه، منتن الريح، قبيح الثياب، فيقول: أبشر بعذاب الله وسخطه، فيقول: من أنت فوجهك الوجه^(٨) الذي جاء^(٩) بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله، سريعاً إلى معصية الله.

قال عمرو في حديثه عن المنهال عن زاذان عن البراء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: فيقيض له أصم أبكم ومعه مرزبة لو ضرب بها جبل^(١٠) صار تراباً، أو قال: رميماً، فيضربه ضربة يسمعها الخلائق إلا الثقلين، ثم تعاد فيه الروح فيضربه

(١) (ريح): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع الطيالسي.

(٢) في (ع، الطيالسي): الخبيث.

(٣) في (ع، ظ): فيقولان، والأصل متوافق مع الطيالسي.

(٤) في الأصل و(ع): ينتهون، والتصويب من (ظ، الطيالسي).

(٥) في (الطيالسي): السماء الدنيا. (٦) (من السماء): ليست في (ظ).

(٧) في (ع): فماذا.

(٨) (الوجه): ليست في (ظ، الطيالسي).

(٩) في (الأصل): جاءنا، وما أثبتته من (ع، ظ، الطيالسي).

(١٠) في (الأصل) و(ظ): جبلاً، وما أثبتته من (ع، الطيالسي).

ضربة أخرى. لفظ أبي داود الطيالسي^(١)، وخرجه علي بن معبد الجهني^(٢) من عدة طرق بمعناه وزاد فيه: ثم يبيض له أعشى أصم معه مرزبة من حديد، فيضربه بها ضربة فيدق^(٣) من ذؤابته^(٤) إلى خصره^(٥)، ثم يعاد فيضربه بها ضربة فيدق بها^(٧) من ذؤابته إلى خصره^(٨).

وزاد في بعض طرقه عند قوله: «مرزبة من حديد، لو اجتمع عليها الثقلان لم يقلبوها»^(٩)، فيضرب بها ضربة فيصير تواباً، ثم تعاد فيه الروح ويضرب^(١٠) بها ضربة يسمعاها من على الأرض غير الثقلين، ثم يقال: افرشوا له لوحين من نار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيفرش له لوحان^(١١) من نار، ويفتح له باب^(١٢) إلى النار، وزاد فيه عند قوله: وانقطاع من الدنيا، نزلت به^(١٣) ملائكة غلاظ شداد معهم حنوط من نار، وسراييل^(١٤) من قطران^(١٥) يحوشونه^(١٦) فتنتزع نفسه كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل يقطع معه عروقها، فإذا خرجت نفسه لعنه كل ملك في السماء، و^(١٧) كل ملك في الأرض.

- (١) في مسنده ١٠٢/٢، ح ٧٥٣.
 (٢) (الجهني): ليست في (ع).
 (٣) في (ظ): فيدق بها.
 (٤) الذؤابة: الشعر المضفور من شعر الرأس، النهاية في غريب الأثر ١٥١/٢.
 (٥) في (ظ): خصرته.
 (٦) الخضر وسط الإنسان، الصحاح للجوهري ٦٤٦/٢.
 (٧) (بها): ليست في (ع، ظ).
 (٨) في (ظ): خصرته.
 (٩) في (ع، ظ): يقلبوها.
 (١٠) في (ظ): فيضرب.
 (١١) في (ظ): لوحين.
 (١٢) (به): ليست في (ظ).
 (١٤) السريال القميص، والجمع سراييل، ونطلق على الدروع، النهاية في غريب الأثر ٣٥٧/٢.
 (١٥) القطران: عصارة شجر الأرز والأبهل تطبخ ثم تطلبى بها الإبل، وفي التنزيل: ﴿سَرَّابُهُمْ مِّنْ قَطْرَانٍ﴾ لأنه شديد الاشتعال، القاموس المحيط ص (٥٩٦)؛ والمعجم الوسيط ص (٧٤٤)، مجمع اللغة العربية.
 (١٦) في (ظ): يحوشونه، وهنا ينتهي الطمس الذي في الأصل.
 (١٧) (كل ملك في السماء): ليست في (ظ).

وخرَجَ أبو عبد الله الحسن^(١) بن حرب^(٢) صاحب ابن المبارك في رفاقه بسنده: عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه كان يقول: إذا قتل العبد في سبيل الله كان أول قطرة تقطر من دمه إلى [٤٧/ب] الأرض كفارة للخطايا^{(٣)(٤)} ثم يرسل الله ﷻ بريطة^(٥) من الجنة فيقبض فيها روحه، وصورة من الجنة، فيركب فيها روحه^(٦)، ثم يعرج مع الملائكة كأنه كان معهم، والملائكة على أرجاء السماء يقولون: قد جاءت روح^(٧) من الأرض، روح طيبة، ونسمة طيبة فلا يمر بباب إلا فتح لها، ولا ملك إلا صلى عليها، ودعا لها، ويشيعها حتى يؤتى بها الرحمن، فيقولون: يا ربنا هذا عبدك توفيته فيسجد قبل الملائكة، ثم تسجد الملائكة بعد، ثم يطهر ويغفر له، ثم يؤمر فيذهب به إلى الشهداء فيجدهم في قباب من حرير، في رياض^(٨) خضر، عندهم حوت وثور، يظل^(٩) الحوت يسبح في أنهار الجنة يأكل من كل رائحة^(١٠) في أنهار الجنة، فإذا أمسى وكزه الثور بقرنه فيذكيه، فيأكلون لحمه، يجدون في لحمه طعم كل رائحة، ويبيت الثور في أفناء الجنة، فإذا أصبح غدا^(١١) عليه الحوت فوكزه

(١) هكذا وقع اسمه في جميع النسخ، وفي سير أعلام النبلاء ١٢/١٩٠، وتقريب التهذيب ص (١٦٦) رقم ١٣١٥: الحسين بن الحسن بن حرب، أبو عبد الله السنمي المروزي، صاحب ابن المبارك، وقد روى عنه الشيء الكثير، وكذلك هو راوي كتاب الزهد للإمام أحمد، توفي سنة ٢٤٦هـ.

(٢) في (ع): المروزي.

(٣) في (مجمع الزوائد للهيتمي): يكفر الله ذنوبه كلها.

(٤) من هذا الموضع يوجد بياض في بعض الكلمات والأحرف في الأصل، تم توضيحه من (ع، ط، والمصدر).

(٥) الريغة كل ملاءة ليست بلففتين، قيل: كل ثوب رفیق لين، النهاية في غريب الأثر ٢/٢٨٩.

(٦) (وصورة من الجنة، فيركب فيها روحه): ليست في (ط)، وفي (مجمع الزوائد): ويجسد من الجنة.

(٧) (روح): ليست في (ط). (٨) نهاية البياض الذي في الأصل.

(٩) في (ط): فيظل.

(١٠) أي التي راحة إلى المراح - المرعى - الصحاح ١/٣٧٠.

(١١) في (ط): عدا.

بذنبه، فيذكيه فيأكلون فيجدون في لحمه طعم كل رائحة في الجنة، ثم يعودان وينظرون إلى منازلهم من^(١) الجنة، ويدعون الله ﷻ أن تقوم الساعة، فإذا توفي العبد المؤمن بعث الله ﷻ إليه^(٢) ملكين، وأرسل إليه^(٣) بخرقة من الجنة فقالا: اخرجي أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى روح وريحان، ورب عنك راضي، فتخرج كأطيب ريح من مسك ما وجدها أحد بأنفه قط، والملائكة على أرجاء السماء يقولون: قد جاء من الأرض^(٤) روح طيبة، ونسمة طيبة، فلا تمر بباب إلا فتح لها، ولا بملك إلا دعا لها وصلى عليها حتى يوتى بها الرحمن فتسجد الملائكة، ثم يقولون: هذا عبدك فلان قد توفيته، وكان يعبدك ولا يشرك بك شيئاً، فيقول: مروه فليسجد^(٥) فتسجد النسمة، ثم يدعى ميكائيل فيقول: اذهب بهذه فاجعلها^(٦) مع أنفس المؤمنين حتى أسألك عنها يوم القيامة، ثم يؤمر فيومع عليه قبره سبعين ذراعاً عرضه، وسبعين ذراعاً طوله، وينبذ^(٧) له فيه الرياحين، ويستتر بالحريز، فإن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره، وإن لم يكن معه جعل الله^(٨) في قبره نوراً مثل نور الشمس، ويكون مثله كمثل^(٩) العروس ينام فلا يوقظه إلا أحب أهله إليه، قال: فيقوم من نومه كأنه لم يشبع من نومه. وإذا توفي العبد الفاجر^(١٠) أرسل الله إليه ملكين، وأرسل بقطعة من نجاد^(١١) أنتن من كل نتن، وأخشن من كل خشن، فقالا لها: اخرجي أيتها الروح الخبيثة، اخرجي إلى حميم وعذاب، ورب عليك غضبان، اخرجي وساء ما قدمت لنفسك، فتخرج كأنتن رائحة وجدها أحد بأنفه قط، وعلى أرجاء السماء ملائكة يقولون: قد جاء من الأرض روح خبيثة، ونسمة خبيثة، فتغلق دونها أبواب السماء، ولا تصعد إلى السماء، ثم يؤمر فيضيق عليه

(٢) (إليه): ليست في (ظ).

(١) في (ع): في.

(٤) (من الأرض): ليست في (ظ).

(٣) (إليه): ليست في (ع).

(٦) في (ظ): فادخلها.

(٥) في (ظ): أن يسجد.

(٨) في (ع): جعل الله له.

(٧) في (مجمع الزوائد): يبت.

(١٠) في (ع، مجمع الزوائد): الكافر.

(٩) في (ظ): مثل.

(١١) التَّجْدُ: ما يُتَّجَدُ به لبيت من المتاع، أي يزين: والجمع نجوم، الصَّحاح ٥٤٢/٢.

قبره، وترسل عليه حبات أمثال^(١) أعناق البُحْت^(٢) فتأكل لحمه حتى لا تذر على عظمه لحماً، وترسل عليه ملائكة صم عمي يضربون^(٣) بقطاطيس^(٤) من حديد، لا^(٥) يسمعون صوته فيرحمونه، ولا يبصرونه فيرحمونه، [أ/٤٨] ولا يخطئون حين يضربونه، ويعرض^(٦) عليه مقعده من النار بكرة وعشياً، يدعو بأن يدوم^(٧) ذلك ولا يخلص إلى النار^(٨).

وخرج أبو عبد الرحمن^(٩) النسائي^(١٠) بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله^(١١) ﷺ قال: إذا حُضِرَ المؤمن أنه ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون^(١٢): أخرجي [راضية]^(١٣) مرضية^(١٤) عنك إلى روح وريحان، ورب راضٍ^(١٥) غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك حتى إنه ليناوله بعضهم بعضاً حتى يأتوا به باب السماء فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءكم من الأرض، فيأتون به أرواح المؤمنين، فلهم أشد فرحاً من أحدكم بغائبه يقدم

(١) في (ظ): كأمثال.

(٢) الأئني من الجمال بختية، والذكر بختي، وهي جمال طوال الأعناق، النهاية في غريب الأثر ١/١٠١.

(٣) في (ظ): يضربونه.

(٤) القُطَيْسُ: المطرقة العظيمة، الصحاح ٣/٩٥٩.

(٥) في (ظ): فلا.

(٦) في (ع): يقعد.

(٧) من هذا الموضع طمس في بعض الكلمات والأحرف في الأصل، وإكماله من (ع)، ظ، ومصادر المؤلف.

(٨) أخرجه هناد بن السري في زهده ١/١٢٩، ح ١٦٨؛ وأبو نعيم في حلية الأولياء ٩/٦٠؛ والهيثمي في مجمع الزوائد ٢/٣٢٧ وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات. (ولكن لم أجده في معجم الطبراني الثلاثة).

(٩) في (ع): النسائي أبو عبد الرحمن.

(١٠) في المجتبى من السنن ٤/٨، ح ١٨٣٣؛ وابن حبان في صحيحه ٧/٢٨٤، ح ٣٠١٤، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن النسائي ٢/٣٩٥، ح ١٧٢٩.

(١١) في (ظ): قال: قال رسول الله.

(١٢) في (الأصل): فتقول، وما أثبت من (ع، ظ، النسائي).

(١٣) ما بين المعقوفين طمس في الأصل، وتوضيحه من (ع، ظ، النسائي).

(١٤) في (ع، النسائي): مرضياً. (١٥) (راض): ليست في (ظ، النسائي).

عليه، فيسألونه: ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة؟ فيقولون: دعوه، فإنه كان في غم الدنيا، فإذا قال: ما أناكم؟ قالوا: ذهب به^(١١) إلى أمه الهاوية، وإن الكافر إذا حضر^(١٢) أنه ملائكة العذاب يمسح فيقولون: اخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى عذاب الله، فتخرج كأنتن ريح جيفة حتى يأتوا^(١٣) به باب السماء^(١٤)، فيقولون: ما أنتن هذه الريح حتى يأتوا^(١٥) به أرواح الكفار.

وخرج أبو داود الطيالسي^(١٦) قال: حدثنا حماد^(١٧) عن قتادة عن أبي الجوزاء^(١٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا قبض الله العبد المؤمن جاءته ملائكة الرحمة فتسلم^(١٩)، أو تسل نفسه في حريرة بيضاء، فيقولون: ما وجدنا ريحاً أطيب من هذه، فيسألونه، فيقولون: ارفقوا به، فإنه خرج من غم الدنيا، فيقولون: ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة؟ قال: وأما الكافر فتخرج نفسه، فتقول خزنة الأرض: ما وجدنا ريحاً أنتن من هذه، فيهبط به إلى أسفل الأرض»، والله أعلم^(٢٠).

قلت: وهنا فصول ستة في الرد على الملحدة^(٢١):

الأول^(٢٢): تأمل يا أخي وفقني الله وإياك^(٢٣) هذا الحديث، وما قبله من الأحاديث ترشدك [إلى]^(٢٤) أن الروح والنفس شيء واحد^(٢٥)، وأنه جسم لطيف

(١) (به): ليست في (ع). (٢) في (ع، النسائي): احتضر.

(٣) في (النسائي): يأتون.

(٤) في (ظ، النسائي): باب الأرض، وفي (ع): أبواب الأرض.

(٥) في (النسائي): يأتون.

(٦) في مستده ص (٣١٤)، ح ٢٣٨٩؛ وابن حبان في صحيحه ٢٨٣/٧، ح ٣٠١٣.

(٧) هو حماد بن سلمة، انظر: تهذيب التهذيب ٣١٦/٨.

(٨) هو أوس بن عبد الله الريمعي، بصري يرسل كثيراً، ثقة، مات سنة ١٨٣٠هـ، تقريب التهذيب ص (١٥٥) رقم الترجمة ٥٨٢.

(٩) (فتسلم): ليست في (الطيالسي).

(١٠) (والله أعلم): ليست في (ع، ظ).

(١١) في (ظ): الملاحظة.

(١٢) في (ظ): يا أخي.

(١٣) (١٤) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).

(١٥) تقدمت هذه المسألة ص (٢٦٧).

مشابك للأجسام^(١) المحسوسة، يجذب ويخرج، وفي أكفانه يلف ويدرج، وبه إلى السماء يعرج، لا يموت ولا يفنى، وهو مما له أول، وليس له آخر، وهو بعينين ويدين، وأنه ذو ريح طيب وخبث، وهذه صفة الأجسام لا صفة الأعراض، وقد قال بلال في حديث الوادي: «أخذ بنفسي يا رسول الله الذي أخذ بنفسك»^(٢)، وقال رسول الله ﷺ مقابلاً^(٣) له^(٤) في حديث زيد بن أسلم في حديث الوادي: «با أيها الناس إن الله قبض أرواحنا ولو شاء ردها إلينا في حين غير هذا»^(٥)، وقال رسول الله ﷺ: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»^(٦)، وقال: «فذلك حين يتبع بصره نفسه»^(٧)، وهذا غاية في البيان، ولا عطر بعد عروس^(٨).

وقد اختلف الناس في الروح اختلافاً كثيراً، أصح ما قيل فيه ما ذكرناه^(٩) لك، وهو مذهب أهل السنة: أنه جسم^(١٠)، وقد قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾، قال أهل التأويل: يريد الأرواح، وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣]، يعني: النفس عند خروجها من الجسد، وهذه صفة الجسم، ولم يجز لها ذكر في الآية لدلالة الكلام عليه^(١١) [٤٨/ب]، كقول الشاعر^(١٢):

(١) في (ع): للأرواح.

(٢) أخرجه أبو داود ١١٨/١، ح ٤٤٥؛ والترمذي ٣١٩/٥، ح ٣١٦٣؛ وابن ماجه ١/٢٢٧، ح ٦٩٧، صححه الألباني، انظر: صحيح ابن ماجه ١/١١٥ - ١١٦، ح ٥٧١.

(٣) في (ع): مقابلة. (٤) (له): ليست في (ع).

(٥) أخرجه مالك في الموطأ ١/١٤، ح ٤٦٦؛ وأخرج الطبراني نحوه في مسند الشاميين ٢/١٤٤، ح ١٠٧٤، قال ابن عبد البر: هذا الحديث لم يستده أحد عن زيد من رواية الموطأ، وقد جاء معناه متصلاً مستداً من وجوه صحاح ثابتة، التمهيد ٥/٢٠٤.

(٦) تقدم تخريجه ص (١٨٣). (٧) تقدم تخريجه ص (١٨٣).

(٨) هذا مثل عربي مشهور له قصة، ويروى: لا مخبأ لعطر بعد عروس، انظر: المستقصى في أمثال العرب لزمخشري ٢/٢٦٣؛ ومجمع الأمثال لأحمد بن محمد النيسابوري ٢/٢١١.

(٩) في (ظ): ذكرنا.

(١٠) انظر: كتاب الروح لابن القيم ص (١٧٧).

(١١) في (ع، ظ): عليها.

(١٢) ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى له ٣/١٩٦ وفيه: عن عائشة رضي الله عنها لما حضر أبو بكر قلت كلمة من قول حاتم، ثم أنشدت البيت.

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت^(١) يوماً وضاق بها الصدر
فكل من يقول: إن الروح تموت وتفنى فهو ملحد^(٢)، وكذلك من يقول
بالتناسخ^(٣): إنها إذا خرجت من هذا ركبت في شيء آخر: حمار أو كلب أو
غير ذلك، وإنما هي محفوظة بحفظ الله، إما منعمة وإما معذبة على ما يأتي^(٤)
بيانه إن شاء الله تعالى.

الفصل الثاني الإيمان بعذاب القبر وفتنته^(٥): واجب، والتصديق به لازم،
حسب ما أخبر به الصادق، وأن الله تعالى يحيي العبد المكلف في قبره برد
الحياة إليه، ويجعله^(٦) من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه ليعقل ما
يسئل عنه وما يجيب به ويفهم ما آتاه من ربه، وما أعد له في قبره من^(٧) كرامة
وهوان؛ وبهذا نطقت الأخبار عن المختار^(٨) عليه السلام وعلى آله وصحبه آناء الليل
وأطراف النهار، وهذا مذهب أهل السنة، والذي عليه الجماعة من أهل الملة،
ولم يفهم الصحابة الذين نزل القرآن بلسانهم ولغتهم من نبيهم صلى الله عليه وآله غير ما
ذكرنا، وكذلك التابعون بعدهم إلى هنم جرأ.

ولقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أخبر النبي صلى الله عليه وآله بفتنة الميت في قبره،
وسؤال منكر ونكير له وهما: ملكان، يا رسول الله أيرجع إلي عقلي؟ قال:
نعم، قال: إذا أكفيكهما، والله لئن سألاني لأسألهما، فأقول لهما: أنا
ربي الله، فمن ربكما أنتما^(٩)؟

(١) الحشرجة: الفرغرة عند الموت، وتردد النفس، النهاية في غريب الأثر ٣٨٩/١.

(٢) انظر: مزيد بيان في هذه المسألة كتاب الروح لابن القيم ص(١٤٥).

(٣) القائلون بالتناسخ أصناف: صنف من الفلاسفة وصنف من السنية، وهذان الصنفان كانا
قبل الإسلام، وصنفان ظهرا في الإسلام، أحدهما من جملة القدرية والآخر من جملة
الرافضة الخالية. انظر: الفرق بين الفرق لعبد القاهر الجرجاني ص(٢٥٣ - ٢٥٦)،
والمثل والنحل لشهرستاني ٢/٢٥٥، ومقالات الإسلاميين للأشعري ص(١٤).

(٤) ص(٤٢٧) وما بعدها. (٥) في (ظ): الإيمان بعذاب الله وفتنته.

(٦) في (ظ): يجعل له. (٧) في (ظ): من كل.

(٨) في (ع، ظ): النبي المختار.

(٩) في مسند الحارث ١/٣٧٩، ح ٢٨٦، مركز خدمة السنة بالمدينة النبوية، ط =

وخرج الترمذي أبو عبد الله الحكيم في نوادر الأصول^(١) من حديث عبد الله بن عمر^(٢) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوماً فتاتي القبر، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أترد إلينا عقولنا يا رسول الله؟ فقال: نعم كهنتكم اليوم، فقال عمر: وفي^(٣) فيه الحجر^(٤).

وقال سهل بن عمار^(٥): رأيت يزيد بن هارون^(٦) بعد موته في المنام^(٧)، فقلت^(٨): ما فعل الله بك؟ فقال: إنه أتاني في قبري ملكان فظان غليظان، فقالا: ما دينك؟ ومن ربك؟ ومن نبيك؟ فأخذت بلحيتي البيضاء وقلت: لمثلي^(٩) يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة؟ فذهبا، وقالوا: أكتب عن جرير بن عثمان^(١٠)؟ قلت: نعم، فقالا: فإنه^(١١) كان يبغض عثمان فأبغضه الله^(١٢).

= الأولى ١٤١٣هـ، وذكره ابن عبد البر في التمهيد ٢٢/٢٥١، وذكره الذهبي من حديث أبو شهب ويقال: أبو شمر، وفيه جهالة، انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٦/٤٩٩.

(١) نوادر الأصول ١/١٧٥.

(٢) في (ع، ظ): عمرو، والأصل متوافق مع نوادر الأصول.

(٣) في (ع، ظ): في، وفي (نوادر الأصول): فني.

(٤) ذكره أبو الفضل القيسراني في كتابه ذخيرة الحفاظ المخرج على الحروف والألفاظ ٢/١٣٦٢.

(٥) سهل بن عمار العتكي، أبو يحيى، سمع من يزيد بن هارون، قال الحاكم: مختلف في عدالته، توفي سنة ٢٦٧هـ، السير ١٣/٣٢.

(٦) يزيد بن هارون، أبو خالد السنمي، الحافظ، سمع من عاصم الأحوال وغيره، قال أحمد بن حنبل: كان حافظاً متقناً، توفي سنة ٢٠٦هـ، السير ٩/٣٥٨.

(٧) في (ع، ظ): في المنام بعد موته.

(٨) في (ع): فقلت له.

(٩) في (ع، ظ): ألمثلي.

(١٠) قال الحافظ ابن حجر: جرير بن عثمان من أهل المدينة، ذكره أبو عمرو الكشي في رجال الشيعة، من الرواة عن جعفر الصادق، انظر: لسان الميزان ٢/١٠٣ رقم ٤١٧.

(١١) في (ع، ظ): إنه.

(١٢) ذكر حكاية هذا المنام الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد باختصار مع شيء من الاختلاف ٥/١٣٩.

وفي حديث البراء رضي الله عنه: «افتعاد روحه في جسده»^(١) وحسبك، وقد قيل: إن السؤال والعذاب وإنما يكون على^(٢) الروح دون الجسد، وما ذكرنا لك أولاً أصح^(٣)، والله أعلم.

الفصل الثالث: أنكرت^(٤) الملحدة، ومن تمذهب من الإسلاميين^(٥) بمذهب الفلاسفة عذاب القبر، وأنه ليس له حقيقة، واحتجوا بأن قالوا: إنا نكشف القبر فلا نجد فيه ملائكة عمياً صماً، يضربون الناس بمطارق^(٦) من حديد، ولا نجد فيه [٤٩/أ] حيات ولا ثعابين، ولا نيراناً، ولا تنانين، وكذلك لو كشفنا عنه في كل حالة لوجدناه فيه لم يذهب، ولم يتغير^(٧)، وكيف يصح إعادته؟ ونحن لو وضعنا الزئبق بين عينيه لوجدناه بحاله، فكيف^(٨) يجلس، ويضرب، ولا يتفرق ذلك عنه؟ وكيف يصح إعادته؟ وما ذكرتموه من الفسحة له؟ ونحن نفتح القبر فنجد لحده ضيقاً، ونجد مساحته على حد^(٩) ما حفرناها، لم يتغير علينا، فكيف يسعه، ويسع الملائكة السائلين له؟ وإنما ذلك كله إشارة^(١٠) إلى حالات ترد على الروح من العذاب الروحاني، وأنها لا حقائق لها على موضع^(١١) اللغة.

فالجواب: إنا نؤمن بما ذكرناه، والله أن يفعل ما يشاء من عقاب ونعيم، ويصرف أبصارنا عن جميع ذلك، بل يغيبه عنا، فلا يبعد في قدرة الله تعالى فعل ذلك كله^(١٢)، إذ هو قادر^(١٣) على كل ممكن جائز، فإننا نحن لو شئنا لأزلنا الزئبق عن عينيه، ثم نضعه، ونرد الزئبق مكانه، وكذلك يمكننا أن

(١) تقدم تخريجه ص (٣٥٩).

(٢) في (ظ): أوضح.

(٣) (من الإسلاميين): ليست في (ظ).

(٤) في (ع، ظ): بفظاطيس.

(٥) حكى القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي هذه الشبهة في كتابه شرح الأصول الخمسة للمعتزلة ص (٧٣٣).

(٦) في (ظ): وكيف.

(٧) (حد): ليست في (ع، ظ).

(٨) في (ع): إشارات.

(٩) في (ع): موضوع.

(١٠) (كله): ليست في (ع).

(١١) في (ع، ظ): القادر.

نعمق القبر، ونوسعه حتى يقوم فيه قياماً فضلاً عن القعود، وكذلك يمكننا أن نعمق^(١) القبر مائتي ذراع فضلاً عن سبعين ذراعاً، والرب سبحانه أبسط منا قدرة، وأقوى منا قوة، وأسرع^(٢) فعلاً، وأحصى منا حساباً، ﴿إِنَّمَا أَشْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣)، ولا رب لمن يدعي الإسلام إلا من هذه صفته، فإذا كشفنا عن ذلك رد الله سبحانه الأمر على ما كان^(٤)، نعم بل لو كان الميت بيننا موضوعاً فلا يمتنع أن يأتيه الملكان ويسألانه من غير أن^(٥) يسمع الحاضرون جوابه^(٦)، ومثال ذلك: نائمان بيننا أحدهما ينعم، والآخر يعذب، ولا يشعر أحد بذلك^(٧) ممن حولهما من المنتبهين، ثم إذا استيقظا أخبر كل واحد منهما عما كان فيه^(٨).

(١) في (ظ): نوسع، وليس في (ع) من ذلك شيء.

(٢) في (ع): أسرع منا. (٣) (فيكون): ليست في (ع).

(٤) هذه تفصيلات قد لا يحتاج إليها المؤمن، وأما من أنكر ذلك فكيف آمن بقادر خلق السموات والأرض وما فيهما من عجائب الملكوت من غير مثال سبق، فالقادر هنا وهناك واحد، إنما نحتاج أن نعرف هل ثبت عن الخالق تعالى أو عن رسوله ﷺ، فإذا ثبت ذلك آمنا وسلمنا سواء أدركته عقولنا أو لم تدركه.

(٥) في (ع، ظ): يشعر الحاضرون بهما، ويحييهما من غير أن.

(٦) في (ع، ظ): جوابهما. (٧) في (ظ): بذلك أحد.

(٨) يقول ابن القيم: إن الله تعالى قادر أن يحدث حوادث يصرف عنها أبصار بعض خلقه حكمة منه. ورحمة بهم لأنهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها، والعبد أضعف بصراً وسمعاً من أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر، ثم إن العبد قادر على أن يزيل الزنبيق والخرذل عن عين الميت وصدوره ثم يرده بسرعة، فكيف يعجز عنه الملك؟! وكيف لا يقدر عليه من هو على كل شيء قدير، وكيف تعجز قدرته عن إيقانه في عينه وعلى صدره لا يسقط منه، وهل قياس أمر البرزخ على ما يشاهده الناس في الدنيا إلا محض الجهل والضلال وتكذيب الصادقين، وتحجيز رب العالمين وذلك غاية الجهل والظلم، وإذا كان أحدنا يمكنه توسعة القبر عشرة أذرع ومائة ذراع وأكثر طولاً وعرضاً وعمقاً ويستر توسيعه عن الناس ويظنن عليه من يشاء، فكيف يعجز رب العالمين أن يوسع ما يشاء على من يشاء ويستر ذلك عن أعين بني آدم فيراه بنو آدم ضيقاً وهو أوسع شيء وأظيبه ريحاً وأعظمه إضاءة ونوراً وهم لا يرون ذلك، وسر المسألة أن الضيق والإضاءة والخضرة والنار ليس من جنس المعهود في هذا العالم، والله سبحانه إنما أشهد بني آدم في هذه الدار ما كان فيها ومنها، فأما ما كان من أمر =

وقد قال بعض علمائنا^(١): إن دخول الملك القبر جائز أن يكون تأويله: اطلاعه عليها، وعلى أهلها، وأهلها مدركون له عن بعد من غير دخول، ولا قرب، ويجوز أن يكون الملك للطافة أجزائه يتولج في خلال المقابر فيتوصل إليه^(٢) من غير نبش، ويجوز أن ينبشها ثم يعيدها الله تعالى إلى مثل حالها، على وجه لا يدركه أهل الدنيا، ويجوز أن يدخل الملك^(٣) من تحت قبورهم من مداخل لا يهتدي الإنسان إليها.

وبالجملة: فأحوال المقابر، وأهلها على خلاف عادات أهل الدنيا في حياتهم، فليس تنقاس أحوال الآخرة على أحوال الدنيا، وهذا ما لا خلاف فيه، ولولا أخير^(٤) الصادق بذلك لم نعلم^(٥) شيئاً مما هنالك.

فإن قالوا: كل حديث يخالف مقتضى العقول^(٦) يقطع بتخطئه ناقله^(٧)، ونحن نرى المصلوب على صليبه^(٨) مدة طويلة وهو لا يستل ولا يحيى، وكذلك نشاهد الميت على سريره وهو لا يجيب سائلاً ولا يتحرك، ومن افترسته السباع، ونهشته الطيور، وتفرقت أجزاؤه في أجواف الطير، وبطون

= الآخرة فقد أسبل عليهم الغطاء؛ ليكون الإقرار به والإيمان سبباً لسعادتهم، فلو كان الميت بين الناس موضوعاً ثم بعثت أن يأتيه الملكان ويسألانه من غير أن يشعر الحاضرون، وهذا هو جبريل عليه السلام كان ينزل على النبي ﷺ فيلقي عليه الوحي ويكلمه بكلام يسمعه ومن إلى جانب النبي ﷺ لا يراه ولا يسمعه. ومن أعظم الجهل استبعاد شق الملك الأرض والحجر وقد جعلهما الله سبحانه له كالهواء للطير، ولا يلزم من حجبتها للأجسام الكثيفة أن تتولج حجبتها للأرواح اللطيفة، وهل هذا إلا من أفسد القياس، وبهذا وأمثاله كذبت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.. كتاب الروح ص(٧١) وما بعدها.

(١) ثم أقف على القائل.

(٢) في (ع، ط): أن يكون الملك يدخل.

(٣) في (ع، ط): في (ع، ط): خير.

(٤) في (ع، ط): تعرف.

(٥) في (ع، ط): المعقول.

(٦) قال البرهاري في كتابه شرح السنة ص(٣٥): وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يفيلها أو ينكر شيئاً من أخبار رسول الله ﷺ فاتهمه على الإسلام، فإنه رجل سوء رديء المذهب والقول.

(٧) في (ع): صلبه.

الحيثان، وحواصل الطير^(١)، وأقاصي التخوم^(٢)، ومدارج الرياح، فكيف تجتمع أجزاءه؟ أم كيف^(٣) تتألف أعضاؤه؟ وكيف نتصور مسائلة الملكين لمن هذا وصفه^(٤)؟ أم كيف يصير القبر على من هذا حاله روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار؟^(٥)

(١) في (ع): الطيور.

(٢) التَّخُومُ: متهى كل قرية أو أرض، والجمع تخوم، الصحاح ١٨٧٧/٥.

(٣) في (ظ): وكيف.

(٤) في (ظ): صفته.

(٥) أورد ابن القيم اعتراض الملاحدة هذا بنصه في كتابه المروج ص(٦٢)، فلا أدري أنقله عن التذكرة أم من المصدر الذي نقل عنه القرطبي، والذي يظهر أنه نقله عن التذكرة؛ لأنه أورد نقولاً عن القرطبي مستشهداً بها أحياناً وراًداً عليها أحياناً أخرى، ثم ذكر قاعدة عظيمة توضح المنهج القويم في الفهم عن الله تعالى ورسوله ﷺ الذي يزيل عن المسلم ما قد يرد عليه من إشكالات وشبه، ثم رد ثلثة على تلك الشبهات، وهذا ملخص ذلك كل: حيث يقول: ينبغي أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان، وقد حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله، بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع، لا سيما إن أضيف إليه سوء القصد، فيتفق سوء الفهم من المتبوع مع سوء قصده، وسوء القصد من التابع، فيا محنة الدين وأهله، والله المستعان، وهل أوقع التقديرية والمرجئة والخوارج والمعتزلة والجهمية والرافضة، وسائر أهل البدع إلا سوء الفهم عن الله ورسوله، حتى صار الدين بأيدي أكثر الناس هو موجب هذه الأنهام، والذي فهمه الصحابة ومن تبعهم عن الله ورسوله فمهجور لا ينتفت إلىه ولا يرفع هؤلاء به رأساً، ولكثرة أمثلة هذه القاعدة تركناها، ولو ذكرناها لزادت على عشرة ألوف حتى إنك لتصر على الكتاب من أونه إلى آخره فلا تجد صاحبه فهم عن الله ورسوله مراده كما ينبغي في موضع واحد، وهذا إنما يعرفه من عرف ما عند الناس وعرضه على ما جاء به الرسول ﷺ، وأما من عكس الأمر بعرض ما جاء به الرسول ﷺ على ما اعتقده وانتحلته وقلد فيه من أحسن به الظن فليس يجدي الكلام معه شيئاً فدعه وما اختاره لنفسه ورواه ما تولى، وأحمد الله الذي عافاك مما ابتلاه به. ومما يعلم هنا أن الله ﷻ جعل الدور ثلاثة: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبعاً لها؛ ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من اللسان والجوارح وإن أضمرت النفوس خلفه، وجعل =

والجواب عن هذا من وجوه أربعة:

أحدها [٤٩/ب]: أن الذي جاء^(١) بهذا هم الذين جاؤوا بالصلوات الخمس، وليس لنا طريق إلا ما نقلوه لنا من ذلك.

الثاني: ما ذكره القاضي لسان الأمة^(٢) وهو: أن المدفونين في القبور يسألون، والذين بقوا على وجه الأرض فإن الله^(٣) يحجب

- أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعاً لها، فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بالمها والتذت براحتها وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب، تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها والأرواح حينئذ هي التي باشرت العذاب والنعيم، فتجري أحكام البرزخ على الأرواح فتسري إلى أبدانها نعيماً أو عذاباً، كما تسري أحكام الدنيا على الأبدان فتسري إلى أرواحها نعيماً أو عذاباً، فأحظ بهذا الموضوع علماً وعرّفه كما ينبغي يزيل عنك كل إشكال يورد عليك من داخل وخارج، ثم قال رحمه الله: إن النار التي في القبر والخضرة ليست من نار الدنيا ولا زرع الدنيا وإنما هي من نار الآخرة وخضرتها، وهي أشد من نار الدنيا، فلا يحس بها أهل الدنيا فإن الله ﷻ يحمي عليه ذلك التراب والحجارة التي عليه وتحتة حتى تكون أعظم حراً من جمر الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك، وقدرة الرب تعالى أوسع وأعجب من ذلك، وقد أَرَانَا اللهُ مِنْ آيَاتِ قُدْرَتِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ مَا هُوَ أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ بكَثِيرٍ، وَلَكِنْ النُّفُوسُ مَوْلَعَةٌ بِالْكَذِبِ بِمَا لَمْ تَحِطْ بِهِ عِلْماً إِلَّا مِنْ وَفْقِهِ اللهُ وَعِصْمِهِ، كَمَا أَنَّهُ غَيْرُ مَمْتَنِعٍ أَنْ تَرُدَّ الرُّوحُ إِلَى الْمَصْلُوبِ وَالْمَغْرِيقِ وَالْمَحْتَرِقِ وَنَحْنُ لَا نَشْعُرُ بِهَا لِأَنَّ ذَلِكَ الرُّودَ نَوْعٌ آخَرَ غَيْرِ الْمَعْهُودِ، فَهَذَا الْمَخْمِيُّ عَلَيْهِ وَالْمَسْكُوتُ وَالْمَبْهُوتُ أَحْيَاءٌ وَأَرْوَاحُهُمْ مَعَهُمْ وَلَا تَشْعُرُ بِحَيَاتِهِمْ، وَمَنْ تَعَرَّفَتْ أَجْزَاؤُهُ وَالْمَصْلُوبُ وَأَكْبَلُ السِّيَاحِ وَالطُّيُورُ لَهُ مِنْ عَذَابِ الْبَرْزَخِ وَنَعِيمِهِ قَسَطُهُ الَّذِي تَقْتَضِيهِ أَعْمَالُهُ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيَّ مِنْ هُوَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَنْ يَجْعَلَ لِلرُّوحِ اتِّصَالاً بِتِلْكَ الْأَجْزَاءِ عَلَيَّ تَبَاعُدِ بَيْنِهَا، وَيَكُونُ فِي تِلْكَ الْأَجْزَاءِ شُعُورٌ بِنَوْعٍ مِنَ الْأَلَمِ وَاللَّذَّةِ، إِذَا كَانَ اللهُ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ فِي الْجَمَادَاتِ شُعُوراً وَإِدْرَاكاً تَسْبَحُ رَبِّهَا بِهِ، وَتَسْفُطُ الْحِجَارَةُ مِنْ خَشْيَتِهِ وَيَسْجُدُ لَهُ الْحَجَرُ وَالشَّجَرُ وَغَيْرُ ذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] وقال: ﴿إِنَّ مَسَرَّنَا أَلْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَّ بِالْعَرَبِيِّ وَالْإِنْتَرِي﴾ [ص: ١٨]، فكيف يمتنع على قدرته الباهرة أن يعيد إتيانها حياة ما بعد موتها بقضي بها ما أمره فيها ويستنطقها بها ويعذبها أو ينعمها بأعمالها، وهل إنكار ذلك إلا مجرد تكذيب وعناد وجحود. اهـ.

بتصرف من كتاب الروح ص(٦٦) وما بعدها.

(١) في (ظ): الذين جاؤوا.

(٢) نم أوقف على ترجمة ثعبينه.

(٣) في (ع، ظ): الله تعالى.

المكلفين^(١) عما يجري عليهم كما حجبتهم عن رؤية الملائكة مع رؤية الأنبياء ﷺ لهم، ومن أنكر ذلك فليُنكر نزول جبريل ﷺ على الأنبياء ﷺ، وقد قال الله تعالى في وصف الشياطين: ﴿إِنَّهُ يَرْتَكُمْ هُوَ وَقِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرْوُونَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

الثالث: قال بعض العلماء^(٢): لا يبعد أن ترد الحياة إلى المصلوب، ونحن لا نشعر به كما أننا نحسب المنمى عليه ميتاً، وكذا^(٣) صاحب السكنة وندفنه على حسيان الموت، ومن تفرقت^(٤) أجزاؤه فلا يبعد أن يخلق الله الحياة في أجزائه.

قلت: وبعيده كما كان كما فعل بالرجل الذي أمر إذا مات أن يحرق ثم يسحق ثم يذرى^(٥) حتى تنسفه الرياح، الحديث، وفيه فأمر الله البر فجمع ما فيه، وأمر البحر فجمع ما فيه ثم قال له: ما حملك على ما فعلت؟ فقال: خشيتك أو قال: مخافتك. خرَّجه البخاري^(٦) ومسلم^(٧)، وفي التنزيل: ﴿فَخَذَّ^(٨) أَرْبَعَةً مِنَ الظُّلُمِ

الرابع: قال أبو المعالي^(٩): المرضي عندنا أن السؤال يقع على أجزاء يعلمها الله تعالى من القلب، أو غيره فيحييها، ويوجه السؤال عليها، وذلك غير مستحيل عقلاً^(١٠).

(١) في (ع، ظ): الملكين، وهو خطأ. (٢) لم أقف على القائل.

(٣) في (ع، ظ): وكذلك. (٤) في (ظ): وتفرق.

(٥) في (ظ): يذرى. (٦) في صحيحه ٣/١٢٧٢، ح ٣٢٦٦.

(٧) في صحيحه ٤/٢١٠٩، ح ٢٧٥٦.

(٨) في (الأصل): خذ، وهو خطأ، صوابه من المصحف (ع، ظ).

(٩) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، أبو المعالي إمام الحرمين، له مصنفات منها: الرسالة النظامية، التي رُجِّح فيها مذهب السلف في الصفات وأقره، توفي سنة ٤٨٧هـ، سير أعلام النبلاء ١٨/٤٦٨.

(١٠) بل المرضي تحري الدليل السمعي، فإن فضل فضلنا، وإن أجمل أو سكت سكتنا وأماناً بحكمة ربنا البالغة.

قال بعض علمائنا^(١): وليس هذا بأبعد من الذر الذي أخرج الله تعالى من صلب آدم: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمُ الَّتِي بَرَّيْتُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

الفصل الرابع: فإن قالوا ما حكم الصغار عندكم؟ قلنا: هم كالبالغين، وأن العقل يكمل^(٢) لهم ليعرفوا بذلك منزلتهم وسعادتهم، ويلهمون الجواب عما يسألون عنه، هذا ما تقتضيه ظواهر الأخبار، وقد جاء أن القبر ينضم عليهم كما ينضم على الكبار، وقد تقدم^(٣).

وذكر هناد بن السري^(٤) قال: حدثنا أبو معاوية عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إن كان ليصلى على المنفوس ما أن عمل خطيئة قط فيقول^(٥): اللهم أجره من عذاب القبر».

الفصل الخامس: فإن قالوا: ما^(٦) تأويلكم في القبر حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة؟

قلنا: ذلك محمول عندنا على الحقيقة لا على المجاز، وإن القبر يملأ على المؤمن خضراً وهو العشب من النبات، وقد عينه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: هو الريحان، كما في حق الكافر يفرش له لوحان من نار، وقد تقدم^(٧).

وقد^(٨) حمّله بعض علمائنا: على المجاز، والمراد: خفة السؤال على المؤمن، وسهولته عليه، وأمنه فيه، وطيب عيشه، ووصفه بأنه جنة تشبهاً

(١) لم أرف على القائل.

(٢) في (ع): ليكمل.

(٣) في المسألة خلاف ولكل فريق أدلته، انظر في ذلك كتاب: الروح لابن القيم ص (٨٧).

(٤) في الزهد له ٢١٣/١، ح ٣٥١، وعبد الرزاق في مصنفه ٥٣٣/٣، ح ٦٦١٠؛ والبيهقي في سننه الكبرى ٩/٤، ح ٦٥٨٤، قال الدارقطني: والصواب أنه موقوف على أبي هريرة رضي الله عنه، انظر: العنقل له ٢٠٥/٩، ح ١٧٢٤؛ وكذا قال الخطيب البغدادي في التاريخ ٣٧٤/١١.

(٦) في (ع، ط): فما.

(٥) في (ع): فتقول.

(٨) (قد): ليست في (ط).

(٧) ص (٣٦٣).

بالجنة والنعيم فيها بالرياض، يقال: فلان في الجنة، إذا كان [أ/٥٠] في رغد من العيش وسلامة^(١)، فالمؤمن يكون في قبره في روح وزائحة^(٢)، وطيب عيش، وقد رفع الله عن عينيه الحجاب حتى يرى مدى بصره كما في الخبر. وأراد بحفرة النار: ضغطة القبر، وشدة المسائلة، والخوف، والأحوال التي تكون فيها على الكفرة، وبعض أهل الكبائر، والله أعلم، والأول أصح؛ لأن الله سبحانه^(٣) ورسوله يقص الحق، ولا استحالة في شيء من ذلك.

الفصل السادس: روى أبو عمر بن عبد البر^(٤) في التمهيد^(٥): عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: أيها الناس: إن الرجم حق فلا تخدعن عنه، وإن آية ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجم، وأن أبا بكر رضي الله عنه قد رجم وأنا قد رجمنا بعدهما، وسيكون أقوام من هذه الأمة يكذبون بالرجم، ويكذبون بالدجال، ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها^(٦)، ويكذبون بعذاب القبر، ويكذبون بالشفاعة، ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا.

قال علماؤنا^(٧) رحمة الله عليهم: هؤلاء هم القدرية^(٨)، والخوارج^(٩)، ومن سلك سبيلهم^(١٠)، واختلفوا في ذلك فرقاً، فصار أبو الهذيل^(١١) وبشر إلى

(١) في (الأصل): والسلامة، وما أثبت من (ع، ظ).

(٢) في (ع): راحة.

(٣) (بن عبد البر) ليست في (ع).

(٤) التمهيد ٦٩/١٩، ٩٨/٢٢.

(٥) لم أقف على القائل.

(٦) هم الذين يزعمون أن كل عبد خالقٌ لفعله، ولا يرون المعاصي بتقدير الله تعالى.

التعريفات للجرجاني ص (٢٢٢).

(٧) فرقة خرجت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم تفرقت فرقاً كثيرة يجمعها على افتراق

مذاهبها: إكفار علي رضي الله عنه، والحكمين، وأصحاب الجمل وكل من رضي بتحكيم الحكمين،

والإكفار بارتكاب الذنوب، ووجوب الخروج على الإمام الجائر، انظر: مقالات

الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص (٨٦)، والفرق بين الفرق للبغدادي ص (٥٥).

(٨) في (ظ): مسلكتهم.

(٩) أبو الهذيل محمد بن هذيل العبدي، يلقب بالعلاف من معتزلة البصرة، تنسب إليه فرقة

الهذيلية من المعتزلة توفي سنة ٢٣٥هـ، مقالات الإسلاميين لأبي القاسم البلخي

ص (٦٩)؛ وقرق وطبقات المعتزلة للنشار ص (٥٤، ٥٨، ١٩١).

أَنْ مِنْ خَرَجَ عَنْ سِمَةِ الْإِيمَانِ فَإِنَّهُ يُعَذَّبُ بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ، وَأَنْ^(١) الْمَسْأَلَةُ^(٢) إِنَّمَا تَقَعُ فِي تِلْكَ الْأَوْقَاتِ^(٣).

وَأُثِبَتِ الْبُلْخِيُّ^(٤)، وَكَذَلِكَ الْجَبَائِيُّ^(٥)، وَابْنُهُ^(٦) عَذَابَ الْقَبْرِ، وَلَكِنَّهُمْ نَفَوْهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأُثِبَتْهُ لِلْكَافِرِينَ وَالْفَاسِقِينَ^(٧).

وَقَالَ الْأَكْثَرُونَ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ^(٨): لَا يَجُوزُ تَسْمِيَةُ مَلَائِكَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِمَنْكِرٍ وَنَكِيرٍ، وَإِنَّمَا الْمَنْكِرُ مَا يَبْدُو مِنْ تَلْجُلِجِهِ إِذَا سَنَلَ، وَتَفْرِيعِ الْمَلَكِينَ لَهُ هُوَ النَّكِيرُ.

وَقَالَ صَالِحُ قَبَةِ^(٩)، وَالصَّالِحِيُّ^(١٠): عَذَابُ الْقَبْرِ جَائِزٌ، وَأَنَّهُ يَجْرِي عَلَى

(١) فِي (ظ): وَإِنَّمَا.

(٢) فِي (الْأَصْل): الْمَسْأَلَةُ، وَفِي (ع): الْمَسْأَلَةُ، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (ظ)، وَلِسَانُ لُغَرَبِ ٣٢٠ / ١٣.

(٣) ذَكَرَ هَذَا الْقَوْلَ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَبَّارِ الْمُعْتَزَلِيُّ فِي كِتَابِهِ شَرْحَ الْأَصُولِ الْخَمْسَةِ لِلْمُعْتَزِلَةِ ص (٧٣٢ - ٧٣٣) وَبَنَاهُ.

(٤) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الْبُلْخِيُّ الْكَعْبِيُّ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ بِغَدَادٍ، تَنَسَّبَ إِلَيْهِ فِرْقَةُ الْكَعْبِيَّةِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، تَوَفَّى سَنَةَ ٣١٩ هـ، فَرَّقَ وَطَبَقَاتِ الْمُعْتَزِلَةِ لِسَامِيِّ النُّشَارِ وَعَصَامِ مُحَمَّدٍ ص (٩٣، ٢١٨).

(٥) مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْجَبَائِيُّ، أَبُو عَلِيِّ شَيْخِ الْمُعْتَزِلَةِ، تَنَسَّبَ إِلَيْهِ فِرْقَةُ الْجَبَائِيَّةِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، مَاتَ سَنَةَ ٣٠٣ هـ، سِيرَ أَعْلَامُ النَّبَلَاءِ ١٤ / ١٨٣؛ فَرَّقَ وَطَبَقَاتِ الْمُعْتَزِلَةِ ص (٨٥، ٢٢٠).

(٦) عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْجَبَائِيُّ الْمُعْتَزَلِيُّ أَبُو هَاشِمٍ، تَنَسَّبَ إِلَيْهِ فِرْقَةُ الْبَهْشَمِيَّةِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، مَاتَ ٣٢١ هـ، سِيرَ أَعْلَامُ النَّبَلَاءِ ١٥ / ٦٣؛ فَرَّقَ وَطَبَقَاتِ الْمُعْتَزِلَةِ ص (١٠١).

(٧) فِي (ظ): لِلْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ.

(٨) حَكَى ذَلِكَ عَنْهُمْ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَبَّارِ الْمُعْتَزَلِيُّ فِي شَرْحِ الْأَصُولِ الْخَمْسَةِ - لِلْمُعْتَزِلَةِ - ص (٧٣٣ - ٧٣٤).

(٩) مُعْتَزَلِيُّ مِنَ طَبَقَةِ الصَّالِحِيِّ الَّذِي بَعْدَهُ، انظُرْ: فَرَّقَ وَطَبَقَاتِ الْمُعْتَزِلَةِ ص (٧٨).

(١٠) أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمِ الصَّالِحِيِّ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، كَانَ يَمِيلُ إِلَى الْإِرْجَاءِ، تَنَسَّبَ إِلَيْهِ فِرْقَةُ الصَّالِحِيَّةِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، فَرَّقَ وَطَبَقَاتِ الْمُعْتَزِلَةِ ص (٧٨)؛ وَالتَّعْرِيفَاتُ لِلْمُجْرَجَانِيِّ ص (١٧٢).

الموتى من غير رد الأرواح إلى الأجساد، وأن الميت يجوز أن يألم، ويعس، ويعلم، وهذا مذهب جماعة من الكرامية^(١).

وقال بعض المعتزلة: إن الله يعذب الموتى في قبورهم، ويحدث فيهم الآلام وهم لا يشعرون، فإذا حشروا وجدوا تلك الآلام، وزعموا أن سبيل المعذبين من الموتى كسبيل السكران، والمغشي عليه، لو ضربوا لم يجدوا الآلام، فإذا عاد إليهم العقل وجدوا تلك الآلام.

وأما الباكون من المعتزلة مثل: ضرار بن عمرو^{(٢)(٣)}، وبشر المريسي^(٤)، ويحيى بن كامل^(٥)، وغيرهم، فإنهم أنكروا عذاب القبر أصلاً، وقالوا: إن من مات فهو ميت في قبره إلى يوم البعث^(٦).

وهذه أقوال^(٧) كلها فاسدة ترددها الأخبار الثابتة، وفي التنزيل: ﴿أَلَمْ نَكُنْ بِمَعْشُرِكُمْ عَلَيْهَا عُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]، وسيأتي^(٨) من الأخبار مزيد بيان، وبالله التوفيق والعصمة إن شاء الله تعالى.

(١) الكرامية أصحاب محمد بن كزّام، نشأت بخراسان، انتهوا في إثبات الصفات إلى التجسيم والتشبيه، ودعا أتباعه إلى تجسيم معبوده، وزعموا أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب، وزعموا إيمان المنافقين، مقالات الإسلاميين للأشعري ص (١٤١) والفرق بين الفرق للمرجاني ص (٢).

(٢) ضرار بن عمرو، شيخ الضرارية، من رؤوس المعتزلة، أنكر الجنة والنار، وعذاب القبر، شهد عليه الإمام أحمد فأمر بضرب عنقه فهرب، هلك في زمن الرشيد، السير ٥٤٤/١٠.

(٣) ذكر إنكار ضرار بن عمرو القاضي عبد الجبار في كتابه: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص (٢٠١).

(٤) بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي، كان داعية للقول بخلق القرآن، وقد كفره عدة من العلماء، وصنف الإمام عثمان بن سعيد اندارمي كتاباً في الرد عليه، مات سنة ٢١٨هـ، السير ٢٠٢/١٠.

(٥) لم أجد له ترجمة.

(٦) قال القاضي عبد الجبار: وأنكر مشايخنا عذاب القبر في كل حال، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص (٢٠٢).

(٨) ص (٣٨٨).

(٧) في (ظ): الأقوال.

باب ما جاء في صفة الملكين صلوات الله عليهما^(١)

وصفة سؤالهما [٥٠/ب]

قد تقدم^(٢) من^(٣) حديث الترمذي: «أنهما أسودان، أزرقان، يقال لأحدهما منكر، والآخر نكير»^(٤).

وروى معمر عن عمرو بن دينار وعن سعد^(٥) بن إبراهيم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال لعمر: كيف بك يا عمر إذا جاءك منكر ونكير إذا مت، وانطلق بك قومك، فقاوسا ثلاثة أذرع وشبراً في ذراع وشبر ثم غسلوك، وكفنوك، وحنطوك، ثم احتملوك فوضعوك فيه، ثم أهالوا عليك التراب، فإذا انصرفوا عنك أتاك فتاناً القبر منكر ونكير، أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، [ونفسهما كالريح العاصف]^(٦)، ويجران شعورهما، معهما ميرزبة^(٧)، ولو اجتمع عليها أهل الأرض لم يقلوها^(٨)، قال عمر: يا رسول الله إن فرقنا فحق لنا أن نفرق، أنبعث على ما نحن عليه؟ قال: نعم إن شاء الله، قال: إذا أكفيكهما^(٩).

وروى نقلة الأخيار^(١٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما في خبر الإسراء أن النبي ﷺ

(١) في (ع): عليهم.

(٢) في (ع، ط): في.

(٣) في (ع، ط): سعيد، والأصل متوافق مع التمهيد، وفيه: وعن سعد بن إبراهيم.

(٤) في (ع، ط): من حديث.

(٥) ما بين المعقوفين من (ع).

(٦) المرزبة بالتخفيف المطرقة الكبيرة التي تكون للحداد، النهاية في غريب الأثر ٢/٢١٩.

(٧) في (ع، ط): من حديث.

(٨) هكذا في الأصل (ع، والتمهيد)، وفي هامش الأصل أيضاً: يقلبوها، وفي (ط): ينقلوها.

(٩) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٣/٥٨٢، ح ٦٧٣٨، وابن عبد البر في التمهيد ٢٢/٢٢٠٠، والبيهقي في الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف ٢/٢٢٣.

(١٠) هذا الحديث لم أجده إلا عند ابن كثير في تفسيره حيث قال: وقد روى الحافظ أبو

يعلى الموصلي عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك... ثم ذكر الحديث بطوله ثم

قال: هذا حديث غريب جداً وسياق عجيب، وي زيد الرقاشي راويه عن أنس له غرائب

ومتكرات، وهو ضعيف الرواية عند الأئمة، تفسير القرآن العظيم ٢/٥٣٩، ط. دار

الفكر بيروت. قلت: ولم أجده في مسند أبي يعلى الموصلي ط. دار العأمون للتراث.

قال: «قلت: يا جبريل وما ذاك؟ قال: منكر ونكير يأتيان كل إنسان من البشر حين يوضع في قبره وحيداً، قلت: يا جبريل صفهما لي، قال: نعم [من]»^(١) غير أن أذكر^(٢) طولهما ولا^(٣) عرضهما، ذكر ذلك منهما أفطع من ذلك غير^(٤) أن أصواتهما كالرعد القاصف، وأعينهما كالبرق الخاطف، وأنبياهما كالصياصي^(٥) يخرج لهيب النار من أفواههما، ومناخرهما، ومسامعهما، يكسحان الأرض بأشعارهما، ويحفران الأرض بأظفارهما، مع كل واحد منهما عمود من حديد، لو اجتمع عليه من في الأرض ما حركوه، يأتيان الإنسان إذا وضع في قبره، وترك وحيداً، يسلكان روحه^(٦) في جسده بإذن الله تعالى، ثم يقعدانه في قبره فينتهرانه انتهاراً يتقعق^(٧) منه عظامه، وتزول أعضاؤه^(٨) من مفاصله، فيخر مغشياً عليه ثم يقعدانه، فيقولان له: إنك في البرزخ، فاعقل حالك، واعرف مكانك، وينتهرانه ثانية، ويقولان له: يا هذا ذهبت عنك الدنيا، وأفضيت إلى معادك، فأخبرنا من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فإن كان مؤمناً بالله^(٩) لقنه^(١٠) الله حجته، فيقول: الله ربي، ونبيي محمد، وديني الإسلام، فينتهرانه عند ذلك انتهاراً يرى أن^(١١) أوصاله قد^(١٢) تفرقت، وعروقه قد تقطعت، ويقولان له: يا هذا اثبت^(١٣)، يا هذا انظر ما تقول؟ فيثبته الله عنده بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويلقنه الإيمان^(١٤)، ويدراً عنه الفرع^(١٥)، فلا يخافهما، فإذا فعل ذلك^(١٦)، بعبد المؤمن استأنس إليهما،

(١) ما بين المعفوتين من (ع، ظ).

(٢) (لا): ليست في (ع، ظ).

(٣) (لا): ليست في (ع، ظ).

(٤) (غير): ليست في (ظ).

(٥) الصباصي: قرون البقر، النهاية في غريب الأثر ١٧/٣.

(٦) في (ظ): بروحه.

(٧) القعقة حكاية حركة الشيء يسمع له صوت، النهاية ٤/٨٨.

(٨) في (ع): عظامه.

(٩) (بالله): ليست في (ظ).

(١٠) في (ع): لقاؤه.

(١١) (أن): ليست في (ظ).

(١٢) (قد): ليست في (ع، ظ).

(١٣) في (ع، ظ): ويلقنه الأمان، والأصل يتناسب مع السياق.

(١٤) في (ع): انعذاب والفرع.

(١٥) (ذلك): ليست في (ظ).

(١٦) (ذلك): ليست في (ظ).

وأقبل عليهما بالخصومة يخاصمهما ويقول: تهقداني كيما أشك في ربي، وتريداني أن أتخذ غيره ولياً، أشهد أن لا إله إلا الله، وهو ربي وربكما ورب كل شيء، ونبيي محمد، وديني الإسلام، ثم ينتهرانه ويسألانه عن ذلك فيقول: ربي الله فاطر السماوات والأرض، إياه كنت أعبد، ولم أشرك به شيئاً، ولم أتخذ غيره أحداً، فتريدان^(١) أن ترداني عن معرفة ربي^(٢) وعبادتي إياه؟ ثم هو الله الذي لا إله إلا هو.

قال: فإذا قال ذلك ثلاث^(٣) مرات مجاوبة لهما تواضعا له حتى يستأنس إليهما أنس ما كان في الدنيا إلى أهل [١/٥١] وده، ويضحكان إليه، ويقولان^(٤) صدقت ويررت قر الله عينك وثبتك، أبشر بالجنة وبكرامة الله، ثم يدفع عنه^(٥) قبره هكذا وهكذا فيتسع عليه مد البصر، ويفتحان له باباً إلى الجنة فيدخل عليه روح من^(٦) الجنة وطيب ريحها^(٧) ونضرتها في قبره ما^(٨) يتعرف به كرامة الله تعالى، فإذا رأى ذلك استيقن بالفوز فحمد الله تعالى، ثم يفرشان له فراشاً من إستبرق^(٩) الجنة، ويضعان له مصباحاً من نور عند رأسه، ومصباحاً من نور عند رجليه يزهران في قبره، ثم تدخل عليه ريح أخرى فحين يشمها يغشاه النعاس فينام، فيقولان له: ارقد رقدة العروس قرير العين لا خوف عليك ولا حزن، ثم يمثلان عمله الصالح في أحسن ما يرى من^(١٠) صورة وأطيب ريح فيكون عند رأسه، ويقولان: هذا عملك وكلامك الطيب قد مثله الله لك في أحسن ما ترى من صورة وأطيب ريح ليؤنسك^(١١) في قبرك فلا تكون وحيداً، ويدرا عنك هوام الأرض وكل دابة وكل أذى فلا يخذلك في قبرك ولا في^(١٢) شيء من^(١٣)

(١) في (ع): أتريدان.

(٢) في (ع): ربي ﷻ.

(٣) ثلاث: ليست في (ظ).

(٤) في (ع): ويقولان له.

(٥) عنه: ليست في (ظ).

(٦) في (ع): وطيبها وطيب ريحها.

(٧) في (ع): فيرياه ما.

(٨) الإستبرق: ما غلظ من الحرير، النهاية ٤٧/١.

(٩) (من): ساقطة من (ظ).

(١٠) في (ظ): يؤنسك.

(١١) في (ظ): ليست في (ظ).

(١٢) في (ظ): في.

(١٣) في (ظ): في.

مواطن القيامة حتى تدخل الجنة برحمة الله^(١)، فم سعيداً طويلاً لك وحسن مآب، ثم يسلمان عليه، ويطيران عنه، وذكر الحديث وما يلقي الكافر من الهوان الشديد والعذاب^(٢) الأليم، وحسبك ما تقدم.

قلت: وهذا الحديث وإن كان في إسناده مقال؛ لأنه يرويه عمرو بن سليمان عن الضحاك بن مزاحم^(٣)، فهو حديث مرتب على أحوال مبينة، ومحتوى على أمور مفسرة^(٤).

فصل

قوله: «أناك فتانا القبر منكر وكبير»، إنما سمياً فتاناً^(٥) القبر لأن في سؤالهما انتهاراً، وفي خلقهما صعوبة، ألا ترى أنهما سمياً منكراً ونكراً، فإنما سمياً بذلك لأن خلقهما لا يشبه خلق آدميين، ولا خلق الملائكة، ولا خلق الطير^(٦)، ولا خلق البهائم، ولا خلق الهوام، بل هما خلق بديع، وليس في خلقهما أنس للناظرين إليهما^(٧)، جعلهما الله مكرمة^(٨) للمؤمن^(٩) ليثبته،

(١) في (ع): برحمة الله تعالى.

(٢) قال ابن عدي: عُرف الضحاك بالنتفسير، فأما رواياته عن ابن عباس وأبي هريرة وجميع من روى عنه ففي ذلك نظر، وإنما عرف بالنتفسير، الكامل في ضعفاء الرجال ٩٥/٤ رقم ٩٤٤.

(٣) لكن في الحديث زيادات لم ترد في الأحاديث الثابتة المتقدمة ص (٣٦٠) نحو: «يخرج لهيب النار من أفواههما، ومناخرهما، ومسامعهما، يكسحان الأرض بأشعارهما، ويحفران الأرض بأظفارهما».

(٤) في (ع، ظ): فتانا، وهو خطأ، والأصل متوافق مع مصدر المصنف؛ ولأن الكلمة في موضع نصب.

(٥) (ولا خلق الطير): نُبست في (ظ). (٧) (إليهما): نُبست في (ظ).

(٨) في (ع، ظ): تكريمة، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.

(٩) في (الأصل، ع، ظ): للمؤمنين، والتصويب من مصدر المؤلف، ويؤيده عود الضمير المفرد في كلمتي (ليثبته، وينصره) وكذلك يؤيده العطف الذي يليه: وهتكاً لستر المنافع....

وينصره^(١)، وهتكاً لستر المنافق في البرزخ من قبل أن يبعث حتى يحل عليه العذاب، قاله: أبو عبد الله الترمذي^(٢).

فصل

إن قيل^(٣): كيف يخاطب الملكان جميع الموتى وهم مختلفو الأماكن، متباعدو القبور في الوقت الواحد، والجسم الواحد^(٤) لا يكون في المكانين في الوقت الواحد؟ وكيف تنقلب الأعمال أشخاصاً وهي في نفسها أعراض؟!

فالجواب عن الأول: ما جرى ذكره^(٥) في هذا الخبر من عظم^(٦) جثتيهما فيخاطبان الخلق الكثير الذين في الجهة الواحدة منهم في المرة الواحدة مخاطبة واحدة، يخيل لكل واحد منهم أن المخاطب هو دون من سواه، ويكون الله تعالى يمنع سمعه من مخاطبة الموتى لهما، ويسمع هو مخاطبتهما أن لو كانوا^(٧) في قبر واحد، وقد تقدم^(٨) أن عذاب القبر يسمعه كل شيء إلا الثقلين، والله سبحانه يسمع من يشاء وهو على كل شيء قدير^(٩).

والجواب عن الثاني: أن الله تعالى يخلق من ثواب الأعمال أشخاصاً حسنة وقيحة، لا أن العرض نفسه ينقلب [ب/٥١] جوهرأ، إذا ليس من قبلي الجواهر، ومثل هذا ما صح في الحديث: «أنه يؤتى بالموت كأنه كبش أملح

(١) في (ظ): لثنيته ونصره.

(٢) نوادر الأصول ٣/٢٢٦ - ٢٢٧.

(٣) في (ع، ظ): قال قائل.

(٤) في (الأصل): والجسم والواحد، ويبدو أن الواو مقحمة بين الكلمتين؛ لأن المعنى لا يساعد على وجودها، والتصويب من (ع، ظ).

(٥) في (ع، ظ): ما جرى من ذكرهما.

(٦) في (ع): عظيم.

(٧) في (ع، ظ): أن لو كانوا معه.

(٨) ص (٣٥١ - ٣٥٢).

(٩) لا داعي لهذا الشرح والذي هو مجرد ظن في هذا المقام، وإنما يكفي أن الشارع أخبرنا بذلك، أما كيف يكون؟ فهذا لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى، وأما أمثال هؤلاء الذين أوردوا مثل هذه الشبهة فيدعون أولاً إلى الإيمان بالله وأنه على كل شيء قدير، فإذا آمنوا بذلك أخبرناهم أن هذا الإله القدير الذي آمنتم به أخبر بوقوع ما سألتكم عنه، وهذا يكفي.

فيقف^(١) على الصراط فيذبح^(٢)، ومحال أن الموت ينقلب^(٣) كبشاً، لأن الموت عرض، وإنما المعنى: أن الله ﷻ يخلق شخصاً يسميه الموت فيذبح بين الجنة والنار، وهكذا كلما ورد عليك في هذا الباب التأويل فيه ما ذكرت لك^(٤) والله أعلم، وسيأتي^(٥) له مزيد بيان إن شاء الله تعالى.

باب^(٦) اختلاف الآثار في سعة القبر على المؤمنين بالنسبة إلى أعمالهم

جاء في البخاري^(٧) ومسلم^(٨): «أنه يفسح^(٩) له سبعون ذراعاً»^(١٠).

(١) في (ع، ظ): فيوقف.

(٢) أخرج نحوه البخاري ١٧٦٠/٤، ح ٤٤٥٣، ومسلم ٢١٨٨/٤، ح ٢٨٤٩.

(٣) في (ع، ظ): أن ينقلب الموت.

(٤) سبق أن رد المصنف في هذا الكتاب ص (٣٧١) على المعتزلة الذين لم يثبتوا عذاب القبر؛ لأنه لم تنقله عقولهم، فرد عليهم بأن الله على كل شيء قدير، وقد أحيا الرجل الذي سُجق بعد أن مات وُذِر في الهواء والماء، وهذا استدلال منه في مكانه بقدرة الله على فعل ما أَرَادَهُ ﷻ، فما الذي يمنع الآن في قدرة الله تعالى أن يجعل من الأعراس جواهر بقدرة سبحانه، فقد أخرج البخاري في صحيحه ١٧٨٤/٤، ح ٤٤٨٢ من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: «أن رجلاً قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟! قال: ليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة»، قال قتادة: بلى وعزة ربنا. اهـ، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، ولكن المصنف تبع في هذه المسألة مذهب الأشاعرة في تأويل ما تعارض مع العقل، وما الأشاعرة من المعتزلة ببعيد الذين ينفون ما تعارض مع عقولهم، وما ذلك إلا تحريف للتصوص ولي لأعناقها لتتفق مع عقول أصحاب التحريف، ولقد أحسن ابن القيم حيث يقول: ينبغي أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان، وقد حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلالة والعدول عن المصواب ما لا يعلمه إلا الله، بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع... وقد تقدم كلامه مفصلاً ص (٣٧٤).

(٥) انظر: ص (٩٢٧).

(٦) في (ظ): باب في.

(٧) في صحيحه ٤٦٢/١، ح ١٣٠٨، وفيه: يفسح له في قبره، من غير لفظ العدد.

(٨) تقدم ص (٣٤٨).

(٩) في (ع): يفتح.

(١٠) في (ظ): أن الله يفسح له سبعين ذراعاً.

وفي الترمذي^(١): «سبعون ذراعاً في سبعين ذراعاً».

وفي حديث البراء: «مد البصر».

وخرج علي بن معبد عن معاذة^(٢) قالت: «قلت لعائشة رضي الله عنها: ألا تخبرينا عن مقبورنا^(٣) ما يلقى وما يصنع به؟ فقالت: إن كان مؤمناً فسح له في قبره أربعون ذراعاً»^(٤).

قلت: وهذا إنما يكون بعد ضيق القبر^(٥)، والسؤال، وأما الكافر: فلا يزال قبره عليه^(٦) ضيقاً، نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

سمعت بعض علمائنا^(٧) يقول: إن حفاراً كان بقرافة مصر يحفر القبور، فحفر ثلاثة أقبر، فلما فرغ منها غشيه النعاس، فرأى فيما يرى النائم ملكين نزلا فوقفا على أحد الأقبر، فقال أحدهما لصاحبه: اكتب فرسخاً في فرسخ، ثم وقفا على الثاني فقال أحدهما: اكتب ميلاً في ميل، ثم وقفا على الثالث فقال: اكتب فترأ^(٨) في فتر^(٩)، ثم انتبه، فجيء برجل غريب لا يؤبه به^(١٠) فدفن في القبر الأول، ثم جيء برجل آخر فدفن في القبر الثاني، ثم جيء بامرأة مترفة من وجوه البلد، حولها ناس كثير، فدفنت في القبر الضيق الذي سعته فترأ في فتر^(١١).

الفتر^(١٢): ما بين الإبهام والسبابة، نعوذ بالله من ضيق القبر وعذابه.

(١) تقدم ص (٣٥٠).

(٢) معاذة بنت عبد الله العدوية، أم الصهباء البصرية، روت عن عائشة وعلي وغيرهما، ماتت سنة ٨٣هـ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ٥١٧/٢ رقم ٧٠٧٩.

(٣) في (الأصل): قبورنا، والتصويب من (ع، ظ).

(٤) لم أجد هذا اللفظ.

(٥) في (ع): وهذا مما يدل أنها تكون بعد ضيق القبر.

(٦) في (ظ): عليه قبره. (٧) لم أفت على القائل.

(٨) انقتر: ما بين طرف السبابة والإبهام إذا فتحهما، الصحاح للجوهري ٧٧٧/٢.

(٩) (الأصل): فدرأ في فدر، والتصويب من (ع، ظ).

(١٠) في (ظ): لا يؤبه له.

(١١) (الأصل): فدرأ في فدر، والتصويب من (ع، ظ).

(١٢) في (الأصل): الفدر، والتصويب من (ع، ظ).

باب ما جاء في عذاب القبر وأنه حق وفي اختلاف عذاب الكافرين في قبورهم وضيقها عليهم

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤]
قال أبو سعيد الخدري^(٢) وعبد الله بن مسعود^(٣) رضي الله عنهما: «ضنكاً»: عذاب القبر.

وقيل في قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الطور: ٤٧] هو:
عذاب القبر^(٤)؛ لأن الله ذكره عقب^(٥) قوله: ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْتَمِتُوا بِمَوْتِهِمْ الَّذِي فِيهِ
يُصْعَقُونَ﴾ [الطور: ٤٥]، وهذا اليوم هو اليوم الآخر من أيام الدنيا، فدل أن
العذاب الذي هم فيه هو عذاب القبر، ولذلك قال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾
[الطور: ٤٧] لأنه غيب، وقال ﷻ: ﴿وَعَاقِبَةُ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأنعام: ١٥] أَنْتَارُ
يَعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٥ - ٤٦]، فهو^(٦) عذاب القبر في [٥٢/أ]
البرزخ وسيأتي^(٧).

وقال ابن عباس^(٨) رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣] ما ينزل عليكم^(٩) من العذاب في القبر ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٤] في الآخرة إذا حل بكم العذاب، فالأول: في القبر، والثاني: في
الآخرة، فالتكرير للمحالتين.

وروى زر بن حبيش عن علي^(١٠) قال^(١١): كنا نشك في عذاب القبر حتى
نزلت هذه السورة: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١] حَتَّى ذُرْتُمُ الْمَقَابِرَ [التكاثر: ٢] كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ
[التكاثر: ٣] ﷻ يعني: في القبور.

(١) (ما جاء في): ليست في (ظ).

(٢) تفسير الطبري ١٦/٢٢٨.

(٣) نسيه ابن جرير الطبري في تفسيره ٣٦/٢٧ - ٣٧، لابن عباس والبراء بن عازب رضي الله عنهما.

(٤) في (ع، ظ): غيب.

(٥) في (ع): فهذا.

(٦) لم أقف على من ذكر قوله.

(٧) (وسياتي): ليست في (ع).

(٨) في (ع): بكم.

(٩) في (ع، ظ): علي رضي الله عنه.

(١٠) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ٣٠/٢٨٤.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: يضيق على الكافر قبره حتى تختلف أضلاعه، وهو المعيشة الضنك^(١).

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتدرون^(٣) فيمن أنزلت هذه الآية: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾؟ أتدرون ما المعيشة الضنك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: عذاب الكافر في القبر، والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليه تسع^(٤) وتسعون حية تنيئاً، أتدرون ما التنيين؟ تسع^(٥) وتسعون حية، لكل^(٦) حية تسعة رؤوس^(٧)، ينفخون^(٨) في جسمه، ويلسعونه^(٩)، ويخدشونه^(١٠) إلى يوم القيامة، ويحشر من قبره إلى موقفه أعمى^(١١).

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة^(١٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون^(١٣) تنيئاً تنهشه وتلدغه^(١٤) حتى تقوم الساعة، لو^(١٥) أن واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبت خضراء».

- (١) رواه ابن جرير الطبري ٢٢٨/١٦. (٢) في (ظ): أن.
- (٣) في (ع): قال أتدرون.
- (٤) في (الأصل): و(ع): تسعة، وما أثبتته من (ظ)؛ لأن المعدود مؤنث فيذكر معه المعدد في هذه الحالة.
- (٥) في (الأصل): و(ع): تسعة، وما أثبتته من (ظ).
- (٦) في (ظ): في كل.
- (٧) في (ع): رؤوس.
- (٨) في (ع، ظ): ينفخن.
- (٩) في (ع): يلسعته، وفي (ظ): تلسعه.
- (١٠) في (ع): يخدشه وفي (ظ): نخدشه.
- (١١) ذكره نحوه الطبري في تفسيره ٢٢٧/١٦ - ٢٢٨.
- (١٢) ذكره في مصنفه ٥٨/٧، ح ٣٤١٨٧، وابن حبان في صحيحه ٣٩١/٧، ح ٣١٢١، وأحمد في مسنده ٣٨/٣، ح ١١١٣٥، وفي سننه دراج أبو السمح، قال فيه النسائي: ليس بالقوي، الضعفاء والمشركين للنسائي ٣٩/١، وقال الإمام أحمد فيه: أحاديثه مناكير، انظر: الضعفاء للعقيلي ٤٣/٢.
- (١٣) في (الأصل): تسعين، وما أثبتته من: (ع، ظ، ومصنف ابن أبي شيبة).
- (١٤) في (ع): تنهشه وتلدغه.
- (١٥) في (ع، ابن أبي شيبة): ولو.

وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص موقوفاً: «ثم يؤمر به يعني الكافر فيضيق عليه قبره، وترسل عليه حيات كأمثال أعناق البخت فتأكل لحمه حتى لا تذر على عظمه لحماً، وترسل عليه ملائكة صم عمي فيضربونه^(١) بفظاطيس لا يسمعون صوته فيرحمونه ولا يبصرونه فيرحمونه ولا يخطئون حين يضربونه، يعرض عليه مقعده من النار بكرة وعشياً يدعو بأن يدوم عليه ذلك ولا يخلص إلى النار^(٢)»^(٣).

فصل

لا تظن رحمك الله أن هذا يعارض الحديث^(٤) المرفوع: «أنه يسלט على الكافر أعمى أصم»، فإن أحوال الكفار تختلف، فمنهم من يتولى عقوبته واحد ومنهم من يتولى عقوبته جماعة.

وكذلك لا تناقض^(٥) بين هذا وبين أكل الحيات لحمه^(٦)، فإنه يمكن أن يتردد ما^(٧) بين هذين العذابين كما قال تعالى: ﴿هَلْ يُرَىٰ فِي سَعْيِهِمْ مَرْهَاتٌ يَكْفُرُونَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الرحمن: ٤٣، ٤٤]، فمرة يطعمون الزقوم، وأخرى يسقون الحميم، ومرة يعرضون على النار، وأخرى على الزمهرير، أجارنا الله من عذاب النار، ومن عذاب القبر بمتة وكرمه^(٨)، وآخر يفرش له لوحان من نار، وآخر يقال له: «نم نومة المنهوس»^(٩) كما أخرجه علي بن معبد عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً قال: إذا وضع الميت في قبره أتاه آت من ربه فيقول له: من ربك؟ فإن كان من أهل التثبيت ثبت وقال: الله

(١) من هذا الموضع إلى قوله: «ولا يخلص إلى النار» ليس في (ع، ظ).

(٢) من قوله: لا يسمعون صوته... إلى هذا الموضع ليس في (ع، ظ).

(٣) قال الهيثمي في المجمع ٢٣٢٨: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات، ولم أجد في معجم الطبراني الثلاثة.

(٤) في (ظ): معارض للحديث.

(٥) في (ع، ظ): لذلك فلا تناقض.

(٦) لحمه): ليست في (ظ).

(٧) (ما): ليست في (ع، ظ).

(٨) في (ع): برحمته وكرامته، وفي (ظ): برحمته وكرمه.

(٩) في (ع): المنهوس.

[ربي] ^(١)، ثم يقال له: ما دينك؟ فيقول: الإسلام، فيقول من نبيك؟ فيقول: محمد ﷺ، فيرى بشره ويبشّر، فيقول: دعوني ^(٢) أرجع [٥٢/ب] إلى أهلي فأبشّره، فيقال له: ثم قرير العين، إن لك إخواناً لم يلحقوا. وإن كان من غير أهل الحق والتبیت قيل له: من ربك؟ فيقول: هاه كالثواله ^(٣)، ثم يضرب بمطارق يسمع صوته الخلق إلا الجن والإنس، ويقال له: تم كنومة المنهوس ^(٤) ^(٥).

قال أهل اللغة: المنهوس بالسین المهملة: الملسوع ^(٦)، نهسته ^(٧) الحية ^(٨)، قال الراجز ^(٩):

وذا قرنين طحون الضرس
تنهس لو تمكنت من نهس
تدير عيناً كشهاب القبس

والملسوع مرة يتبه لشدّة الألم عليه، ومرة ينام كالمغنى عليه.
وقال النابغة ^(١٠):

فبتُّ كأني ساورتني ^(١١) ضئيلة ^(١٢) من الرقش ^(١٣) في أنيابها السم نافع

- (١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
- (٢) في (ظ): دعني.
- (٣) الوله: ذهاب العقل، الصحاح ٢٢٥٦/٦.
- (٤) في (ع): المنهوس.
- (٥) ذكر نحوه الربيع بن حبيب الأدي في مسنده ص (٣٧٤).
- (٦) والنهس أخذ اللحم بأطراف الأسنان، النهاية ١٣٦/٥.
- (٧) في (الأصل): نهسته، والتصويب من (ع، ظ).
- (٨) في (ع): نهسته الحية نهشة، وفي (ظ): نهسته الحية نهسة.
- (٩) ذكر هذه الأبيات الجوهري في الصحاح ٩٨٧/٣، ولم ينسبها لأحد.
- (١٠) زياد بن معاوية بن ضباب، نابغة بني ذبيان، يكنى بأبي أمامة، توفي سنة ١٨ ق.هـ، انظر: طبقات فحول الشعراء للجمحي ٥١/١، والأعلام للزركلي ٥٥/٣.
- (١١) ساور: وثب، الصحاح ٦٩٠/٢.
- (١٢) الضئيلة: الحية الدقيقة، الصحاح ١٧٤٧/٥.
- (١٣) حية رقشاء: بها نقط سواد وبياض، الصحاح ١٠٠٧/٣.

يسهد من ليل التمام سليمها كحلي النساء في يديه قعاقع^(١)
بيادرها^(٢) الراقون من سوء سمها تطلقه طوراً وطوراً تراجع^(٣)

باب منه في عذاب الكافر في قبره

ذكر الوايلي الحافظ في كتاب الإبانة^(٤): من حديث مالك بن مغول عن نافع عن ابن عمر قال: بينا أنا أسير بعجنيات^(٥) بدر إذ خرج رجل من الأرض في عنقه سلسلة يمسك طرفها أسود، فقال: يا عبد الله اسقني، فقال ابن عمر: ولا^(٦) أدري، أعرف اسمي، أو كما يقول الرجل^(٧): يا عبد الله^(٨)، فقال لي الأسود: لا تسقه فإنه كافر، ثم اجتذبه، فدخل الأرض، قال ابن عمر رضي الله عنه: فأنيت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: «أَوْقَدْ رأيتَه؟ ذاك^(٩) عدو الله أبو جهل بن هشام، وهو عذابه إلى يوم القيامة»^(١٠).

باب ما يكون في عذاب القبر واختلاف أحوال العصاة^(١١)

بحسب اختلاف معاصيهم

أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أكثر عذاب القبر في البول»^(١٢).

(١) القعاقع: تنبع أصوات الرعد، انصاح ١٢٦٩/٣.

(٢) في (ع): تبادرها، وفي (ظ): تبادر، وفي (الديوان): تنازرها.

(٣) ديوان النابعة الذياني ص ٣٣ - ٣٤، دار المعارف، الطبعة الثانية.

(٤) في (ع): الإبانة له. (٥) في (ع): في جنات.

(٦) في (ع، ظ): لا. (٧) (الرجل): ليست في (ظ).

(٨) في (ع، ظ): يا عبد الله اسقني. (٩) في (ع): ذلك، وفي (ظ): هذا.

(١٠) رواه الطبراني في الأوسط ٣٣٥/٦، ح ٦٥٦٠؛ والبيهقي في عذاب القبر ص (١٣٥)، دار الآفاق عمان؛ وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه من لم أعرفه، مجمع الزوائد ٨١/٦.

قلت: ومما يضعف الحديث ما جاء في مثته من خروج الموتى قبل يوم البعث، وكذلك طلب الميت شرب الماء وإنما هو في الدنيا لأحياء.

(١١) في (ع، ظ): العصاة فيه.

(١٢) أخرجه أحمد في المسند ٣٢٦/٢، ح ٨٣١٣؛ وقال الهيثمي: رواه البزار وفيه =

البخاري: ^(١) ومسلم ^(٢): عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ على قبرين فقال: إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما: فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر: فكان لا يستتر من بوله ^(٣)، فدعا بعسيب رطب فشقه باثنين ^(٤) ثم غرس على هذا واحداً، وعلى هذا واحداً، ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبساً.

في رواية: «كان لا يستتر عن البول، أو من البول»، رواها ^(٥) مسلم ^(٦).
وفي كتاب أبي داود ^(٧): «كان لا يستتره [١/٥٣] من بوله» ^(٨).
وفي حديث ^(٩) هناد بن السري ^(١٠): «لا يستبرئ من البول» من الاستبراء.
وقال البخاري ^(١١): «وما يعذبان في كبير وإنه لكبير».
وخرجه أبو داود الطيالسي ^(١٢): عن أبي بكر رضي الله عنه قال: بينا أنا أمشي

- = رشيد بن كريب وهو ضعيف، مجمع الزوائد ١٠/١٨٨، ولم أجد هذا الحديث في مصنف ابن أبي شيبة ولا مستد البزار.
- (١) في صحيحه ١/٤٥٨، ح ١٢٩٥.
- (٢) في صحيحه ١/٢٤٠، ح ٢٩٢ واللفظ لمسلم.
- (٣) في (ع، ظ): من البول، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.
- (٤) في (الأصل): باثنين، والتصويب من (ع، ظ، مسلم).
- (٥) في (الأصل): رواهما، والتصويب من (ع، ظ).
- (٦) في صحيحه ١/٢٤١، ح ٢٩٢.
- (٧) في (ع): كتاب أبي داود الطيالسي، والحديث لم أجد في مسند الطيالسي.
- (٨) المسجستاني في السنن ١/٦١، ح ٢٠؛ وأخرجه النسائي في المجتبى ١/٣٠، ح ٤٣١؛ وابن ماجه في سننه ١/١٢٥، ح ٣٤٧؛ وابن حبان في صحيحه ٣/١٠٧، ح ٨٢٤، وصححه الألباني انظر: صحيح سنن ابن ماجه ١/٦١، ح ٢٧٧.
- (٩) في (ظ): وفي كتاب.
- (١٠) في زهده ١/٢١٦، ح ٣٥٧؛ وابن جرير الطبري في كتابه صريح السنة ٢/٢٩، ح ٤٠.
- (١١) في صحيحه ٥/٢٢٥٠، ح ٥٧٠٨.
- (١٢) في مسنده ص (١١٧)، ح ١٨٦٧؛ وأحمد في مسنده ٥/٣٩، ح ٢٠٤٢٧؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٣/٥٢، ح ١٢٠٤٣.

مع رسول الله ﷺ ومعني رجل، ورسول الله ﷺ بيننا^(١) إذ أتى على قبرين فقال رسول الله ﷺ: «إن صاحبي هذين القبرين ليعذبان^(٢) الآن في قبورهما، فأيكما يأتيني من هذا النخل بعسيب؟ فاستبقت أنا وصاحبي فسبقته وكسرت^(٣) من النخل عسيباً فأتيت به النبي به^(٤)، فشقه نصفين^(٥) من أعلاه، فوضع على أحدهما نصفاً، وعلى الآخر نصفاً، وقال: إنه يهون عليهما ما دام فيهما من بلوتهما شيء، إنهما يعذبان في الغيبة والبول».

قال المؤلف: هذا الحديث، والذي قبله يدل على أن التخفيف إنما هو بمجرد نصف العسيب ما دام رطباً لا زيادة معه^(٦).

وقد خرج مسلم^(٧) من حديث جابر الطويل وفيه: «فلما انتهى إلي، قال: يا جابر هل رأيت مقامي؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال^(٨): فانطلق إلي الشجرتين فاقطع من كل واحدة منهما غصناً فأقبل بهما حتى إذا قمت مقامي فأرسل غصناً عن يمينك وغصناً عن يسارك^(٩)، قال جابر: فقامت فأخذت حجراً فكسرتة وحسرتة فاندلق^(١٠) لي، فأتيت الشجرتين^(١١) فقطعت من كل واحدة منهما غصناً ثم أقبلت أجرهما حتى قمت مقام رسول الله ﷺ أرسلت غصناً عن يميني وغصناً عن شمالي^(١٢) ثم لحقت فقلت: قد فعلت ذلك^(١٣) يا رسول الله، فعم ذلك^(١٤)؟ فقال: إني مررت بقبرين يعذبان فأحببت بشفاعتي أن يرفقه عنهما، ما دام الغصنان رطبين».

(١) (بيننا): ليست في (ظ).

(٣) في (ع): فكسرت.

(٤) (به): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع الطيالسي.

(٥) في (ع): بنصفين. (٦) (معه): ليست في (ظ).

(٧) في صحيحه ٢٣٠١/٤ - ٢٣٠٧، ح ٣٠٠٦.

(٨) (قال): ليست في (ظ). (٩) في (ظ): شمالك.

(١٠) الاندلاق: خروج الشيء من مكانه، النهاية ١٣٠/٢.

(١١) في (الأصل): الشجرة: وهو تحريف، والتصويب من (ع، ظ، مسلم).

(١٢) في (ع، مسلم): يساري. (١٣) في (ع، ظ): ذلك.

(١٤) في (ع، ظ): ذلك، والأصل متوافق مع صحيح مسلم.

ففي هذا الحديث زيادة على رطوبة الغصن، وهي شفاعته ﷺ، والذي يظهر لي^(١) أنهما قضيتان مختلفتان لا قضية واحدة كما قال من تكلم على ذلك، يدل عليهما سياق الأحاديث، فإن في حديث ابن عباس وأبي بكرة: عسيباً واحداً شقه النبي ﷺ بيده نصفين، وغرسهما بيده، وحديث جابر بخلافهما ولم يذكر فيه ما يعذب بسببه.

وقد خرج أبو داود الطيالسي^(٢): حديث ابن عباس فقال: حدثنا شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أتى على قبرين فقال: «إنهما ليعذبان في كبير»^(٣) أما أحدهما: فكان^(٤) يأكل لحوم الناس، وأما الآخر: فكان صاحب نميمة، ثم دعا بجريدة فشقها نصفين، فوضع نصفها^(٥) على هذا القبر، ونصفها على هذا القبر^(٦)، وقال: عسى أن يخفف عنهما ما دامت رطبتين^(٧)».

ثم قيل: يجوز أن يكونا كافرين، وقوله: «إنهما يعذبان»^(٨) في كبير يريد بالإضافة إلى الكفر والشرك، وإن كانا مؤمنين: فقد أخبرك أنهما يعذبان لشيء كان منهما ليس بكفر، لكنهما^(٩) لم يتوبا منه، وإن كانا كافرين: فهما معذبان^(١٠) في هذين الذنبتين زيادة على عذابهما بكفرهما وتكذيبهما، وجمع خطاياهما، وأن يكونا كافرين أظهر والله أعلم [٥٣/ب]، وأنهما^(١١) ولو كانا

(١) (ل): ليست في (ع).

(٢) في مسنده ص (٣٤٤)، ح ٢٦٤٦؛ والطبراني في الأوسط ٢/٤١، ح ٢٣١٣؛ وعبد الرزاق في مصنفه ٣/٥٨٨، ح ٦٧٥٣؛ قال الهيثمي: رواه الطبراني وأحمد وفيه عاصم بن بهدلة وفيه ضعف وبقي رجاله ثقات، مجمع الزوائد ٨/٩٣.

(٣) في (ظ، الطيالسي): في غير كبير. (٤) في (ع): كان.

(٥) (نصفها): ليست في (ع). (٦) في (ع): وعلى الآخر.

(٧) في (ع): رطبتين، والأصل متوافق مع (ظ، والطيالسي).

(٨) في (ع، ظ): ليعذبان.

(٩) في (ع): لكن هما.

(١٠) في (ع، ظ): يعذبان.

(١١) من هذا الموضع وإلى نهاية ل ٥٤/أ، بياض في أغلب الكلمات، وتوضيحها من (ع، ظ، ومصادر المؤلف).

مؤمنين^(١) لَعَلِمَا لقرب العهد بتدافن المسلمين يومئذٍ قاله: ابن بَرَّجان^(٢) في كتاب الإرشاد الهادي إلى التوفيق والسداد^(٣).

قلت: والأظهر أنهما كانا مؤمنين وهو ظاهر الأحاديث، والله أعلم.

الطحاوي^(٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أمرَ بعبدٍ من عباد^(٥) الله أن يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل الله ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلاً قبره عليه ناراً، فلما ارتفع عنه أفاق فقال: علام جلدتموني؟^(٦) قال: إنك صليت صلاة بغير ظهور، ومررت على مظلوم فلم تنصره»^(٧).

البخاري^(٨) عن سمرة بن جندب قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه^(٩) فقال: «من رأى منكم الليلة رؤياً؟ قال: فإن رأى أحد رؤياً قصتها، فيقول ما شاء الله، فسألنا يوماً فقال: هل رأى أحد منكم رؤياً؟ قلنا: لا، قال: لكنني^(١٠) رأيت الليلة رجلين أتياي فأخذنا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كُلوْب^(١١) من حديد يدخله في شدقه حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك ويلتشم شدقه هذا

(١) من هذا الموضع وإلى قوله: في كتاب الإرشاد، قطع في (ع).

(٢) عبد السلام بن عبد الرحمن النخعي الأشبيلي، أبو الحكم، معروف بابن بَرَّجان، من أهل القراءات واللغة: وله كتاب الإرشاد في علم التفسير، مات سنة ٦٢٧هـ، سير أعلام النبلاء ٢٢/٣٣٤؛ كشف الظنون لحاجي خليفة ٦٩/١.

(٣) الكتاب مخطوط انظر: ص (٥٩). (٤) (الطحاوي): ليست في (ظ).

(٥) في (ظ): عبيد. (٦) في (ظ): جلدتني.

(٧) في شرح مشكل الآثار له ٨/٢١٢، ح ٣١٨٥، قال الأرنؤوط: إسناده حسن، ورجاله رجال الصحيح غير عاصم فهو ابن أبي النجود، وهو صدوق، انظر: حاشية المرجع السابق؛ وأورده ابن عبد البر في التمهيد ٤/٢٣٩، و٢٢/٢٩٩؛ والمنذري في الترغيب والترهيب ٣/١٣٢.

(٨) في صحيحه ١/٤٦٦، ح ١٣٢٠. (٩) في (ظ): بوجهه الكريم.

(١٠) في (ظ): ولكني.

(١١) الكُلوْب: المنشال، وانجم كلاليب، النصحاح ١/٢١٤.

حتى يعود^(١)، فيصنع مثله، قلت: ما هذا؟! قال^(٢) انطلق، فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على فقاو ورجل قائم على رأسه بفهر^(٣) أو صخرة فيشدخ^(٤) بها رأسه، فإذا ضربته تدهده^(٥) الحجر فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه، قلت: ما هذا؟! قال: انطلق، فانطلقنا إلى نقيب^(٦) مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته نار، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراة، فقلت: ما هذا؟! قال: انطلق، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة^(٧) فأقبل الرجل الذي في النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر^(٨) في^(٩) فيه فرده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان، فقلت: ما هذا؟! قال: انطلق، فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان وإذا رجل قريب من^(١٠) الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بي الشجرة وأدخلاني داراً لم أر قط أحسن منها فيها شيوخ وشباب ونساء وصبيان ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل فيها شيوخ وشباب، قلت: طوفتmani الليلة فأخبراني عما رأيت، قال: نعم، الذي رأيت يشق شذقه فكذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة، والذي رأيت يُشدخ رأسه^(١١)

(١) (حتى يعود): ليست في (ظ).

(٢) في (ظ): قال.

(٣) الفهر: الحجر ملء اليد، الصحاح ٧٨٤/٢.

(٤) الشدخ: كسر الشيء الأجوف، النهاية ٤٥١/٢.

(٥) تدهده: تدحرج وسقط، النهاية ٩٥/٢.

(٦) في (البخاري): نقيب.

(٧) في البخاري: حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر، قال يزيد

ووهب بن جرير عن جرير بن حازم: وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة...

(٨) في (ظ): رماه الرجل بحجر.

(٩) من هذا الموضع إلى قوله: بحجر، ساقط من (ظ).

(١٠) في (ظ): وجهه.

(١١) (من): ليست في (ظ).

فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار فيفعل^(١) به إلى يوم القيامة، وأما الذي رأيت في الثقب فهم الزناة، والذي^(٢) رأيت في النهر آكل الربا، والشيخ^(٣) في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام والمصبيان حوله فأولاد الناس، والذي يوقد النار مالك خازن النار، والدار الأولى دار عامة المؤمنين [٥٤/١]، وأما هذه الدار فدار الشهداء وأنا جبرائيل وهذا ميكائيل فارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا فوقي^(٤) مثل السحاب، قال: ذلك^(٥) منزلك، فقلت: دعاني أدخل منزلي، قال^(٦): إنه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملته أتيت منزلك».

فصل

قال علماؤنا^(٧) رحمة الله عليهم: لا أبين^(٨) في حال المعذبين في قبورهم من حديث البخاري هذا، وإن كان مناماً فمنامات الأنبياء عليهم السلام وحي بدليل قول إبراهيم عليه السلام: ﴿بَيْتِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَارِ إِنِّي أَذْبَحُكَ﴾ فأجابه ابنه: ﴿يَتَأْتِي أَفْعَلُ مَا نُؤْمَرُ﴾ [الصفات: ١٠٢]، وأما حديث الطحاوي فنص أيضاً، وفيه رد على الخوارج ومن يكفر بالذنوب.

قال الطحاوي^(٩): وفي هذا^(١٠) ما يدل على أن تارك الصلاة ليس بكافر^(١١)؛ لأن من صلى^(١٢) بغير ظهور فلم يصل، وقد أجيبت دعوته ولو كان

(١) في (ع): يفعل.

(٢) في (ظ): والشيخ الذي.

(٣) في (الأصل): فوق رأسي، وما أتته من (ع، ظ، البخاري).

(٤) في (ع، ظ): ذلك.

(٥) في (ع): قال.

(٦) لم أقف على القائل.

(٧) من هذا الموضع وإلى قوله: فمنامات، قطع في (ع).

(٨) في شرح مشكل الآثار له ٢١٢/٨ - ٢١٣، وذكر قول الطحاوي ابن عبد البر في

التمهيد ٢٣٩/٤.

(٩) في (ع، ظ): وفيه.

(١٠) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وتكفير تارك الصلاة هو المشهور المأثور عن جمهور السلف من الصحابة والتابعين، ومورد النزاع هو فيمن أقر بوجوبها والتزم فعلها ولم يفعلها، وأما من لم يقر بوجوبها فهو كافر باتفاقهم، انظر: مجموع الفتاوى ٩٧/٢٠.

(١٢) في (ع، ظ): صلى صلاة.

كافراً ما سمعت دعوته؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَمَا دَعَا الْكَاذِبِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤]، وأما حديث البخاري ومسلم فيدل على أن الاستبراء من البول، والتنزه عنه واجب، إذ لا يعذب الإنسان إلا على ترك الواجب، وكذلك إزالة جميع النجاسات قياساً على البول وهو قول أكثر العلماء^(١)، وبه قال ابن وهب^(٢) ورواه عن^(٣) مالك وهو الصحيح في الباب، ومن صلى ولم يستبر فقد صلى بغير طهور.

تنبيه على غلط: ذكر بعض أصحابنا فيما نقل إلينا عنه: أن القبر الذي غرس عليه ﷻ^(٤) العسيب هو قبر سعد بن معاذ ﷻ، وهذا باطل لا يصح، وأما الذي صح^(٥): أن القبر ضغطه كما ذكرنا ثم فرج عنه، وكان سبب ذلك ما رواه يونس بن بكير^(٦) عن محمد بن إسحاق قال: حدثني أمية بن عبد الله أنه سأل بعض أهل سعد ما بلغكم في قول رسول الله ﷻ هذا؟ قال: دُكِرَ لنا أن رسول الله ﷻ سئل عن ذلك فقال: «كان يقصر في بعض الطهور من البول»^(٧).

وذكر هناد بن السري^(٨): ثنا ابن فضيل عن أبي سفيان عن الحسن قال:

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر ٢٢/٢٣٨؛ وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد ١/٥٤.
(٢) عبد الله بن وهب بن مسلم، القرشي مولا لهم، قال محمد بن الحكم: هو أثبت الناس في مالك، توفي بمصر سنة ١٩٧هـ، انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للنقاضي عياض.

(٣) (عن): ليست في (ظ). (٤) في (ع، ط): النبي ﷻ.

(٥) في (ع، ط): وهذا باطل، وإنما صح.

(٦) في (الأصل، ظ): بكر، والتصويب من (ع، والتقريب) ففي التقريب ص (٦١٣) رقم ٧٩١٠: يونس بن بكير بن واصل الشيباني، كوفي صدوق يخطئ.

(٧) رواه البيهقي في شعب الإيمان له ١/٣٥٨؛ وذكره الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار ٤/٢٠٤.

(٨) في زهده ١/٢١٥، ح ٣٥٧. قال ابن حجر: تنبيه؛ لم يعرف اسم المقبورين ولا أحدهما، والظاهر أن ذلك كان على عمد من الرواة؛ لقصد السر عليهما، وهو عمل مستحسن، ويتبغي أن لا يبالغ في الفحص عن تسمية من وقع في حقه ما يذم به، وما حكاه القرطبي في التذكرة وضعفه عن بعضهم أن أحدهما سعد بن معاذ، فهو قول =

أصاب سعد بن معاذ جراحة فجعله النبي ﷺ عند امرأة تداويه فمات من الليل فأتاه جبريل فأخبره فقال: إنه مات^(١) من^(٢) الليلة فيكم رجل لقد اهتز العرش لحب لقاء الله إياه، فإذا هو سعد بن معاذ^(٣)، قال: فدخل رسول الله ﷺ في قبره^(٤) فجعل يكبر ويهلل ويسبح، فلما خرج قيل له^(٥): يا رسول الله ما رأيناك صنعت هكذا^(٦) قط؟ قال: إنه ضمه القبر^(٧) ضمة حتى صار مثل الشعرة فدعوت الله أن يرفه^(٨) عنه وذلك أنه كان لا يستبرئ من البول^(٩).

وقال السالمي أبو محمد عبد الغالب^(١٠) في كتابه: وأما الأخبار في عذاب القبر فبالغة مبلغ الاستفاضة، منها: قوله ﷺ في سعد بن معاذ: «لقد ضغطته الأرض ضغطة تختلف^(١١) لها ضلوعه»، قال أصحاب رسول ﷺ^(١٢)

= باطل لا ينبغي ذكره إلا مقروناً ببيانه، وما يدل على بطلان الحكاية المذكورة أن النبي ﷺ حضر دفن سعد بن معاذ كما ثبت في الحديث الصحيح، وأما قصة المقبورين ففي حديث أبي أمامة عند أحمد أنه ﷺ قال لهم: «من دفنتم اليوم ههنا فدل على أنه لم يحضرهما»، وإنما ذكرت هذا ذنباً عن هذا السيد الذي سماه النبي ﷺ سيداً وقال لأصحابه: «قوموا إلى سيدكم»، وقال: «إن حكمه قد وافق حكم الله»، وقال: «إن عرش الرحمن اهتز لموته»، إلى غير ذلك من مناقبه الجليلة خشية أن يغتر نافع العلم بما ذكره القرطبي فيعتقد صحة ذلك وهو باطل، فتح الباري ١/ ٣٢٠ - ٣٢١.

(١) في (ع، ظ): لقد مات.

(٢) (من): ليست في (ع).

(٣) (بن معاذ): ليست في (ع).

(٤) (له): ليست في (ظ).

(٥) في (ع، ظ): ضم في قبره.

(٦) (من): ليست في (ع).

(٧) (في قبره): ليست في (ظ).

(٨) (له): ليست في (ظ).

(٩) في (ع، ظ): ضم في قبره.

(١٠) قال ابن الجوزي: هذا حديث مقطوع، وحوشي سعد أن يُقصر فيما يجب عليه من

الطهارة، انظر: الموضوعات ٣/ ٥٤٥، ح ١٧٧٣ - والتحويش: التحويل وتحوش القوم

عني: تنحوا عني، ولعل المراد إبعاد من ذكر في سعد وتنحيته عنه، انظر: لسان

العرب ٦/ ٢٩١ - قلت: وأبو سفيان المذكور في السند هو: طريف بن شهاب

السعدي، قال عنه النسائي: متروك الحديث، انظر: الضعفاء والمتروكين ص (٦٠) رقم

٤٣١٨ وقال ابن حبان: كان شبيخاً مغفلاً، يهم في الأخبار حتى يقلبها، ويروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات. المعجروحين ص (٣٨١) رقم ٥١٦.

(١٠) لم أجد من ذكره أو ذكر كتابه.

(١١) في (ع): اختلفت.

(١٢) (لفظ الجلالة): ليس في (ظ).

فلم ينقم من أمره شيئاً إلا أنه كان لا يستبرئ^(١) في أسفاره من البول.

قلت: [ب/٥٤] فقله ﷺ: «ثم فرّج عنه»، دليل على أنه جوزي على ذلك التقصير منه^(٢)، لا أنه يعذب بعد ذلك في قبره هذا لا يقوله أحد إلا شك مرتاب في فضله وفضيلته، ونصحته ونصيحته ﷺ، أتى من اهتز له عرش الرحمن، وتلفت روحه الملائكة الكرام فرحين بقدمها عليهم، ومستبشرين بوصولها إليهم يعذب في قبره بعد ما فرّج عنه هيهات هيهات لا يظن ذلك إلا جاهل بحقه، غبي بفضيلته وفضله ﷺ وأرضاه، وكيف يظن ذلك وقضائه شهيرة، ومناقبه كثيرة خرّجها البخاري^(٣) ومسلم^(٤) وغيرهما^(٥)، وهو الذي أصاب حكم الرحمن في بني قريظة من فوق سبع سماوات، أخبر بذلك رسول الله ﷺ في البخاري^(٦) ومسلم^(٧) وغيرهما^(٨).

باب منه

البيهقي^(٩) عن الربيع بن أنس عن أبي العالبيه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ في هذه الآية: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الإسراء: ١] قال: أتى^(١٠) بفرس فحمل عليه، قال: كل خطوة منتهى أقصى بصره، فسار

(١) في (ع): يستبرئ.

(٢) يفهم من عبارة المصنف تلك أنه سلم أن سعد بن معاذ ﷺ كان يقصر في الطهارة ولا يستبرئ من البول، وهذا هو محل النقص الذي يستوجب الدفاع عن هذا الصحابي الجليل، لا الدفاع عن استمرار العذاب عليه كما في عبارة المصنف التي بعدها.

(٣) في صحيحه ١٣٨٣/٣. (٤) في صحيحه ١٩١٥/٤.

(٥) أبو داود في السنن ١٥٤/٣ وابن ماجه ١٥٥/١ والبيهقي في السنن الكبرى ٦٣/٩.

(٦) في صحيحه ١٥١١/٤، ح ٣٨٩٥.

(٧) ١٣٨٨/٣، ح ١٧٦٨.

(٨) أخرجه ابن حبان في صحيحه ١٠٩/١١، ح ٤٧٨٨، ٥١٠/١٥، ح ٧٠٢٨.

(٩) في دلائل النبوة ومعرفة أحوال أصحاب الشريعة ٣٩٧/٢.

(١٠) في (ع): ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ السَّمَاءِ الْكَرْبِ﴾ وفي (ظ): ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾.

(١١) في (ظ): فأني.

وسار معه جبريل عليه السلام فأتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم، كلما حصدوا عاد كما كان، فقال: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: المهاجرون^(١) في سبيل الله يضاعف لهم الحسنه بسبعمائه ضعف^(٢): ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الْكَافِرِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، ثم أتى على قوم ترسخ رؤوسهم بالصخر^(٣) كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم شيء من ذلك، فقال: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين تتناقل رؤوسهم عن^(٤) الصلاة، قال: ثم أتى على قوم على أقبالهم رفاع وعلى أدبارهم رفاع يسرحون كما تسرح^(٥) الأنعام عن الضريع والزقوم، ورضف^(٦) جهنم وحجارتها، قال: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال: الذين^(٧) لا يؤدون صدقات أموالهم، وما ظلمهم الله، وما الله بظلام للعبيد، ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم في قدر نضيج، ولحم آخر خبيث فجعلوا يأكلون من الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال: يا جبريل من هذا^(٨)؟ قال: هذا الرجل^(٩) يقوم وعنده امرأة حلالاً طيباً فيأتي المرأة الخبيثة فبيت معها^(١٠) حتى يصبح، ثم أتى على خشبة على^(١١) الطريق لا يمر بها شيء إلا قصفته، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُنُسِ صِرَاطِ تُوْعَدُونَ﴾ [الأعراف: ٨٦]، ثم مر على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يريد^(١٢) أن يزيد عليها^(١٣)، قال: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا رجل من أمتك عليه أمانة لا يستطيع أداءها وهو يزيد عليها، ثم أتى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم شيء من

(١) في (ع): هؤلاء المهاجرون. (٢) (ضعف): ليست في (ع، ظ).

(٣) (بالصخر): ليست في (ع).

(٤) في (الأصل): عند، والتصويب من (ع، ظ، دلائل النبوة).

(٥) في (الأصل): يرحون كما ترخ، والتصويب من (ع، ظ، دلائل النبوة).

(٦) الرضف: الحجارة المحماة، الصحاح ٤/١٣٦٥.

(٧) في (ع، ظ): هؤلاء الذين. (٨) في (ع، ظ): هؤلاء.

(٩) في (ع): هذا الرجل الذي. (١٠) في (ظ): فبيت معها.

(١١) في (ع): في. (١٢) (يريد): ليس في (ظ).

(١٣) من هذا الموضع وإلى قوله: يزيد عليها، ساقط من (ظ).

ذلك، قال: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء^(١) خطباء الفتنة، ثم أتى على جحر صغير يخرج منه نور عظيم فجعل النور يريد أن يدخل من حيث خرج ولا يستطيع، قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل من أمتك^(٢) يتكلم [٥٥/أ] بالكلمة فيندم عليها فيريد أن يردّها فلا يستطيع^(٣) وذكر الحديث.

وخرج^(٤) من حديث أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه عن النبي ﷺ^(٥) أنه^(٦) قال له أصحابه: يا رسول الله، أخبرنا عن ليلة أسرى بك، الحديث وفيه قال: فصعدت أنا وجبريل فإذا أنا^(٧) بملك يقال له إسماعيل وهو صاحب سماء الدنيا وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنده مائة ألف ملك، قال: وقال الله تعالى: ﴿وَمَا يَفْقَهُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المقدر: ٣١]، فاستفتح جبريل^(٨) فإذا أنا بآدم كهينته يوم خلقه الله تعالى على صورته تعرض عليه^(٩) أرواح ذريته المؤمنين فيقول: روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول: روح خبيثة ونفس خبيثة^(١٠) اجعلوها في سجين، ثم مضيت هنية^(١١) فإذا أنا بأخونة يعني بالخوان^(١٢) المائدة التي يؤكل عليها^(١٣)، عليها^(١٤) لحم مشرّح^(١٥) ليس يقربها أحد فإذا أنا بخوانة

(١) هؤلاء: ليست في (ظ).

(٣) رواه الطبري في تفسيره ٦/١٥، قال ابن كثير في تفسيره ٢٢/٣: هذا الحديث في بعض ألفاظه غرابة ونكارة شديدة، وفيه شيء من حديث المشام من رواية سمرة بن جندب في المنام الطويل عند البخاري ويشبه أن يكون مجموعاً من أحاديث شتى أو منام أو قصة أخرى غير الإسراء، والله أعلم.

(٤) أي البيهقي في دلائل النبوة ٢/٣٩٠. (٥) في (ع): رسول الله.

(٦) (أنه): ليست في (ظ). (٧) (أنا): ليست في (ظ).

(٨) في (ع، ظ): فاستفتح جبريل ثم قال.

(٩) من هذا الموضع وإلى قوله: تعرض عليه، ساقط من (ظ).

(١٠) (ونفس خبيثة): ليست في (ظ).

(١١) أقام هنية أي قليلاً من الزمان، وهو تصغير هنة، ويقال: هنية، النهاية ٥/٢٧٩.

(١٢) في (الأصل، ظ): بالأخوان، والتصويب من (ع، مصدر المصنف).

(١٣) من هذا الموضع وإلى قوله، أخرى عليها، ساقط من (ظ).

(١٤) (عليها): ليست في (ع). (١٥) في (ع): مشروح.

أخرى عليها لحم قد أروح وتن^(١) عندها ناس يأكلون منها، قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من^(٢) أمتك يتركون الحلال ويأكلون^(٣) الحرام، قال: ثم مضيت هنية فإذا أنا بأقوام^(٤) بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر يقول: النهم لا تقم الساعة قال: وهم على سابلة آل فرعون، قال: فتجيء السابلة فتظوهم، قال: فسمعتهم يضجون إلى الله تعالى قلت^(٥): يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِينَ يَخْتَبِعُونَ الشَّيْطَانَ مِنَ الْمَمِينِ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، قال: ثم مضيت هنية فإذا أنا بقوم مشافرههم كمشافر الإبل قال: فيفتح على أفواههم ويلقمون^(٦) ذلك الجمر ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يضجون إلى الله تعالى، قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، قال: ثم مضيت هنية فإذا أنا بنساء معلقات بشديهن وسمعتهن^(٧) يضججن إلى الله ﷻ، قلت: يا جبريل من هؤلاء النساء؟ قال: هؤلاء الزناة من أمتك، قال^(٨) ثم مضيت هنية فإذا أنا بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون، فيقال له كل ما كنت تأكل من لحم أخيك، قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الهمازون من أمتك الهمازون* وذكر الحديث.

وذكر أبو داود^(٩) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم،

(١) في (ظ): أنتن.

(٢) في (ع، ظ): بأنون.

(٣) في (ع، ظ): يأتون.

(٤) من هذا الموضع وإلى قوله تعالى: ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ قطع في (ع).

(٥) في (ع): فيلقمون.

(٦) في (ع، ظ): فسمعتهن.

(٧) قال: ليست في (ع).

(٨) في سننه ٣٦٩/٤، ح ٤٨٧٨؛ وأحمد في المسند ٣/٢٢٤، ح ١٣٣٦٤؛ والطبراني في

مسند الشاميين ٢/٦٨، ح ٩٣٢؛ والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ٦/٢٦٥،

ح ٢٢٨٦، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود ٣/١٩٧، ح ٤٨٧٨.

قلت^(١): من هؤلاء يا جبريل^(٢)؟ قال: ^(٣) الذي يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم*.

باب ما جاء في بُشْرَى المؤمن في قبره

قال كعب الأحبار: إذا وضع العبد الصالح في قبره احتوشته أعماله الصالحة فتحيء ملائكة العذاب من قبل رجله^(٤) فنقول الصلاة: إليكم^(٥) عنه، فيأتونه^(٦) من قبل رأسه فيقول [٥٥/ب] الصيام: لا سبيل لكم عليه فقد أطال ظمأه الله ﷻ في دار الدنيا، فيأتونه من قبل جسمه فيقول [الحج]^(٧) والجهاد: إليكم عنه فقد أنصب نفسه، وأتعب بدنه وحج وجاهد لله ﷻ لا سبيل لكم عليه، فيأتونه^(٨) من قبل يديه فنقول الصدقة: كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يدي^(٩) الله ﷻ ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه، قال: فيقال له: نم هنيئاً طبت حياً وطبت ميتاً^(١٠).

قلت: هذا لمن أخلص لله في عمله، وصدق الله في قوله وفعله، وأحسن نيته له في سره وجهره، فهو الذي تكون أعماله حجة له أو دافعة^(١١) عنه فلا تعارض بين هذا الباب وبين ما تقدم من الأبواب، فإن^(١٢) الناس مختلفو الحال في خلوص الأعمال والله أعلم.

باب ما جاء في التعوذ من عذاب القبر وقتنته

النسائي^(١٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وعندي امرأة

- (١) في (ع، ظ): فقلت.
 (٢) في (ع): قال: هؤلاء.
 (٣) في (ظ): إليك.
 (٤) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).
 (٥) في (ع، ظ): يد.
 (٦) ذكره نحوه عبد الرزاق في مصنفه ٥٦٧/٣، ح ٦٧٠٣؛ وذكره أبو نعيم في الحلية مختصراً ٣٢٥/٢، ١٨٩/٦.
 (٧) في (ع، ظ): ودافعة.
 (٨) في (ع، ظ): إن.
 (٩) في (ع، ظ): في (ع، ظ): إن.
 (١٠) في (ع، ظ): إن.
 (١١) في (ع، ظ): إن.
 (١٢) في (ع، ظ): إن.
 (١٣) في (ع، ظ): إن.

من اليهود^(١) وهي تقول: إنكم تفتنون في القبور، فارتاع رسول الله ﷺ وقال: «إنما تفتن يهود»، قالت عائشة: فلبثنا ليالي ثم قال رسول الله ﷺ: «هل شعرت أنه أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور»، قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يستعيز من عذاب القبر.

وروى^(٢) الأئمة^(٣) عن أسماء رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال: «وأنه قد أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور قريباً أو مثل فتنة الدجال، لا أدري أي ذلك قالت أسماء، يؤتى أحدكم فيقال^(٤): ما علمك بهذا الرجل، فأما المؤمن أو الموقن^(٥)، لا أدري أي ذلك قالت أسماء فيقول: هو^(٦) محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبتنا وأطعنا ثلاث مرات، ثم يقال له: نم قد^(٧) نعلم أنك لتؤمن به، فتم صالحاً، وأما المنافق أو المرتاب لا أدري أي ذلك، قالت أسماء: فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت» لفظ مسلم.

وخرَج البخاري^(٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يدعو: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال»، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً أخرجه^(٩) الأئمة الثقات^(١٠).

باب ما جاء أن الجاهل تسمع عذاب القبر

مسلم^(١١) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ في حائط لبني

- المسند ٢٤٨/٦، ح ٢٦١٤٨، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن النسائي ٤٤٣/٢، ح ١٩٥١.

(١) من هذا الموضع إلى قوله: تفتن يهود، ساقط من (ظ).

(٢) في (الأصل): عن الأئمة والتصويب من (ع، ظ).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٧٩/١، ح ١١٨٢، ومسلم ٦٢٤/٢، ح ١٩٠٥، والنسائي في المجتبى ١٠٣/٤، ح ١٢٠٦٢، وأبو عوانة في مسنده ١٥١/١.

(٤) في (ع، ظ): فيقال له.

(٥) (هو): ليست في (ظ).

(٦) في (ظ، مسلم): قد كنا.

(٧) في (ع، ظ): خرَّجها.

(٨) في الصحيح ٤٦٣/١، ح ١٣١١.

(٩) في (ع): الثقات الأئمة.

(١٠) في الصحيح ٢١٩٩/٤، ح ٢٨٦٧.

النجار [١/٥٦] على بغلة له ونحن معه إذ حادت به^(١) فكادت تلقيه وإذا^(٢) أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، كذا كان الجريري^(٣) يقول، فقال: من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟ فقال رجل: أنا، قال: فمتى مات هؤلاء؟ قال^(٤): ماتوا في الإشراف، فقال: إن هذه الأمة تبلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع^(٥).

وخرج^(٥) أيضاً: عن عائشة رضي الله عنها قالت^(٦): دخل^(٧) علي عجزان من عجز يهود المدينة، فقالتا: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم، قالت: فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجنا ودخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله إن عجزين من عجز يهود المدينة قالتا: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: صدقتا، إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم، قالت: فما رأيت بعد في صلاة إلا يتعوذ^(٨) من عذاب القبر، خرجه البخاري^(٩) أيضاً وقال: «تسمعه البهائم كلها».

وخرج هناد بن السري في زهده^(١٠): قال^(١١) حدثنا وكيع عن الأعمش عن شقيق عن عائشة رضي الله عنها قالت: «دخلت علي^(١٢) يهودية فذكرت عذاب القبر فكذبتها فدخل النبي صلى الله عليه وسلم علي فذكرت ذلك له فقال النبي صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده^(١٣) إنهم ليعذبون في قبورهم حتى تسمع البهائم أصواتهم».

(١) (به): ليست في (ظ).

(٢) في (الأصل): إذ، والتصويب من (ع، ظ، مسلم).

(٣) هو أحد رجال سند مسلم.

(٤) في (ع): فقال.

(٥) مسلم ١/٤١١، ح ٥٨٦.

(٦) في (مسلم): دخلت.

(٧) في (الأصل): تعوذ، وما أثبت من (ع، ظ، مسلم).

(٨) في صحيحه ٥/٢٣٤١، ح ٦٠٠٥.

(٩) ١/٢١٢، ح ٣٤٧؛ وإسحاق بن راهويه في مستدركه ٣/٧٨٦، ح ١٤١٦.

(١٠) (قال): ليست في (ع).

(١١) (علي): ليست في (ظ).

(١٢) في (الأصل): والذي نفس محمد بيده، وما أثبت من (ع، ظ، الزهد لهناد).

فصل

قال علماؤنا^(١) رحمة الله عليهم^(٢): وإنما حادت البغلة لما سمعت من صوت المعذبين، وإنما لم^(٣) يسمعه من يعقل من الجن والإنس لقوله ﷺ: «لولا أن لا تدافنوا»^(٤) الحديث، فكتمه الله سبحانه عنا^(٥) حتى تدافن بحكمته الإلهية ولطائفه الربانية؛ لغلبة الخوف عند سماعه فلا تقدر^(٦) على القرب من القبر لتدفن، و^(٧) يهلك الحي عند سماعه إذ لا يطاق سماع شيء^(٨) من عذاب الله في هذه الدار؛ لضعف هذه القوى، ألا ترى أنه إذا سمع الناس صعقة الرعد القاصف، أو الزلازل الهائلة هلك كثير من الناس؟ وأين صعقة الرعد من صيحة الذي تضربه الملائكة بمطارق الحديد التي^(٩) يسمعا كل شيء يليه^(١٠)؟ وقد قال ﷺ في الجنائز: «ولو سمعها إنسان^(١١) لصعق»^(١٢).

قلت: هذا وهو على رؤوس الرجال^(١٣) من غير ضرب^(١٤) ولا هوان، فكيف إذا حلَّ به الخزي والنكال، واشتدَّ عليه العذاب والوبال؟ فنسأل الله معافاته ومغفرته^(١٥) وعفوه ورحمته بمنه وكرمه^(١٦).

حكاية: قال أبو محمد عبد الحق^(١٧): حدثني الفقيه أبو الحكم بن بركان، وكان من أهل العلم والعمل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إنهم دفنوا ميتاً بقبريتهم من شرق إشبيلية، فلما فرغوا من دفنه قعدوا ناحية يتحدثون، ودابة ترعى قريباً منهم،

(١) القائل هو شيخ المصنف: أبو العباس أحمد بن عمر في كتابه المفهم ١٤٦/٧.

(٢) (رحمة الله عليهم): ليست في (ع).

(٣) (لم): ليست في (ع).

(٤) مسلم ٢١٩٩/٤، ح ٢٨٦٧.

(٥) (عنا): ليست في (ظ).

(٦) (تقدر): في (ع، ظ).

(٧) (يهلك): في (ع، ظ).

(٨) (يطلق شيء): لا يطبق شيء.

(٩) (يسمعا كل شيء): في (ظ).

(١٠) (يليه): كل من يليه.

(١١) (إنسان): ليست في (ظ).

(١٢) أخرجه النسائي في سننه الكبرى ١/٦٢٤، ح ٢٠٣٦.

(١٣) (رؤوس الرجال): في (ع، ظ).

(١٤) (ضرب): صوت.

(١٥) (مغفرته): في (ع).

(١٦) (وكرمه): ليست في (ع).

(١٧) العاقبة لأبي محمد عبد الحق ص (٢٤٧).

فإذا الدابة قد أقبلت مسرعة إلى القبر فجعلت أذنها عليه كأنها تسمع ثم ولت فارة، [ثم عادت إلى القبر فجعلت أذنها عليه كأنها تسمع ثم ولت فارة]^(١) كذلك فعلت مرة بعد أخرى.

قال أبو الحكم رحمته: فذكرت عذاب القبر، وقول النبي ﷺ: «إنهم ليعذبون عذاباً تسمعه اليهائم»، والله ﷻ أعلم بما كان من أمر ذلك الميت، ذكر هذه حكاية لما قرأ القارئ [٥٦/ب] هذا الحديث في عذاب القبر، ونحن إذ ذاك نسمع عليه كتاب مسلم بن الحجاج رحمته.

باب ما جاء أن الميت يسمع ما يقال

مسلم^(٢) عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حدث عن أهل بدر فقال: «إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول: هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله، قال: فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطؤا»^(٣) الحدود التي^(٤) حد رسول الله ﷺ، قال: فجعلوا في بئر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى إليهم فقال: يا فلان بن فلان، و^(٥) يا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم^(٦) الله ورسوله حقاً فإني وجدت ما وعدني الله حقاً، قال عمر: يا رسول الله كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها؟ قال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا علي شيئاً.

وعنه^(٧) أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثاً، فقام عليهم فناداهم فقال: يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أنيس قد^(٨) وجدتم ما وعدكم^(٩) ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني

(١) ما بين المعقوفين من (ع، ظ، العاقبة).

(٢) في صحيحه ٢٢٠٦/٤، ح ٢٨٧٣. (٣) في (ظ): أخطأ.

(٤) في (جميع النسخ): الذي، والتصويب من صحيح مسلم.

(٥) (الواو): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع صحيح مسلم.

(٦) في (الأصل): وعد، وما أثبت من (ع، ظ، مسلم).

(٧) أي عن عمر رضي الله عنه، رواه مسلم ٢٢٠٣/٤، ح ٢٨٧٤.

(٨) (قد): ليست في (ظ). (٩) في (ظ، مسلم): وعد.

ربي^(١) حقاً، فسمع عمر^(٢) قول النبي ﷺ فقال: يا رسول الله وكيف يسمعون؟ وأنى يجيبون وقد جيئوا؟ قال: والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما^(٣) أقول منهم، ولكنهم لا يقدرُونَ أن يجيبوا، ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر*.

فصل

اعلم رحمك الله أن عائشة رضوان الله عليها قد أنكرت هذا المعنى، واستدلّت بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ [النمل: ٨٠]، وقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَسْمِعُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، ولا تعارض بينهما لأنه جائز أن يكونوا يسمعون في وقت ما، أو في حال ما، فإن تخصيص العموم ممكن وصحيح إذا وجد المخصص، وقد وجد هذا بدليل ما ذكرناه، وقد تقدم^(٤)، ويقولون ﷺ: «إنه ليسمع قرع نعالهم»، وبالمعلوم من سؤال الملكين للميت في قبره، وجوابه لهما، وغير ذلك مما لا ينكر^(٥).

وقد ذكر ابن عبد البر في كتاب التمهيد والاستذكار: من حديث ابن عباس^(٦) قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام»^(٧)، صححه أبو محمد عبد الحق^(٨).

وجيئوا معناه: أنتوا^(٩).

(١) في (الأصل): الله، وما أنبته من (ع، ط، مسلم).

(٢) (عمر): ليست في (ع).

(٣) في (الأصل، ط): ما، والتصويب من (ع، مسلم).

(٤) ص (٤٠٩).

(٥) أو ربما قالت ذلك ﷺ لأن الحديث لم يبلغها.

(٦) (عبد الله): ليست في (ع، ط).

(٧) تقدم توثيقه من التمهيد والاستذكار ص (١٤٣).

(٨) في كتابه الأحكام الشرعية الصغرى ١/٣٤٥.

(٩) في (ط): والله أعلم.

باب قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (١) الآية (٢)

مسلم (٣) عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي قال: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، قال: «نزلت في عذاب القبر، يقال له: من ربك؟ فيقول: الله ربي [١/٥٧] ونبيي محمد فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾.

و (٤) في رواية (٥) أنه قول البراء ولم يذكر النبي ﷺ.

قلت: وهذا الطريق وإن كان موقوفاً فهو لا يقال من جهة الرأي فهو محمول على أن النبي ﷺ قاله كما في الرواية الأولى، وكما خرجه النسائي (٦)، وابن ماجه (٧) في سننهما، والبخاري في صحيحه (٨).

وهذا لفظ البخاري: حدثنا جعفر بن عمر قال: حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا أفتد المؤمن في قبره أتى ثم يشهد (٩) أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (١٠) فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ (١١) (١٢)».

وخرجه أبو داود (١٣) أيضاً (١٤) في سننه فقال فيه: عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن المسلم إذا سئل في القبر فشهد أن

(١) في (ع): زيادة قوله تعالى: ﴿بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾، وفي (ظ): زيادة على ما في (ع): ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾.

(٢) (الآية): ليست في (ظ). (٣) في صحيحه ٢٢٠١/٤، ح ٢٨٧١.

(٤) (أنوار): ليست في (ع). (٥) مسلم ٢٢٠٢/٤، ح ٢٨٧١.

(٦) في سننه ١٠١/٤، ح ٢٠٥٦. (٧) في سننه ١٤٢٧/٢، ح ٤٢٦٩.

(٨) ٤٦١/١، ح ١٣٠٣. (٩) في (البخاري): شهد.

(١٠) في (الأصل): رسول الله ﷺ، وما أثبتته من (ع، ظ، البخاري).

(١١) في (ع، ظ): الآية.

(١٢) في (الأصل): زيادة: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ وما أثبتته من (ع، ظ، البخاري).

(١٣) في سننه ٢٣٨/٤، ح ٤٧٥٠. (١٤) (أيضاً): ليست في (ظ).

لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله^(١) تعالى^(٢): ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾، وقد مضى هذا
المعنى في حديث البراء الطويل^(٣) مرفوعاً، والحمد لله.
وقد روى هذا الخبر أبو هريرة^(٤)، وابن مسعود^(٥) وابن عباس^(٦) وأبو
سعيد الخدري^(٧) رضي الله عنه.

قال أبو سعيد الخدري كنا في جنازة مع رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها
الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا الإنسان دفن، وتفرق عنه أصحابه،
جاءه ملك ويده^(٨) مطراق فأقعده، فقال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان
مؤمناً قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله، فيقول^(٩) له^(١٠): صدقت فيفتح له باب^(١١) إلى النار، فيقول له^(١٢):
هذا منزلك لو كفرت بريك، وأما الكافر والمنافق فيقول له: ما تقول في هذا
الرجل؟ فيقول: لا أدري، فيقال له^(١٣): لا دريت ولا تليت^(١٤)، ثم يفتح له
باب^(١٥) إلى الجنة، فيقول له^(١٦): هذا منزلك لو آمنت بريك، فأما إذ^(١٧)

- (١) في (ع، وأبي داود): قول الله.
(٢) مضى ص (٣٥٩).
(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٣٨٠/٧، ح ٣١١٣، وابن أبي شيبة في مصنفه ٥٦/٣،
ح ١٢٠٦٢، وعبد الرزاق في مصنفه ٥٦٧/٣، ح ٦٧٠٣.
(٤) رواه الطبراني في الكبير ٢٣٣/٩، ح ٩١٤٥.
(٥) روى حديثه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ١٠/١٦٤.
(٦) روى حديثه أحمد في المسند ٣/٣، ح ١١٠١٣؛ والطبري في تفسيره ١٣/٢١٤، قال
الهيتمي: رواه أحمد والبخاري ورجال الصحيح، المجمع ٤٨/٣.
(٧) في (ع، ظ): بيده وفي (المسند): في يده.
(٨) في (ظ): يقال.
(٩) في (الأصل): باباً، والتصويب من (ع، ظ، المسند).
(١٠) في (له): ليست في (المسند).
(١١) في (له): ليست في (المسند).
(١٢) في (ع): لا دريت ولا اهتديت، وفي (المسند): لا دريت ولا تليت ولا اهتديت.
(١٣) في (الأصل): باباً والتصويب من (ع، ظ، المسند).
(١٤) في (له): ليست في (المسند).
(١٥) في (الأصل): إذا، والتصويب من (ع، ظ، المسند).

كفرت فإن الله أبدلك^(١) به هذا ثم يفتح له باب إلى النار، ثم يقمعه الملك بالمطراق قمعة يسمعه خلق الله كلهم إلا الثقلين، قال بعض أصحابه^(٢): يا رسول الله ما أحد يقوم على رأسه ملك بيده مطراق^(٣) إلا هيل^(٤) عند ذلك، فقال رسول الله ﷺ: ﴿يُنْبِتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾.

فصل (٥)

صَحَّتْ الْأَخْبَارُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ عَلَى الْجُمْلَةِ فَلَا مَطْعَنَ فِيهَا وَلَا مَعَارِضَ لَهَا.

وجاء فيما تقدم^(٦) من الآثار: أن الكافر يفتن في قبره، ويُسأل ويهان ويعذب.

قال أبو محمد عبد الحق^(٧): واعلم أن عذاب القبر ليس مختصاً بالكافرين ولا موقوفاً على المنافقين، بل يشاركونهم فيه طائفة من المؤمنين، وكل على حاله من عمله، وما استوجبه بخطيئته^(٨) وزليله^(٩)، وإن كانت تلك النصوص المتقدمة في [٥٧] عذاب القبر إنما جاءت في الكافر والمنافق.

وقال أبو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد^(١٠): الآثار الدالة تدل^(١١)

(١) في (ع): قد أبدلك.

(٢) في (ع، ط): بعض أصحاب رسول الله، وفي (المسند): بعض القوم.

(٣) في (ط): على رأسه بمطراق.

(٤) هاله الشيء يهوله هولاً، أي أفرعه، والصحاح ١٨٥٥/٥.

(٥) (فصل): ليست في (ع، ط). (٦) ص (٣٦٥).

(٧) في العافية ص (٢٤٦).

(٨) في (ع): من خطيئته، وفي (ع): من خطاياها، والأصل متوافق مع مصدر المصنف.

(٩) في (الأصل): وزليله، وما أثبت من (ع، ط، مصدر المصنف).

(١٠) التمهيد ٢٢/٢٥٢.

(١١) في (التمهيد): الآثار الثابتة في هذا الباب إنما تدل.

على أن الفتنة في القبر لا تكون إلا لمؤمن أو منافق، ممن كان في الدنيا منسوباً^(١) إلى أهل القبلة ودين الإسلام ممن حقن دمه بظاهر الشهادة، وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسأل عن ربه ودينه ونبيه، وإنما يسأل عن هذا أهل الإسلام، والله أعلم، فيثبت الله الذين آمنوا، ويرتاب المبطلون^(٢).

قال ابن عبد البر^(٣) في حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها»، منهم من يرويه: «تسأل^(٤) في قبورها^(٥)»، وعلى هذا اللفظ يحتمل أن تكون^(٦) هذه الأمة خصت بذلك، وهذا أمر لا يقطع عليه، والله أعلم.

وقال أبو عبد الله الترمذي في نوادر الأصول^(٧): وإنما سؤال الميت في هذه الأمة خاصة لأن الأمم قبلنا كانت الرسل تأتيهم بالرسالة فإذا أبوا كفت الرسل واعتزلوا وعوجلوا بالعذاب، فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالرحمة وأماناً للخلق فقال: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢١٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]»، أمسك عنهم العذاب وأعطى السيف حتى يدخل في دين الإسلام من دخل لمهابة السيف ثم يرسخ في قلبه، فأمهلوا فمن هاهنا ظهر أمر النفاق، فكانوا^(٨) يسرون الكفر ويعلمون الإيمان، فكانوا^(٩) بين المسلمين في ستر فلما ماتوا قبض الله لهم فتاني القبر؛ ليستخرج سرهم بالسؤال؛ ولتمييز الله الخبيث من الطيب، فيثبت الله^(١٠) الثابت في الحياة الدنيا^(١١)، ويضل الله الظالمين^(١٢).

(١) في (ع، ظ): ممن كان منسوباً إلى أهل القبلة، والأصل متوافق مع التمهيد.
 (٢) قال ابن القيم: وقول أبي عمر رضي الله عنه: وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسأل عن ربه ودينه، فيقال له: ليس كذلك بل هو من المسؤولين وأولى بالسؤال من غيره، وقد أخبر الله في كتابه أنه يسأل الكافر يوم القيامة، قال تعالى: «وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠٤﴾... فإذا سننوا يوم القيامة فكيف لا يسألون في قبورهم؟! فليس لما ذكره أبو عمر رضي الله عنه وجه. الروح ص (١٢٤).

- (٣) التمهيد ٢٢/٢٥٣.
 (٤) في (ع، ظ): يسأل.
 (٥) (في قبورها): ثبت في (ع، ظ).
 (٦) في (ع، ظ): يكون.
 (٧) (٨) في (ع، ظ): وكانوا.
 (٨) في (ع، ظ): وكانوا.
 (٩) (١٠) (لفظ الجلالة): ليس في (ظ).
 (١١) في (ع، ظ): وكانوا.
 (١٢) في (ع، ظ): الظالم.
 (١٢) في (ع، ظ): الظالم.

قال المؤلف: قول أبي محمد بن عبد الحق أصوب، والله أعلم؛ فإن الأحاديث التي^(١) ذكرناها قبل، تدل على أن الكافر يسأله الملكان، ويختبرانه بالسؤال، ويضرب بمطارق الحديد^(٢) على ما تقدم^(٣)، والله أعلم.

باب ما ينجي^(٤) من أهوال القبر وفتنته وعذابه

وذلك خمسة أشياء: رباط، قتل، قول، بطن، زمان.

الأول: روى مسلم^(٥) عن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل^(٦)، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتان^(٧)».

فالرباط من أفضل الأعمال التي يبقى ثوابها بعد الموت كما في حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة... الحديث وقد تقدم^(٨)، وهو حديث صحيح انفرد بإخراجه مسلم.

وكذلك ما خرجه ابن ماجه^(٩) وأبو نعيم^(١٠): من أنه يلحق الميت بعد موته فإن ذلك مما ينقطع بفناده وذهابه كالصدقة بفنادها، والعلم بذهابه، والولد الصالح بموته، والنخل بقطعه، إلى غير ذلك مما ذكر.

والرباط يضاعف أجره [٥٨/أ] لصاحبه إلى يوم القيامة لقوله صلى الله عليه وسلم: «وإن مات أجرى عليه عمله^(١١)».

وقد جاء مفسراً مبيناً في كتاب الترمذي^(١٢) عن فضالة بن عبيد عن

(١) في (الأصل، ع): الذي، والتصويب من (ظ).

(٢) في (ظ): ويضرب بالحديد.

(٣) تقدم ص (٣٦٣).

(٤) في (ع): ما ينجي المؤمن.

(٥) في الصحيح ٣/١٥٢٠، ح ١٩١٣.

(٦) في (ظ): يعمل.

(٧) في (ظ): وأمن من الفتان.

(٨) تقدم ص (٢٨٨).

(٩) في سننه ١/٨٨، ح ٢٤٢، وحسنه الألباني، انظر: صحيح ابن ماجه ١/٤٦، ح ١٩٨.

(١٠) في الحلبة ٢/٢٤٤.

(١١) جزء من حديث مسلم السابق.

(١٢) في جامعه ٤/١٦٥، ح ١٦٢١؛ وابن حبان في صحيحه ١٠/٤٨٤، ح ٤٦٢٤، صحيح الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/١٢٣، ح ١٣٢٢.

رسول الله ﷺ قال: «كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه يشمو عمله إلى يوم القيامة، ويأمن من فتنة القبر»، قال: حديث حسن صحيح.

وخرجه أبو داود^(١) بمعناه قال^(٢): «ويؤمن من فتاني^(٣) القبر» فلا^(٤) معنى للنماء إلا المضاعفة، وهي غير موقوفة على سبب فينقطع^(٥) بانقطاعه بل هو^(٦) فضل دائم من الله سبحانه؛ لأن أعمال البر لا يتمكن منها [إلا]^(٧) بالسلامة من العدو والتحرز^(٨) منهم بحراسة بيضة الدين، وإقامة شعائر الإسلام.

وهذا العمل الذي يُجرى^(٩) عليه ثوابه هو ما كان يعمل من الأعمال الصالحة^(١٠). وخرَجَ^(١١) ابن ماجه^(١٢) في سننه^(١٣) عن أبي هريرة^(١٤) عن رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «من مات مرابطاً في سبيل الله أجرى^(١٥) عليه أجر^(١٦) عمله الصالح الذي كان يعمل^(١٧) وأجرى عليه رزقه، وأمن^(١٨) من الفتان، وبعثه^(١٩) الله يوم القيامة^(٢٠) آمناً من الفزع».

وخرَجَ أبو نعيم^(٢١) الحافظ عن جبير بن نفير وكثير بن مرة وعمرو بن

- (١) في سننه ٩/٣، ح ٢٥٠٠.
 (٢) في (ظ، أبو داود): فتان.
 (٣) في (ظ): ينقطع.
 (٤) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).
 (٥) في (الأصل): التحري، والتصويب من (ع، ظ).
 (٦) في (ظ): جرى.
 (٧) في (ع، ظ): أخرجه.
 (٨) في سننه ٩٢٤/٢، ح ٢٧٦٧؛ والنسائي في المجتبى ٣٩/٦، ح ٣١٦٧، صححه الألباني، انظر: صحيح ابن ماجه ١٢٣/٢، ح ٢٢٣٤.
 (٩) في (سننه): ليست في (ع، ظ).
 (١٠) في (ع، ظ): بإسناد صحيح عن أبي هريرة.
 (١١) في (ع، ظ): أجرى الله.
 (١٢) في (ع): بعمل.
 (١٣) في (ع، ظ): يبعثه.
 (١٤) (يوم القيامة): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع سنن ابن ماجه.
 (١٥) حلية الأولياء ١٥٧/٥.

الأسود عن العرياض بن سارية رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «كل عمل ينقطع^(١) عن صاحبه إذا مات إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمى عليه^(٢) عمله، ويجرى عليه زرقة إلى يوم الحساب»^(٣).

وفي حديث أبي هريرة وحديث فضالة^(٤) بن عبيد قيد ثان: وهو الموت حالة الرباط، والله أعلم.

وروي^(٥) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رباط ليلة في سبيل الله كانت له كألف ليلة صيامها وقيامها».

وروي^(٦) عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لرباط^(٧) يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسباً من غير شهر رمضان أعظم أجراً من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها، ورباط يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسباً من شهر رمضان أفضل عند الله وأعظم أجراً، أراه قال: من عبادة ألفي سنة صيامها وقيامها، فإن رده الله إلى أهله سالماً لم تكتب عليه سيئة ألف سنة، ويكتب له من الحسنات، ويجرى له أجر الرباط إلى يوم القيامة».

فدل هذا الحديث على أن رباط يوم في شهر رمضان يحصل له الثواب الدائم وإن لم يمت مرابطاً، والله أعلم. خرجه^(٨) عن محمد بن إسماعيل بن سمرة^(٩)، ثنا محمد بن يعلى السلمي، ثنا عمرو بن صبيح عن عبد الرحمن بن عمرو عن مكحول عن أبي بن كعب، فذكره.

(١) في (الحلية): منقطع.

(٢) في (الحلية): له.

(٣) من قوله: وخرج أبو نعيم الحافظ... إلى هذا الموضع: ليس في (ع، ط).

(٤) في (ع): وفي هذا الحديث وحديث فضالة.

(٥) ابن ماجه في سننه ٢/٩٢٤، ح ٢٧٦٦، وقد حسنه الألباني، انظر: حاشية ضعيف ابن ماجه ص (٢٢٣).

(٦) ابن ماجه في سننه ٢/٩٢٤، ح ٢٧٦٨؛ وعبد الرزاق في مصنفه مختصراً ٢/١٢، ح ٣٥٠، قال الألباني: موضوع، انظر: ضعيف ابن ماجه ص (٢٢٣)، ح ٦٠٧.

(٧) في (الأصل): الرباط، والتصويب من (ع، ط، ابن ماجه).

(٨) أي ابن ماجه.

(٩) في (ط): سمرة بن جندب.

مسألة الرباط: الملازمة في سبيل الله ﷺ، مأخوذ من ربط الخيل، ثم سمي كل ملازم لثغر مرابطاً فارساً كان أو رجلاً^(١).

واللفظة مأخوذة من الربطة^(٢)، وقول النبي ﷺ في منتظري الصلاة: «فذلكم الرباط»^(٣)، إنما هو تشبهُ^(٤) بالرباط في سبيل الله.

والرباط اللغوي هو الأول، وهو الذي شخص إلى ثغر من الثغور ليرابط فيه مدة ما.

فأما [٥٨/ب] سكان الثغور دائماً بأهلهم الذين يعمرن ويسكنون هناك^(٥)، فهم وإن كانوا حماة فليسوا^(٦) بمرابطين، قاله علماؤنا، وقد بيناه في كتاب أحكام^(٧) القرآن من سورة آل عمران^(٨) [والحمد لله]^(٩).

الثاني: روى النسائي^(١٠) عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة.

وخرج ابن ماجه^(١١) في سننه والترمذي^(١٢) في جامعه^(١٣) عن المقدم بن

(١) في (ع): لثغر من ثغور الإسلام مرابطاً فارساً كان أو رجلاً، وفي (ظ): من ثغور المسلمين.

(٢) في (ع، ظ): الربط.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه ٧٢/١، ح ٥١؛ والنسائي في المجتبى ٨٢/١، ح ١٤٣؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٨٢/١، ح ٣٩١، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ١٧/١، ح ٤٦.

(٤) في (ظ): تشبيه.

(٥) في (الأصل): فليس، والتصويب من (ع، ظ).

(٦) في (ع): جامع أحكام، وفي (ظ): الأحكام أحكام.

(٧) ٢٠٧/٤ رقم الفقرة ٣٢٤.

(٨) في المجتبى ٩٩/٤، ح ٢٠٥٣، صححه الألباني، صحيح سنن النسائي ٤٤١/٢، ح ١٩٤٠.

(٩) في سننه ٩٣٥/٢، ح ٢٧٩٩، صححه الألباني، صحيح سنن ابن ماجه ١٢٩/٢، ح ٢٢٥٧.

(١٠) في جامعه ١٨٧/٤، ح ١٦٦٣؛ وأحمد في مسنده ١٣١/٤، ح ١٧٢٢١؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٢١٠/٤، ح ١٩٣٨٢؛ والبيهقي في شعب الإيمان ٢٤/٣، ح ٤٢٥٢.

(١١) في (ع، ظ): وغيرهما.

معدي كرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة^(١) ويرى مقعده من الجنة، ويجاز من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار: الياقوتة منه^(٢) خير من الدنيا وما فيها، ويزوج بثنتين^(٣) وسبعين^(٤) زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه»، قال الترمذي^(٥) حديث حسن صحيح^(٦) غريب.

وقال ابن ماجه: «يغفر له في أول دفعة من دمه^(٧)»، قال^(٨): ويحلى حلة الإيمان بدل: ويوضع على رأسه تاج الوقار، قال ابن ماجه: ثنا هشام بن عمار حدثنا إسماعيل بن عياش قال: حدثني بجير بن سعد، وقال الترمذي: وثنا عبد الله بن عبد الرحمن قال: ثنا نعيم بن حماد قال: حدثنا^(٩) بقية بن الوليد عن بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدم بن معدي كرب فذكره^(١٠).

قال المؤلف: ووقع في جميع نسخ الترمذي وابن ماجه «ست خصال» وهي في متن الحديث سبع، وعلى ما ذكر ابن ماجه: «ويحلى حلة الإيمان» تكون ثمانية، وكذا ذكره^(١١) أبو بكر أحمد بن سلمان النجاد بسنده عن المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله تعالى ثمانية خصال».

الثالث: روى الترمذي^(١٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضرب رجل من أصحاب رسول الله ﷺ خبائه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر^(١٣)، فإذا قبر

(١) في (ع، ظ): دفعة، والأصل متوافق مع سنن ابن ماجه.

(٢) في (ظ): منها. (٣) في (ع): ثنتين.

(٤) في (ظ): اثنان وسبعون.

(٥) في (ظ): لفظ الترمذي وقال حديث. (٦) (صحيح): ليست في (ظ).

(٧) (من دمه): ليست في (ع). (٨) (قال): ليست في (ظ).

(٩) (عبد الله بن عبد الرحمن قال: ثنا نعيم بن حماد قال حدثنا): ليست في (ع).

(١٠) (فذكره): ليست في (ع). (١١) في (ع): ذكر.

(١٢) في جامعه ٥/١٦٤، ح ٢٨٩٠؛ والبيهقي في شعب الإيمان ٢/٤٩٥، ح ٢٥١٠، قال

الألباني: ضعيف وإنما صح منه قوله: «هي المانعة»، انظر: ضعيف الترمذي

ص (٣٤٥)، ح ٥٤٦.

(١٣) في (ظ): أنه على قبر.

إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسبه أنه قبر فإذا قبر إنسان^(١) يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فقال النبي ﷺ: «هي المانعة، هي النجبة تنجيه»^(٢) من عذاب القبر» قال: حديث حسن غريب.

وخرج أيضاً^(٣) عنه ﷺ: «أن من قرأها كل ليلة جاءت تجادل عن صاحبها».

وروي: «أنها هي»^(٤) المجادلة تجادل عن صاحبها^(٥)، يعني قارئها في القبر.

وروي: «أن من قرأها كل ليلة لم يضره الفتان»^(٦).

وأبنا الشيخ الإمام الفقيه^(٧) المحدث أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم^(٨) الأنصاري القرطبي بشعر الإسكندرية^(٩) قال: حدثني الشيخ الصالح الحاج^(١٠) أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري ابن أخي الشيخ الإمام أبي بكر قال: حدثني الشيخ الشريف أبو محمد يونس بن أبي الحسن بن أبي البركات الهاشمي البغدادي قال: حدثنا أبو الوقت عن الداودي^(١١) عن الحموي عن أبي إسحاق بن إبراهيم بن خريم الشاشي عن عبد [٥٩/أ] بن حميد

(١) في (جامع الترمذي): فإذا فيه إنسان. (٢) (تنجيه): ليست في (ظ).

(٣) لم أجده في جامع الترمذي، ورواه مالك في الموطأ ٢٠٩/١، ح ٤٨٧.

(٤) (هي): ليست في (ع، ظ).

(٥) رواه الدليمي في فردوسه ٦٣/١، ح ١٧٩ عن ابن عباس.

(٦) لم أجده. (٧) في (ع، ظ): الفقيه الإمام.

(٨) (بن إبراهيم): ليست في (ع، ظ).

(٩) في (الأصل): مركشه، وهو تصحيف، لأنه لا توجد مدينة بهذا الاسم، والتصويب من

(ع، ظ) وفيها زيادة: حماها الله.

(١٠) (الحاج): ليست في (ع، ظ).

(١١) في (ع): الأزدي، وفي (ظ): الدراودي، والصواب ما بالأصل؛ لأنه موافق لمصادر

الترجمة فهو: عبد الرحمن بن محمد الداودي شيخ أبي الوقت عبد الأول الماليني،

انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/٣٠٣ - ٣٠٤.

الكشي^(١) عن إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال لرجل: ألا أتحدثك بحديث تفرح به؟ قال الرجل: بلى يا ابن عباس رحمك الله، قال: اقرأ: ﴿بَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلَكُ﴾ احفظها، وعلمها أهلك، وجميع ولدك، وصبيان بيتك وجيرانك؛ فإنها المنجية، والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارنها، وتطلب له أن ربها أن ينجيها^(٢) من عذاب النار^(٣) إذا كانت في جوفه، وينجي الله بها صاحبها من عذاب القبر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو ددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي»^(٤).

وأخبرناه عالياً^(٥) أبو عبد الله محمد بن إبراهيم^(٦) الأنصاري التلمساني يشغل الإسكندرية^(٧) عن شيخه الشريف ثنا محمد بن يونس^(٨) عن أبي الوقت، وقد تقدم^(٩) أن قراءة الرجل^(١٠): ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في مرض الموت ينجي من ذلك.

الرابع: روى ابن ماجه^(١١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات مريضاً مات شهيداً، ووفي فتنه»^(١٢) القبر، وغدي وريح عليه برزقه من الجنة».

(١) في (الأصل): أنكسني، وفي (ظ): الكشني، وفي سير أعلام النبلاء ١٢/٢٣٥: الكشي، ويقال له: الكشي، وما أثبت من (ع، والسير).

(٢) في (ع، ظ): تنجي.

(٣) في (ع، ظ): من عذاب القبر والنار.

(٤) أخرجه عبد بن حميد في مسنده ص (٢٠٦)، ح ٦٠٣، قال الألباني: ضعيف جداً، انظر: ضعيف الجامع الصغير ص (٨٨٣)، ح ٦١١٨.

(٥) في (ع): وأخبرناه عالياً الشيخ المحدث.

(٦) (بن إبراهيم): ليست في (ع).

(٧) في (الأصل): الإسكسه، والتصويب من (ع، ظ).

(٨) في (ع، ظ): عن شيخه الشريف أبي محمد يونس، ونم أجد هذا التلميذ في مصادر ترجمة أبي الوقت على كثرتهم.

(٩) ص (٣٣٠). (١٠) (الرجل): ليست في (ع).

(١١) في سننه ١/٥١٥، ح ١٦١٥، والطبراني في الأوسط ٥/٣٦٢، ح ٥٢٦٢، قال الألباني: ضعيف جداً، انظر ضعيف ابن ماجه ص (١٢٣)، ح ٣٥٥.

(١٢) في (ظ): عذاب.

وخرج النسائي^(١): عن جامع بن شداد قال: سمعت عبد الله بن يسار يقول: كنت جالساً مع سليمان بن صرد، وخالد بن عرفطة فذكروا أن رجلاً مات ببطنه فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهداء^(٢) جنازته، فقال أحدهما للآخر: ألم يقل رسول الله ﷺ: «من يقتله بطنه لم^(٣) يعذب في قبره». أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده^(٤) قال: ثنا شعبة قال: أخبرني جامع بن شداد فذكره وزاد: «قال الآخر: بلى».

الخامس: روى الترمذي^(٥) عن ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو^(٦) قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر»، قال: هذا حديث حسن غريب، وليس إسناده بمتصل، ربيعة بن سيف إنما يروي عن [أبي]^(٧) عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو، ولا نعرف لربيعة بن سيف^(٨) سماعاً من عبد الله بن عمرو.

قلت: قد خرج أبو عبد الله الترمذي في نوادر الأصول^(٩) متصلاً عن ربيعة بن سيف الإسكندراني عن عياض بن عقبة الفهري عن عبد الله بن عمرو^(١٠) قال: «من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقاه الله فتنة القبر».

وأخرجه علي بن معبد عنه أعني عبد الله بن عمرو قال: سمعت

-
- (١) في المجتبى ٩٨/٤، ح ٢٠٥٢، وأحمد في المسند ٢٦٢/٤، ح ٦٨٣٣٦، والطبراني في الكبير ١٩٠/٤، ح ٤١٠٣، صححه الألباني، صحيح سنن النسائي ٤٤١/٢، ح ١٩٣٩.
- (٢) في (ظ): يشتهيان أن يشهدا.
- (٣) في (النسائي وأحمد): فتن، وفي (الطبراني): لم.
- (٤) ص (١٨٢)، ح ١٢٨٨.
- (٥) في جامعه ٣٨٦/٣، ح ١٠٧٤؛ وأحمد في المسند ١٦٩/٢، ح ٦٥٨٢، وقد حسنه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٣١٢/١، ح ٨٥٨.
- (٦) في (الأصل): عبد الله بن عمر^(٧)، والتصويب من (ع، ظ، الترمذي).
- (٧) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، جامع الترمذي).
- (٨) في (ظ): لربيعة بن سيف الإسكندراني.
- (٩) ١٦١/٤.
- (١٠) في (ع، ظ): رسول الله.

رسول الله ﷺ يقول: «من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وفي فتنه القبر». وأخرجه أبو نعيم^(١) الحافظ من حديث محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أجير من عذاب القبر وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء^(٢)»، غريب من حديث جابر، ومحمد، تفرد به عمر بن موسى الوجيه، وهو مدني، فيه لين^(٣) عن محمد عن جابر^(٤).

فصل

قلت: اعلم رحمك الله إن هذا الباب لا يعارض ما^(٥) تقدم من الأبواب، بل يخصها، ويبين من يسأل في قبره، ولا يفتن فيه، ممن يعجري عليه السؤال [٥٩/ب]، ويقاسي تلك الأهوال، وهذا كله ليس فيه مدخل للقياس، ولا مجال للنظر فيه، وإنما فيه التسليم والالتقياد لقول الصادق المرسل للعباد^(٦) وعلى آله وأصحابه^(٧) إلى يوم التناد.

وقد روى ابن ماجه في سننه^(٨) عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: *إذا دخل الميت في قبره مُتَمَّتْ^(٩) له الشمس عند غروبها، فيجلس يسمع عينيه ويقول: دعوني أصلي*.

ولعل هذا ممن وفي فتنه القبر^(١٠)، فلا تعارض، والحمد لله.

(١) المحلية ٣/١٥٥.

(٢) في (الأصل): طابع مع الشهداء والتصويب من (ع، ظ، انجليزية).

(٣) (لين): ليست في (ظ).

(٤) (عن محمد عن جابر): ليس في (المحلية).

(٥) في (ظ): بما. (٦) في (ع، ظ): إلى العباد.

(٧) (وأصحابه): ليست في (ع، ظ).

(٨) ١٤٢٨/٢، ح ٤٢٧٢؛ وابن حبان في صحيحه ٣٨٥/٧، ح ٣١١٦، حسنة الألباني،

انظر: صحيح ابن ماجه ٤٢٣/٢، ح ٣٤٤٧.

(٩) في (ع): تمثلت.

(١٠) ويحتمل أنه قال ذلك بعد اجتياز الفتنه.

فصل

قوله ﷺ في الشهيد: «كفى»^(١) ببارقة السيوف على رأسه فتنة» معناه: أنه لو كان في هؤلاء المقتولين نفاق كان إذا التقى الزحفان وبرقت السيوف فروا؛ لأن من شأن المنافق الفرار والروغان عند ذلك، ومن شأن المؤمن البذل والتسليم لله نفساً، وهيجان حمية الله^(٢)، والتعصب له^(٣) لإعلاء كلمته، فهذا قد أظهر صدق ما في ضميره حيث برز للحرب والقتل، فلماذا يعاد عليه السؤال في القبر؟ قاله الترمذي الحكيم^(٤).

قلت: وإذا كان الشهيد لا يفتن، فالصديق أجل خطراً، وأعظم أجراً، فهو^(٥) أحرى أن لا يفتن؛ لأنه المقدم ذكره في التنزيل على الشهداء قوله^(٦): ﴿فَأُولَئِكَ [مَعَ] الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾^(٧) [النساء: ٦٩].

وقد جاء في المرابط الذي هو أقل مرتبة من الشهداء^(٨) لا^(٩) يفتن، فكيف بمن هو أعلى^(١٠) منه ومن الشهيد^(١١)، فتأمل.

فصل

قوله ﷺ: «من مات مريضاً مات شهيداً» عام^(١٢) في جميع المرضى^(١٣)،

- (١) في (الأصل، ط): كفاه، والتصويب من (ع، النسائي).
- (٢) هكذا في جميع النسخ، ولعل الصواب: وهيجان حمية لله.
- (٣) قول الترمذي الحكيم: وهيجان حمية الله، والتعصب له، في النفس شيء من هذا التعبير، فلو قال: انتصاراً لله ولدينه لكان أولى، والله أعلم.
- (٤) في نوادر الأصول ١٦١/٤. (٥) في (ع): فهذا.
- (٦) في (ع، ط): في قوله تعالى.
- (٧) ما بين المعقوفين من (المصحف، ع، ط)، وهي ساقطة في الأصل.
- (٨) في (ع): ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾. (٩) في (ع، ط): الشهيد.
- (١٠) في (ع، ط): أن لا. (١١) في (ع، ط): أعلى مرتبة.
- (١٢) في (ع، ط): ومن الشهيد والله أعلم. (١٣) (عام): ليست في (ط).
- (١٤) في (ع، ط): الأمراض.

لكن قيده قوله في الحديث الآخر: «من يقتله بطنه» وفيه قولان:
أحدهما: أنه [الذي]^(١) يصيبه الذرْبُ وهو: الإسهال، تقول العرب:
أخذَه البطن إذا أصابه الداء، وذرِبَ الجرح إذا لم يقبل الدواء^(٢)، وذرِبَتْ
معدته: فسدت.

الثاني: أنه الاستسقاء^(٣)، وهو أظهر القولين فيه؛ لأن العرب تنسب موته
إلى بطنه تقول: قتلَه بطنه يعنون: انداء الذي أصابه في جوفه، وصاحب
الاستسقاء قلُّ أن يموت إلا بالذرب، فكأنه قد جمع الوصفين وغيرهما من
الأمراض، والوجود شاهد للميت بالبطن أن عقله لا يزال حاضراً، وذهنه باقياً
إلى حين موته، ومثل ذلك صاحب السل، إذ موت الآخر إنما يكون بالذرب،
وليس حالة هؤلاء كحال من يموت فجأة، أو من يموت بالسام والبرسام^(٤)،
والحميات المطبقة^(٥) والقولنج أو الحصاة فتغيب عقولهم لشدة الآلام^(٦)،
ونورم أدمغتهم، ولفساد أمزجتها، وإذا كان الحال هكذا فالميت يموت وذهنه
حاضر وهو عارف بالله^(٧)، والله أعلم.

باب منه^(٨)

أبو نعيم^(٩) قال: ثنا عبد الله بن محمد قال: حدثنا ابن سعيد قال:
حدثنا محمد بن حرب الواسطي قال: ثنا نصر بن حماد قال: ثنا همام قال:

- (١) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).
- (٢) من قوله: تقول العرب... إلى هذا الموضع ساقط من (ظ).
- (٣) هو ماء يقع في البطن، القاموس المحيط ص (١٦٧١).
- (٤) في (ظ): الحرسام. والبرسام: بالكسر عنة يُهدى فيها، القاموس المحيط ص (١٣٩٥).
- (٥) في (ع): أو.
- (٦) في (ع، ظ): الألم.
- (٧) في (ع، ظ): فالميت يموت وذهنه وهو حاضر يموت عارف بالله، والتصويب من (ع، ظ) لأن الكلام لا يستقيم بما في الأصل.
- (٨) منه: نُبِست في (ظ).
- (٩) الحلية ٥/ ٢٣. قال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف الجامع الصغير ص (٨٤٦)، ح ٥٨٦٩.

ثنا محمد بن جحادة عن طلحة بن مصرف قال: سمعت خيشمة بن عبد الرحمن يحدث عن ابن [١/٦٠] مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «من وافق موته عند انقضاء رمضان دخل الجنة، ومن وافق موته عند انقضاء عرفة دخل الجنة، ومن وافق موته عند انقضاء صدقته دخل الجنة»، غريب من حديث طلحة لم نكتبه إلا من حديث نصر عن همام.

باب ما جاء أن الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي

البخاري^(١) ومسلم^(٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلى^(٣) يوم القيامة».

فصل

قوله: «عرض عليه مقعده»، ويروى: «عرض على مقعده».

قال علماؤنا^(٤): وهذا^(٥) ضرب من العذاب كثير^(٦)، وعندنا المثال في الدنيا، وذلك كمن عرض عليه القتل أو غيره من آلات العذاب، أو من يهدد به من غير أن يرى الآلة^(٧)، ونعوذ بالله من عذابه وعقابه بكرمه ورحمته.

وجاء في التنزيل في حق الكافرين: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [عافر: ٤٦]، فأخبر تعالى أن الكافرين يعرضون على النار كما أن أهل السعادة يعرضون على الجنان بالخير الصحيح في ذلك، وهل كل مؤمن يعرض على الجنان^(٨)، فقبل ذلك مخصوص بالمؤمن الكامل الإيمان ومن أراد الله إنجاءه من النيران^(٩).

(٢) ٤/٢١٩٩، ح ٢٨٦٦.

(٤) لم أقف على القائل.

(٦) في (ع، ظ): كبير.

(١) ١/٤٦٤، ح ١٣١٣.

(٣) في (ع، ظ): إليه.

(٥) في (ع): فهذا، وفي (ظ): هذا.

(٧) في (ظ): آلة.

(٨) من قوله: بالخير الصحيح.. إلى هذا الموضع ليس في (ع، ظ).

(٩) في (ظ): النار.

وأما من أنفذ الله عليه وعيده من المخلطين الذين خلطوا عملاً صالحاً
وآخر سيئاً فله مقعدان يراهما جميعاً كما أنه يرى عمله شخصين في وقتين أو
في وقت واحد، قبيحاً وحسناً.
وقد يحتمل بأن^(١) يراد بأهل الجنة كل من يدخلها كيف ما كان، والله
أعلم.

ثم قيل: هذا العرض إنما هو على الروح وحده، ويجوز أن يكون مع
جزء من البدن، ويجوز أن يكون عليه مع جميع الجسد فيرد^(٢) إليه الروح كما
ترد عند المسألة^(٣) حين يقعه^(٤) الملكان ويقال له: انظر إلى مقعدك من النار
قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، وكيف ما كان فإن العذاب محسوس، والألم
موجود، والأمر شديد.

وقد ضرب بعض^(٥) العلماء لتعذيب الروح مثلاً في النائم فإن روحه تنعم
أو تعذب^(٦)، والجسد لا يحس بشيء من ذلك.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أرواح آل فرعون في أجواف طيور^(٧)
سود يعرضون على النار كل يوم مرتين يقال لهم: هذه داركم، فذلك قوله
تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾.

وعنه أيضاً: أن أرواحهم في جوف طيور^(٨) سود تغدو على جهنم وتروح
كل يوم مرتين فذلك عرضها^(٩).

وروى شعبة عن يعلى بن عطاء قال: سمعت ميمون بن ميسرة يقول: كان

(١) في (ع، ظ): أن.

(٢) في (الأصل): المسائلة، والتصويب من (ع، ظ).

(٣) في (ظ): يقعده.

(٤) في (ظ): تعذب أو تنعم.

(٥) في (ع): طير.

(٦) في (ع): طير.

(٧) هذا الأثر والذي قبله لم أجده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وإنما رواه كل من الطبري
في تفسيره ١٧١/٢٤ وابن أبي شيبة في مصنفه ٥٤/٧، ح ٣٤١٦٠، وهناد بن السري
في الزهد ٢٢١/١، ح ٣٦٦، كلهم عن الهذيل بن شرحبيل.

أبو هريرة رضي الله عنه إذا أصبح ينادي: أصبحنا والحمد لله، وعرض آل فرعون على النار^(١) [٦٠/ب]، وإذا أمسى قال^(٢): أمسينا والحمد لله وعرض آل فرعون على النار، فلا يسمع أبا هريرة أحدٌ إلا تعوذ بالله من النار^(٣)، وقد قيل: إن أرواحهم في صخرة سوداء تحت الأرض السابعة على سفير جهنم في حواصل طير سود^(٤).

والغداة والعشي: إنما هو بالنسبة إلينا على ما اعتدناه لا لهم، إذ الآخرة ليس فيها مساء ولا صباح.

فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَرْفُتْهُم بِهَا بَكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢]. قلنا: الجواب عنهما واحد، وسيأتي^(٥) له مزيد بيان في وصف الجنان إن شاء الله تعالى.

باب ما جاء أن أرواح الشهداء في الجنة دون أرواح غيرهم

يدل على ذلك قوله رضي الله عنه في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»، وهذه^(٦) حالة مختصة بغير الشهداء.

وفي صحيح مسلم^(٧) عن مسروق قال: سألتنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْفَعُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، فقال: أما إننا قد سألنا عن ذلك فقال: «أرواحهم^(٨) في جوف طير^(٩) خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأتي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث نشاء،

(١) لم أجد هذا الأثر.

(٢) من قوله: وإذا أمسى قال... إلى هذا الموضع لا يوجد في (ع).

(٣) ذكر نحوه ابن المبارك في الزهد ص (٤٣٤)، وابن كثير في التفسير ٤/٤٨٦.

(٤) ص (١٠٢٦).

(٥) في (ع): هذه.

(٦) في (ط): ﴿يُرْفَعُونَ﴾ بضم الهمزة فوجين.

(٧) ٣/١٥٠٢، ح ١٨٨٧.

(٨) (أرواحهم): ليست في (ط).

(٩) في (ط): طيور.

ففعل ذلك^(١) بهم^(٢) ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في^(٣) أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا^(٤).

فصل

قلت: وهنا اعتراضات خمس:

الأول: إن قيل ما قولكم في الحديث الذي ذكرتم: «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام»^(٥).

قلنا: هو عموم يخصه ما ذكرنا، فهو محمول على غير الشهداء^(٥).

الثاني: فإن قيل: فقد روى مالك^(٦) عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك الأنصاري أنه أخبره أن أباه كعب بن مالك رضي الله عنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ^(٧) قال: «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه»^(٨).

قلنا: قال أهل اللغة^(٩): تعلق بضم اللام: تأكل، يقال: علقت، تعلق علوقاً.

ويروى^(١٠): تعلق بفتح اللام^(١١) وهو الأكثر، ومعناه: تسرح، وهذه

(١) (ذلك): ليست في (ظ).

(٢) في (ظ): إلى.

(٣) قال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته ص (٧٥٢)، ح ٥٢٠٨.

(٤) في (ع): الشهيد.

(٥) في الموطأ ١/٢٤٠، ح ٦٥٨؛ والنسائي في المجتبى ٤/١٠٨، ح ٢٠٧٣؛ وابن ماجه

في سننه ٢/١٤٢٨، ح ٤٢٧١؛ وابن حبان في صحيحه ١٠/٥١٤، ح ٤٦٥٧، قال

الألباني: صحيح، انظر: صحيح ابن ماجه له ٢/٤٢٣، ح ٣٤٤٦.

(٦) من قوله: أنه أخبره... إلى هذا الموضع ليس في (ع).

(٧) في (ع): يبعثه الله.

(٨) انظر: الصحاح ٤/١٥٣٠.

(٩) (بفتح اللام): ليست في (ظ).

(١٠) في (ظ): وروي.

حالة الشهداء لا غيرهم بدليل الحديث المتقدم، وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاكُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، ولا يرزق إلا حي فلا يتعجل الأكل والنعيم لأحد إلا الشهيد في سبيل الله بإجماع من الأمة، حكاه القاضي أبو بكر بن العربي في سراج المریدین^(١)، وغير الشهيد بخلاف هذا الوصف، إنما يملأ عليه قبره خضراً، ويفسح له فيه.

وقوله: «نسمة المؤمن»، أي روح المؤمن الشهيد، يدل عليه قوله في نفس الحديث [١/٦١]: «حتى يرجعه الله إلى جسده يوم القيامة».

الثالث: فإن قيل: فقد جاء أن الأرواح تتلاقى في السماء، والجنة في السماء^(٢) يدل عليه قوله ﷺ: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء»^(٣) و^(٤) في رواية: «أبواب الجنة»^(٥).

قلنا: لا يلزم من تلاقي الأرواح في السماء أن يكون تلاقيها في الجنة، بل^(٦) أرواح المؤمنين غير الشهداء، تارة تكون في الأرض على أفنية القبور، وتارة^(٧) في السماء لا في الجنة.

وقد قيل: إنها تزور قبورها كل جمعة على الدوام، ولذلك يستحب زيارة القبور ليلة الجمعة ويوم الجمعة، ويكره السبت^(٨) فيما ذكره^(٩) العلماء^(١٠)، والله أعلم.

(١) لم أجده في سراج المریدین المخطوط.

(٢) (في السماء): ليست في (ظ).

(٣) البخاري في الصحيح ٦٧٢/٢، ح ١٨٠٠.

(٤) (الواو): ليس في (ع).

(٥) البخاري في الصحيح ١١٩٤/٣، ح ٣١٠٣.

(٦) في (ع): قيل.

(٧) في (ظ): وتارة تكون.

(٨) زيارة الأرواح لقبورها يوم الجمعة على الدوام من الغيب الذي لا يعلم إلا بالوحي، ولم يذكر صاحب القول ما يدل عليه، ومثله الاستحباب والكره المذكورتان في القول.

(٩) في (ع، ظ): ذكر.

(١٠) لم ألق على القائل.

قال ابن العربي^(١): وبحديث الجرائد يستدل الناس على أن الأرواح في القبور تعذب، أو تنعم، وهو أبين في ذلك من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيح: «إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالخداة والعشي»؛ لأن عرض مقعده عليه ليس فيه بيان عن موضعه الذي يراه منه، وحديث الجرائد نص على أن أولئك يعذبون في قبورهم، وكذلك حديث اليهود.

قلت: ويحتمل^(٢) ما ذكرناه^(٣)، والله أعلم أن يكون قوله رضي الله عنهما: «ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه في الدنيا» وروحه في قبره^(٤) إلا عرفه ورد عليه السلام حتى لا تتناقض الأخبار، والله المستعان^(٥).

الرابع: فإن قيل: فقد قال رضي الله عنهما: «والذي نفسي بيده لو أن رجلاً قتل في سبيل الله ثم أحبي ثم قتل ثم أحبي ثم قتل وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى عنه»^(٦)، وهذا يدل: على أن بعض الشهداء لا يدخلون الجنة من حين^(٧) القتل، ولا تكون أرواحهم في جوف طير^(٨)، ولا تكون في قبورهم، فأين تكون؟

قلنا: قد خرج ابن وهب بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الشهداء على بارق نهر»^(٩) بباب الجنة، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكررة وعشياً^(١٠)، فلعلهم هؤلاء، أو من منعه من دخول الجنة حقوق

(١) ثم أهدت إلى قوله في كتبه: عارضة الأحودي، أحكام القرآن، قانون التأويل، سراج المريرين.

(٢) في (ع): يحتمل على.

(٣) في (ظ): ذكرنا.

(٤) في (ع): في قبره فسلم عليه.

(٥) في (ع، ظ): الله أعلم.

(٦) أخرجه النسائي في المجتبى ٣١٤/٧، ح ٤٦٨٤، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٥٥/٥، ح ١٠٧٤٥ والنضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ٢٧٦/٣، قال الألباني: حسن.

انظر: صحيح النسائي له ٩٦٩/٣، ح ٤٣٦٧.

(٧) (حين): ساقطة في (ظ).

(٨) في (ع): عين.

(٩) أخرجه أحمد في المسند ٢٦٦/١، ح ٢٣٩٠، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢٠٣/٤، ح ١٩٣٢١، وعبد بن حميد في مسنده ص (٢٣٧)، ح ٧٢١، كلهم باختلاف يسير في

لفظ المؤلف.

الآدميين؛ إذ الدين ليس مختصاً بالمال على ما يأتي^(١)، ولهذا قال
علماءنا^(٢): أحوال الشهداء طبقات^(٣) مختلفة، ومنازل متباينة يجمعها أنهم
يرزقون، وقد تقدم^(٤) قوله ﷺ: «من مات مريضاً مات شهيداً، وغدي وريح
عليه^(٥) برزقه من الجنة».

وهذا نص في أن الشهداء مختلفو الحال، وسيأتي كم الشهداء^(٥)؟ إن
شاء الله تعالى.

الخامس: فإن قيل فقد روى ابن ماجه^(٦) عن أبي أمامة رضي الله عنه قال:
سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لشاهد^(٧) البحر مثل شهيد^(٨) البر، والمائد^(٩) في
البحر كالمتشحط في دمه في البر، وما بين الموجين كقاطع الدنيا في طاعة الله،
وإن الله وكل ملك الموت بقبض الأرواح إلا شهيد البحر فإنه يتولى قبض
أرواحهم، ويغفر لشهيد البر الذنوب كلها إلا الدين، ولشهيد البحر الذنوب
كلها^(١٠) والدين».

قلنا: الدين إذا أخذه المرء في حق واجب لفاقة^(١١) وعسر ومات ولم
يترك وفاة للدين فإن الله لا يحبس عنه الجنة إن شاء الله شهيداً [ب/٦١] كان أو
غيره؛ لأن على السلطان فرضاً^(١٢) أن يؤدي عنه دينه^(١٣)، قال ﷺ: «من ترك

(١) ص(٦٤١) وما بعدها. (٢) في (ظ): رحمة الله عليهم.

(٣) في (ظ): أطياف. (٤) تقدم ص(٤٢١).

(٥) في (ظ): وغدي وريح. (٦) ص(٤٣٨).

(٧) في سننه ٢/٩٢٨، ح ٢٧٧٨، وابن أبي شيبة في مصنفه بنحوه ٤/٢١٣، ح ١٩٤٠٥،
وقال الألباني: ضعيف جداً، انظر: ضعيف ابن ماجه ص(٢٢٤ - ٢٢٥)، ح ٦١١.

(٨) في (ظ، ابن ماجه): شهيد. (٩) في (ع، ابن ماجه): شهيد.

(١٠) هو الذي يدار رأسه من ربح البحر، واضطراب السفينة بالأمواج، النهاية في غريب
الأثر ٤/٣٧٩.

(١١) (كلها): ليست في (ظ). (١٢) في (ع، ظ): أو.

(١٣) (فرضاً): ليست في (ظ).

(١٤) ذكر المؤلف في تفسيره الموارد التي يؤدي منها السلطان الدين ٤/١٧٥ فقرة رقم

٢٧٤، ثم أحال المؤلف إلى هذا الموضع من التذكرة.

دينياً أو ضياعاً فعلى الله ورسوله، ومن ترك مالا فلورثته، فإن لم يؤد عنه السلطان فإن الله تعالى يقضي عنه ويرضي خصمه»^(١).

وقد روى^(٢) ابن ماجه^(٣) عن عبد الله بن عمرو^(٥) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدين يقتصر أو مقتصر^(٦) من صاحبه يوم القيامة إذا مات إلا من تدين في ثلاث خلال: الرجل تضعف قوته في سبيل الله فيستدين بتقوى^(٧) به لعدو الله وعدوه، ورجل يموت عنده^(٨) مسلم^(٩) لا يجد ما يكفنه فيه^(١٠) ويواريه إلا بدين، ورجل خاف على نفسه العزبة فينكح خشية على دينه، فإن الله يقضي عن هؤلاء^(١١) يوم القيامة».

وأما من أذان في سفه أو سرف فمات ولم يوفه، أو ترك له وفاء ولم يوص به، أو قدر على الأداء فلم يوفه، فهذا الذي يجبس به صاحبه عن الجنة حتى يقع القصاص بالسيئات والحسنات^(١٢) على ما يأتي^(١٣).

فيحتمل أن يكون قوله ﷺ في شهيد البحر عاماً^(١٤) في الجميع، وهو^(١٥) الأظهر؛ لأنه لم يفرق بين^(١٦) دين ودين.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ١٦٠/٩، ح ٩٤١٨؛ أحمد في المسند ٤٦٤/٢، ح ٩٩٨٤ بنحوه؛ وأبو يعلى في مسنده ٣٠٥/٧، ح ٤٣٤٣؛ قال النبهني: رواه أحمد وأبو يعلى وفيه أعين البصري، ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه ولم يوثقه، وبقيته رجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد ٢٢٧/٤.

(٢) في (ع، ظ): والدليل على ذلك ما رواه.

(٣) في (ع): في سننه.

(٤) سنن ابن ماجه ٨١٤/٢، ح ٢٤٣٥؛ وإسحاق بن راهويه في مسنده ٤٨٤/٢، ح ١١٠٦٤ وقال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف ابن ماجه ص (١٨٩)، ح ٥٣٠.

(٥) في (الأصل، ع): عمر، والتصويب من (ظ، سنن ابن ماجه).

(٦) في (ابن ماجه): إن الدين يقضى من صاحبه.

(٧) في (الأصل): يتقوى، والتصويب من (ع، ظ، سنن ابن ماجه).

(٨) في (ظ): عند.

(٩) في (ع): رجل مسلم.

(١٠) (فيه): ليست في (ظ).

(١١) في (ظ): يفتقر.

(١٢) في (ع، ظ): بالحسنات والسيئات.

(١٣) في (ع، ظ): عام، وما في الأصل هو الصواب: لأنه خير ليكون.

(١٤) في (ظ): وهذا.

(١٥) (بين): ساقطة في (ظ).

ويحتمل أن يكون فيمن اذان ولم يفرط في الأداء وكان عزمه ونيته الأداء لا إتلاف المال على صاحبه والله أعلم^(١)، وقد قال رسول الله ﷺ: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله» خرجه البخاري^(٢).

على أن حديث أبي أمامة في إسناده لين، وأعلى منه إسناداً وأقوى ما رواه مسلم^(٣) عن عبد الله بن عمرو^(٤) أن النبي ﷺ قال: «القتل^(٥) في سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدين»، ولم يخص برأ من بحر.

وكذا^(٦) ما رواه أبو قتادة^(٧) أن رجلاً قال: يا رسول الله، أرأيت إن قُتلت في سبيل الله أتكفر^(٨) عني^(٩) خطاياي؟ فقال [له]^(١٠) رسول الله ﷺ: «نعم إن قُتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر، ثم قال رسول الله ﷺ: كيف قلت؟ فقال: أرأيت إن قُتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين فإن جبريل قال لي ذلك^(١١)».

وخرج أبو نعيم^(١٢) الحافظ بإسناده عن قاضي المصريين شريح بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق^(١٣) أن النبي ﷺ قال: «إن الله يدعو صاحب الدين يوم القيامة فيقول: يا ابن آدم فيم أضعت حقوق الناس؟ فيم أذهبت

(١) (والله أعلم): ليست في (ع، ظ).

(٢) في الصحيح ١٥٠٢/٣، ح ١٨٨٦.

(٣) في (الأصل، ظ): عمر، والتصويب من (ع، مسلم).

(٤) في (الأصل): القتل، والتصويب من (ع، ظ، مسلم).

(٥) في (ع، ظ): كذلك.

(٦) الأنصاري، هو الحارث، ويقال: عمر أو النعمان بن ريمي، المدني، شهد أهدأ وما بعدها، توفي سنة ٥٥٤هـ، التقريب ص (٦٦٦) رقم ٨٣١١.

(٧) في (مسلم): تكفر، وفي (ع، ظ): أتكفر الله.

(٨) (عني): ليست في (ظ).

(٩) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، صحيح مسلم).

(١٠) أخرجه مسلم ١٥٠١/٣، ح ١٨٨٥. (١٢) في الحلية ١٤١/٤.

أموالهم؟ فيقول: يا رب لم أفسده ولكن أصببت إما غرقاً وإما حرقاً، فيقول الله ﷻ: أنا أحق من قضى عنك اليوم، فترجح حسناته على سيئاته فيؤمر به إلى الجنة*، رواه من طرق.

وقال يزيد بن هارون في حديثه: «فیدعو الله بشيء فيضعه في ميزانه فيثقل».

غريب من حديث شريح تغرد به صدقة بن أبي موسى عن أبي عمران الجوني^(١).

قلت: هذا [١/٦٢] نص في^(٢) قضاء الله سبحانه الدين إذا لم يؤخذ على سبيل الفساد، والحمد لله الموفق للسداد والمبين على لسان رسوله ﷺ^(٣) ما أبهم واستغلق من مشكل على العباد.

وقد قال بعض العلماء: إن أرواح المؤمنين كلهم في جنة المأوى، وإنما قيل لها جنة المأوى لأنها تأوي إليها أرواح المؤمنين وهي تحت العرش فيتمتعون^(٤) بنعيمها، ويتنسمون بطيب ريحها^(٥)، وهي تسرح في الجنة^(٦)، وتأوي إلى قناديل من نور تحت العرش، وما ذكرناه [أولاً]^(٧) أصح، والله أعلم.

وقد روى ابن المبارك^(٨) قال: حدثنا^(٩) ثور بن يزيد عن خالد بن معدان

(١) الإمام الثقة عبد الملك بن حبيب البصري، رأى عمران بن حصين، روى عن أنس بن مالك، توفي سنة ١٢٣هـ، السبر ٥/٢٥٥، وانظر القول في الحلية لأبي نعيم ٤/١٤١.

(٢) (في): ليست في (ع).

(٣) (في ع): نبيه، وفي (ظ): رسول الله.

(٤) (في ع): فيتمتعون، وفي (ظ): فيتمتعون.

(٥) (في ظ): بطيب الريح بها. (٦) (في ظ): وهي الجنة تسرح.

(٧) ما بين المعفوفين من (ع، ظ).

(٨) أخرجه في التمهيد له ص (١٥٠)، ح ٤٤٦؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/٣١، ح ٣٣٩٧٨؛ وأبو نعيم في الحلية ١/٢٩٠؛ والطبري في تفسيره ٢/٣٩.

(٩) (في ع، ظ): أخبرنا.

قال: حدث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: أرواح المؤمنين في طير كالزراير يتعارفون يرزقون من الجنة.

أخبرنا ابن لهيعة قال: حدثني يزيد بن أبي حبيب أن منصور بن أبي منصور حدثه قال: سألت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ^(١) فقلت: أخبرني عن أرواح المسلمين أين هي حين يتوفون؟ قال: ما تقولون أنتم يا أهل العراق؟ قلت: لا أدري، قال: فإنها صور طير بيض في ظل العرش، وأرواح الكافرين في الأرض السابعة، وذكر الحديث ^(٢).

قلت: فهذه حجة من قال: إن أرواح المؤمنين كلهم في الجنة، والله أعلم، على أنه يحتمل أن يدخله من التأويل ما تقدم، والله أعلم، فيكون المعنى: أرواح المؤمنين الشهداء، وكذا «قلت: أخبرني عن أرواح المسلمين الشهداء» ^(٣)، والله أعلم.

فصل

وقع في حديث ابن مسعود: «أرواحهم في جوف طير خضر»، وفي حديث مالك: «نسمة المؤمن طائر».

وروى الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق ^(٤) قال: سئل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن أرواح الشهداء فقال: «أرواح الشهداء عند الله كطير» ^(٥) خضر في قناديل تحت العرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم ترجع إلى قناديلها» وذكر الحديث ^(٦).

- (١) (بن العاص رضي الله عنه): ليست في (ع، ظ).
- (٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد ص(٤٢)، ح ١٦٤، والطبري في تفسيره ٣٩/٢.
- (٣) من قوله: وكذا فقلت... إلى قوله الشهداء، ليس في (ظ).
- (٤) (عن مسروق): ليست في (ع، ظ). (٥) في (ظ): كطيور.
- (٦) أخرجه ابن ماجه في سننه ٩٣٦/٢، ح ٢٨٠١، والطبراني في الكبير ٢٠٩/٩، ح ٩٠٢٣، والبيهقي في الكبرى ١٦٣/٩، ح ١٨٢٩٩، قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، وله أسانيد أخر ضعيفة، مجمع الزوائد ٣٢٨/٦، وصححه الألباني، انظر: صحيح ابن ماجه ١٣٠/٢، ح ٢٢٥٩.

وروى ابن عيينة عن عبد الله بن أبي يزيد أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول:
إن أرواح الشهداء تجول في طير خضر^(١).

وروى ابن شهاب عن ابن كعب بن مالك عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال: «أرواح انشهداء طير خضر تعلق في شجر الجنة»^(٢).

وهذا كلفه مطابق لحديث مالك، فهو أصح من رواية من روى: «إن
أرواحهم في جوف طير خضر»، قاله: أبو عمر في الاستذكار^(٣).

وقال أبو الحسن القاسبي: أنكر العلماء قول من قال: «في حواصل طير»
لأنها رواية غير صحيحة؛ لأنها إذا كانت كذلك فهي محصورة مضيق^(٤) عليها.

قلت: الرواية صحيحة^(٥)؛ لأنها في صحيح مسلم بنقل العدل عن
العدل، فيحتمل أن تكون الفاء بمعنى: على، فيكون المعنى أرواحهم على
جوف^(٦) طير خضر كما قال تعالى: ﴿وَأَصْلَبَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، أي
على جذوع النخل.

وجائز أن يسمى الظاهر^(٧) جوفاً إذ هو محيط به ومشمول عليه. قاله^(٨) أبو
محمد عبد الحق^(٩)، وهو حسن جداً.

وذكر شبيب بن إبراهيم^(١٠) في كتاب الإفصاح^(١١): المنعم على

(١) رواه ابن ماجه في سننه ٤٦٦/١، ح ١٤٤٩؛ قال الألباني: ضعيف، لكن المرفوع منه صحيح، انظر: ضعيف ابن ماجه ص (١٠٩)، ح ٣٠٩.

(٢) ذكرها ابن عبد البر في الاستذكار ٣٥٨/٨، ح ١١٨٦٦.

(٣) ٣٥٨/٨، ح ١١٨٧٠. (٤) في (ع): مضيق.

(٥) في (ع): الرواية غير صحيحة، وهذا خطأ.

(٦) في (ع): فيكون المعنى على جوف. (٧) في (ع): الظاهر.

(٨) في (ع): قال.

(٩) ثم أهدت إلى قوله ضمن كتيبه: الأحكام الشرعية الكبرى، والصغرى، والمعاقبة.

(١٠) في الديباج لابن فرحون: شيب، وفي كشف الظنون ١٦٣٥/٢: شيب، وقيل:

شبيب بن إبراهيم بن محمد بن حيدرة، أبو الحسن المالكي، كان فقيهاً ونحوياً ولغوياً

بارعاً، له تصانيف منها القلاصم وإفحام المخاصم في النحو، توفي سنة ٥٩٨هـ،

وقبل ٥٩٩هـ، انظر: الديباج ١/١٢٨.

(١١) ثم أوقف على من ذكر الكتاب، وانظر: ص (٦٢).

جهات^(١) مختلفة منها ما هو طائر يعلق^(٢) من^(٣) شجر الجنة، ومنها ما هو في حواصل خضر، ومنها ما يأوي إلى^(٤) قناديل تحت العرش، ومنها ما هو في [١٢/ب] حواصل طير بيض، ومنها ما هو في حواصل طير كالزرازير، ومنها ما [هو]^(٥) في أشخاص وصور^(٦) من صور الجنة، ومنها ما هو في صور^(٧) تخلق لهم من ثواب أعمالهم، ومنها ما يسرح ويردد إلى جثتها تزورها، ومنها ما تتلقى أرواح المقبوضين، وممن سوى ذلك ما هو في كفالة ميكائيل، ومنها ما هو في كفالة آدم، ومنها ما هو^(٨) في كفالة إبراهيم عليه السلام وهذا قول حسن فإنه يجمع الأخبار حتى لا تتدافع، والله أعلم وبغيبه أحكم^(٩).

باب كم الشهداء؟ ولم سمي شهيداً؟ ومعنى الشهادة؟

خرَجَ الأَجْرِي^(١٠) وغيره عن أبي مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من فصل^(١١) في سبيل الله فمات أو قتل فهو شهيد، أو وقصه فرسه أو بعيره أو لدغته^(١٢) هامة، أو مات على فراشه بأي حتف شاء الله فإنه^(١٣) شهيد وأن له الجنة»^(١٤).

- (١) في (ع): جنات.
 (٢) (تعنق): ليست في (ظ).
 (٣) في (ع): في.
 (٤) في (ع): في.
 (٥) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).
 (٦) في (ع، ظ): صور.
 (٧) (في صور): ساقطة من (ظ).
 (٨) (ما هو): ليست في (ظ).
 (٩) في (ع): والله بغيبه أعظم وأحكم، وفي (ظ): والله أعظم وأحكم.
 (١٠) لا يوجد في كتابه الشريعة ولعله في كتابه النصيحة المنقود الذي ينقل عنه المؤلف.
 (١١) أي خرج، انظر: الصحاح ١٧٩٠/٥.
 (١٢) في (الأصل): لدغه، والتصويب من (ع، ظ، أبو داود).
 (١٣) في (الأصل): فهو، وما أنبه من (ع، ظ، أبو داود).
 (١٤) أخرجه أبو داود في سننه ٩/٣، ح ٢٤٩٩؛ وانطرباني في الكبير ٣/٢٨٢، ح ١٣٤١٨؛ والحاكم في المستدرک ٢/٨٨، ح ٢٤١٦؛ والبيهقي في الشعب ٣/٢٢، ح ٤٢٤٨، قال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف أبي داود له ص (١٩٢)، ح ٢٤٩٩.

وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبه^(١) بمعناه عن عبد الله بن عتيك رضي الله عنه عن النبي ﷺ^(٢).

الترمذي^(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الشهداء خمسة^(٤): المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله ﷻ»، وقال: حديث حسن صحيح.

النسائي^(٥) عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الشهداء سبعة^(٦) سوى القتل في سبيل الله، المطعون، والمبطون، والغرق، والنحرق، وصاحب ذات الجنب، والذي يموت تحت الهدم، والمرأة تموت بجمع».

قيل: هي التي تموت من الولادة وولدها في بطنها قد تم خلقه، وقيل: إذا ماتت من النفاس فهي شهيدة سواء ألفت ولدها وماتت^(٧) أو ماتت وهو في بطنها، وقيل: التي تموت بكرأ لم يمسه الرجال^(٨)، وقيل: التي تموت قبل أن تحيض وتطمث فهذه قولان^(٩)، لكل قول وجهان.

وفي جمع لغتان: ضم الجيم وكسرها.

وفي بعض^(١٠) الآثار: «المجنوب شهيد»^(١١)، يريد: صاحب ذات

(١) في مصنفه ٢٠٤/٤، ح ١٩٣٢٩.

(٢) في (المصنف): عبد الله بن عتيك عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ.

(٣) في جامعه ٣٧٧/٣، ح ١٠٦٣؛ وأخرجه البخاري في صحيحه ٢٣٣/١، ح ٦٢٤؛ ومسلم في صحيح ١٥٢١/٣، ح ١٩١٤.

(٤) في (الترمذي): خمس.

(٥) في المجتبى ١٣/٤، ح ١٨٤٦؛ وأبو داود في سننه ١٨٨/٣، ح ٣١١١؛ وابن ماجه في سننه ٩٣٧/٢، ح ٢٨٠٣؛ وابن حبان في صحيحه ٤٦٢/٧، ح ٣١٨٩؛ قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح النسائي له ٣٩٨/٢، ح ١٧٤٢.

(٦) في (النسائي): الشهادة سبع. (٧) (وماتت): ليست في (ع).

(٨) في (ظ): الرجل.

(٩) هكذا في الأصل و(ع)، وفي (ظ): فهذا، ولعل الصواب: فهذان قولان.

(١٠) في (ظ): جاء في بعض.

(١١) أخرجه أحمد في مسنده ٤٤١/٢، ح ٩٦٩٣.

الجنب، يقال منه^(١): رجل جنب بكسر النون وفتح الجيم إذا كانت به ذات الجنب وهي: الشوصة^(٢).

وفي كتاب الترمذي^(٣) وأبي داود^(٤) والنسائي^(٥) عن سعيد بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول^(٦): «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد^(٧)»، ومن قتل دون أهله فهو شهيد^(٨)»، قال الترمذي: حديث^(٩) حسن صحيح.

وروى النسائي^(١٠) من حديث سويد بن مقرن ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل دون مظلمة^(١١) فهو شهيد».

وروى ابن ماجه^(١٢) عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «موت غربة شهادة».

وأخرجه الدارقطني^(١٣) ولفظه: «موت الغريب شهادة» [i/٦٣]

(١) (منه): ليست في (ظ).

(٢) الشوصة: ربح تعقب الأضلاع، الصحاح ٣/١٠٤٤.

(٣) في جامعه ٤/٣١، ح ٤١٢١.

(٤) في سننه ٤/٢٤٦، ح ٤٧٧٢.

(٥) في المجتبى ٧/١١٢، ح ٤٠٩٥؛ قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح النسائي ٣/٨٥٨، ح ٣٨٠٧.

(٦) في (ظ): وهو يقول.

(٧) (ومن قتل دون دينه فهو شهيد): ليست في (ع).

(٨) (ومن قتل دون أهله فهو شهيد): ليست في (ظ).

(٩) في (ع): هذا حديث.

(١٠) في المجتبى ٧/١١٢، ح ٤٠٩٣؛ قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح النسائي ٣/٨٥٨، ح ٣٨١٥.

(١١) في (ع، النسائي): مظلمته.

(١٢) في سننه ١/٥١٥، ح ١٦١٣؛ وضعفه الألباني، انظر: ضعيف ابن ماجه له ص (١٢٢)، ح ٣٠٤.

(١٣) لم أجده في سنن الدارقطني، وأخرجه الطبراني في الكبير ١١/٥٧، ح ١١٠٣٤؛ وأبو يعلى في مسنده ٤/٢٧٠، ح ٢٣٨١؛ قال انهشمي: رواه الطبراني في الكبير وفيه عمرو بن الحصين وهو متروك، مجمع الزوائد ٢/٣١٧ - ٣١٨.

وذكره [هـ] ^(١) أيضاً من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وصححه .

وخرجه أبو بكر الخرائطي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات غريباً مات شهيداً» ^(٢).

وأخرجه ^(٣) أيضاً من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات غريباً مات شهيداً» ^(٤).

وقد تقدم ^(٥) قوله ﷺ: «من مات مريضاً مات شهيداً».

وروى الترمذي ^(٦) عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكُلَّ اللهُ به سبعين ألف ملك يصلون عليه

(١) ما بين المعقوفين من (ع، ف).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١٧٣/٧، ح ٩٨٩٥؛ وأبو نعيم في الحلية ٢٠٣/٨.

(٣) أي الخرائطي.

(٤) قال الألباني: حديث «موت الغريب شهادة»، موضوع، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١/٤٢٥، ح ٤٢٥، قال الآجري: الغريب على وجهين فغريب يموت طائعاً لله ﷻ بغرفته، وهم على أصناف شتى كلها محمودة فهم الذين يرتجى أن يكون موت أحدهم شهادة، وغريب عاص لله ﷻ بغرفته، وهم على أصناف شتى كلها مذمومة وفرض عليهم التوبة من الغربة والرجوع عما تغربوا له، فإن قال قائل: فصف لنا الغريب الطائع لله ﷻ في غربته حتى لا نتغرب إلا في طاعة؟ قيل له: من تغرب في حج أو عمرة أو جهاد فمن مات في خروجه أو رجوعه فهو شهيد، ومن خرج في طلب العلم يريد وجه الله الكريم بعلمه؛ ليعلم ما افترض الله عليه فيستعمله ويعلم ما حرم الله عليه فينتهي عنه فمات فهو شهيد، ومن خرج زائراً لأخ في الله ﷻ لزيارة رحم يبرهم بزيارته فمات فهو شهيد، ومن كان في بلد ظهرت فيه الفتن فخشى على دينه وماله وأهله ففر منه إلى غيره فمات فهو شهيد، ومن ضاق عليه المكسب الحلال في بلده، فخرج إلى بلد غيره ليكتسب الحلال فمات فهو شهيد، ومن شرد له ولد أو ابن له عبد أو أمة فخرج في طلبهم فمات فهو شهيد، انظر: كتاب الغريب لمحمد بن الحسين للآجري ص (٧٦).

(٥) تقدم ص (٤٣٨).

(٦) في جامعه ٥/١٨٢، ح ٢٩٢٢؛ وقال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف الترمذي له ص (٣٥٢)، ح ٥٦٠.

حتى يمسي، وإن مات في يومه مات شهيداً، ومن قرأها حين يمسي فكذلك» قال: حديث حسن غريب.

وذكر الثعالبي عن يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ آخر سورة الحشر إلى آخرها ﴿لَوْ أَرْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جِبَلٍ﴾ [الحشر: ٢١] فمات من ليلته مات شهيداً».

وخرج الأجري^(١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أنس إن استطعت أن تكون أبداً على وضوء فافعل، فإن ملك الموت إذا قبض روح العبد وهو على وضوء كتب له شهادة»^(٢).

وروى الشعبي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من صلى الضحى، وصام ثلاثة أيام من كل شهر، ولم يترك»^(٣) الوتر في حضر ولا سفر كتب له أجر شهيد، ذكره أبو نعيم^(٤).

وروي من حديث أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا جاء الموت طالب العلم وهو على حاله مات شهيداً»^(٥).

وبعضهم يقول: ليس بينه وبين الأنبياء إلا درجة واحدة، ذكره أبو عمر في كتاب بيان العلم^(٦).

(١) لم أجده في كتابه الشريعة، ولعله في كتابه التصبحة الذي ينقل عنه المصنف.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢٩/٣، ح ٢٧٨٣، وقال ابن الجوزي: هذا الحديث لا يصح، كتاب الموضوعات له ٤٥٤/٣ - ٤٥٥، ح ١٦٨١.

(٣) في (الأصل): ولا يترك، والتصويب من (ع، ط، الحلية).

(٤) في الحلية ٣٣٢/٤، وقال أبو نعيم بعد ذكره لهذه الرواية: غريب من حديث الشعبي تفرد به أيوب بن نهيك. قال ابن أبي حاتم في أيوب بن نهيك: سمعت أبي يقول: ضعيف الحديث، سمعت أبا زرعة يقول: لا أحدث عن أيوب بن نهيك، ولم يقرأ علينا حديثه، وقال: هو منكر الحديث الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ٢٥٩/٢.

(٥) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ٢٤٧/٩، وقال ابن حجر: هذا من الأباطيل، لسان الميزان ١٤٥/٢.

(٦) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر ٤٦/١.

وخرج مسلم^(١) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من طلب الشهادة صادقاً أعطيتها و[لوا]^(٢) لم تصبه».

وعن سهل بن حنيف أن النبي ﷺ قال: «من سأل الله الشهادة^(٣) بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»^(٤).

وخرج الترمذي^(٥) الحكيم من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس من أحد إلا وله كرائم من ماله يأبى لهم الذبح، وإن الله خلقاً من خلقه يأبى لهم الذبح أقوام يجعل موتهم على فرشهم^(٦)، ويقسم لهم أجور^(٧) الشهداء».

فصل

الشهداء: جمع الشاهد، والشهيد^(٨): القتل في سبيل الله، كذا قال أهل اللغة، الجوهري^(٩) وغيره^(١٠).

وسمي بذلك؛ لأنه مشهود له بالجنة، فالشهيد بمعنى مشهود له فعيل بمعنى مفعول.

وقال ابن فارس اللغوي في المجمع^(١١): الشهيد^(١٢): القتل في سبيل الله.

قالوا: لأن ملائكة الله تشهد [ب/٦٣].

(١) في الصحيح ١٥١٧/٣، ح ١٩٠٨.

(٢) ما بين المعقوفين من (ع، ظ، مسلم).

(٣) في (الأصل): من طلب الشهادة، والتصويب من (ع، ظ، مسلم).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ١٥١٧/٣، ح ١٩٠٩.

(٥) في نواتر الأصول ٢٣٢/٤. (٦) في (ظ): فراشهم.

(٧) في (الأصل): أجر، وما أثبتته من (ع، ظ، نواتر الأصول).

(٨) في (ع): تكررت كلمة: الشهيد. (٩) في كتابه الصحاح ٤٩٤/٢.

(١٠) الفيروزآبادي في القاموس المحيط ص (٣٧٢).

(١١) ٥١٤/٢. (١٢) في (ع، ظ): والشهيد.

وقيل: سمي شهيداً لأن أرواحهم أحضرت دار السلام^(١) لأنهم أحياء عند ربهم، وأرواح غيرهم لا تصل إلى الجنة.

فالشهيد بمعنى: الشاهد^(٢)، أي الحاضر إلى الجنة^(٣). [وقيل: سمي بذلك لسقوطه بالأرض، والأرض الشاهدة]^(٤).

وقيل: سمي بذلك لشهادته على نفسه لله ﷻ حين لزمه الوفاء بالبيعة التي بايعه في قوله الحق: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، واتصلت شهادة الشهيد الحق بشهادة العبد، فسماه شهيداً^(٥)، ولذلك قال ﷺ: «والله أعلم بمن يكتم في سبيله»^(٦).

وقال في شهداء أحد: «أنا شهيد على هؤلاء»^(٧) لبدلهم أنفسهم دونه، وقتلهم بين يديه تصديقاً لما جاء به ﷺ. هذا الكلام في الشهيد^(٨).

فأما الشهادة فصفة يسمى^(٩) حاملها بالشاهد ويبلغ بشهيد.

لشهادة^(١٠) ثلاثة شروط لا تتم إلا بتمامها وهي: الحضور والوعي والأداء.

أما الحضور فهو: شهود الشاهد للمشهد^(١١).

والوعي: رم^(١٢) ما شاهده، وعلمه في شهوده ذلك.

(١) تكررت في هذا الموضع جملة: لأن أرواحهم، ويبدو أنه سبق نظراً لأن المعنى لا يدل عليه، وليس في (ع، ظ).

(٢) في (الأصل): الشهيد، وهو تصحيف، تصويبه من (ع، ظ).

(٣) في (ع، ظ): للجنة. (٤) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).

(٥) ذكر المؤلف هذه الأقوال في معنى الشهيد في نفسه ٢١٨/٤ ولم ينسجها إلى قائل.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ١٠٦١/٣، ح ٢٧٤٦؛ ومسلم ١٤٩٦/٣، ح ١٨٧٦.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه ٤٥٠/١، ح ١٢٧٨.

(٨) في (ع): منه للشهيد. (٩) في (ظ): سمي.

(١٠) في (ظ): وللشهادة.

(١١) في (الأصل): والشهود، وما أثبتته من (ع، ظ)، ولو لم يوجد الواو في الأصل لكان هناك احتمال لصحة المعنى، بأن تعدى الكلمة من غير الحرف.

(١٢) كذا في الأصل، وفي (ع، ظ): زم، وبالرجوع إلى معاجم اللغة لم أجد في معاني=

والأداء هو: الإتيان بالشهادة على وجهها في موضع الحاجة إلى ذلك، هذا معنى الشهادة.

والشهادة على الكمال إنما هي لله سبحانه، وأن جميع الشاهدين سواء يؤدون شهادتهم^(١) عنده، قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الزمر: ٦٩]، والشهداء هم العدول، وأهل العدالة في الدنيا والآخرة، وهم القائمون بما وجب للحق سبحانه عليهم^(٢) في الدنيا.

باب

روى النسائي^(٣) عن العرياض بن سارية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يختصم الشهداء والمتوفون على فرشهم إلى ربنا في الذين يتوفون زمن الطاعون، فيقول الشهداء: قتلوا كما قتلنا، ويقول المتوفون على فرشهم: إخواننا ماتوا على فرشهم كما متنا، فيقول ربنا ﷻ: انظروا إلى جراحهم فإن أشبهت جراح المقتولين فإنهم منهم، فإذا جراحهم أشبهت جراحهم»^(٤).

وروت عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن فناء أمتي بالطعن وأطاعون، قالت: أما الطعن فقد عرفناه فما الطاعون؟ قال: غدة كغدة البعير تخرج في المراق»^(٥) والآباط، من^(٦) مات منها مات شهيداً^(٧)، أخرجه أبو عمر

- (رم، وزم، دم، ذم) ما يستقيم به المعنى، والذي ظهر لي أن الكلمة تحرفت من كلمة: زعم، التي بمعنى: قال، والزعم: القول، الصحاح ١٩٤١/٥ والفاموس المحيط ص (١٤٤٣)، فتكون العبارة: والوعى زعم ما شاهده، والمعنى: قول ما شاهده، والله أعلم.

(١) في (ع، ظ): شهاداتهم.

(٢) (عليهم): ليست في (ع).

(٣) في المنجى ٣٧/٦، ح ٣١٦٤، وأحمد في المسند ١٢٨/٤، ح ١٧٩٩، والطبراني في مسند الشاميين ١٩٥/٢، ح ١١٧٧، صححه الألباني، انظر: صحيح النسائي ٢/٢٦٥، ٢٩٦٦.

(٤) من قوله: فإن أشبهت.. إلى هذا الموضع ليس في (ظ).

(٥) في (ظ): المراقي، المراق: ما سفل من البطن فما تحته من المواضع التي تروى جلودها، واحدها فرق، انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/٢٥٢.

(٦) في (ع، ظ): فمن.

(٧) رواه أحمد في المسند ٦/٢٥٥، ح ٢٦٢٢٥، و٣/٤٣٧، ح ١٥٦٤٦، ٤/٣٩٥ =

في التمهيد^(١) والاستذكار^(٢).

باب ما جاء أن الإنسان يبلى ويأكله التراب إلا عجب الذنب

مسلم^(٣) وابن ماجه^(٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظم واحد^(٥) وهو عجب الذنب، ومنه
يركب الخلق يوم القيامة^(٦).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: *كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب
الذنب، منه خلق [أ/٦٤]، وفيه يركب^(٧).

فصل

يقال: عجم وعجب بالباء والميم، لغتان، وهو جزء لطيف في أصل الصلب.
وقيل: هو رأس العصعص كما رواه ابن أبي داود^(٨) في كتاب البيعت^(٩)
من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قيل: يا رسول الله وما هو؟ قال: مثل حبة
خردل وهو منه ينشرون^(١٠)،^(١١).

= ح ١٩٦٤٦؛ وأبو داود الطيالسي في مسنده ٧٢/٢، ح ٥٤٣؛ قال الهيثمي: رواه أحمد
بأسانيد رجال بعضها رجال الصحيح، مجمع الزوائد ٣١٢/٢.

(١) ٢٠٥/١٩. (٢) ٣١٥/٨، ح ١١٦٦٦.

(٣) في صحيحه ٢٢٧٠/٤، ح ٢٩٥٥. (٤) في سننه ١٤٢٥/٢، ح ٤٢٦٦.

(٥) في (ع): شيء واحد عظم. (٦) واللفظ لابن ماجه.

(٧) أخرجه مسلم ٢٢٧١/٤، ح ٢٩٥٥.

(٨) عبد الله بن سليمان بن الأشعث، أبو بكر السجستاني، كان من بحور العلم بحيث إن
بعضهم فضله على أبيه - أبي داود صاحب السنن -، صنف السنن، والمصاحف،
وشريعة المقارئ، والناسخ والمنسوخ، والبيعت، وغير ذلك، مات سنة ٣١٦هـ، سير
أعلام النبلاء ١٣/٢٢١.

(٩) ص (٤٨ - ٤٩)، ح ١٧.

(١٠) في (ع) وكتاب البيعت: تشوون، وفي (أحمد): ننتون، وفي (ابن حبان): منه تشأ.

(١١) رواه ابن حبان في صحيحه ٤٠٩/٧، ح ٣١٤٠؛ وأحمد في مسنده ٢٨/٣، ح ١١٢٤٨؛

قال الهيثمي: رواه أحمد بإسناد حسن، مجمع الزوائد ٣٣٢/١٠.

وقوله: (منه خلق، وفيه يركب) أي: أول ما خلق من الإنسان هو، ثم إن الله تعالى يبقيه إلى أن يركب الخلق منه تارة^(١) أخرى.

باب لا تأكل الأرض أجساد الأنبياء^(٢) ولا الشهداء وأنهم أحياء

قال الله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاكُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَدُّونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، ولذلك لا يغسلون ولا يصلى عليهم، ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة في شهداء أحد وغيرهم، ليس هذا موضع ذكرها.

مالك^(٣) عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاريين ثم السلميين^(٤) كانا قد حفر السيل قبرهما، وكان قبرهما مما يلي السيل، وكانا^(٥) في قبر واحد، وهما ممن استشهد يوم أحد، فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما فوجدا لم يتغيرا كأنهما^(٦) ماتا بالأمس، وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك، فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان بين أحد وبين يوم حفر^(٧) عنهما ست وأربعون سنة.

قال أبو عمر^(٨): هذا الحديث لم يختلف عن مالك في انقطاعه وهو حديث متصل من وجوه صحاح عن جابر.

قال المؤلف رحمته: وهكذا حكم من تقدمنا من الأمم ممن^(٩) قتل شهيداً في سبيل الله، أو قتل على الحق كأبيائهم.

(١) في (ظ): إلى أن يركب عليه تارة. (٢) في (ظ): عليهم الصلاة والسلام.

(٣) في الموطأ ٢/٤٧٠، ح ١٠٠٥.

(٤) في (الأصل، ظ): المسلميين، والتصويب من (ع، والموطأ).

(٥) في (الأصل): فكانا، وما أثبتته من (ع، ظ، الموطأ).

(٦) في (الأصل): كأنما، وما أثبتته من (ع، ظ، والموطأ).

(٧) من قوله: فرجعت كما... إلى هذا الموضع ساقط من (ظ).

(٨) في التمهيد ١٩/٢٣٩.

(٩) في (الأصل): من، وهو تحريف، والتصويب من (ع، ظ).

وفي الترمذي^(١) في قصة أصحاب الأخدود: «وأن الغلام الذي قتله الملك دفن قال: فيذكر أنه أخرج في زمن^(٢) عمر بن الخطاب رضي الله عنه وإصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل، قال: حديث حسن غريب. وقصة الأخدود مخرجة في صحيح مسلم^(٣)، وكانوا بنجران في الفترة ما بين^(٤) عيسى ومحمد رضي الله عنه، وقد ذكرناها مستوفاة^(٥) في كتاب جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان^(٦)، وروى نقله الأخبار^(٧) أن معاوية رضي الله عنه لما أجرى العين التي استنبطها بالمدينة في وسط المقبرة، وأمر الناس بتحويل موتاهم وذلك في أيام خلافته، وبعد الجماعة بأعوام وذلك بعد أحد بنحو من خمسين سنة فوجدوا على حالهم حتى أن الكل رأوا المسحاة أصابت قدم حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فسأل منه الدم، وأن جابر بن عبد بن حرام أخرج أباه عبد الله بن حرام كأنما دفن بالأسس، وهذا أشهر في الشهداء من أن يحتاج فيه إلى إكثار.

وقد روى كافة أهل المدينة أن جدار قبر النبي صلى الله عليه وسلم لما انهدم أيام [٦٤/ب] خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان وولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة بدت لهم قدم فخافوا أن تكون قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجزع الناس حتى روى لهم سعيد بن المسيب: «أن جثث الأنبياء لا تقيم^(٨) في الأرض أكثر من أربعين يوماً ثم ترفع^(٩)، وجاء سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعرف أنها قدم جده عمر رضي الله عنه وكان صلى الله عليه وسلم قُتل شهيداً.

(١) في جامعه ٤٣٨/٥، ح ٣٣٤٠، صححه الألباني، انظر: صحيح الترمذي للألباني ٣/ ١٢٨ - ١٣٠، ح ٢٦٦١.

(٢) في (ظ): زمان. (٣) ٢٢٩٩/٤، ح ٣٠٠٥.

(٤) في (الأصل، ظ): في الفتنة بين- والتصويب من (ع).

(٥) في (ع): مستوفاة في البروج. (٦) ١٨٨/١٩ رقم الفقرة: ٢٨٦.

(٧) انظر: ابن سعد في طبقاته الكبرى ٣/ ١١١ وابن أبي شيبة في مصنفه ٤/ ٢٦٦، ح ١٩٤٣٤ وابن المبارك في كتاب الجهاد ص (٨٤)، ح ٩٨.

(٨) في (ع): لا تسم.

(٩) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٣/ ٥٧٦، ح ٦٧٢٥ وفيه عن سعيد بن المسيب أنه رأى =

وروي عن النبي ﷺ: «المؤذن المحتسب كالمشحط في دمه وإن مات لم يدود»^(١) في قبره»^(٢)، فظاهر^(٣) هذا أن المؤذن المحتسب لا تأكله الأرض أيضاً.

وخرّج أو داود^(٤) وابن ماجه^(٥) في سننهما عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة وفيه الصعقة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ، قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟! قال: يقولون: بليت، فقال: إن الله ﷻ حرّم على الأرض أجساد الأنبياء ﷺ» لفظ أبي داود، وقال ابن العربي: حديث حسن^(٦).

قلت: صححه غيره، وسيأتي^(٧)، وخرّجه أبو بكر البزار^(٨) عن شداد بن أوس، وانفقوا في السند عن حسين بن علي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبي الأشعث الصنعاني فقالا عن أوس بن أوس^(٩) وعن شداد بن أوس، وقال البزار: ولا نعلم أحداً يرويه بهذا اللفظ إلا شداد بن أوس، ولا نعلم له طريقاً غير هذا الطريق عن شداد^(١٠)، ولا رواه إلا حسين بن علي الجعفي.

- قوماً يسلمون على النبي ﷺ، قال: ما مكث نبي في الأرض أكثر من أربعين يوماً، أورد ابن حجر هذه الرواية في التلخيص الحبير ١٢٦/٢ وحكم عليها بالضعف.

(١) في (الأصل، ع، ظ): ثم يدود، والتصويب من المعجم الكبير للطبراني.

(٢) رواه الطبراني في الكبير ٤٢٢/١٢، ح ١٣٥٥٤، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفيه إبراهيم بن رستم، وهو مختلف في الاحتجاج به، وفيه من لم تعرف ترجمته، مجمع الزوائد ٣/٢.

(٣) في (ع): وظاهر. (٤) في سننه ١/٢٧٥، ح ١٠٤٧.

(٥) في سننه ١/٣٤٥، ح ١٠٨٥، صححه الألباني، انظر: صحيح ابن ماجه ١/١٧٩، ح ٨٨٩.

(٦) لم أعتد إلى موضع تحسين ابن العربي فيما وقفت عليه من كتبه.

(٧) (صححه غيره، وسيأتي): ليست في (ع، ظ)، انظر: ص (٤٦٠).

(٨) لم أجد هذه الإحالة في مسند البزار المطبوع، والمطبوع به نقص.

(٩) من هذا النموذج وإلى قوله: ولا نعلم له طريقاً، ساقط من (ظ).

(١٠) في (ع، ظ): شداد بن أوس.

وقال أبو محمد عبد الحق^(١): ويقال إن عبد الرحمن هذا هو ابن يزيد بن تميم، قاله^(٢) البخاري^(٣) وأبو حاتم^(٤) [وهو]^(٥) منكر الحديث ضعيفه.

قلت: قد خرّجه ابن ماجه^(٦) من غير هذا الطريق فقال: حدثنا عمرو بن سواد المصري حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو^(٧) بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسيء عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثرُوا علي الصلاة^(٨) يوم الجمعة فإنه مشهود^(٩) تشهده الملائكة، وأن أحداً لن يصلي علي إلا عرضت علي صلواته حتى يفرغ منها، قال: قلت: وبعد الموت؟! قال: وبعد الموت^(١٠)، إن الله حرّم علي الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء». فنبى الله^(١١) حيي^(١٢) يُرزق ﷺ رواه أبو جعفر الطبري في تهذيب الآثار^(١٣) من حديث سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسيء عن أبي الدرداء.

قال أبو محمد عبد الحق^(١٤): وزيد بن أيمن لا أعلم روى عنه إلا سعيد بن أبي هلال قال المؤلف: قال البخاري في التاريخ^(١٥): زيد بن أيمن عن عبادة بن نسيء مرسل، روى عنه سعيد بن أبي هلال.

(١) في كتابه الأحكام الشرعية الكبرى ٣/٣٦٧ - ٣٦٨.

(٢) في (ع): قال.

(٣) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٥/٣٠٠.

(٤) ما بين المعقوفين من (ع، ط).

(٥) في سننه ١/٥٢٤، ح ١٦٣٧، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن ابن ماجه ص (١٢٦)، ح ٣٦٢.

(٦) في (الأصل): عبد الله بن وهب بن وهب، والتصويب من (ع، ط، ابن ماجه).

(٧) في (ط، ابن ماجه): علي من الصلاة.

(٨) فإنه مشهود: ليست في (ط).

(٩) قال: وبعد الموت: ليست في (ط).

(١٠) في (١١) في (ط): فنبى الله ﷺ.

(١١) أي حياة برزخية.

(١٢) ذكر الطبري روايتين لعبادة بن نسيء كلاهما عن أبي سعيد الخدري وليس عن أبي الدرداء كما ذكر المصنف، انظر: تهذيب الآثار ١/٢٢٧، ح ٣٧٥، ١/٢٢٨، ح ٣٧٦، تحقيق محمود محمد شاكر.

(١٣) لم أهد إلى موضع قوله في كتبه.

(١٤) (أبي): ليست في (ع).

(١٥) في التاريخ الكبير ٣/٣٨٧ رقم ١٢٨٨.

باب ما جاء^(١) في^(٢) انقراض هذا الخلق وذكر النفخ والصعق وكم بين النفختين وذكر بعث البشر والنار

مسلم^(٣) عن عبد الله بن عمرو^(٤) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج الدجال في أمي فيمكث أربعين لا أدري [أربعين]^(٥) يوماً، أو أربعين شهراً، أو أربعين عاماً، فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم عليه السلام كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ﷻ ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبده جبل^(٦) لدخلته عليه حتى تقبضه، فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام النسباج لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً فيتمثل لهم الشيطان فيقول^(٧): ألا تستحيون^(٨)؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك: دارٌ رزقهم، حسنٌ عيشهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لبتاً ورفع لبتاً، قال^(٩): فأول^(١٠) من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال^(١١): فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله، أو قال^(١٢) ينزل الله مطراً كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى^(١٣): ﴿فَإِذَا هُمْ بِيَوْمٍ يَقُتُّونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، ثم يقال: يا أيها^(١٤) الناس هلموا إلى ربكم: ﴿وَقَوْمًا بَيْنَهُمْ مَسْئُورُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]، ثم يقال: أخرجوا بعث النار، فيقال: من كم؟ فيقال: من كل

(١) (ما جاء): ليست في (ع، ظ). (٢) (في): ليست في (ظ).

(٣) (٣٢٥٨/٤، ح ٢٩٤٠).

(٤) في (الأصل): عمرو، وهو تصحيف، والتصويب من (ع، ظ، مسلم).

(٥) ما بين المعقوفين سطر من (الأصل)، وتكمله من (ع، ظ، مسلم).

(٦) في (ع): رجل. (٧) (فيقول): ليست في (ظ).

(٨) في (ع): تسمعون. (٩) (قال): ليست في (ظ).

(١٠) في (مسلم): وأول. (١١) (قال): ليست في (ع).

(١٢) (قال): ليست في (ظ). (١٣) في (ع): نفخة أخرى.

(١٤) في (الأصل): أيها، وما أثبتته من (ع، ظ، مسلم).

ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال: فذاك^(١) يوم ﴿يَجْمَلُ أَوْلَادَنَ شَيْبًا﴾ [المزمل: ١٧] وذلك ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَائِي﴾ [القلم: ٤٢].

مسلم^(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون»، قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعين^(٣) شهراً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعين^(٤) عاماً؟ قال: أبيت، ثم ينزل الله تعالى من السماء ماء فينبثون كما ينبت البقل، قال: وليس من الإنسان شيء إلا و^(٥) يبلى إلا عظماً واحداً.

في رواية: «لا تأكله الأرض أبداً»^(٦) وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة، وعند^(٧) ابن وهب في هذا الحديث: فأربعون حبة^(٨)؟ قال: أبيت. وإسناده منقطع.

فصل

هذان الحديثان مع صحتهما في غاية البيان فيما ذكرناه، ونزيدهما أيضاً بياناً في أبواب، ويأتي^(٩) ذكر الدجاء مستوعباً في الأشرطة إن شاء الله، و«أصغى» معناه: أمال، «ليتاً» يعني: صفحة العنق، و«يلوط» معناه: يطين ويصلح، وقول أبي هريرة رضي الله عنه: أبيت، فيه تأويلان:

الأول: أبيت أي امتنعت من بيان ذلك وتفسيره، وعلى هذا كان عنده علم من ذلك و^(١٠) سمعه من رسول الله ﷺ.

(١) في (ع، ط): فذلك.

(٢) جاءت الكلمة في جميع النسخ هكذا: أربعين، وفي صحيح مسلم، أربعون.

(٣) جاءت الكلمة في جميع النسخ هكذا: أربعين، وفي صحيح مسلم: أربعون.

(٤) (الواو): ليست في (ع، ط، مسلم).

(٥) أخرجها مسلم أيضاً ٢٢٧١/٤، ح ٢٩٥٥.

(٦) في (الأصل): وعن، والتصويب من (ع، ط).

(٧) في (ع، ط): جمعة.

(٨) (٩) ص (١٢٧١).

(١٠) (الواو): ليس في (ع، ط).

الثاني: أبيت، أي أبيت^(١) أن أسأل عن ذلك رسول الله^(٢) ﷺ، وعلى هذا لم يكن عنده علم من ذلك. والأول أظهر والله أعلم، وإنما لم يبينه؛ لأنه لم يرهق^(٣) إلى ذلك^(٤) حاجة؛ ولأنه ليس من البيئات والهدى الذي أمر بتبينه.

وفي البخاري^(٥) عنه أنه قال: حفظت وعاءين من علم^(٦) الساعة^(٧): فأما أحدهما فبيته، وأما الآخر فلو بيته لقطع مني^(٨) هذا البلعوم.

قال أبو عبد الله^(٩): البلعوم: مجرى الطعام.

وقد جاء أن بين النفختين أربعين^(١٠) عاماً، والله أعلم، وسيأتي^(١١).

وذكر هناد بن السري^(١٢) قال^(١٣): حدثنا وكيع عن سفيان عن السدي سألت سعيد [ب/٦٥] بن جبير عن هذه الآية: ﴿اللَّهُ﴾^(١٤) مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ﴿[مریم: ٦٤] فلم يجيني، فسمعنا أنه ما بين النفختين. ثنا وكيع عن أبي جعفر الرازي عن أبي العالبيّة: ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ قال: ما بين النفختين.

(١) (أي أبيت): نُسبت في (ع، ظ). (٢) في (ع، ظ): النبي.

(٣) هكذا في جميع النسخ، ولم أفهم في قواميس اللغة على معنى يناسب السياق، ولعل المعنى: لم ير إلى ذلك حاجة.

(٤) في (ع، ظ): لذلك. (٥) في صحيحه ١/٥٦، ح ١٢٠.

(٦) (من علم): نُسبت في (البخاري).

(٧) (الساعة): نُسبت في (ع، ظ، البخاري).

(٨) (مني): نُسبت في (البخاري). (٩) أي البخاري.

(١٠) في (الأصل): أربعون، وهو خطأ نحوي؛ لأن موقع الكنمة الإعرابي: اسم إن منصوب متأخر، والتصويب من (ع، ظ).

(١١) ص (٤٩١).

(١٢) في الزهد له ١/١٩٦، ح ٣١٨.

(١٣) (قال): نُسبت في (ع، ظ).

(١٤) ما بين المعقوفين من (المصحف، ع، الزهد لهناد).

باب في قول الله^(١) تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]

صعق: مات.

روى الأئمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل من اليهود بسوق المدينة: والذي اصطفى موسى على البشر، فرفع رجل من الأنصار يده فلطمه، قال: تقول هذا وفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: قال الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُنظَرُونَ﴾ (٢)، فأكون أول من رفع رأسه فإذا أنا بموسى صلى الله عليه وسلم أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله، ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب، [لفظ] (٣) ابن ماجه (٤) أخرجه عن أبي بكر بن أبي شيبه عن علي بن مسهر، وأخرجه الترمذي (٥) عن أبي كريب محمد بن العلاء قال: حدثنا عبدة بن سليمان جميعاً عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة. قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وأخرجه (٦) مسلم (٧) والبخاري (٧) بمعناه.

فصل

واختلف العلماء في المستثنى من هو؟ فقليل: الملائكة، وقيل: الأنبياء، وقيل: الشهداء واختاره الحلبي (٨) قال: وهو مروى عن ابن عباس (٩) أن

(١) في (ع، ظ): في قوله تعالى. (٢) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).

(٣) في سننه ١٤٢٨/٢، ح ٤٢٧٤، حسنه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٤٢٣٢، ح ٣٥٥٨.

(٤) في جامعه ٣٧٣/٥، ح ٣٢٤٥. (٥) في (ع، ظ): أخرجه.

(٦) في صحيحه ١٨٤٣/٤، ٢٣٧٣. (٧) في صحيحه ٨٥٠/٢، ح ٢٢٨١.

(٨) القاضي العلامة، أبو عبد الله، الحسين بن الحسن بن محمد بن خليل، البخاري الشافعي، للحفاظ البيهقي اعتناء بكلام الحلبي، لا سيما في كتاب: شعب الإيمان، توفي سنة ٤٠٣هـ، السير ٢٣١/١٧.

(٩) في (ظ): عن ابن عباس قال.

الاستثناء لأجل الشهداء فإن الله تعالى يقول: ﴿أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْفُؤْنَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وضعت غيره من الأقوال^(١) على ما يأتي^(٢).

وقال شيخنا أبو العباس^(٣) والصحيح أنه لم يرد في تعيينهم خبر صحيح^(٤) والكل محتمل^(٥).

قلت: وقد ورد حديث أبي هريرة بأنهم الشهداء وهو صحيح على ما يأتي^(٦).
وأسند أبو جعفر^(٧) النحاس^(٨) في كتاب معاني القرآن له^(٩)، و^(١٠) حدثنا الحسين بن عمر الكوفي قال: حدثنا هناد بن السري^(١١) قال: حدثنا وكيع عن شعبة عن عمارة بن أبي حفصة عن حجر الهجري عن سعيد بن جبيرة في قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] هم^(١٢) الشهداء هم ثنية الله^(١٣) [متقلدو]^(١٤) السيوف حول العرش^(١٥).

- (١) المنهاج في شعب الإيمان لأبي عبد الله الحسين بن الحسن الحلبي ٤٣١/١.
(٢) ص (٤٥٦).
(٣) في (الأصل): في هذا الموضوع زيادة جملة: (قال بعض علمائنا)، وليست في (ع)، ظ، المفهم لأبي العباس).
(٤) (صحيح): ليست في (ع).
(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم انقراطي ٢٣١/٦.
(٦) ص (٥٠٧). (٧) (أبو جعفر): ليست في (ع، ظ).
(٨) العلامة إمام العربية أبو جعفر، أحمد بن إسماعيل المعصري النحوي، أخذ عن الزجاج، له تصانيف منها: كتاب معاني القرآن، وإعراب القرآن، والناسخ والمنسوخ، وغيرها، توفي سنة ٣٣٨هـ، السير ٤٠١/١٥.
(٩) ١٩٤/٦. (١٠) (الوارو): ليست في (ع، ظ).
(١١) أخرجه هناد في الزهد ١/١٢٦، ح ١١٦٤ وابن أبي شيبة في مصنفه ٤/٢٠٦، ح ١٩٣٤٣.
(١٢) في (ع، ظ): قال هم.
(١٣) أي من استثناء الله من الصعقة حين قال: ﴿وَفِيحَ فِي الصُّورِ﴾، قاله ابن قتيبة في غريبه ٢/٦٣٦.
(١٤) ما بين المعقوفين من (ع، ظ)، وفي (الأصل): متقلد، وفي (الزهد لهناد): متقلدين، والنسواب ما أثبتته لأجل السياق وقواعد اللغة.
(١٥) قال الألباني: ضعيف جداً، ضعيف الجامع التصغير وزيادته ص (٤٧٢)، ح ٣٢١٨.

وقال الحسن^(١): استثنى طوائف من أهل السماء يموتون بين النفتين^(٢).

قال يحيى بن سلام^(٣) في تفسيره^(٤): بلغني أن آخر من يبقى منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليه السلام، ثم يموت جبريل وميكائيل وإسرافيل، ثم يقول الله تعالى لملك الموت مت، فيموت. وقد جاء هذا مرفوعاً من^(٥) حديث أبي هريرة الطويل على ما يأتي^(٦).

وقيل هم: حملة العرش وجبريل وميكائيل وملك الموت.

قال الحلبي^(٨): من زعم أن الاستثناء لأجل حملة العرش، أو جبريل وميكائيل وملك الموت^(٩)، أو زعم أنه لأجل المولدان والحوار [٦٦/أ] العين في الجنة، أو زعم أنه لأجل موسى فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أنا أول من تنشق عنه الأرض فأرفع رأسي فإذا موسى متعلق^(١٠) بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله تعالى^(١١)، فإنه لا يصح شيء منها، أما الأول: فلأن^(١٢) حملة العرش وجبريل وميكائيل ليسوا من سكان السماوات

(١) (الحسن): ليست في (ع).

(٢) (أهل): ليست في (ع، ظ)، وفي تفسير المصنف ١٣/١٦٠: من الملائكة.

(٣) لم أفد على من ذكره غير المصنف.

(٤) يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، أبو زكريا البصري، حدث عن: الثوري ومالك، قال الذهبي: له تفسير ليس لأحد من المتقدمين مثله، مات سنة متين للهجرة، السير ٩/٣٩٦.

(٥) تفسيره مخطوط، انظر: ص (٥٨). (٦) في (ع، ظ): في.

(٧) ص (٤٦٥ - ٤٦٦).

(٨) في المنتهاج في شعب الإيمان له ١/٤٣١ - ٤٣٢.

(٩) من قوله: قال الحلبي:.. إلى هذا الموضع ساقط في (ظ).

(١٠) في المصادر التي وقفت عليها (أخذ).

(١١) أخرجه ابن ماجه في سننه ٢/١٤٢٨، ح ٤٢٧٤؛ والترمذي في جامعه ٥/٣٧٣،

ح ٣٢٤٥؛ وابن حبان في صحيحه ١٦/٣٠٢، ح ٧٣١١، قال الألباني: حسن صحيح،

صحيح ابن ماجه ٢/٤٢٣، ح ٣٤٤٨.

(١٢) في (الأصل): لأن، وما أثبت من (ع، ظ، المنتهاج للحلبي).

ولا^(١) الأرض لأن^(٢) العرش فوق السماوات كلها فكيف تكون حملته في السماوات، وأما جبريل وميكائيل وملك الموت فمن^(٣) الصافين المسيحين حول العرش، وإذا كان العرش فوق السماوات لم يكن الاصطفاف حوله في السماوات، وكذلك القول الثاني؛ لأن الولدان والحرور في الجنة، والجنان وإن كانت^(٤) بعضها أرفع من بعض وأن^(٥) جميعها^(٦) فوق السموات ودون العرش وهي بانفرادها عالم مخلوق للبقاء^(٧) فلا شك أنها بمعزل عما خلق الله تعالى للفناء. وصرفه إلى موسى ﷺ فلا وجه له؛ لأنه قد مات بالحقيقة فلا يموت عن نفخ الصور ثانية، ولهذا^(٨) لم يعتد في ذكر اختلاف المتأولين في الاستثناء بقول من قال: إلا من شاء الله، أي الذين سبق موتهم قبل نفخ الصور؛ لأن الاستثناء إنما يكون لمن يمكن دخوله في الجنة، فأما من لا يمكن دخوله فيها فلا معنى لاستثنائه منها، والذين ماتوا قبل نفخ الصور ليسوا بغرض أن يصعقوا فلا وجه لاستثنائهم، وهذا في موسى ﷺ موجود فلا وجه لاستثنائه، وقال النبي ﷺ في ذكر موسى ما يعارض الرواية الأولى وهو أن قال: «الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أو جوزي بصعقة الطور»^(٩)، فظاهر هذا الحديث أن هذه صعقة غشي تكون يوم القيامة لا صعقة الموت الحادثة عن نفخ الصور فإن حُبل الحديث عليهما فذاك وإن حُبل على صعقة الموت عند نفخ

(١) (لا): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع المنهاج.

(٢) في (ع): فلان.

(٣) في (ظ): من.

(٤) في (الأصل): كان، وما أثبتته من (ع، ظ، المنهاج).

(٥) في (ع): فإن.

(٦) في (الأصل): جمع، وتصويبه من (ع، ظ، المنهاج).

(٧) في (الأصل): البقاء، وتصويبه من (ع، ظ، المنهاج).

(٨) في (ظ): وهذا.

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/١٢٤٥، ح ٣٢١٧؛ ومسلم بمعناه ٤/١٨٤٣، ح ٢٣٧٣.

الصوراً^(١) وُصِفَ ذكر القيامة^(٢) إلى أنه أراد أوائله^(٣).

قيل: إن^(٤) المعنى أن الصور إذا نُفِخَ فيه أخرى كنت أول من يرفع رأسه فإذا موسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أو جوزي بصعقة الطور، أي فلا أدري أبعثه قبلي كان^(٥) وهياً له وتفضيلاً من هذا الوجه كما فَضِّلَ في الدنيا بالتكليم، أو كان جزاء بصعقة الطور، أي قد بعثه^(٦) على بعث الأنبياء الآخرين بقدر صعقه^(٧) عندما تجلى ربه للجبل إلى أن أفاق ليكون هذا جزاء له بها، وما عداها^(٨) فلا يشئ^(٩). (١٠).

(١) ما بين المعقولتين من (ع، ط، المنهاج).

(٢) في (ع، ط): يوم القيامة، والأصل متوافق مع المنهاج.

(٣) وقد نعقب ابن التميم القرطبي في هذا الحمل بعد أن ذكر قوله فقال: «وحمل الحديث على هذا لا يصح لأنه يرد هل أفاق موسى قبله أم لم يصعق بل جوزي بصعقة الطور فالمعنى لا أدري أصعق أم لم يصعق، وقد قال في الحديث: «فأكون أول من يفيق»، وهذا يدل على أنه يصعق فيمن يصعق وأن التردد حصل في موسى هل صعق وأفاق قبله من صعقته أم لم يصعق، ولو كان المراد به الصعقة الأولى وهي صعقة الموت لكان قد جزم بموته وتردد هل مات موسى أم لم يموت، وهذا باطل لوجوه كثيرة فعلم أنها صعقة فزع لا صعقة موت، وحينئذ فلا تدل الآية على أن الأرواح كلها تموت عند النفخة الأولى، نعم تدل على أن موت الخلائق عند النفخة الأولى وكل من لم يلق الموت قبلها فإنه يذوقه حينئذ، وأما من ذاق الموت أو من لم يكتب عليه الموت فلا تدل الآية على أنه يموت مودة ثانية والله أعلم» الروح ص (٣٦).

(٤) (إن): ليست في (ع، ط).

(٥) في (ط): أم كان.

(٦) في (ع): أو قدم بعثه، وفي (ط): أو تقدم بعثه.

(٧) في (ع، ط): صعفته.

(٨) في (ع): وما عدا هذا.

(٩) نهاية نقل كلام الحلبي من كتابه المنهاج.

(١٠) قال ابن العربي المالكي: الصعق لا يعم المخلوق، ولكنه لا تعلم أعيان المستثنين،

عارضه الأحوزي بشرح صحيح الترمذي ٨٨/١٢.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والقرآن قد أخبر بثلاث نفحات: نفخة الفزع، ذكرها في سورة النمل في قوله تعالى: «يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَنزِعُ مِنْ فِي السَّمَكَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ»، ونفخة الصعق والقيام ذكرهما في قوله: «وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَكَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ نُفْحًا فَإِذَا هُمْ بِقِيَامٍ يُظَاهَرُونَ ﴿١٠٠﴾»، وأما الاستثناء فهو متناول لمن في الجنة من الحور المعين، فإن الجنة ليس فيها موت، =

وقال شيخنا أحمد بن عمر^(١): وظاهر حديث رسول الله ﷺ يدل على أن ذلك إنما هو بعد النفخة الثانية: نفخة البعث، ونص القرآن يقتضي أن ذلك الاستثناء إنما هو بعد نفخة الصعق، ولما كان هذا قال بعض العلماء^(٢):
يحتمل أن يكون موسى ﷺ ممن لم يميت من الأنبياء وهذا باطل بما تقدم ذكره من موته^(٣).

وقال القاضي عياض: يحتمل أن يكون المراد بهذه صعقة فرع بعد النشر حين تنشق السموات والأرض، قال: فتستقل الأحاديث والآيات^(٤).
قال شيخنا أبو العباس^(٥): وهذا^(٦) يرده ما جاء في الحديث أنه ﷺ حين يخرج من قبره يلتقى موسى وهو [٦٦/ب] متعلق بالعرش، وهذا إنما هو عند نفخة البعث.

قال شيخنا أحمد بن عمر^(٨): والذي يزيج هذا الإشكال إن شاء الله تعالى: أن يقال^(٩) إن الموت ليس بعدم محض وإنما هو انتقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك^(١٠) أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين، وهذه صفة الأحياء في الدنيا، وإذا كان هذا^(١١) في

- ومتناول لغيرهم، ولا يمكن الجزم بكل من استثناء الله، فإن الله أطلق في كتابه، وبكل حال: النبي ﷺ فد توقف في موسى وهل هو داخل في الاستثناء فيمن استثناء الله أم لا؟ فإذا كان النبي ﷺ لم يخير بكل من استثنى الله ثم يمكننا نحن أن نجزم بذلك، وصار هذا مثل العلم بوقت الساعة، وأعيان الأنبياء، وهذا العلم لا ينال إلا بالخبر والله أعلم. مجموع الفتاوى ٤/٢٦٠ - ٢٦١.

(١) في كتابه المفهم ٦/٢٣٢ - ٢٣٣. (٢) في (ع، ط): النبي.

(٣) في (ع): بعض علمائنا. (٤) في (ع): من ذكر موته.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض ٧/٣٥٧.

(٦) في كتابه المفهم ٦/٢٣٣.

(٧) الإشارة إلى كلام القاضي عياض المتقدم.

(٨) في كتابه المفهم ٦/٢٣٣ - ٢٣٤.

(٩) (أز يقال): ليست في (ع، ط)، والأصل متوافق مع المفهم.

(١٠) في (الأصل): والذي يدل على ذلك، وما أثبت من (ع، ط، المفهم).

(١١) في (الأصل): ذلك، وما أثبت من (ع، ط، المفهم).

الشهداء كان الأنبياء^(١) بذلك أحق وأولى مع أنه قد صح عن النبي ﷺ: «أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء»^(٢)، وأن النبي ﷺ قد اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس، وفي السماء، وخصوصاً بموسى ﷺ، وقد أخبرنا ﷺ بما يقتضي أن الله تبارك وتعالى يرد عليه روحه حتى يرد السلام على^(٣) كل من يسلم عليه^(٤) إلى غير ذلك مما يحصل من جملة انقطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غُيبوا عنا بحيث لا ندرکهم وإن كانوا موجودين أحياء^(٥)، وذلك كالحال في الملائكة فإنهم موجودون أحياء ولا يراهم أحد من نوعنا إلا من خصه [الله]^(٦) بكرامة^(٧) من أوليائه، وإذا تقرر أنهم أحياء فإذا نفخ في الصور نفخة الصعق صعق كل من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، فأما صعق غير الأنبياء فموت، وأما صعق الأنبياء فالأظهر أنه غشية، فإذا نفخ في الصور نفخة البعث فمن مات حيي، ومن غشي عليه أفاق؛ ولذلك قال^(٨) ﷺ في صحيح مسلم^(٩) والبخاري^(١٠): «فأكون أول من يفيق»، وهي رواية صحيحة وحسنة، فنبينا ﷺ أول من يخرج من قبره قبل الناس كلهم الأنبياء وغيرهم إلا موسى فإنه حصل له فيه تردد هل بُعث قبله من^(١١) غشيته

(١) في (الأصل): فالأنبياء، وما أثبت من (ع، ظ، المفهم).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ٢٧٥/١، ح ١٠٤٧؛ والنسائي في السنن ٩١/٣، ح ١٣٧٤؛ وابن ماجه في سننه ٣٤٥/١، ح ١٠٨٥، قال الألباني: صحيح، صحيح ابن ماجه ١/١٧٩، ح ٨٨٩.

(٣) في (ظ): حتى يسلم على.

(٤) يشير إلى الحديث الذي رواه أبو داود في سننه: «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله روحي حتى أرد عليه السلام» ٢١٨/٢، ح ٢٠٤١.

(٥) إن قصد بالحياة هنا الحياة البرزخية فذلك صحيح، فحياة الأنبياء في البرزخ أكمل حياة، وإن قصد بها أنهم أحياء كحياتنا قبل الموت ولكنهم غائبون، فذلك لم يثبت فيه دليل.

(٦) ما بين المعرفتين من (ع، ظ، المفهم).

(٧) في (ظ): بكرامته. (٨) في (ظ): قال رسول الله.

(٩) في صحيحه ١٨٤٤/٤، ح ٢٣٧٣. (١٠) في صحيحه ١٧٠٠/٤، ح ٤٣٦٢.

(١١) من هذا الموضع إلى قوله: بأن الله تعالى يميت، قطع في (ع).

أو بقي على الحالة التي كان عليها قبل نفخة الصعق مفيقاً لأنه حوسب بغشية الطور، وهذه فضيلة عظيمة في حق موسى عليه السلام (١).

ولا يلزم من ثبوت فضيلة أحد الأمرين المشكوك فيهما أفضلية موسى عليه السلام على محمد عليه السلام مطلقاً؛ لأن الشيء الجزئي لا يوجب أمراً كلياً، والله أعلم.

قال المؤلف رحمته الله: ما اختاره شيخنا هو ما ذكره الحليني (٢) واختاره في قوله، فإن حمل عليها الحديث فذاك، قال الحليني (٣): وأما الملائكة الذين ذكرناهم صلوات الله وسلامه عليهم فإننا لم ننف عنهم الموت ولا أحلناه، وإنما أينا أن يكونوا هم المرادين بالاستثناء من الوجه الذي ذكرناه، ثم قد وردت الأخبار بأن الله تعالى يميت حملة العرش وملاك الموت وميكائيل ثم يميت آخر من يميت جبريل ويحييه مكانه ويحيي هؤلاء الملائكة الذين ذكرناهم، وأما أهل الجنة فلم (٤) يأت عنهم خبر، والأظهر (٥) أنها دار الخلد فالذي يدخلها لا يموت فيها أبداً مع كونه قابلاً للموت، فالذي خُلِقَ (٦) فيها أولى أن لا يموت فيها أبداً؛ وأيضاً فإن الموت لقهر المكلفين ونقلهم من دار إلى دار وأهل الجنة لم يبلغنا أن عليهم تكليفاً، فإن أعفوا عن الموت كما أعفوا عن التكليف لم يكن بعيداً، فإن قيل فقد قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٢٨]، وهو يدل على أن (٧) الجنة نفسها تقنى، ثم تعاد ليوم الجزاء فما أنكرتم أن يكون الولدان والحدود يماتون (٨) ثم يحيون؟ قيل: يحتمل أن يكون معنى قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾: ما من (٩) شيء

(١) نهاية كلام أبي العباس أحمد بن عمر. (٢) انظر: المنهاج ١/ ٤٣٢ - ٤٣٣.

(٣) من قوله: واختاره في قوله، إلى هذا الموضع ليس في (ظ)، والقول للحليني في المنهاج ١/ ٤٣٢.

(٤) في (ظ): فلما.

(٥) (وَأَمَّا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَلَمَّا يَأْتُ عَنْهُمْ خَيْرٌ، وَالْأَظْهَرُ): ليست في (ع).

(٦) جملة: للموت، فالذي خُلِقَ، طمس في الأصل، وتوضيحه من (ع)، ظ، والمنهاج.

(٧) (أَنْ): ليست في (ظ).

(٨) في (ظ): يموتون.

(٩) في (ع)، ظ: أي ما من.

إلا وهو قابل للهلاك فيهلك إن أراد الله به ذلك إلا وجهه أي إلا هو^(١) سبحانه فإنه تعالى قديم والقديم لا يمكن أن يفنى وما عداه مُحدث، والمحدث إنما يبقى قدر ما يبقى محدثه، فإذا حبس البقاء عنه فني، ولم يبلغنا في خبر صحيح ولا عليل^(٢) أنه يهلك العرش فلتكن الجنة مثله^(٣).

فصل

قوله ﷺ في الحديث: «ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب»، للعلماء فيه تأويلان^(٤)، أحسنها وأجملها ما ذكره القاضي أبو بكر بن العربي قال: أخبرني غير واحد من أصحابنا عن إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أنه سئل هل الباري في جهة فقال: لا، هو متعال^(٥) عن ذلك، قيل له: و^(٦) ما الدليل عليه؟ قال الدليل عليه قول النبي ﷺ: «لا تفضلوني على يونس بن متى»، فقيل له: و^(٧) ما وجه الدليل من هذا الخبر؟ فقال: لا أقوله حتى يأخذ ضيفي هذا ألف دينار يقضي بها ديناً، فقام رجلان^(٨) فقالا: هي علينا، فقال: لا يتبع بها اثنين؛ لأنه يشق عليه، فقال واحد هي علي، فقال: إن يونس بن متى رمى بنفسه في البحر فالتقمه الحوت وصار في قعر البحر في ظلمات ثلاث ونادى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] كما أخبر الله، ولم يكن

(١) قال الإمام أبو المظفر السمعاني بعد تفسير الآية السابقة: وقد ذكر الله تعالى الوجه في أحد عشر موضعاً من القرآن، قد بينا أنه صفة من صفات الله، يؤمن به على ما ذكره الله تعالى. انظر: تفسير القرآن له ١٦٤/٤.

(٢) في (ع، ظ): معلول.

(٣) نهاية النقل من كتاب المنهاج للحلي.

(٤) لعل التأويل الثاني ما ذكره أبو العباس أحمد بن عمر وهو: أن هذا كان قبل أن يوحى إليه بالتفضيل لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، انظر: كتابه المفهم ٢٢٨/٦ - ٢٢٩.

(٥) في (ع): يتعالى.

(٦) (الواو): ليست في (ع).

(٧) (الواو): ليست في (ع، ظ).

(٨) في (ع): رجلين، وهو خطأ نحوي.

محمد ﷺ حين جلس على الرفرف الأخضر وارتقي به صعداً حتى انتهى به إلى موضع يسمع فيه صريف الأقلام، وناجاه ربه بما ناجاه به وأوحى إليه ما أوحى بأقرب إلى الله من يونس في ظلمة البحر^(١).

المؤلف: فالله سبحانه قريب من عباده يسمع دعاءهم ولا يخفى عليه حالهم كيف ما^(٢) تصرفت من غير مسافة بينه وبينهم، فيسمع ويرى دبيب النملة السوداء في الصخرة الصماء في الليلة الظلماء تحت الأرض السفلى، كما يسمع ويرى تسبيح حملة العرش من فوق السبع السماوات العلى سبحانه لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً،

(١) وقد نظم ابن القيم في نوبته قصة أبي المعالي المشار إليها متفداً لها بقوله:

ولقد وجدت لفاصل منهم مفا
قال اسمعوا يا قوم إن نبيكم
لا تحكموا بانفضل لي أصلاً على
هذا يرد على المجسم قوله
ويبدل أن إلهنا سبحانه
فأتوا له يبين لنا هذا فلم
ألفاً من الذهب العتيق فقال في
قد كان يونس في فرار البحر تحت
ومحمد صعد السماء وجاوز الـ
وكلاهما في فربه من ربه
إلى قوله:

فاحمد إلهك أيها السنني إذ
والله ما يرضى بهذا خائف
هذا هو الإلحاد حقاً بل هو
والله ما يلي المجسم قط ذي الـ
أمثال ذا التأويل أقصد هذه الـ
والله لولا الله حافظ دينه

انظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم ١/١٨٧ - ١٨٩ لأحمد بن إبراهيم.

(٢) (ما): ليست في (ظ).

ولقد أحسن أبو العلاء بن سليمان المعري^(١) حيث يقول:

يا من يرى صف البعوض جناحه في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناط عروقها في نحرها^(٢) والمخ من تلك العظام النحل^(٣)
امن علي بتوبة أمحو^(٤) بها ما كان مني في الزمان^(٥) الأول^(٦)

^(٧)باب يفنى العباد ويبقى الملك لله وحده [ب/٦٧]

البخاري^(٨) ومسلم^(٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض».

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يطوي الله السماء يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ يطوي الأرض^(١٠) بشماله، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»، أخرجه مسلم^(١١).

وعن عبد الله بن مقسم أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي رسول الله ﷺ قال: «يأخذ الله سمواته وأرضيه يديه، فيقول: أنا الله، ويقبض أصابعه ثم يسطها فيقول: أنا الملك، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل حتى إني أقول: أساقط برسول الله ﷺ»^(١٢).

(١) أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي، المعري الأعمى، الشاعر المتهم في نحلته، مات سنة ٤٤٩هـ، سير أعلام النبلاء ٢٣/١٨.

(٢) في (ع، ظ): لحمها.

(٣) أي الهزيمة، الصحاح للجوهري ١٧٢٦/٥.

(٤) في (ع، ظ): تمحو.

(٥) في (الأصل، ظ): للزمان، والتصويب من (ظ).

(٦) ذكرها صاحب المستطرف ٢/٢٢٥.

(٧) من هذا الموضع إلى قوله: حتى نظرت إلى المنبر، قطع في (ع).

(٨) في صحيحه ٢٦٨٨/٦، ح ٦٩٤٧.

(٩) في الصحيح ٢١٤٨/٤، ح ٢٧٨٧.

(١٠) في صحيحه ٢١٤٧/٤، ح ٢٧٨٨.

(١٢) أخرجه مسلم ٢١٤٧/٥، ح ٢٧٨٨.

فصل

هذه الأحاديث تدل على أن الله سبحانه يفني جميع خلقه أجمع كما تقدم^(١)، ثم يقول الله^(٢) ﷻ: لَمَنْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ؟ فيجيب عن^(٣) نفسه المقدسة بقوله: لله الواحد القهار، وقد^(٤) قيل: إن المنادي ينادي بعد حشر الخلق على أرض بيضاء مثل الفضة ثم يعص الله عليها^(٥) على ما يأتي^(٦)، ﴿لَمَنْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] فيجيبه العباد: ﴿لِلَّهِ الْوَلَدُ الْقَهَّارُ﴾، رواه أبو وائل^(٧) عن ابن مسعود^(٨) ﷺ، واختاره أبو جعفر النحاس^(٩) قال: والقول صحيح عن ابن مسعود، وليس هو مما يؤخذ بالقياس ولا بالتأويل.

قال المؤلف ﷺ: والقول الأول أظهر؛ لأن المقصود إظهار انفراده تعالى بالملك عند انقطاع دعاوي المدعين وانتساب المنتسبين إذ قد ذهب كل ملك وملكه، وكل جبار ومتكبر وملكه، وانقطعت نسبهم ودعاويهم، وهذا ظاهر، وهو قول الحسن ومحمد بن كعب، وهو مقتضى قوله الحق: أنا الملك^(١٠) أين ملوك الأرض^(١١).

وفي حديث أبي هريرة ﷺ ثم يأمر الله تعالى إسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، فإذا اجتمعوا موتاً جاء ملك الموت إلى الجبار ﷻ^(١٢) فيقول: قد مات أهل السماوات

(١) ص (٤٦١). (٢) (لفظ الجلالة): لست في (ظ).
 (٣) (عن): لست في (ع، ظ). (٤) (قد): لست في (ع، ظ).
 (٥) في (ع): عليها أحد. (٦) ص (٥٠٤).
 (٧) شقيق بن سلمة الأسدي، أبو وائل الكوفي، مات في خلافة عمر بن عبد العزيز وله مائة سنة، تقريب التهذيب ص (٤٣٩) رقم ٢٨٣٢.
 (٨) أخرجه ابن المبارك في زهده من رواية أبي وائل عن ابن مسعود بمعناه ص (١١٥)، ح ٣٨٨.
 (٩) معاني القرآن للنحاس ٦/٢١٠. (١٠) في (ع): أنا الملك أنا الملك.
 (١١) أخرجه البخاري ٤/١٨١٢، ح ٤٥٣٤؛ ومسنم ٤/٢١٤٨، ح ٢٧٨٧.
 (١٢) (إلى الجبار ﷻ): لست في (ع).

والأرض^(١) إلا من شئت، فيقول الله سبحانه وهو أعلم: من بقي؟ فيقول: يا رب بقيت أنت الحي الذي لا يموت، وبقيت حملة العرش، وبقي جبريل وميكائيل وإسرافيل وبقيت أنا، فيقول الله^(٢) ﷻ: ليمنت جبريل وميكائيل، فينطق الله ﷻ العرش فيقول^(٣): أي رب يموت جبريل وميكائيل؟! فيقول: اسكت إنني كتبت الموت على كل^(٤) من تحت عرشي، فيموتان^(٥)، ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار ﷻ فيقول: أي^(٦) رب قد مات جبريل وميكائيل، فيقول وهو أعلم: من بقي؟ فيقول: بقيت أنت الحي الذي لا يموت، وبقيت حملة العرش، وبقيت أنا، فيقول: ليمنت حملة العرش^(٨)، فيموتون، فيأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرافيل، ثم يقول: ليمنت إسرافيل، فيموت، ثم يأتي ملك الموت فيقول: يا رب قد مات حملة عرشك، فيقول وهو أعلم [١/٦٨]: من بقي؟ فيقول: بقيت أنت الحي الذي لا يموت، وبقيت أنا، فيقول: أنت خلق من خلقي خلقتك لما رأيت فمت، فيموت، فإذا لم يبق إلا^(٩) الله الواحد القهار الأحد^(١٠) الصمد الذي ﴿لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَمْ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ﴿فَكَانَ كَمَا كَانَ أَوَّلًا طَوَى السَّمَاءِ كَطَيِّ السَّجَلِ لِلْكِتَابِ﴾، ثم قال: أنا الجبار: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ فلا يجيبه أحد، ثم يقول^(١١) جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿يَبَّوْءُ الْوَجِدِ الْقَهَّارِ﴾.

قلت: حديث أبي هريرة رضي الله عنه فيه طول^(١٢)، وهذا وسطه ويأتي^(١٣) آخره في الباب بعد هذا، ويأتي أوله بعد ذلك إن شاء الله تعالى فيتصل جميعه

(١) في (ع): أهل السماء، وفي (ظ): أهل السماء وأهل الأرض.

(٢) (لفظ الجلالة): ليس في (ع). (٣) (العرش فيقول): ليست في (ظ).

(٤) في (ع): كل شيء. (٥) في (ع): قال.

(٦) (أي): ليست في (ع، ظ). (٧) في (ظ): بقي.

(٨) في (ع، ظ): عرشي. (٩) في (ظ): سوى.

(١٠) في (ع): الواحد الأحد. (١١) في (ع، ظ): فيقول.

(١٢) في (ع، ظ): هذا فيه طول.

(١٣) ص (٤٨٣).

بحمد الله، ذكره الطبري وعلي بن معبد [و] الثعلبي وغيرهم^(٢).

وفي حديث لقيط بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ثم تلبثون ما لبثتم، ثم تبعث الصيحة فلعمر إلهك^(٣) ما تدع على ظهرها من شيء إلا مات والملائكة الذين مع ربك فأصبح ربك يطوف في البلاد وقد خلت عليه البلاد، وذكر الحديث وهو حديث فيه طول خرجه أبو داود الطيالسي في مسنده^(٤)، وغيره^(٥).

قال علماؤنا^(٦): قوله: «فأصبح ربك يطوف في البلاد خالية^(٧) عليه البلاد»: إنما هو تفهيم وتقريب^(٨) إلى أن جميع من في الأرض يموت، وأن الأرض تبقى خالية ليس^(٩) يبقى إلا الله وحده^(١٠) كما قال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿١٠﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿١١﴾﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]، وعند قوله سبحانه: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ هو^(١١) انقطاع زمن الدنيا ويكون بعده^(١٢) البعث والنشور والحشر^(١٣) على ما يأتي^(١٤).

- (١) ما بين المعنويتين من (ع، ظ).
- (٢) ذكره الطبري في تفسيره ٣٠/٢٤: وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده ٨٧/١، ح ١٠.
- (٣) في (الأصل): فتعم الأهل، وتصوبه من (ع، ظ).
- (٤) ثم أجهه في مسند الطيالسي.
- (٥) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة ٢٨٧/١، ح ٦٣٦، قال الألباني: إسناده ضعيف، انظر: تعليقه على السنة لابن أبي عاصم ٤٤٦/١، ٤٤٦، ٣٦٦ ح ٦٤٩، ح ٥٣٦.
- (٦) ثم أوقف على القائل.
- (٧) في (ع، ظ): وقد خلت.
- (٨) قال الشيخ حافظ حكيمي في قوله ﷺ: «فأصبح ربك يطوف من الأرض»: هو من صفات فعله كقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾ [التفجير: ٢٢] ﴿مَلَّ يَطْرُوقًا إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] وينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا، ويدنو عشية عرفة فيباهي بأهل الموقف الملائكة، وانكلام في الجميع صراط واحد مستقيم إليات بلا تمثيل وتزويه بلا تحريف ولا تعطل، انظر: معارج القبول ٢/٥٧٧، وكتاب الروح لابن القيم ص (١٠٢).
- (٩) في (ع، ظ): وليس.
- (١٠) (وحده): ليست في (ع، ظ).
- (١١) في (ع): هذا هو.
- (١٢) في (ع، ظ): وبعبه يكون.
- (١٣) (والحشر): ليست في (ظ).
- (١٤) ص (٤٩٢، ٥١٥).

وفي فناء الجنة والنار عند فناء جميع الخلق قولان:

أحدهما: يفنيهما ولا يبقى شيء^(١) سواء سبحانه، وهو معنى قوله الحق: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣].

وقيل: إنهما^(٢) لا يجوز عليهما الفناء^(٣)، وأنهما باقيتان بإبقاء الله سبحانه^(٤) والله أعلم، وقد تقدم^(٥) في الباب قبل هذا الإشارة إلى ذلك.

وقيل^(٦): إنه ينادي مناد فيقول: لمن الملك اليوم؟ فيجيبه أهل الجنة^(٧): لله الواحد القهار، ذكره الزمخشري^(٨).

فصل

في بيان ما أشكل من الحديث من^(٩) ذكر اليد والأصابع

إن قال قائل: ما تأويل اليد عندكم؟ واليد حقيقتها في^(١٠) الجارحة المعلومه عندنا، وتلك بها التي يكون القبض والطي^(١١)؟ قلنا: لفظ الشمال أشد في الإشكال^(١٢) وذلك في الإطلاق على الله محال؟
والجواب: أن اليد في كلام العرب لها خمسة معانٍ:

(١) في (ع، ظ): شيء يبقى.

(٢) في (ع، ظ): وقيل إنهما مما لا يجوز عليهما الفناء.

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: قد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المتبعين كالجهم بن صفوان، ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع سلف الأمة وأئمتها، مجموع الفتاوى ٣٠٧/١٨.

(٥) ص (٤٦١).

(٦) في (ع، ظ): وقد قيل.

(٧) في الكشاف: فيجيبه أهل المحشر.

(٨) في تفسيره الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٣٣٧/٥.

(٩) في (ظ): في. (١٠) (في): ليست في (ع).

(١١) في (ع، ظ): وتلك التي يكون القبض والطي بها.

(١٢) انظر: التعليق على لفظ الشمال ص (٤٧٤).

تكون بمعنى القوة، قوله^(١) تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدًا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ [ص: ١٧].
وتكون بمعنى الملك والقوة، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَلْفُ مَلَكٍ أُنزِلَتْ مِنْ سَّمَاءٍ﴾ [آل عمران: ٧٣].

وتكون بمعنى النعمة^(٢)، تقول العرب: كم يد لي عند فلان؟ أي كم نعمة^(٣) أسديتها إليه.

وتكون بمعنى الصلة، ومنه قوله تعالى: ﴿مِمَّا عَمِلْتُمْ^(٤) آيَاتِنَا أَنْعَمْنَا﴾ [يس: ١٧١]، أي مما^(٥) عملنا نحن، وقال الله^(٦) تعالى: ﴿أَوْ يَعْمَلُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الزَّكَاتِ﴾ [البقرة: ٢٣٧] أي الذي له النكاح^(٧).

وتكون بمعنى الجارحة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَدَّ يَدَكَ يَمِينًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَبْ﴾ [ص: ٤٤]، وقوله في الحديث: «بيده» عبارة عن قدرته وإحاطته بجميع مخلوقاته، فيقال: ما فلان [ب/٦٨] إلا في قبضتي: بمعنى ما فلان إلا في قدرتي، والناس يقولون: الأشياء في قبضة الله يريدون في ملكه وفي^(٨) قدرته، وقد يكون معنى القبض والطي: إفناء الشيء وإذهايه، فقوله ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ^(٩)﴾ [الزمر: ٦٧] يحتمل أن يكون المراد به: والأرض جميعاً

(١) في (ع، ظ): ومنه قوله.

(٢) قال الإمام أحمد ثلاثاً: ويفسد أن تكون بده القوة والنعمة والتفضل؛ لأن جمع يد أيد وجمع تلك أباد، ولو كانت اليد عنده القوة لسقطت فضيلة آدم وثبتت حجة إبليس. كتاب العقيدة للإمام أحمد بن حنبل، رواية أبي بكر الخلال ص(١٠٤).

قال ابن القيم: لفظ انشئية لا يحيز أن يكون المراد به ها هنا القدرة، فإنه يطل فائدة تخصيص آدم، فإنه وجميع المخلوقات حتى إبليس مخلوق بقدرة الله سبحانه، فأى مزية لأدم على إبليس في قوله: ﴿مِمَّا عَمِلْتُمْ أَنْ تَعْبُدُوا مَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾، مختصر الصواعق المرسله ص(٤١٣) بتصرف يسير.

(٣) في (ع، ظ): كم من نعمة.

(٤) في (الأصل): عمدته، والتصويب من (المصحف، ع، ظ).

(٥) في (ع): ما. (٦) (تنظير الجلالة): ليس في (ع).

(٧) في (ع): عقدة النكاح. (٨) (في): ليست في (ع، ظ).

(٩) في (ع، ظ): ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

ذاهبة فانية يوم القيامة، وقوله: ﴿وَالسَّكُونُ مَطْوِيَّتٌ بِبَيْسِنِهِ﴾ [الزمر: ٦٨] ليس يريد به^(١) طياً بعلاج وانتصاب، وإنما المراد بذلك الفناء والذهاب، يقال: قد انطوى عنا ما كنا فيه وجاءنا غيره، وانطوى عنا دهر بمعنى الماضي والذهاب^(٢).

(١) (به): ليست في (ع، ط).

(٢) ما ذهب إليه المصنف من تأويلات لمعنى اليد مردود، وقد خالف في ذلك السلف الذين يشنون صفة اليد على ما يليق بالله تعالى، قال ابن القيم تفتت في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَّكَ أَنْ تَسْمِدَ يَدَا حَقَّتْ يَدَيَّ﴾، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوثَتَانِ﴾ قالت الجهمية: مجاز في النعمة والقدرة، وهذا باطل من وجوه:

أحدها: أن الأصل الحقيقة، فدعوى المجاز مخالف للأصل، الوجه الثاني: أن ذلك خلاف الظاهر، فقد اتفق الأصل والظاهر على بطلان هذه الدعوى. الوجه الثالث: أن مدعى المجاز المعين يلزمه أمور أحدها: إقامة الدليل عن الحقيقة إذ مدعيها مع الأصل والظاهر، ومخالفتها مخالف لهما جميعاً. ثانيها: بيان احتمال اللفظ لما ذكره من المجاز لغة وإلا كان مشتقاً من عنده وضعاً جديداً، ثالثها: احتمال ذلك المعنى في هذا السياق المعين، فليس كل ما احتمله اللفظ من حيث الجملة يحتمله هذا السياق الخاص، وهذا موضع غلط فيه من شاء الله، ولم يبين أو يميز بين ما يحتمله اللفظ بأصل اللغة وإن لم يحتمله في هذا التركيب الخاص، وبين ما يحتمله فيه. رابعها: بيان القرائن الدالة على المجاز الذي عينه بأنه المراد، إذ يستحيل أن يكون هذا هو المراد من غير قرينة في اللفظ تدل عليه البتة، وإذا طولبوا بهذه الأمور الأربعة تبين عجزهم.

الوجه الرابع: إنه ليس من المعهود أن يطلق الله على نفسه معنى القدرة والنعمة بلفظ التنبية، بل بلفظ الأفراد الشامل لجميع الحقيقة كقوله تعالى: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ وكقوله: ﴿وَرَبَّانِي فَتَقَدَّرَا بِمَنْ أَلَّيْنَا لَا تَعْصُوهُمَا﴾ وقد يجمع النعم كقوله: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ مِنْهُ ظَهْرَهُ وَأُطْبِئَهُ﴾، وأما أن يقول: خلقتك بقدرتين أو بنعمتين، فهذا لم يقع في كلامه ولا كلام رسوله ﷺ. الوجه الخامس: أن يقال: ما الذي يضركم من إثبات اليد حقيقة، وليس معكم ما ينفي ذلك من أنواع الأدلة نقلها ولا عقليها، ولا ضروريها ولا نظريها، فإن فررتم من الحقيقة خشية التشبيه ففروا من إثبات السمع والبصر والحياة والعلم والإرادة والكلام خشية هذا المحذور، ثم يقال لكم: توهمكم لزوم التشبيه والتمثيل من إثبات هذه الصفة وغيرها وهم باطل، وليس في المخلوقات يد تمسك السموات والأرض ونظويها، ويد تقبض الأرضين السبع، ولا إصبع توضع عليها الأرض، ولا إصبع توضع عليها الجبال، فلو كان في المخلوقات يد وإصبع هذا =

فإن قيل: فقد قال في الحديث: «ويقبض أصابعه»^(١) ويسببها^(٢)، وهذه حقيقة الجارحة؟ قلنا: هذا مذهب المجسمة من اليهود والحشوية^(٣)، والله تعالى متعال عن ذلك، وإنما المعنى حكاية الصاحب عن النبي ﷺ يقبض أصابعه ويسببها، وليس معنى اليد في الصفات بمعنى الجارحة حتى يتوهم ثبوتها بثبوت الأصابع^(٤)، فدل على أن النبي ﷺ هو الذي كان يقبض أصابعه ويسببها.

قال الخطابي^(٥): «وذكر الأصابع لم يوجد في شيء من الكتاب والسنة المقطوع بصحتها»^(٦).

فإن قيل: فقد ورد ذكر الأصابع في غير ما حديث فما جوابكم عنها وقد روى البخاري^(٧) ومسلم^(٨) قال: أتى النبي ﷺ رجل من أهل الكتاب فقال: يا أبا انقاسم أبلغك أن الله ﷻ يحمل السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والثرى على إصبع والخلائق على إصبع؟ فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾

= شأنها لكان لكم عذر ما في توهم التشبيه والتمثيل من إثبات اليد والإصبع لله حقيقة، وإنما هذا تلبس منكم على ضعفاء العقول. انظر: مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة (باختصار) ص(٤٠١ - ٤٠٩).

- (١) من هذا الموضع قطع في (ع) إلى قوله: حتى بدت نواجذه، فأنزل الله.
- (٢) جزء من حديث أخرجه مسلم ٤/٢١٤٨، ح ٢٧٨٨.
- (٣) هم الذين يقولون إن معبودهم على صورة ذات أعضاء وأبعاد، انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/١٠٥.
- (٤) في (ظ): رسول الله.
- (٥) في (ط): بثبوتها ثبوت الأصابع.
- (٦) قاله في كتابه أعلام الحديث ٣/١٨٩٩.
- (٧) لم تظهر لي الفائدة من نقل المؤلف لكلام الخطابي الذي ينفي وجود ذكر الأصابع في شيء من الكتاب والسنة المقطوع بصحتها، مع العلم أن المؤلف أورد بعده مباشرة حديثاً متفقاً على صحته، فيه النص على ذكر الأصابع!!!، وانظر: مزيداً من البيان حول هذه المسألة ص(٤٧٢).
- (٨) في الصحيح ٤/١٨١٢، ح ٤٥٣٣.
- (٩) في الصحيح ٤/٢١٤٨، ح ٢٧٨٦.
- (١٠) في (ظ): رسول الله.

وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴿ [الزمر: ١٦٧].

وروينا عن عبد الله بن عمرو إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها كيف شاء، ثم قال رسول الله ﷺ: اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك»^(١) ومثله كثير.

قيل له: اعلم أن الإصبع قد تكون بمعنى الجارحة، والله تعالى مقدس^(٢) عن ذلك، وتكون بمعنى القدرة على الشيء وبسارة تقليبه^(٣): كما يقول من استسهل شيئاً واستخفه مخاطباً لمن استثقله: أنا أحمله على أصبعي، وأرفعه بإصبعي، وأمسكه بخنصري، وكما يقول من طاع بحمل شيء: أنا أحمله على عيني، وأفعله على رأسي: يعني به الطواعية، وما أشبه ذلك مما في معناه وهو كثير، وقد قال عترة، وقيل ابن زيادة التيمي^(٤):

الرمح لا أملاً كفي به واللبد^(٥) لا أتبع تزواله^(٦)

(١) أخرجه مسلم ٤/٢٠٤٥، ح ٢٦٥٤. (٢) في (ع، ظ): تقدس.

(٣) هذه التأويلات يرد عليها بالأوجه التي أوردها ابن القيم في الرد على تأويلات صفة اليد، انظر: ص (٤٧٠)، وسئل الإمام سفيان بن عيينة عن حديث: «أن الله يجعل السماء على إصبع»، وحديث: «إن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن» وأنه ﷺ: «ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة» ونحو هذه الأحاديث، فقال: هذه الأحاديث تروىها وتُقرَّب بها كما جاءت بلا كيف. وقال أبو بكر الخلال: أخبرني أحمد بن محمد بن واصل المقرئ، حدثنا الهيثم بن خارجة، حدثنا الوليد بن مسلم قال: سألت مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، والأوزاعي عن الأخيار أنني في الصفات فقالوا: أمروها كما جاءت. قال يحيى بن عمار وهؤلاء أئمة الأمصار: فمالك إمام أهل الحجاز، والثوري إمام أهل العراق، والأوزاعي إمام أهل الشام، والليث إمام أهل مصر والمغرب، انظر: ذم التأويل لموفق الدين بن قدامة المقدسي ص (١٩ - ٢٠).

(٤) هكذا في جميع النسخ، ولم أقف على ترجمة بهذا الاسم، ولعله: الشاعر الجاهلي ابن زبابة التيمي، ذكر أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني ١٩/٢٢ بعضاً من أخباره.

(٥) في (الأصل): والليد، وتصويبه من (ع، ظ).

(٦) ذكره البيهقي في الأسماء والصفات ٢/١٧٠.

يريد أنه لا يتكلف أن يجمع كفه فيشتمل على الرمح، لكن يطعن به خلساً بأصابعه لخفة ذلك عليه، وقوله (واللبد لا أتبع تزواله): أي إذا مال لا أميل^(١) معه، يقول: أنا ثابت على ظهر الخيل لا يضرنني فقدُ بعض الآلة ولا تغير السرج عما يريد الركب، يصف نفسه بالفروسية: الركوب والطنع^(٢)، فلما [١/٦٩] كانت السماوات والأرض أعظم الموجودات قدراً وأكبرها خلقاً كان إمساكها بالنسبة إلى الله تعالى كالشيء الحقيق الذي نجعله نحن بين أصابعنا، ونهزه بأيدينا، ونتصرف فيه كيف شئنا، فتكون الإشارة بقوله: «ثم يقبض أصابعه ويسطها»، ويقول: «ثم يهزن» كما جاء في بعض طرق مسلم^(٣) وغيره^(٤)، أي هي في قدرته كالحبة مثلاً في كف^(٥) أحدنا الذي^(٦) لا يبالي بإمساكها ولا بهزها ولا بتحريكها ولا القبض والبسط عليها، ولا يجد في ذلك صعوبة ولا مشقة، وقد تكون الإصبع أيضاً في كلام العرب بمعنى النعمة وهو المراد بقوله ﷺ: «إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن»، أي بين نعمتين من نعم الرحمن، يقال: لفلان علي إصبع أي أثر حسن إذا أنعم عليه نعمة حسنة، وللراعي^(٧) على ماشيته إصبع، أي: أثر حسن، وأنشد الأصمعي للراعي^(٨):

ضعيف العصا بادي العروق يرى له عليها إذا ما أجذب الناس إصبعا^(٩)
أي أثر حسن.

- (١) في (ع، ظ): لم أمل.
- (٢) في (ع): في الركوب والطنع، وعلى ما في الأصل و(ظ) تكون عبارة: الركوب والطنع، بيانية.
- (٣) في الصحيح ٢١٤٧/٤، ح ٢٧٢٦.
- (٤) وأخرجه البخاري في الصحيح ٢٧٢٩/٦، ح ٧٠٧٥.
- (٥) في (ع): أكف.
- (٦) في (ع، ظ): التي.
- (٧) في (الأصل) و(ظ): الراعي، وتصوبه من (ع).
- (٨) عبيد بن حصين الثميري، أبو جندل، الشاعر، سير أعلام النبلاء ٥٩٧/٤.
- (٩) ذكره الجاحظ في البيان والتبيين ٤١٥/١.

وقال آخر^(١):

صلاة وتسبيح وإعطاء سائل وذو رحم تبثل^(٢) منك إصبع

وقال آخر^(٣):

من يجعل الله عليك إصبعاً في الخير والشر ينقاه معاً

فإن قيل: كيف جاز إطلاق الشمال على الله تعالى وذلك يقتضي

النقص؟.

قيل: هو مما انفرد به عمر بن حمزة عن^(٤) سالم، وقد روى هذا الحديث نافع وعبد الله بن مقسم عن ابن عمر ولم يذكر فيه الشمال، ورواه أبو هريرة وغيره عن النبي^(٥) ﷺ ولم يذكر فيه واحد منهم الشمال^(٦).

قال البيهقي^(٧): وروى ذكر الشمال في حديث آخر في غير هذه القصة إلا أنه ضعيف بمرة، تفرد بإحدهما جعفر بن الزبير والآخر يزيد الرقاشي وهما

(١) لم أقف عليه. (٢) في (ع، ط): تبثل.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) من هذا الموضع قطع في (ع) إلى قوله: ولا نكفيها.

(٥) من هذا الموضع يبأض في (ع).

(٦) لفظ الشمال ورد في رواية لمسلم في صحيحه ٢١٤٨/٤، ح ٢٧٨٨؛ وأبي يعلى في مسنده ٤١٠/٩ - ٤١١، ح ٥٥٥٨ وقال الهيثمي في المجمع ٣٤٥/١٠: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير الحسن بن حماد سجادة فهو ثقة، وورد في رواية الطبراني في الأوسط ٨٦/٢، ح ١٣٣١ واللالكاني في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/٤١٨، ح ٧٠٢.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: إذا كانت لفظة «شمال» محفوظة فهي لا تنافي «كلتا يديه يمين»، لأن المعنى أن اليد الأخرى ليست كيد الشمال بالنسبة للمخلوق ناقصة عن اليد اليمنى، فلما كان الوهم يذهب إلى أن إثبات الشمال يعني النقص في هذه اليد دون الأخرى قال: «وكلتا يديه يمين»، انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد ٢٩٦/٣ - ٢٩٧ باختصار، وعليه يكون «كلتا يديه يمين» جاء تأكيداً لنفي النقص والضعف عن يد الله تعالى المتوهم.

(٧) قاله في كتابه الأسماء والصفات ١٤٠/٢.

متروكان، وكيف يصح ذلك وصح عن النبي ﷺ أنه سمي: «كلتا يديه يميناً»^(١)، وكان من قال ذلك أرسله من لفظه على ما وقع له، أو على عادة العرب في ذكر الشمال على مقابلة اليمين.

قال الخطابي^(٢): ليس فيما يضاف إلى الله ﷻ من صفة اليد شمال؛ لأن الشمال محل النقص والضعف، وقد روي: «كلتا يديه يمين»، وليس معنى اليد عندنا الجارحة وإنما هي صفة^(٣) جاء بها التوفيق فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكفيها وننتهي إلى حيث انتهى بنا الكتاب والسنة المأثورة الصحيحة، وهو ذهب أهل [السنة]^(٤) والجماعة^(٥)، وقد تكون اليمين في كلام العرب بمعنى القدرة والملك ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣] يريد به الملك، وقال: ﴿لَاخِذْنَا بِنُيُوتِنَا بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥]، أي بالقوة والقدرة، أي أخذنا قوته وقدرته^(٦).

قال الفراء: اليمين القوة والقدرة^(٧).

وأشدوا^(٨): [ب/٦٩]:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين^(٩)

وقال آخر^(١٠):

(١) رواه مسلم في صحيحه ٣/١٤٥٨، ح ١٨٢٧، وابن حبان في صحيحه ١٠/٣٣٦، ح ٤٤٨٤، والنسائي في المجتبى ٨/٢٢١، ح ٥٣٧٩.

(٢) قاله في كتابه أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري ٤/٢٣٤٧.

(٣) نهاية البياض الذي في (ع). (٤) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).

(٥) ثم يتضح لي لماذا أورد المؤلف هنا قول الخطابي الذي يبين فيه منهج أهل السنة والجماعة، والذي يخالفه الخطابي والمؤلف في باب الأسماء والصفات، وقد أقرأ بأنه مذهب أهل السنة والجماعة الذي يلزم من يخالفه مخالفة أهل السنة والجماعة، لكن يبدو أنه ناتج عن عدم مقدرتهم على مواجهة النصوص الصريحة.

(٦) (قوته وقدرته): ليست في (ظ)، وفي (ع): قدرته وقوته.

(٧) معاني القرآن للفراء ٣/١٨٣.

(٨) في (ع): وأشد.

(٩) أورده أبو جعفر النحاس في معاني القرآن له ٦/١٩١، وفي المستطرف ١/٢٩٨.

(١٠) ذكره البيهقي في كتابه الأسماء والصفات ٢/١٦١.

ولما رأيت الشمس أشرق نورها تناولت منها حاجتي بيمينتي
فقلت سُنيفاً^(١) ثم فاران^(٢) بعده وكان على الآيات غير أمين
قلت: وعلى هذا التأويل تخرُج الآية والحديث، والله أعلم.

وقد تكون اليمين في كلام العرب بمعنى التبرُّج والتعظيم، يقال: فلان
عندنا باليمين أي بالمحل الجليل، ومنه قول الشاعر:

أقول لناقتي إذ بلغتني لقد أصحبت عندي باليمين^(٣)
أي المحل الرفيع.

وأما قوله: «كلنا يديه يمين»، فإنه أراد بذلك التمام والكمال، وكانت
العرب تحب التيامن وتكره التياسر؛ لما في التياسر من النقصان وفي التيامن
من التمام.

فإن قيل: فأين يكون الناس عند طي الأرض والسماء؟

قلنا: يكونون على الصراط على ما يأتي بيانه^(٤) إن شاء الله تعالى.

باب البرزخ

روى هناد بن السري^(٥) قال: حدثنا محمد بن فضيل^(٦) ووكيع عن فطر^(٧)
قال: سألت مجاهداً عن قول الله تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾
[المؤمنون: ١٠٠]؟ قال: هو ما بين الموت إلى البعث.

وقيل للشعبي^(٨): مات فلان، قال: ليس هو في الدنيا ولا في

(١) من حصون تيماء، انظر: معجم معالم الحجاز لعاتق البلادي ٩٩/٥

(٢) من أسماء مكة، وهي كلمة عبرانية معربة، وقيل اسم لجبال مكة، انظر: معجم البلدان
٢٢٥/٤ ومعجم معالم الحجاز ١١/٧.

(٣) أورده البيهقي في الأسماء والصفات له ١٦١/٢.

(٤) ص (٥٠٢). (٥) في الزهد له ١٩٥/١، ح ٣١٤.

(٦) في (الأصل): فضل، وهو تصحيف، وتصويبه من (ع، ط، الزهد لهناد).

(٧) في (الأصل): مطر، وهو تصحيف، وتصويبه من (ع، ط، الزهد لهناد).

(٨) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار أبو عمر الهمداني ثم الشعبي علامة العصر، حدث =

الآخرة^(١)، هو في برزخ، والبرزخ في كلام العرب الحاجز بين الشيتين ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَمَلٌ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ [الفرقان: ٥٣] أي: حاجزاً، وكذلك هو في الآية وقت الموت إلى البعث فمن مات فقد دخل في البرزخ، ومنه^(٢) قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِم بَرْزَخٌ﴾ أي: من أمامهم وبين أيديهم.

باب ذكر النفخ الثاني للبعث في الصور^(٣) وكيفية البعث وبيانه وأول من تنشق عنه الأرض وأول من يحيى من الخلق وبيان السن الذي يخرجون عليه من قبورهم وفي لسانهم وبيان قوله تعالى: ﴿وَأَلْفَتْ مَا فِيهَا وَعَلَّتْ﴾ [الانشقاق: ٤]

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَلَيْكُمْ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ﴾ [الأنعام: ٧٣]، [وقال]^(٤): ﴿فَإِذَا يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا بَسَائِلُؤُنَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال: ﴿ثُمَّ نُفِخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِيهَا يُنظَرُونَ﴾ [الزمر: ١٦٨]، وقال: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَأَتُونَ أَقْوَامًا﴾ [النبا: ١٦٨]، وسماه الله تعالى أيضاً بالناقور في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨].

قال المفسرون: الصور ينقر فيه [١/٧٠] مع النفخ الأول لموت الخلق على ما يأتي بيانه^(٥).

قال الله تعالى مخبراً عن كفار قريش: ﴿مَا^(٦) يُنظَرُونَ﴾ [يس: ٤٩]، أي ما ينتظر كفار آخر هذه الأمة الدائنون بدين أبي جهل وأصحابه: ﴿إِلَّا صِيحَةٌ وَبَيْدَةٌ﴾ يعني النفخة الأولى التي يكون بها هلاكهم: ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾، أي: يختصمون في أسواقهم وحوادثهم، وقال^(٧) تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً﴾

= عن أبي موسى الأشعري وعائشة، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، مات سنة ١٠٥هـ، سير أعلام النبلاء ٢٩٤/٤.

(١) أخرجه هناد في الزهد ١/١٩٥، ح ٣١٥.

(٢) (منه): ليست في (ع، ظ). (٣) في (ع، ظ): في الصور وبيانه.

(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ). (٥) ص (٤٧٨).

(٦) في (الأصل): وما، وهو خطأ في الآية تصويبه من المصحف، و(ع، ظ).

(٧) في (ع، ظ): قال الله تعالى.

[الأعراف: ١٨٧] ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ قَوْلِيَةً﴾ [يس: ٥٠] أي: أن يوصوا، ﴿وَلَا يَكُ أَهْلِيهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: من أسواقهم وحيث كانوا، ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَجِدَةً فَإِذَا هُمْ خَائِدُونَ﴾ [يس: ٢٩] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾^(١) [يس: ٥١]، هذه النفخة الثانية نفخة البعث.

والصور قرن من نور تجعل فيه الأرواح^(٢) يقال: إن فيه من الثقب على عدد أرواح^(٣) الخلائق على ما يأتي^(٤).

و^(٥) قال مجاهد: هو كالبوق ذكره البخاري^(٦)، فإذا نفخ فيه صاحب الصور النفخة الثانية ذهب كل روح إلى جسده، ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ أي: القبور ﴿يَنسِلُونَ﴾ أي: يخرجون سراعاً، يقال: نسل ينسل ويُنسل بالضم أيضاً إذا أسرع في مشيته، فالمعنى يخرجون مسرعين، وفي الخبر: أن بين النفختين أربعين عاماً وسيأتي^(٧)، وفي البخاري^(٨) عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾^(٩)، قال: والراجفة: النفخة الأولى، والرادفة: النفخة الثانية.

وروي عن مجاهد^(١٠) أنه قال: للكافرين هجعة قبل يوم القيامة يجدون فيها طعم النوم، فإذا صبح بأهل القبور قاموا مذعورين عجلين ينظرون ما يراد بهم لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقد أخبر الله تعالى عن الكفار أنهم يقولون: ﴿يَوَدُّونَا مِنْ بَعْثِنَا مِنْ مَرَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]^(١١)، فتقول لهم الملائكة والمؤمنون على اختلاف المفسرين: ﴿هَذَا

(١) ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾: ليس في (ع، ظ).

(٢) في (ظ): أرواح الخلائق.

(٣) (يقال: إن فيه من الثقب على عدد أرواح): ليست في (ظ).

(٤) ص (٤٨٦). (٥) (الوار): ليست في (ع).

(٦) في صحيحه ٢٣٨٨/٥. (٧) ص (٤٩١).

(٨) في صحيحه ٢٣٨٨/٥. (٩) (الصور): ساقطة من (ظ).

(١٠) ذكر قوله الثعالبي في تفسيره الجواهر الحسان ٣٠١/١، وأبو السعود في تفسيره ٦٧٢ والسبوطي في الدر المنثور ٦٢/٧.

(١١) من هذا الموضع إلى قوله: المفسرين، ساقط من (ظ).

مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ^(١) ﴿﴾ وذلك أنهم لما بعثوا قال بعضهم لبعض: ﴿بَوَلَيْنَا مِنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ صدقوا الرسل لما عاينوا ما أخبروهم به ثم قالوا: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ فكذبنا به، أقرؤا حين لم ينفعهم الإقرار، ثم يؤمر بحشر الجميع إلى الموقف للحساب.

وقال عكرمة^(٢): إن الذين يفرقون في البحر تقسم لحومهم الحيتان فلا يبقى منهم شيء إلا العظام فتلقبها الأمواج على^(٣) الساحل فتمكث حيناً ثم تصير خالية نخرة، ثم تمر بها الإبل فتأكلها ثم تسير الإبل فتبعر، ثم يحيى قوم فينزلون فيأخذون ذلك البعر فيوقدونه، ثم تخدم تلك النار، فتحيى ريح فتلقى ذلك الرماد على الأرض، فإذا جاءت النفخة فإذا هم قيام ينظرون، يخرج أولئك وأهل القبور سواء: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً - أَيْ نَفْخَةً وَاحِدَةً - فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣].

قال علماؤنا^(٤): فالنفخ في الصور إنما هو سبب لخروج أهل القبور وغيرهم، فيعيد الله الرفات من أبدان الأموات، ويجمع ما تفرق منها في البحار ويطون السبع وغيرها حتى تصير كهيئتها الأولى، ثم يجعل فيها الأرواح فيقوم الناس كلهم أحياء حتى السقط، فإن النبي ﷺ [٧٠/ب] قال: «إِنَّ السَّقَطَ لِيُظَلُّ مُحْبَبْتِياً^(٥) عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، وَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فيقول: لا حتى يدخل أبواي^(٦)»، وهو السقط

(١) في (ع): ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾، وقبل: إن الكفار هم القائلون: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾.

(٢) ذكر السيوطي قوله في الدر المنثور ٢٥٥/٧.

(٣) في (ع، ظ): إلى. (٤) ثم أقت على القائل.

(٥) في جميع النسخ: محبباً، والتصويب من (مصنف عبد الرزاق، والطبراني، وغريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام)، وقال أبو عبيد في حديثه لِيُظَلُّ في «السقط يظل مُحْبَبْتِياً على باب الجنة، فيقال له: ادخل، فيقول: حتى يدخل أبواي». قال أبو عبيدة المُحْبَبْتِياً بغير همز: هو المتعصب المُسْتَبْطِئُ للنبي، انظر: غريب الحديث لابن سلام ١٣٠/١.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١٦٠/٦، ح ١٠٣٤٣، والطبراني في الأوسط ٤٤/٦، ح ٥٧٤٦.

الذي^(١) تم خلقه ونفخ فيه الروح، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير: ٨] فذل على أن الموءودة تحشر وتسال^(٢)، ومن قبرها تخرج وتبعث، وأما من^(٣) لم ينفخ فيه الروح فهو وسائر الموات سواء والله أعلم^(٤)، قاله الحاكم أبو الحسين بن الحسن^(٥) الحلبي^(٦) في كتاب منهاج الدين له^(٧)، والحقيقة إنما خروج الخلق بدعوة الحق، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٥٢] فيقومون يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، قالوا^(٨): فيوم القيامة يوم يبدأ بالحمد ويختتم به، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾، وقال في آخره: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

ابن ماجه^(٩) قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عباد بن العوام عن حجاج عن عطية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن صاحبي الصور بأيديهما أو في أيديهما قرنان»^(١٠) يلاحظان النظر متى يؤمران».

الترمذي^(١١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ قال: «قرن ينفخ فيه»، قال: هذا حديث حسن.

- (١) في (ع): وهذا السقط هو الذي. (٢) في (ع): تسأل وتحشر.
 (٣) في (ظ): الذي. (٤) (والله أعلم): ليست في (ع، ظ).
 (٥) في (الأصل): أبو الحسن بن الحسين، وما أثبتته من (ع، ظ) فهو ابن الحسن.
 (٦) في (ع، ظ): زيادة: تَنَقُّطُ.
 (٧) كتاب منهاج الدين في شعب الإيمان ١/٣٤٥.
 (٨) في (ظ): قال.
 (٩) في سننه ١٤٢٨/٢، ح ٤٢٧٣، وقال البوصيري: هذا إسناد ضعيف لضعف حجاج بن أرطاة وعطية العوفي، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ٤/٢٥٣، وقال الألباني: حديث منكر، والمحفوظ بلفظ: «صاحب القرن»، انظر: ضعيف ابن ماجه ص (٣٤٩)، ح ٩٣١.

- (١٠) (قرنان): طمس في (الأصل)، وتوضيحه من (ع، ظ) ومصدر المؤلف.
 (١١) في جامعه ٤/٦٢٠، ح ٢٤٣٠؛ وأبو داود في سننه ٤/٢٣٦، ح ٤٧٤٢، قال الألباني، صحيح، انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/١٠٠، ح ٢٥٨٦.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن، واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ، فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ فقال لهم: قولوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]»^(١)، قال: حديث حسن.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أطرف^(٢) صاحب الصور منذ^(٣) وُكِّلَ به مستعداً بحذاء العرش مخافة أن يؤمر بالصيحة قبل أن يرتد طرفه كأن عينيه كوكبان دريان»، خرَّجه أبو الحسن بن صخر^(٤) في فوائده وغيره^(٥).

وخرَّج ابن المبارك^(٦) ومؤمل بن إسماعيل^(٧) وعلي بن معبد عن ابن مسعود رضي الله عنه حديثاً ذكر فيه: «ثم يقوم ملك الصور بين السماء والأرض فينفخ فيه^(٨)، والصور قرن فلا يبقى لله خلق في السماوات ولا في الأرض إلا مات إلا ما شاء ربك، ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون فليس من بني آدم خلق إلا وفي الأرض^(٩) منه شيء^(١٠)» زاد مؤمل بن إسماعيل: قال سفيان يعني

(١) أخرجه الترمذي ٤/٦٢٠، ح ٢٤٣١ صحيح، انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/٥٧٨، ح ٢٤٣١.

(٢) في (الأصل): أطرق، والتصويب من (ع. ظ. والمستدرک للحاكم، والحلية، وتاريخ بغداد).

(٣) في (ع، ظ): مذ.

(٤) محمد بن علي بن محمد بن صخر، أبو الحسن البصري، قال الذهبي: صاحب المجالس المعروفة، توفي سنة ٤٤٣هـ، سير أعلام النبلاء ١٧/٦٣٨.

(٥) أخرجه الحاكم في مستدرکه ٤/٦٠٣، ح ٨٦٧٦؛ وأبو نعيم في الحلية ٤/٩٩؛ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٥/١٥٣، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح على شرط مسلم، انظر: مستدرک الحاكم ٥/٢١، ح ٨٧٤٠.

(٦) لم أجده في الزهد، والجهاد، والمستدرک لابن المبارك.

(٧) أبو عبد الرحمن العدوي مولاهم البصري، الحافظ، حدث عن الثوري وشعبة وطيفتهم، توفي سنة ٢٠٦هـ، السير ١٠/١١٠.

(٨) رواه البيهقي في شعب الإيمان ١/٣١٥، ح ٣٥٥.

(٩) في (ظ): الصور.

(١٠) في (ع، ظ): شيء منه.

الشوري: عجب الذئب، قال: «فیرسل الله ماء من تحت العرش منياً كمني الرجال فتنبت جثمانهم ولحمانهم كما تنبت الأرض من الثرى، ثم قرأ عبد الله: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ سَخَابًا فَفُتَّتُهُ إِلَى بَلَدٍ مُّيَسَّرٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]، قال: ثم يقوم ملك الصور بين السماء والأرض فينفخ فيه فتنتطق كل نفس إلى جسدها حتى تدخل فيه ثم^(١) يقومون^(٢) فيحيون إجابة رجل واحد قياماً لرب العالمين^(٣)، وقال ابن المبارك ومؤمل ثم يقومون فيحيون تحية واحدة.

وذكر أبو عبيد القاسم بن سلام قال: حدثنا ابن مهدي عن سفيان عن [٧١/أ] سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء^(٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: فيقومون فيحيون تحية رجل واحد قياماً لرب العالمين^(٥).

قوله: «فيحيون»، التحية تكون في حالين أحدهما: أن يضع يديه على ركبتيه وهو قائم، هذا^(٦) هو المعنى الذي في هذا الحديث ألا تراه يقول: قياماً لرب العالمين.

والوجه الآخر: أن ينكب على وجهه باركاً وهذا هو الوجه المعروف عند الناس، وقد حمله بعض الناس على قوله: «فيخرون سجدوا لرب العالمين» فجعل سجودهم^(٧) هو التحية، وهذا هو الذي يعرفه الناس من التحية.

(١) (فتنتطق كل نفس إلى جسدها حتى تدخل فيه ثم): ليست في (ع).

(٢) في (ع): فيقومون.

(٣) أخرجه بنحوه ابن أبي شيبة في مصنفه ٥١١/٧، ح ٣٧١٣٧؛ والبيهقي في شعب الإيمان ٣١٥/١، ح ٣٥٥؛ والطبري في تفسيره ١١٩/٢٢.

(٤) هو عبد الله بن هانئ الأزدي، أبو الزعراء الأكبر الكوفي، روى عن عمر بن الخطاب وابن مسعود رضي الله عنه، روى عنه ابن أخته سلمة بن كهيل، انظر: تهذيب الكمال ١٦/٢٤٠؛ التقريب ص (٥٥٤) رقم ٣٧٠١.

(٥) لا توجد الرواية في غريب الحديث له، وهو جزء من رواية ابن أبي شيبة السابقة، ورأها العقيلي في الضعفاء له من رواية أبي الزعراء عن ابن مسعود ٣١٤/٢.

(٦) في (ع، ظ): وهذا. (٧) في (ع، ظ): السجود.

وخرَجَ^(١) علي بن معبد أيضاً^(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ ونحن في طائفة من أصحابه، وساق الحديث بطوله إلى قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿لِلَّهِ الْأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، ثم ^(٣): ﴿تُبدَلُ الْأَرْضُ عِزَّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، فيسطها بسطاً ثم يمدّها عد الأديم العكاظي، ﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧]، ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة فإذا هم في هذه الأرض المبدلة في مثل ما كانوا فيه من الأول: من كان في^(٤) بطنها كان في بطنها^(٥)، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها^(٦)، ثم ينزل الله تعالى عليكم ماء من تحت العرش يقال له: ماء^(٧) الحيوان فتمطر السماء عليكم أربعين سنة حتى يكون الماء من فوقكم اثني عشر ذراعاً، ثم يأمر الله الأجساد فتنبت كنبات الطرايث^(٨)، وكنبات البقل حتى إذا تكاملت أجسادكم فكانت كما كانت يقول الله ﷻ ليحيى حملة العرش، فيحيون، ثم يقول^(٩) ليحيى جبريل وميكائيل وإسرافيل، فيأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور، ثم يدعو الله^(١٠) الأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المسلمين^(١١) نوراً، والأخرى مظلمة فيأخذها الله فيلقئها في الصور، ثم يقول الله^(١٢) لإسرافيل: انفخ نفخة البعث فينفخ فتخرج الأرواح كأمثال النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض، فيقول الله ﷻ: وعزتي وجلالي لأرجعن^(١٣) كل روح إلى جسده،

(١) في (ع، ظ): وروى.

(٢) أخرج نحوها ابن ماجه في سننه ١٣٦٥/٢، ح ١٤٠٨١، وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/٤٩٩، ح ٣٧٥٢٥، وإسحاق بن راهويه في مسنده ٨٨/١، ح ١١٠ والطبري في تفسيره ١٤/٢٣.

(٣) (ثم): ليست في (ظ). (٤) (في): ساقطة من (ظ).

(٥) (كان في بطنها): ليست في (ع). (٦) (كان على ظهرها): ليست في (ع).

(٧) (ماء): ليست في (ع، ظ).

(٨) في (ع): الطرايث، وهو نبت ينسبط على وجه الأرض كالفطر، النهاية لابن الأثير ١١٧/٣.

(٩) في (ع): يقال.

(١٠) (لفظ الجلالة): ليس من (ع، ظ).

(١١) في (ع): المؤمنين.

(١٢) (لفظ الجلالة): ليس في (ع، ظ).

(١٣) في (ع، ظ): ليرجعن.

فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد، ثم تدخل في الخياشيم فتشمي في الأجساد مشي السم في اللدغ، ثم تنشق الأرض عنكم، وأنا أول من تنشق الأرض عنه، فتخرجون منها شباباً^(١) كلكم أبناء ثلاث وثلاثين واللسان يومئذ بالسريانية^(٢): سراعاً ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِسُلُوكِ﴾، ﴿مُهَيِّبِينَ إِلَى الدَّجِّ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ غَيْرٌ ﴿٨﴾﴾ [القمر: ٨]، ﴿ذٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤٢]، ﴿وَحَشَرْتَهُمْ فَلَمْ تُغَاوِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧]، فتوقفون في موقف عراة غلغلاً غرلاً مقدار سبعين عاماً لا ينظر الله إليكم ولا يقضي بينكم، فتبكي الخلقات حتى تنقطع الدموع، ثم تدمع دعماً، [ويعرقون]^(٣) حتى تبلغ منهم الأذقان ويلجمهم، فيضجون ويقولون: من يشفع لنا إلى ربنا، وساق الحديث بطوله في الشفاعة، وسيأتي^(٤) حديث الشفاعة من^(٥) صحيح مسلم وغيره إن شاء الله تعالى.

وخرج الختلي أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم في كتاب الديباج له: حدثني أبو بكر خليفة بن الحارث بن خليفة^(٦)، ثنا محمد بن جعفر المدائني عن سلام بن مسلم الطويل عن عبد الحميد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن

(١) في (ع، ظ): شباباً.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته: سألت سائل: بماذا يخاطب الناس يوم البعث؟ فأجبت: بعد الحمد لله رب العالمين: لا يُعلم بأي لغة يتكلم الناس يومئذ، ولا بأي لغة يسمعون خطاب الرب جل وعلا؛ لأن الله تعالى لم يخبرنا بشيء من ذلك ولا رسوله ﷺ، ولم يصح أن الفارسية لغة الجهنميين ولا أن اللغة العربية لغة أهل النعيم الأبدي، ولا نعلم نزاعاً في ذلك بين الصحابة رضي الله عنهم، بل كلهم يكفون عن ذلك، لأن الكلام في مثل هذا من فضول القول، ولكن حدث في ذلك خلاف بين المتأخرين، فقال ناس: يتخاطبون بالعربية، وقال آخرون: إلا أهل النار فإنهم يجيبون بالفارسية وهي لغتهم في النار، وقال آخرون: يتخاطبون بالسريانية؛ لأنها لغة آدم وعنها نقرعت اللغات، وقال آخرون: إلا أهل الجنة فإنهم يتكلمون بالعربية. وكل هذه الأقوال لا حجة لأربابها لا من طريق عقل ولا نقل، بل هي دعاوى عارية من الأدلة، والله ﷻ أعلم وأحكم. مجموع الفتاوى ٤/٣٠٠ - ٣٠١.

قلت: ومصادر التخريج التي جاءت بنحو هذه الرواية ليس فيها جملة: واللسان يومئذ بالسريانية، التي جاءت في هذه الرواية.

(٣) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).

(٤) ص (٥٩٩).

(٦) (بن خليفة): ليست في (ع، ظ).

(٥) في (ع): في.

النبي ﷺ في قوله ﷻ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأُذِّنَتْ لِرَبِّهَا وَحَّتْ ﴿٢﴾﴾ [الانشقاق: ١ - ٢] قال: فقال رسول الله ﷺ [٧١/ب]: «أنا أول من تنشق عنه»^(١) الأرض فأجلس جالساً في قبوري فيفتح لي باب إلى^(٢) السماء بحيال رأسي حتى أنظر إلى العرش، ثم يفتح لي باب من تحتي حتى أنظر إلى الأرض السابعة حتى أنظر إلى الثرى، ثم يفتح لي باب عن يميني حتى أنظر إلى الجنة ومنازل أصحابي، وأن الأرض حُرِكت^(٣) تحتي فقلت لها: ما بالك أيتها الأرض؟ قالت: إن ربي أمرني أن ألقى ما في جوفي وأن أتخلى، فأكون كما كنت إذ لا شيء في، فذلك قول الله ﷻ: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحَّتْ ﴿٥﴾﴾ [الانشقاق: ٤ - ٥]، أي: سمعت وأطاعت، وحق لها أن تسمع وتطيع، يا أيها الإنسان، قال رسول الله ﷺ: أنا ذلك الإنسان».

وروي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَابَتَا نَفْسَ الْمُطْمِئِنَّةِ ﴿٦﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً رَّضِيَةً ﴿٧﴾﴾ [الفجر: ٢٧ - ٢٨]، أن هذه^(٤) خطاب للأرواح بأن ترجع إلى أجسادها، ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ إلى صاحبك^(٥)، كما تقول: رب الغلام، ورب الدار، ورب الدابة أي: صاحب الغلام، وصاحب الدار، وصاحب الدابة: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٨﴾﴾ [الفجر: ٢٩]، أي: في أجسادهم من مناخرهم، كما ورد في الخبر المتقدم.

وقد روي أن الله تعالى خلق الضؤور حين فرغ من خلق السموات والأرض، وأن عظم دارة فيه^(٦) كغلظ السموات والأرض، وفي حديث أبي هريرة: «والذي نفسي بيده إن عظم دارة فيه كعرض السماء والأرض»^(٧)

(١) من هذا الموضع طمس في بعض الكلمات والأحرف في الأصل إلى قوله: قد صاروا حمماً.

(٢) (إلى): ليست في (ع).

(٣) في (ع، ط): تحركت.

(٤) أي هذه الآية، وفي (ع، ط): هذا.

(٥) انظر: تفسير الطبري ١٩١/٣٠.

(٦) في (ع): دارته.

(٧) رواه إسحاق بن راهويه في مسند ١/٨٥، ح ١٠٠ وأبو الشيخ في كتاب العظمة ٣/٨٢٣،

وسياتي^(١)، وروي^(٢) أن له رأسين: رأساً بالشرق، ورأساً بالمغرب^(٣)، والله أعلم.

فصل

الصور بالصاد، قرن ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء وهي نفخة الصعق، ويكون معها نقر لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا نُفِثَ فِي الْقُبُورِ﴾ [المدثر: ٨]، أي: في الصور^(٤)، فإذا نفخ فيه للإصعاق جمع بين النفخ والنقر^(٥) لتكون الصيحة أهدأ وأعظم^(٦) ثم يمكث الناس أربعين^(٧) عاماً، ثم ينزل الله ماء كمني الرجال على ما تقدم^(٨) فتكون منه الأجساد^(٩) بقدرة الله تعالى، حتى يجعلهم بشراً، كما روي في قصة الذين يخرجون من النار قد صاروا حمماً أنهم يغتسلون من نهر بياب الجنة فينبتون نبات الحبة [تكون]^(١٠) في حميل السيل، وعن ذلك عبر في حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتقدم في صحيح مسلم^(١١) وغيره^(١٢)، فينبتون نبات البقل فإذا تهيأت الأجسام وكملت، نفخ في الصور نفخة البعث من غير نقر؛ لأن المراد إرسال الأرواح من ثقب الصور إلى أجسادها لا تنقيرها من أجسادها، فالنفخة الأولى للتنقيح وهي نظير صوت الرعد الذي قد يقوى فيمات منه، ونظير الصيحة الشديدة التي يصيحها الرجل على الرجل^(١٣) فيفزع منه

(١) ص (٥٠٧).

(٢) (وسياتي وروي) طسر في (الأصل)، وتوضيحه من (ع، ظ).

(٣) لم أجد هذه الرواية.

(٤) تكررت جملة: أي: في الصور، في الأصل.

(٥) في (ع، ظ): النقر والنفخ.

(٦) هذا كلام الحلبي في المنهاج ٤٣٤/١.

(٧) في (الأصل): أربعون، وهو خطأ نحوي، تصويبه من (ع، ظ).

(٨) ص (٤٨٢).

(٩) في (ع، ظ): الأجسام.

(١٠) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).

(١١) في صحيحه ١٦٥/١، ح ١٨٢.

(١٢) وأخرجه البخاري في صحيحه ٢٧٠٧/٦، ح ٧٠١١.

(١٣) في (ع، ظ): بصي.

فيموت، فإذا نفخ للبعث من غير نقر كما ذكرنا خرجت الأرواح من المجال التي هي فيه فتأتي كل روح إلى جسده فيحييها الله كل ذلك في لحظة^(١) كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ بِقِيَامٍ يُنظَرُونَ﴾، ﴿وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كُنْفُسًا وَّجِدُوا﴾^(٢) [لقمان: ٢٨]، [و] عند أهل السنة أن تلك الأجساد الدنيوية^(٣) تعاد بأعيانها وأعراضها بلا خلاف بينهم، قال بعضهم: بأوصافها، فيعاد الوصف أيضاً كما يعاد الجسم واللون. قال القاضي أبو بكر بن العربي^(٤): وذلك جائز في حكم الله وقدرته وهين عليه جميعه، ولكن [١/٧٢] لم يرد بإعادة الوصف خبيراً. قلت: فيه أخبار كثيرة يأتي ذكرها في الباب بعد هذا.

فصل

وليس الصُّور جمع صورة كما زعم بعضهم: أي ينفخ في صور الموتى بدليل الأحاديث المذكورة، والتنزيل يدل على ذلك، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِّخُ فِيهِ نُفُوسًا﴾ ولم يقل: فيها، فعلم أنه ليس جمع صورة.

قال الكلبي: لا أدري^(٥) ما الصُّور، ويقال: هو جمع صورة مثل بُشرة وبُشر^(٦)، أي: في صور الموتى الأرواح، وقرأ الحسن: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾^(٧).

قلت: وإلى هذا التأويل في أن الصُّورَ بمعنى الصُّور جمع صورة ذهب أبو عبيدة معمر بن المثنى^(٨)، وهو مردود بما ذكرنا، وأيضاً: لا ينفخ في

(١) في (ع): لحظة واحدة.

(٢) في (ع، ط): ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كُنْفُسًا وَّجِدُوا﴾.

(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ط).

(٤) في (ع، ط): الدنياوية.

(٥) لم أهدأ إلى قوله فيما وقفت عليه من كتبه.

(٦) ص (٤٩٣).

(٧) في (ع، ط): بُشرة وبُشر.

(٨) إتخاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، لشهاب الدين أحمد بن محمد، الشهر بالبناء، ص (٢٦٦).

(٩) لم أجد في كتابه مجاز القرآن، وحكى مذهبه أبو جعفر النحاس في معاني القرآن له ١٩٢/٦.

الصور للبعث، مرتين، بل ينفخ مرة واحدة، فإسرافيل عليه السلام ينفخ في الصور الذي هو القرن، والله سبحانه يحيي الصور فينفخ فيها الروح كما قال: ﴿فَنفُخُكَ فِيهِ^(١) مِنْ رُوحِنَا﴾ [التحریم: ١٢]^(٢).

قال ابن زيد^(٣): يخلق الله الناس في الأرض الخلق الآخر، ثم يأمر السماء فتمطر عليهم^(٤) أربعين يوماً فينبتون فيها حتى تنشق عن رؤوسهم كما تنشق عن رأس الكمأة، فمثلها يومئذ مثل الماخض تنتظر أن يأتيها أمر الله فطرحهم على ظهورها، فلما جاءتهم^(٥) تلك النفخة طرحتهم.

قال علماؤنا^(٦): والأمم مجمعون على أن الذي ينفخ في الصور إسرافيل عليه السلام.

قلت: قد جاء حديث يدل على أن الذي ينفخ^(٧) غير إسرافيل، خرجه أبو نعيم^(٨) الحافظ قال: حدثنا سليمان قال: ثنا أحمد بن القاسم قال: ثنا عفان بن مسلم قال: ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عبد الله بن الحارث قال: كنت^(٩) عند عائشة رضي الله عنها وعندها كعب الأحبار فذكر كعب إسرافيل، فقالت عائشة: يا كعب أخبرني عن إسرافيل، فقال كعب: عندك^(١٠) العلم، فقالت^(١١): أجل فأخبرني، فقال: له أربعة أجنحة: جناحان في الهواء،

(١) في (ظ): فيها، وعلى ما في نسخة (ظ) تكون الآية ٩١ من سورة الأنبياء: ﴿فَنفُخُكَ فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾.

(٢) في (ع، ظ): زيادة آية: ﴿وَوَسَّعَتْ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩].

(٣) هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني، أخو أسامة بن زيد، صاحب تفسير وقرآن، جمع تفسيراً في مجلد، وكتاباً في الناسخ والنسخ، توفي سنة ١٨٢هـ، سير أعلام النبلاء ٣٤٩/٨، وقد ذكر أبو محمد عبد الحق في كتابه العاقبة ص(٢٥٥) قوله بالمعنى.

(٤) (عليهم): ليست في (ظ).

(٦) ثم أقت على القائل.

(٨) في التحلية ٤٧/٦.

(١٠) في (ع): عندكم.

(٥) في (ع): جاءت، وفي (ظ): كانت.

(٧) في (ع، ظ): في الصور.

(٩) في (ع، ظ): كنا.

(١١) في (ع، ظ): قالت.

وجناح قد تسربل^(١) به، وجناح على كاهله، والعرش على كاهله، والقلم على أذنه، فإذا نزل الوحي كتب القلم، ثم درست الملائكة، وملك الصور جاث على إحدى ركبتيه وقد نصب الأخرى ملتقم الصور مُحنياً ظهره شاخصاً يبصره ينظر إلى إسرافيل وقد أمر إذا رأى إسرافيل قد ضم جناحيه^(٢) أن ينفخ في الصور، قالت عائشة: هكذا سمعت من^(٣) رسول الله ﷺ يقول. غريب من حديث كعب لم يروه عنه لا عبد الله بن الحارث، ورواه خالد الحذاء عن أبي بشر^(٤) عن عبد الله^(٥) بن رباح عن كعب نحوه.

فصل

قلت: وما خرجه أبو عيسى الترمذي وغيره يدل على أن ملك^(٦) الصور إسرافيل ﷺ ينفخ فيه وحده، وحديث أبي عبد الله^(٧) محمد بن يزيد بن ماجه يدل على أن معه غيره، وقد خرّج^(٨) أبو بكر البزار^(٩) في مسنده وأبو داود في كتاب الحروف من كتاب السنن^(١٠) من حديث عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: ذكر رسول الله ﷺ صاحب الصور فقال: عن يمينه جبرائيل وعن يساره ميكائيل، فلعل لأحدهما قرناً آخر ينفخ فيه، والله أعلم. وذكر أبو السري [هشام بن السري]^(١١) التيمي الكوفي^(١٢) قال: ثنا

(١) في (الأصل): ينزل، وتصويبه من (ع، ظ، الحنية).

(٢) في (الأصل): جناحه، وتصويبه من (ع، ظ، الحنية).

(٣) (عن): ليست في (ع، ظ، الحنية).

(٤) في (ع): عن الوليد بن بشر، وفي (الحنية): عن الوليد عن أبي بشر.

(٥) (ورواه خالد الحذاء عن أبي بشر عن عبد الله): ساقطة من (ظ).

(٦) في (ع، ظ): صاحب.

(٧) في (الأصل): عبید الله، وهو تصحيف، تصويبه من (ع، ظ، والسير ٢٧٧/١٣).

(٨) في (ظ): خرجه. (٩) لم أجده في مستد البزار المطبوع.

(١٠) في السنن ٣٦/٤، ح ٣٩٩٩، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف أبي داود له ص (٣٩٥)، ح ٨٦٣.

(١١) ما بين المعقوفين من (ع، ظ). (١٢) في الزهد له ٣٣٩/١، ح ٦٢٥.

أبو الأحوص عن منصور عن مجاهد عن عبد الرحمن [٧٢/ب] بن أبي عمرو قال: ما من صباح إلا وملكان يقولان: يا طالب الخير أقبل، ويا طالب الشر أقصر، وملكان^(١) يقولان: اللهم أعظ منفقاً خلفاً، وأعظ ممسكاً تلفاً، وملكان موكلان يقولان: سبحان الملك القدوس، وملكان موكلان بالصور، قال: وحدثنا وكيع عن الأعمش عن مجاهد عن عبد الله بن ضمرة عن كعب قال: ما من صباح...، مثله سواء، وزاد بعد قوله: وملكان موكلان بالصور ينتظران متى يؤمران فينفخان، وعطية لا يحتج أحد بحديثه، على ما ذكره أبو محمد^(٢) وغيره^(٣).

فصل

واختلف في عدد النفخات فقبيل: ثلاث^(٤): نفخة الفزع لقوله ﴿لَنْ فِي سُورَةِ النَّمْلِ^(٥): ﴿أَوَيَوْمَ يُفْعَخُ﴾^(٦) فِي الصُّورِ فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَةٍ ذَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧]، ونفخة الصعق، ونفخة البعث لقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وهذا اختيار ابن العربي^(٧) وسيأتي^(٨).

وقيل: هما نفختان، ونفخة الفزع هي: نفخة الصعق؛ لأن الأمرين لازمان لها، أي: فزعوا فزعاً ماتوا منه، والسنة الثابتة على ما تقدم^(٩) من

(١) في (ع): موكلان.

(٢) انظر: الأحكام الشرعية الكبرى له ٥٣٣/٤.

(٣) (وعطية لا يحتج أحد بحديثه، على ما ذكره أبو محمد وغيره): ليست في (ع، ظ).

(٤) في (ظ): ثلاث نفخات.

(٥) ﴿لَنْ فِي سُورَةِ النَّمْلِ﴾: ليست في (ع، ظ).

(٦) ما بين المعقوفين من (المصحف)، وفي الأصل (ع، ظ): ونفخ في الصور ففزع، وهو خطأ في الآية.

(٧) في (ع، ظ): ابن العربي وغيره. (٨) ص (٥٠٩).

(٩) ص (٤٥٢).

حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحديث عبد الله بن عمرو وغيرهما يدل على أنهما نفختان لا ثلاث، وهو الصحيح إن شاء الله. قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَوِّقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ^(١) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، فاستثنى ها هنا^(٢) كما استثنى في نفخة الفزع، فدل على أنها واحدة.

وقد روى ابن المبارك عن الحسن رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بين النفختين أربعون سنة، الأولى: يميت الله بها كل حي، والأخرى يحيي الله بها كل ميت»^(٣)، وسيأتي^(٤) لهذا مزيد بيان إن شاء الله تعالى.

وقال الحلبي^(٥): اتفقت الروايات على أن بين النفختين أربعين^(٦) سنة، وذلك بعد أن يجمع الله تعالى ما تفرق من أجساد الناس من بطون السباع، وحيوانات الماء، وبطن الأرض، وما أصاب النيران منها بالحرق، والمياه بالغرق، وما أبلته الشمس، وأذرت^(٧) الرياح، فإذا جمعها وأكمل كل بدن منها ولم يبق إلا الأرواح جمع الأرواح في الصور، وأمر إسرافيل عليه السلام فأرسلها بنفخة من ثقب الصور فرجع كل ذي روح إلى جسده بإذن الله تعالى.

وجاء في بعض الأخبار ما يبين: أن من أكله طائر أو سبع حشر من جوفه. وهو ما رواه الترمذي^(٨) عن أنس رضي الله عنه قال: مر رسول الله ﷺ بحمزة يوم أحد وقد جُدِعَ ومُثِّلَ به، فقال: لولا أن تجد صفة في نفسها لتركته حتى يحشره الله من بطون السباع والطير^(٩).

(١) (ومن في): ساقطة من (ع). (٢) في (ع، ظ): هنا.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور له ٦٣٢/٥.

(٤) ص (٥١٠). (٥) في المنهاج له ٤٣٤/١ - ٤٣٥.

(٦) في (ع، ظ): أربعون، وهو خطأ نحوي.

(٧) في (ع، ظ): وذرت.

(٨) في (ع، ظ): الزهري، والحديث أخرجه الترمذي من رواية الزهري عن أنس، في جامعه ٣/٣٣٦، ح ١٠١٦، مع اختلاف في بعض الألفاظ، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ١/٢٩٧ - ٢٩٨، ح ٨١١.

(٩) نهاية النقل من كتاب المنهاج.

وقد أنكر بعض أهل الزيغ أن يكون الصور قرناً.

قال أبو الهيثم^(١): من أنكر أن يكون الصور قرناً فهو كمن ينكر العرش والصراط^(٢) والميزان، وطلب لها تأويلات.

باب منه في صفة البعث وما آية تلك في الدنيا

وأول [١/٣٣] ما يخلق من الإنسان رأسه^(٣)

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ نُشْرًا^(٤) يَبْتَغِي بَدَنًا وَيُخَمِّدُ حَوَّاءَ إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا مِّثَالًا سَعْفَةً يُلْجِئُ مَتَبِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ سَحَابًا مِمَّا فِي سَطْحِهِ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَأَنْظُرْ إِلَى آثِرِ^(٥) رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُعْجِي الْأَرْضَ بِمَدِّ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُعْجِي الْمَوْتِ^(٦)﴾ [الروم:

(١) ذكره المصنف في عدد من المواضع من تفسيره ١/٢٦٣، ٤/٥٧، وأورد النص نفسه لأبي الهيثم في ٦/١٥ من تفسيره، ولم يذكر من اسمه ما بيينه، ولم أفد على من ذكر قوله في عدد من كتب العقيدة والتفسير.

(٢) (والصراط): ليست في (ع، ظ).

(٣) ثبت في الصحيحين: البخاري ٤/١٨٨١، ح ٤٦٦١؛ ومسلم ٤/٢٢٧٠، ح ٢٩٥٥ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قوله ﷺ: «لبس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة».

(٤) في (ظ): بشري. وقد اختلف القراء في ﴿نُشْرًا﴾ فقرأوا عاصم بالياء الموحدة وإسكان الشين جمع بشير، وقرأ ابن عامر بالنون المضمومة وإسكان الشين وهي مخففة، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بالنون المفتوحة وسكون الشين مصدر واقع موقع الحال بمعنى (ناشرة) أو منشورة، ووافقهم الأعمش، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب بضم النون والشين جمع ناشر كنازل، انظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر لأحمد بن محمد الدميطي البناء ص(٢٢٦).

(٥) في (ظ): آثار. وقد اختلف القراء في الآية فقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي وخلف بالجمع - آثار - لتعدد أثر بالرحمة وتنوعه، ووافقهم الحسن والأعمش، وأمالها ابن ذكوان من طريق الصوري واللدوري عن الكسائي والباقون بالتوحيد - أي الإفراد (أثر) - انظر: إتحاف فضلاء البشر ص(٣٤٨ - ٣٤٩).

(٦) في (ع، ظ): زيادة في الآية: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

١٥٠، وقال: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الْشُّورُ﴾ [فناظر: ٩]، والآي في هذا المعنى كثير.

وخرَّج أبو داود الطيالسي^(١) والبيهقي^(٢) وغيرهما عن أبي رزين العقيلي^(٣) قال: قلت: «يا رسول الله كيف يعيد الله الخلق؟ وما آية ذلك في خلقه؟ قال: أما مررت بوادي قومك جدياً ثم مررت به يهتز خضراً؟ قلت: نعم، قال: فتلك آيات^(٤) الله في خلقه».

قلت: هذا حديث صحيح لأنه موافق لنص التنزيل، والحمد لله.

وفي حديث لقيط بن عامر عن النبي ﷺ: «فأرسل ربك السماء تهضب^(٥) من عند العرش، فلعمر إلهك ما يدع على الأرض^(٦) من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى يخلقه^(٧) من قبل رأسه^(٨)». وذكر الحديث.

باب يبعث كل عبد على ما مات عليه

مسلم^(٩) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يبعث كل عبد على ما مات عليه».

(١) في مسنده ص (١٤٧)، ح ١٠٨٩.

(٢) في كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف ٢/٢١٧، في سنده وكيع بن عدر، قال عنه الذهبي: لا يعرف، انظر: ميزان الاعتدال ٧/١٢٦ رقم ٩٣٦٣.

(٣) هو لقيط بن عامر، ويقال: ابن صيرة، له صحبة، انظر: التاريخ الكبير للبخاري ٧/٢٤٨ رقم ١٠٥٨.

(٤) في (ع، ظ): آية.

(٥) نهضب: أي تمطر، انظر: غريب الحديث لابن قتيبة ١/٥٣١ وفي (ع، والطبراني): بهضب، في (مسند أحمد): تهضب.

(٦) في (ع، ظ): ما يدع على ظهرها.

(٧) في (ع، ظ): يخلق، وفي (معجم الطبراني): يخلقه، وفي (مسند أحمد): يجعله.

(٨) أخرجه أحمد في المسند ٤/١٣، ح ١٦٢٥١؛ والطبراني في الكبير ١٩/٢١٢، ح ٤٧٧، إسناده ضعيف، انظر: حاشية مسند أحمد ٢٦/١٢١ - ١٢٨، ح ١٦٢٠٦.

(٩) في الصحيح ٤/٢٢٠٦، ح ٢٨٧٨.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا أراد الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا^(١) على نياتهم^(٢)»، ولفظ البخاري^(٤) عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أنزل الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بعثوا على أعمالهم^(٥)»^(٦).

مالك^(٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده لا يُكَلِّم أحد في سبيل الله، والله أعلم من^(٨) يُكَلِّم في سبيله إلا جاء يوم القيامة وجرحه يشعب دماً، اللون لون دم، والعرف عرف مسك»، خرجه البخاري^(٩) ومسلم^(١٠).

أبو داود^(١١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله أخبرني عن الجهاد والغزو، فقال: يا عبد الله إن قتلت صابراً محتسباً بعثت صابراً محتسباً^(١٢)، وإن قتلت مرثياً مكائراً بُعثت مرثياً مكائراً على أي حال قاتلت أو قتلت بعثك الله بتلك الحال.

وروى أبو هذبة إبراهيم بن هذبة قال: حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات سكراناً فإنه يعاين ملك الموت سكراناً، ويعاين منكرأً ونكيرأً سكراناً، ويبعث يوم القيامة سكراناً إلى خندق في وسط جهنم يسمى السكران فيه عین يجري ماؤه دماً لا يكون له طعام ولا شراب إلا منه»^(١٣).

(١) في (الأصل): يبعثوا، وما أثبتته من (ع، ظ، مسلم).

(٢) في (صحيح مسلم): على أعمالهم.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٢٠٦/٤، ح ٢٨٧٩.

(٤) في (ع، ظ): خرجه البخاري.

(٥) ولفظ البخاري عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أنزل الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بعثوا على أعمالهم». ليست في (ع، ظ).

(٦) أخرجه البخاري في الصحيح ٢٦٠٢/٦، ح ٦٦٤٩.

(٧) في الموطأ ٤٦١/٢، ح ٩٨٤. (٨) في (ع): بمن.

(٩) في الصحيح ١٠٣٢/٣، ح ٢٦٤٩. (١٠) في الصحيح ١٤٩٦/٣، ح ١٨٧٦.

(١١) في سننه ١٤/٣، ح ٢٥١٩ ضعفه الألباني، انظر: ضعيف أبي داود ص (٢٤٧) ح ٥٤١..

(١٢) (بعثت صابراً محتسباً): ساقطة من (ع).

(١٣) لم أقف عليه، وأبو هذبة كذاب كما تقدم ص (١٥٠).

مسلم^(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً [٧٣/ب] كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم محرماً فوقصته ناقته فمات، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اغسلوه^(٢) بماء وسدر وكفونوه في ثوبه ولا تمسوه بطيب ولا تخمروا رأسه فإنه يُبعث يوم القيامة ملبياً، في رواية: «ملبدأ»، خرجه البخاري^(٣).

وروى عباد بن كثير عن أبي الزبير^(٤) عن جابر رضي الله عنه قال: «إن المؤذنين والملبين يخرجون يوم القيامة من قبورهم يؤذن المؤذن ويلبي الملبى»، ذكره الحلبي أبو الحسين الحافظ في كتاب المنهاج له^(٥)، وسيأتي^(٦) بكماله.

وذكر أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم بن محمد الخثلي في كتاب الديباج له: حدثنا أبو محمد عبد الله بن يونس بن بكر قال: ثنا أبي عن عمرو بن سمير عن جابر عن محمد بن علي عن ابن عباس وعلي بن حسين^(٧) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أخبرني جبريل عليه السلام أن لا إله إلا الله أنس للمؤمن عند موته، وفي قبره، وحين يخرج من قبره، يا محمد لو تراهم حين يمرقون من قبورهم^(٨) ينفضون رؤوسهم هذا يقول: لا إله إلا الله والحمد لله فيبيض وجهه، وهذا ينادي يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله، مسودة وجوههم^(٩)».

قال: وحدثني يحيى بن عبد الحميد الحماني قال: ثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس على أهل لا إله إلا وحشة عند الموت، ولا في قبورهم، ولا في منشرهم، كأني بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم وهم يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن^(١٠)».

(١) في الصحيح ١/٨٦٦، ح ١٢٠٦.

(٢) في الصحيح ١/٤٢٦، ح ١٢٠٨.

(٤) هو محمد بن مسلم بن تدرس، أبو الزبير القرشي، مولاهم، الحافظ، روى عن جابر وابن عباس رضي الله عنهما، مات سنة ١٢٨ هـ، انظر: السير ٤/٢٨٧.

(٥) وهو فيه ١/٤٤٦.

(٦) ص (٥٣٣).

(٧) في (ع، ظ): الحسين.

(٨) لم أقف على من أخرجه أو ذكره.

(١٠) رواه الطبراني في الأوسط ٩/١٧١، ح ٩٤٤٥؛ وقال الهيثمي: فيه يحيى الحماني وهو

ضعيف، مجمع الزوائد ١٠/٨٣.

وروي^(١) عن النبي ﷺ أنه قال: «تخرج النائحة من قبرها يوم القيامة شعناء غبراء عليها جلباب من لعنة الله، ودرع من نار يدها على رأسها تقول: يا ويلاه».

أخرجه ابن ماجه^(٢) ومسلم بمعناه^(٣) عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «النياحة من أمر الجاهلية، وإن النائحة إذا ماتت قطع الله^(٤) لها ثياباً^(٥) من نار، ودرعاً من لهب النار»، لفظ ابن ماجه.

وقال مسلم^(٦): «تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب».

وأسنده الثعلبي في تفسيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «هذه النوائح يجعلن يوم القيامة صفين صفاً عن اليمين، و صفاً عن الشمال ينبحن كما تنبح الكلاب في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يؤمر بهن إلى النار»، أنبأناه^(٧) الشيخ^(٨) الراوية أبو محمد عبد الوهاب شهر باين رواج والشيخ الإمام علي بن هبة الله الشافعي قال: حدثنا السلفي قال: ثنا الرئيس أبو عبد الله الثقفي قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد^(٩) بن خولة الأبهري الأديب فيما قرئ عليه وأنا أسمع سنة ثلاث وأربع مائة قال: أنبأ أبو عمرو أحمد بن أحمد^(١٠) بن حليم^(١١) المدني، أنا أبو أمية محمد بن إبراهيم

(١) في (ع): وروي النسائي والحديث ليس في سنن النسائي لا الكبرى ولا المجتبى، ولم أرف على من أخرجه.

(٢) في سننه ١/٥٠٣، ح ١٥٨١، وصححه الألباني، انظر: صحيح ابن ماجه ١/٢٦٣، ح ١٢٨٥.

(٣) في (ع، ظ): أخرجه بمعناه مسلم وابن ماجه، وانظر رواية مسلم التي بالمعنى بعدها.

(٤) (لفظ الجلالة): ليس في (ع). (٥) في (ع): ثياب.

(٦) في الصحيح ٢/٦٤٤، ح ٩٣٤.

(٧) في (الأصل، وظ): أنبأنا هو، والتصويب من (ع).

(٨) في (ع، ظ): الشيخ الحاج. (٩) (محمد): ليست في (ع، ظ).

(١٠) في (ع، ظ): محمد. (١١) في (ع، ظ): حكيم.

الطرطوسي قال: ثنا سعيد بن سليمان^(١) بن داود اليمامي^(٢) حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة^(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذه [١/٧٤] النوائح يجعلن يوم القيامة صفين في جهنم صفًا عن يمينهن، وصفًا عن شمالهن، ينحن على أهل جهنم: كما تنبح الكلاب»^(٤) غريب من حديث أبي نصر يحيى بن كثير^(٥) عن أبي سلمة، تفرد به سليمان بن داود.

قال^(٦) أنس رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «تخرج النائحة من قبرها شعناء غبراء مسودة الوجه زرقاء العين^(٧) نائرة الشعر كالحة الوجه عليها^(٨) جلباب من لعنة الله، ودرع من غضب الله، إحدى يديها مغلولة إلى^(٩) عنقها والأخرى قد وضعتها على رأسها، وهي تنادي^(١٠) واويلاه^(١١)، وايبوراه، واحزنناه، وملك وراءها يقول: آمين، ثم يكون من^(١٢) بعد ذلك حظها من النار».

ابن ماجه^(١٣) عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «النياحة على الميت من أمر الجاهلية، وإن النائحة إذا لم تتب قبل أن تموت فإنها تبعث يوم القيامة عليها سراييل من قطران، ثم يُعلى^(١٤) عليها بدرع من

(١) في (ع، ظ): حدثنا سليمان بن داود.

(٢) في (الأصل) و(ع): اليماني، والتصويب من لسان الميزان لابن حجر ٣/٨٣، والطبراني في الأوسط.

(٣) عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف، سمع أبا هريرة وابن عباس، روى عنه الزهري وغيره، توفي سنة ٩٤هـ، انظر: الكنى والأسماء لمسلم بن الحجاج ١/٣٧٨ رقم ١٤٠٣، والسير ٤/٢٨٧.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط ٥/٢١٥، ح ٥٢٢٩، وقال الهيثمي: وفيه سليمان بن داود اليمامي وهو ضعيف، مجمع الزوائد ٣/١٤؛ وقال الحافظ ابن حجر: وعامة ما يرويه لا يتابع عليه، لسان الميزان ٣/٨٢.

(٥) في (ع، ظ): أبي كثير.

(٦) في (ع، ظ): العيين.

(٧) في (ع): على.

(٨) في (ع، ظ): يا ويلاه.

(٩) في سنته ١/٥٠٤، ح ١٥٨٢، صححه الألباني، انظر: صحيح ابن ماجه ١/٢٦٤، ح ١٢٨٦.

(١٠) في (ع، ظ): يغلى.